(١٣٧)

الرسول في القرآن الكريم

وإنك لعلى خلق عظيم

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد

الكتاب	الرسول فى القرآن الكريم
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٢٤ يونيو ٢٠٢٢م، الموافق ٢٥ ذى القعدة ١٤٤٣هـ
كتاب رقم	مائة وسبع وثلاثون
سلسلة	التفسير الموضوعى للقرآن الكريم – الكتاب الخامس عشر
الداخلى	٦٠٨ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان لميع
إيداع محلى	٢٠٢٢/١٣٧٧٤
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-٢٣٠٣-٦
باركود	9 789779 423036 13774
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ربى نبيه على أعلى الأخلاق الإلهية وأفضل الكمالات البشرية، وقال في شأنه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم)

والصلاة والسلام على من كان خُلُقه القرآن، وعمله بالقرآن، وحاله كله قرآن؛ سيدنا محمد الذي كان قرآنا يمشي بين الناس، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى كل من اتبع هداه الى يوم الدين، ... وبعد،

إن الحديث عن النبي ﷺ لا يستطيع أحد مهما أوتي من علم وبيان أن يحيط به كله من جميع نواحيه، أو يظهر بعمق بعض جوانب العظمة فيه ...

وقد راجعت بحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معظم المراجع والكتب التي كتبت في السيرة النبوية قديماً وحديثاً، وألهمني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بتتبع بعض جوانب العظمة المحمدية وتسجيلها في كتب لتوثيقها، وقد تم طبع ونشر بعضها وهي كتاب (حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق)، وكتاب (الكمالات المحمدية)، وكتاب (الرحمة المهداة)، وكتاب (السراج المنير)، وكتاب (الأفق المبين)، وكتاب (الجمال المحمدي)، وكتاب (خصائص النبي الخاتم)، وكتاب (الآداب القرآنية لخير البرية)، وكتاب (واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ)، وكتاب (إشراقات الإسراء) بجزئيه، وكتاب (تجلِّيَّات المعراج)، وكتاب(ثانى اثنين)، وقد طبع أغلبها أكثر من مرة.

وفي الحقيقة بعد الرجوع إلى الكتب والمراجع التي تناولت السيرة المحمدية كاملة أو أظهرت بعض نواحي عظمته ﷺ لم نجد أكمل ولا أجمل ولا أحلى ولا ألذَّ من كلام الله في كتاب الله عن رسول الله ﷺ، فآثرنا أن نرجع إلى كتاب الله نوضح ونشرح الآيات التي خصصها الله للحديث عن رسول الله ﷺ ...

فتتبعناها جميعها من بداية القرآن إلى آخره، وشرحناها في حلقات مسلسلة مسجلة ومصوَّرة، وقام الأحباب المباركون بنسخها وكتابتها وتمت مراجعتها ليخرج هذا الكتاب الفريد في شأنه، العلي في قدره ومقداره، وسميناه (الرسول في القرآن الكريم).

وحديثنا في هذا الكتاب يدور حول فهمنا بالآيات القرآنية وما ألهمنا به ربنا من خواطر إلهاميه فيها نحو نبينا ﷺ، فهو شرح على قدري وليس على قدر الحبيب المحبوب ﷺ، فإنه لا يقدره قدره إلا ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويكفي في بيان ذلك قول بعض الصالحين:

الرسل جميعاً يطلبون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ورسولنا ﷺ لا يطلب من الله إلا الله

ولذا أستحضر في هذا المقام الكريم قول الإمام أبوالعزائم ﷺ:

على قدرى أصوغ لك المديحا	ومدحك صاغه ربي صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى	أوفي قدرك السامي شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي	فأسعد بالوصال فتى جريحا
وداوِ بالوصال فتىً معنَّى	يروم القرب منك ليستريحا
فموسى ردَّ بعد سؤال ربي	وأنت رأيتَه كشفا صريحا
ألم نشرح وربِّ اشرح بيانٌ	لقدرك سيدي أضحى مبيحا

فكل كاتب يكتب عن الحبيب ﷺ عن محبه فإنما يكتب على قدره بما شرح الله به صدره، ويبقى ﷺ بعد ذلك عال على جميع المقامات، رفيع على كل الدرجات، لم يبلغ شئوه أحد لا في القديم ولا بين المعاصرين ولا فيما هو آت، فالأمر كما قال ابن الفارض ﷺ:

أَرى كلَّ مَدحٍ في النَبِيِّ مُقَصّراً	وَإِن بالَغ المثني عَلَيهِ وَأَكثَرا
إِذا اللَهُ أَثنى بِالَّذي هو أَهلُهُ	عَلَيهِ فَما مِقدار ما تمدح الوَرى

فسلام الله ورحمته عليك أيها النبي، يا من كنت لنا سراجاً منيراً، وكنت للعالم أجمع بشيراً ونذيراً، ووضح الله بعض مكانتك فقال:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء).

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٨٦ البقرة)

وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين ... وفي الملأ الأعلى ويوم الدين وآله وصحبه وأتباعه أجمعين.

مجمع الفائزين الخيري بالمقطم

يوم الخميس ٢٥ من شوال ١٤٤٣هـ، الموافق ٢٦ من مايو ٢٠٢٢

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشـيخ على الإنترنت
WWW.fawzyabuzeid.com

تطبيق موقع الشيخ على جوجل بلاى للموبايل
https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى

fawzy@fawzyabuzeid.com, fawzyabuzeid٤٨@gmail.com
fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

لحضور مجالس ودروس العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد على الهواء مباشرةً وللبثِّ الحىِّ وللمزيد من التواصل والإتصال على :
(الفيسبوك)و (اليوتيوب) و(الموقع الرسمى) و(تويتر) و(البلوجر) و(جوجل بلس) و(إنستجرام)

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى أبوزيد	https://www.fawzyabuzeid.com
Shaikh Fawzy Mohamed Abuzeid' English Official site	https://www.fawzyabuzeid.com/en/
الصفحة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد	https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
Shaikh Fawzy Mohamed Abuzeid' English Official Page	https://www.facebook.com/fawzyabuzeid٢
مكتبة الشيخ فوزى محمد أبوزيد	https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
صفحة الخطب الإلهامية العصرية	https://www.facebook.com/khotab
صفحة قضايا الشباب المعاصر	https://www.facebook.com/shbabmoaser
صفحة المؤمنات القانتات	https://www.facebook.com/qanetat
صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة	https://www.facebook.com/alsoufia
صفحة إشارات العارفين	https://www.facebook.com/esharatelaarfeen
قناة اليوتيوب ١	https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١
قناة اليوتيوب ٢	https://www.youtube.com/user/eadase
صفحة الشيخ على تويتر	https://twitter.com/fawzyabuzeid
حساب جوجل بلس للشيخ	google.com/+SheikhFawzyMohammedAbuzeid١
مدونة الشيخ على بلوجر	http://fawzyabuzeid.blogspot.com
صفحة pinterest للشيخ	http://www.pinterest.com/fawzyabuzeid
حساب انستجرام للشيخ	http://instagram.com/fawzyabuzeid

وإنك لعلى خلق عظيم

(١)

وظائف الرسالة[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة).

النبوة والرسالة	تجديد العهد	سر الهداية
أولا: تلاوة الآيات	عبادة التفكر	ثانياً: تزكية النفس
ثالثاً: علوم الكتاب	رابعاً: علم الحكمة	خامساً: العلوم الوهبية

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... الحمد لله الذي افتتح الوجود بأفضل والد وخير مولود، سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين، وصفوة الخلق أجمعين، وصاحب المقام الأعلى يوم الدين، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُدخلنا في زمرة أهل شفاعته أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي أعطيته ما لم تعط أحداً من الأنبياء والمرسلين سواه من فضلك العظيم، وكرمك العميم، حتى تمنَّوا أجمعين أن يكونوا من أمته وأن يُحشروا في زمرته، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

خير ما نحتفي به في هذه الليالي المباركة ليالي ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، أن نتلمَّس ما تحدَّث به عنه الرحمن في القرآن، ونحاول أن نستوضحه هذا البيان، لنعرف قدر النبي ﷺ فإنه لا يعلم قدره إلا ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كلُّ الوجود بأسره في دهشة والكل عن فهم الحقيقة حائر
عجز الورى عن فهم سرِّ محمد لم يدره إلا الإله القادر

والله ﷻ تحدَّث في كتابه الكريم مبيناً لنا معاشر المؤمنين أوصاف النبي، ومقامات النبي، والدرجات العليا الوهبية التي أفاضها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على حضرة النبي، حتى نكون على وعي تام بما أفاء به عليه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

١ الأقصر – ساحة الشيخ أحمد المرتضى ٢٢ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/٨م

النُّبوَّة والرسالة

والله ﷻ تارة يصفه بالنبوة، وتارة يصفه بالرسالة ...

ما الفارق بين النبوة والرسالة؟

النبوة كانت قبل خلق الخلق، لأنه نبي لجميع الأنبياء السابقين، ورسول لنا معشر المؤمنين، والرسالة بعد تكليفه بالبعثة بعد نزول الوحي عليه والأمين جبريل.

فالرسالة لنا معشر المسلمين، أما النبوة فهي لنا وللخلق أجمعين، حتى للعوالم الأُخرى غير العوالم الإنسية، فإن لهم شهادة لحضرته بالنبوة ليدخلوا في زمرة أمته صلوات ربي وتسليماته عليه، ولذلك يوضح النبي ﷺ هذا المقام عندما قال له رجل:

{ مَتَى جُعِلْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ }[٢]

والإنسان كما نعلم روح في جسد، لا يوجد روحٌ بلا جسد، ولا جسدٌ بلا روح، فعندما يقول: إني عند الله لخاتم النبيين وآدم بين الروح والجسد، يعني أنه قبل أن يُخلق جسد آدم بإيقان وهو نبيٌّ عند الرحمن ﷻ.

ووضح الله ﷻ هذا المقام في القرآن، فقال جل شأنه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (آل عمران).

تحكي الآيات أن الله أخذ البيعة لأرواح النبيين، وذلك قبل خلق جسد آدم من التراب أو من الطين ...

وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لهم زعيماً وإمام ..

وأن هذا الزعيم والإمام هو نبي الختام، وعليهم جميعاً وإن تقدموا عن زمنه أن يؤمنوا به، وأن ينصروه بأن يأمروا أممهم – بعد أن يبينوا أوصافه ويبينوا أخلاقه – بأن يتبعوا حضرته إذا حضروا زمن بعثته صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٢ مسند أحمد والحاكم في المستدرك

تجديد العهد

هذه النبوة كانت قبل الخلق والنبيون أرواح، وقال الله تعالى لهم فيها ليسبغ عليهم تمام النعمة: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (٨١آل عمران) أي أن الله سيحييهم يوماً ما بعد بعثة الرسول ليجددوا العهد على حضرته، ويُصلوا صفوفاً وهو لهم الإمام، وكان ذلك في بيت المقدس في ليلة الإسراء والمعراج، فجمع الله النبيين والمرسلين في هذه الليلة، وأحياهم.

وقد قال ﷺ مبيناً عددهم عندما سُئل: كَم النَّبِيونَ؟ فقال ﷺ:

{ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ }[٣]

جمعهم الله له بعد بعثته، ليجددوا العهد على حضـــرته، بعد أن كُلِّف برســـالته ليُحشروا في أمته صلوات ربي وتسليماته عليه، هذه النبوة جعله الله ﷻ بها شاهداً على الأنبياء، وشـــاهداً على أممهم، وشـــاهداً على أمته، وشـــاهداً على الخلق جميعاً من مبدأ الخلق إلى منتهاه، وهذا ما قال فيه الله جل في علاه (فى سورة النساء):

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾

فهو شهيد على جميع الأنبياء والمرسلين، يوم القيامة عند رب العالمين ﷻ.

وظائف النبوة ذكرها الله في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾

أما وظائف الرسالة التي تخصنا معشر أمته، وهي خصوصية لنا من حضرته، كلَّفه بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ففي آيات من سورة البقرة، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخاطباً لنا: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وظائف النبي مع أتباع النبي، ومع المؤمنين الصادقين الموفين بالعهد لحضرة النبي، أن يُدخلهم جامعته المحمدية، ليعلّمهم هذه المناهج الربانية، التي كلَّفه بالتدريس لنا فيها رب البرية ﷻ.

---

٣ الحاكم في المستدرك والطبري

سرُّ الهداية

وذكَّرنا الله في بداية الآية أنه منا: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ :

حتى لا نستوحش، وحتى نستأنس، وحتى نعلم علم اليقين أن جهاز الإستقبال النوراني في قلب كل مؤمن هو قبسٌ من نور سيد الأولين والآخرين ﷺ .. بسر هذا الجهاز النوراني يستقبل أمواج القرآن من الرحمن، ويستقبل التعاليم والوصايا من النبي العدنان، ويجتهد في طاعة الرحمن في كل وقت وآن، وله حنينٌ وشوقٌ إلى بيت الله الحرام، وإلى زيارة روضة ضمَّت أعضاء الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذا ما أشار إليه حضرة النبي ﷺ حيث يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[٤]

إذاً الهداية فينا سببها ما فينا من أنوار رسول الله التي استودعها في قلوبنا حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في علاه، ولذلك يقول الله لنا على سبيل الإعلام:

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٧الحجرات)

فيكم في باطنكم بأنواره الإلهية، وبروحه الزكية التي هي جهاز الإستقبال الذي يستقبل هذه الآيات القرآنية وهذه الوصايا النبوية، ويدفع الجسم حساً وباطناً إلى العمل بالعبادة الخالصة لرب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ..

ففينا رسول الله ﷺ بأنواره .. وهو ﷺ مكلفٌ من الله أن يُدخلنا الحضرة المحمدية، ليُعلِّمنا المنهج الذي رسمه الله، وهو منهج التربية الروحانية في كل عصر، وفي كل زمان ومكان، ولكل إمام أقامه النبي العدنان من بدئه إلى الختام، هو هذا المنهج القرآني.

أولا: تلاوة الآيات

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾:

تلاوة الآيات وهي الجزء الأول من المنهج ليس معناها تلاوة آيات القرآن المسطور فقط، ولكنها تلاوة آيات كتاب الله المنظور الذي نراه في الآفاق، ونراه في

---

٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

أنفسنا أيضاً، وقد وضع الله ﷻ لكل مؤمن كتاباً مصغراً، وكتاباً مكبراً، أما الكتاب المصغَّر فهو أنت، وأما الكتاب المكبر فهو الكون عاليه ودانيه، وكل ما فيك فهو في الكون، وكل ما في الكون فهو فيك:

أتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك وما تُبصر وداؤك منك ولا تشعر

أنت الكتاب الذي أمرك الله ﷻ أن تقرأه، وقال في آياته الكريمة فى (﴿٥٣﴾فصلت):

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

لم يقُل سنقرئهم! ولكن (سنريهم) فيتلو للإنسان الآيات الربانية في خلقته، والآيات الربانية المحيطة به والمخلوقة له، ليعلم علم اليقين أنه هو المقصود بالخلافة الحقة عن رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذه الآيات تشير إليها كثيرٌ من الآيات القرآنية:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (﴿١٩٠﴾ آل عمران).

فآيات الله ﷻ المنظورة غير آيات الله ﷻ المقروءة المتلوَّة، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك أولاً مع أصحابه البررة الكرام ... فقد مكث ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً، لم تُفرض الصلاة إلا قبل هجرته بعام، كيف كان يصنع مع أحبابه وأصحابه في هذه السنين الخوالي؟ .... كان يقرأ عليهم الآيات، ... ثم ينقلهم إلى تزكية النفوس وتطهيرها !!! ولذلك يقول سيدنا أبو ذر ﷺ:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا }[٥]

ذكر لهم ما حولهم وما فيهم، ليذكِّرهم بالله وبنعم الله وبفضل الله وبإكرام الله، فيقوموا بعد ذلك بالعبادة شاكرين لله على عطاءات الله جل في علاه ... فيتلو عليهم القرآن المُنزَّل باللسان، ويتلو عليهم حقيقة الآيات القرآنية المصورة المبينة في النفس وفي الأكوان، وفيها يقول حضرة الرحمن:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (﴿٢١﴾ الذاريات).

---

٥ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر ﷺ

عبادة التفكر

ترى في نفسك العجب العجاب إذا دخلت إلى عبادة التفكر!!

وهي عبادة الأنبياء والمرسلين، وعبادة الصالحين والمقربين، وهي التي تأخذ بيدك سريعاً إلى رضوان رب العالمين ﷻ.

كان ﷺ قبل بعثته يذهب إلى غار حراء في شهر رمضان من كل عام، ويجلس يتفكر في خلق الله، ويقف أمام الغار يتأمل في صنع الله في الآفاق وفي نفسه، حتى قال أهل مكة: لقد عشق محمد ربه !!!

لأنهم وجدوه مشدودًا شدًا بليغًا إلى حضرة الله، بعد تفكره الذي هداه له الله، وكان فيه ﷺ أول العابدين كما أنبأ ربُّ العالمين، ولذلك يقول ﷺ في هذه العبادة التي كادت أن تختفي الآن:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[٦]

لا توجد عبادة في النوافل التي يتقرب بها المتقربون تعدل عبادة التفكر ...

ما أجرها؟ ... قال ﷺ:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[٧]، وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }[٨]

والساعة في لفظ الحبيب أي اللحظة ..

لأنه لم يكن في زمنه الساعات التي نلبسها أو نراها اليوم، ولكن الساعة في القرآن والساعة في ألفاظ النبي العدنان تعني لحظة من الزمن.

فلحظة تَفكُّر تعدل عبادة سنة في الأجر والثواب!!

لأن الله ﷻ يرفع بها شأن الإنسان في الإيمان درجات ودرجات، ويجعل مُؤهلًا لها عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

---

٦ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ
٧ الفوائد المجموعة للشوكاني
٨ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة ﷺ

ثانياً: تزكية النفس

بعد تلاوة الآيات في الآفاق وفي النفس يدخل بهم على الدائرة الثانية:

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾:

والتَّزكية يعني التَّطهُّر ... يُزَكِّي الإنسان من كل شيء يباعد بينه وبين القرب من حضرة الرحمن ... حتى إذا وقف بين يدي الله : كانت عبادته في مقام الإحسان، .... فيعبد الله كأنه يراه أو يستحضر على الأقل أن الله يطلع على ظاهره وخفاياه، فتكون عبادة حقَّة لحضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك نجد القرآن يقرن الفلاح في الصلاح بمن زكت نفسه أولاً، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١٤الأعلى) وبعد ذلك: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (١٥الأعلى) ... فإذا زكت النفوس ظهرت في أفق الروح الشموس !!! وكانت عبادة المرء عن مشاهدة ويقين، .. وكان كما قال ربُّ العالمين: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (٩٩الحجر) ، قال ﷺ:

{ لولا أنَّ الشَياطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوب بَنِي آدَمِ؛ لنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَمَاء }[٩]

فالذي يحجب الإنسان عن هذه المشاهدات: ما في نفسه من أمور ومن أمراض! ومن عيوب ينبغي أن يتطهر منها: .. كحب الدنيا والأثرة والأنانية والكبر والحقد والحسد وغيرها من الأمراض الإنسانية ... كل هذه الأمراض هي التي تمنع الإنسان من الوصول إلى هذه الأغراض !!! وهذا هو الإعداد في طريق العارفين والصالحين تأسياً بسيد الأولين والآخرين لمنازل المقربين، ومقامات الصديقين، ومعارف أهل اليقين، ولا بد أن يكون كذلك ... قال ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[١٠]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

---

٩ ورد ذكره في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي

١٠ جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه

{ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ فقال: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ }[11]

هذه هي تزكية النفس التي بها يزول اللبس ... وبها يصير المرء من الأولياء !!! ويفتح الله أعين بصيرته !!! ويرى ما لا يراه الناظرون من أنوار وأسرار رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ !!! وهي في قول الله: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾.

١١ مسند أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه

ثالثاً: علوم الكتاب

بعد التزكية تأتي علوم الكتاب: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾:

وهي علوم الشريعة المطهرة المبثوثة في الكتاب، فإذا تعلم الإنسان أحكام الشريعة المطهرة بعد زكاة نفسه، وبعد اليقين في ربه، كان ورعاً في كل أعماله، وكان حريصاً على الإخلاص لله في كل نواياه، وكان حريصاً على إتمام الأعمال متابعاً فيها سيدنا رسول الله، وهذا هو العمل الذي يحقق له مناه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣١آل عمران).

ولذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ في كتابه إحياء علوم الدين:

((علم الشريعة المطهرة مع أنه أفضل العلوم؛
لو لم يصحبه عمل بإخلاص يزيد قلب صاحبه قسوة والعياذ بالله)).

فإذا درس المرء الشريعة المطهرة ولم تزكو نفسه، ولم يخلص في عمله إلى ربه، يحاول أن يجد لنفسه مخارج، أو يجد لغيره مخارج، وهذا قد يؤدي به إلى الهاوية لأنه لا يراقب الله ولا يخشاه، فيستخدم العلم في طريقة لا يرضاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

رابعًا: علم الحكمة

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾:

فإذا تعلَّم علوم الشريعة المطهرة وعمل فيها بإخلاص نية، وصفاء طوية، وصدق اتباع لخير البرية، تبدأ العطايا الإلهية، وأولها أن تُفاض عليه الحكمة الربانية، والحكمة فضل من الله:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة)

يُنزِّل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو العلي الحكيم من كنوز فضله وخيره وبره على فؤاده وقلبه حِكَمه الإلهامية العلية، فينطق بالحكمة، ويتصرف بالحكمة، فتجد كل كلمة ينطق بها هي حكمة، وكل فعل يفعله تجده فيه حكمة، لأنه يفعل عن أمر الله، أو عن إذن من الله، أو

عن توفيق من الله، أو عن رعاية من الله، فالله تولاه ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف) .. من تولاه مولاه .. كانت حركاته وسكناته كلها إمدادٌ من حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إن شاء الله.

خامسًا: العلوم الوهبية

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾:

فإذا ألهمه الله علوم الحكمة الإلهية خَّصه بعد ذلك بالعلوم الوهبية اللدنية: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) قال ﷺ:

{ مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ الله عِلْمُ ما لَمْ يَعْلَمْ }[١٢]

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة).

ما المدارس التي تخرَّج منها أصحاب رسول الله؟ ...

وما الكتب التي ادخروها في مكتباتهم واطلعوا عليها ليبلغوا رسالات الله؟

لم يكن لهم إلا مدرسة الحبيب، وكتبهم كانت صدورهم، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيهم مبيناً حقيقة القرآن الكريم، ومعرفة معانيه:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ (٤٩العنكبوت).

يبين هذا القرآن الذين ألهمهم الله هذا البيان، وعرَّفهم بتعريفه ما يليق بهم، وما يليق بمن حولهم من معاني القرآن، وهذا هو العلم النافع، وبعده العمل الرافع لكل أهل زمان ومكان.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يعلِّمنا من لدنه علماً، وأن يجعله علماً نافعاً وعملاً رافعاً، وأن يرزقنا قلباً خاشعاً، وأن يملأ هذا القلب بنورٍ ساطع، وأن يجعلنا من خيار المقبلين عليه، وأن يزوِّدنا بالتقوى، ويجعلنا من أهل القربى والزلفى لديه، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٢ حلية الأولياء لأبي نعيم وأحمد عن أنس ﷺ

(٢)

سبيل محبة الله[١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران)

دعوى محبة الله وتصديقها	حسن المتابعة	المتابعة الباطنة
أوصاف النبى فى التوراة والإنجيل	من فضائل أهل بدر	جزاء أهل محبة الله

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحبنا من الأزل القديم، واجتبانا واصطفانا وجعلنا من أمَّة خير نبي؛ سيدنا محمد الذي وصفه باسمين من أسمائه الحسنى فقال:

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ١٢٨)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر كل تكريم، وسر كل نعيم لأهل النعيم الأعظم في الدنيا وفي جنة النعيم، وآله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بمنّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

دعوى محبة الله وتصديقها

الدعوى التي ذكرها الله لنا في قرآنه الكريم، هي الدعوى التي كانت في أيام الحبيب المصطفى ﷺ، ولا زالت تتردَّد ويردِّدها الخلق في كل وقت وحين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وتجد كل من ينتسب إلى حظيرة الإيمان منذ عصر النبي ﷺ إلى الآن، معه دعوى عريضة يقدِّمها لكل من حوله.

ما هذه الدعوى؟ يقول: أنا أحب الله، ولا أحد يُحب الله مثلي، فكل إنسان يظن أنه خيرٌ من الآخرين، وهذه الدعوى ليست من عصرنا فقط، ولكن من عصر رسول الله

١٣ الأقصر – منزل الحاج عبد الله الشريف ١٠ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/٧م

ﷺ، بل حتى ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في القرآن أنها دعوى أهل الكتاب، فقد كانوا يدَّعون أنهم وحدهم المخصوصون بمحبة الله، وأن الله لا يحب أحد إلا هم.

وهذا الكلام ظهر في عصرنا على أوسع، فكل جماعة مجتمعين على شيخ من المشايخ، أو على مبدأ من المبادئ، أو على مصلحة من المصالح، يدَّعون أنه لا أحد مثلهم في الكون في حبهم لله، وأنهم وحدهم المختصين بالإكرام العظيم والنعيم المقيم من الله، وقد ينسجوا ويؤلفوا روايات وكرامات ليدللِّوا على ما هم فيه للآخرين.

هذه الدعوى لكل من يدَّعيها ردَّ عليهم الله وطالبهم بحجة بالغة، سواء من أهل الكتاب، أو من أتباع النبي ﷺ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ قدِّم الدليل، فأهل الكتاب أنبياؤهم أوصوهم وبيَّنوا لهم أوصاف النبي ﷺ بالتفصيل، وأوصاف أصحابه أيضاً، وطلبوا منهم من يحضر زمانه وعصره يُصدِّق به ويؤمن به وبرسالته، وينصره على أعدائه، ويعينه في مهمته.

إن كنتم صـــادقين، وأنكم تحبون الله، فالدليل على ذلك أن تؤمنوا بهذا الرجل، فكانت حُجة قاسمة للظهر لهؤلاء.

ومن عصـــر النبي إلى عصـــرنا نفس الأمر، فالذي يدَّعي أنه يحب الله، ويدَّعي أنه يعيش في إكرامات وكرامات لا تعد ولا تحد من مولاه، فإن كنت ترى رؤيات ومنامات فهذه البشريات لنفسك وليست لنا، فالرؤيا الصالحة لمن يراها فقط، فطالما هي بُشرى لك، فلِمَ تحكيها لنا؟!! قد يقول: لأحفزكم، لكن ليس لك شأنٌ بنا، لأنه ربما يحدث لك شيء من الغرور أو الزهو أو حب الظهور، وحب الظهور يقسم الظهور.

فإذا أجرى الله على يديك كرامات، انسب الكرامة لمن صنع الكرامة، وهل أنت من فعلها؟ لا، حتى لو رويتها أو حكيتها فانسـبها لله ﷻ، وتقول: من توفيق الله لي، أو من معونة الله لي، أو من رعاية الله ﷻ لي أن صنع معي كذا وكذا، فانسبها أولاً لله، حتى تخرج من هذا الإطار، وتكون ماشياً على الهدي القويم للنبي المختار ﷺ.

ما الدليل على أنك محبوب لحضـرة الله ولسـت محباً فقط؟ أن يتولاك الله بولايته وتوفيقه، فيجعلك تتبع سُـنَّة النبي في كل أحوالك، وفي كل أقوالك، وفي كل أعمالك، ولو رجعنا إلى دواوين سـير الصـالحين، نجد أن تفاضـلهم وتسـابقهم وتقديمهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان بحُسن الاتِّباع لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

حسن المتابعة

لأن هذا هو الذي أمرنا به الله: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ وتركها مفتوحة، في أي شيء نتبعه؟ في العبادات، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، وفي الحركات والسكنات، حتى في العادات، فالصالحين كان يصل بهم الأمر أنهم يتابعوه حتى في طريقة الأكل، وطريقة الشرب، وطريقة النوم، يخاف الرجل منهم أن يخالف رسول الله ﷺ ولو في عادة من العادات، مع أنها عادات وليست عبادات، لماذا؟ لأن هذا هو المقام الأعظم، والنصيب الأكرم الذي يُبرهن ويُدلل على أنه صادقٌ في اتِّباعه لسيدنا رسول الله ﷺ.

فالإمام أحمد بن حنبل ﷺ كان من كبار الصالحين، فمن أين جاءت كلمة (حنبلي)؟ لمَّا انتصر لدين الله في القضية التي أُثيرت في عصره، هل القرآن قديم أم مخلوق؟ فقال: القرآن كلام الله، وكلام الله قديمٌ غير مخلوق، وجلدوه وسجنوه لأنه أصَّر على رأيه، فالمخالفون أرادوا أن يشوهوا صورته، فاتهموه بالتشدد، وكل من يتشدد في أمر من أمور الدين يقولون له: أنت حنبلي.

مع أن مذهب الإمام أحمد مذهب يُسر، وليس فيه عُسر ولا شيء من هذا القبيل، لأنه كان تلميذ الإمام الشافعي، ومذهبه مُستنبطاً من مذهب الإمام الشافعي وليس فيه التشدد الذي يحكوا عنه.

ويشهد له رجل كان له ابنة صرعها جِنيّ، وذهبوا للمشايخ ولم يعودوا بفائدة، فذهبوا للإمام أحمد فأتى بحذائه وقال للرجل: خذ هذا الحذاء، وقُل للجِنِّي هل ستخرج أم أضربك بالحذاء؟ فقال الجِّني: أنا خارج، وترك البنت.

وبعد أن انتقل الإمام أحمد إلى الرفيق الأعلى، عاد الجني مرةً ثانية للبنت، فذهبوا لشيخ من المشايخ الذين كانوا ملازمين له، فقال له: اخرج، قال: لن أخرج، فقال له: لماذا خرجت عندما أمرك الإمام أحمد؟ فقال له: أحمد كان رجلاً يخشى الله، فيخشاه كل من السماوات ومن في الأرض، أما أنت ليس معك شيء، فلماذا أخاف منك؟! لنعرف مدى خشية هذا الرجل وخوفه من الله ﷻ.

هذا الرجل كان شديد الاتِّباع لسيدنا رسول الله ﷺ في كل أحواله ...

وكان حافظاً من حُفَّاظ الحديث.

وكلمة الحافظ كانوا يطلقونها على من حفظ مائة ألف حديث بأسانيدهم، فلان عن فلان عن فلان إلى حضرة النبي، فوصل إليه حديث أن النبي ﷺ كان يُحب من الفاكهة العنب والبطيخ، فكان يأكل العنب، وتوقف عن أكل البطيخ، فلما سألوه: لِمَ لا تأكل البطيخ مع أنك تذكر أن النبي ﷺ كان يُحبه؟! قال: وصل إليَّ بالسند الصحيح أن الرسول ﷺ كان يُحب أكل البطيخ، لكن لم يصل إليَّ بسندٍ أُعوِّل عليه كيف كان يأكل البطيخ؟ فأخاف أن آكله بطريقة تخالف سيدنا رسول الله ﷺ!.

أرأيتم كيف كان الصالحون؟!

لا يستهينوا كما يفعل كثير من الناس في زماننا!!

وبعد فترة أكل البطيخ، فقالوا: ماذا حدث؟ قال: وصلني بالسند الصحيح أنه ﷺ كان يشق البطيخة نصفين، ويقطع كل نصف قطع على هيئة الهلال، ويأكل من اليمين إلى الشمال، لا يريد أن يترك سُنَّة النبي حتى في عادة، وهذا لا يزال في كل زمان ومكان حال الصالحين.

وهذا الميزان الذي تزن به أيضاً أحوالك، تريد أن تعرف مكانتك عند الله ﷻ، فانظر إلى مكانة السُنَّة وتنفيذها وتطبيقها في حياتك.

فنحن في زماننا كثير من الناس تمسكوا باتِّباع السُنَّة الشكلي الظاهري ..

وماذا يعني هذا؟

النبي كان يُربي لحيته فيُربي لحيته، والنبي كان يلبس العمامة ولها عدبة، فيلبس العمامة ويجعل لها عدبة، ولم يكن يلبس بنطلون من تحت الجلباب القصير، وهذا الجلباب جلبوه من باكستان .. النبي كان يستاك، فيمسك بالسواك، ويضع السواك في جيبه ليعرف الناس أنني أستخدم السواك، والنبي لم يفعل ذلك، فالنبي كان يستخدم السواك عند الوضوء فقط، وكيف كان يستاك؟ كان يغسل الجزء الذي نستخدمه من السواك أولاً بالماء ويستاك به، وبعد أن يستاك يغسل السواك ويجففه، وليس كما يفعل البعض ويجعل السواك كالسيجارة في فمه على الدوام، فليست هذه السُنَّة ولكن السُنَّة أُطبقها كما كان يطبقَّها النبي ﷺ.

المتابعة الباطنة

أُطبق السُنَّة الظاهرية لا غبار عليَّ في ذلك !!

لكن لا بد أن يكون معها وقبلها السُنَّة القلبية والباطنية، فأحاول أن أتَّبعه في خشوعه مع مولاه، وفي حضوره بين يدي الله، وفي مسكنته وذله لله عند مناجاة حضرة الله، وفي حُسن توكله في كل أمر على حضرة الله، فهذه الأمور التي ذكَّرنا الله بها في كتاب الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون) هل راكعون وساجدون؟ ليس لها علاقة بطول الركوع ولا طول السجود، ولكن الخشوع محله القلب، فنحاول أن نتابعه في هذا الخشوع.

ولذلك أحد الجماعة الذين على قدرهم في الفهم كان يدرس باب السهو في الصلاة، فتعجب وقال: كيف لرسول الله أن يسهو؟! وهو كان يسهو ليُعلِّمنا كيف نجبر السهو، وكان أحد العارفين حاضراً، فقال له:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ... والسهو من كل قلبٍ غافلٍ لاهِ
قد غاب عن كل شيء سره فسها ... عما سوى الله فالتعظيم لله

يعني عندما نسهو فإن القلب يذهب للبيت، أو يذهب للعمل، أو يذهب للسوق، لكن هل كان حضرة النبي هكذا؟ لا، فقلبه كان بين يدي الحي الذي لا يموت، منشغلٌ بالتجليات الإلهية، والأسماء الصفاتية، والأنوار القدسية الربانية.

فكان الله ﷻ يأخذه عن نفسه بالكلية في هذه المشاهدات، حتى ينسى الركن الظاهري، ليُعلِّمنا كيف نجبر هذا السهو في الصلاة، لكن هل سهوه كسهونا؟! لا، شتان بين ذاك وبين هذا.

فأهم شيء عندما أتَّبع رسول الله ﷺ، أتابعه في حركاته القلبية، وسياحاته الروحانية في الحضرات الملكوتية والعُلوية لرب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا مع الحق.

أما مع الخلق فكما أخبر سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ حيث يقول:

((عاشرتُ أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، فلم أجد أحداً منهم يهتم بصلاة الرجل وصيامه، ولكن يهتم بحُسن خُلُقه مع الخلق)).

أوصاف النبي في التوراة والإنجيل

وأوصاف حضرة النبي ﷺ التي جاءت في التوراة والإنجيل، وعلى لسان سيدنا موسى وعلى لسان سيدنا عيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لم يكن فيهما وصف لشكله، ولا هيئة جسمه، ولا لبسه، فماذا كان الوصف؟

كان الوصف في خُلُقه، لنعرف أن هذا هو الأساس الذي مدحه الله به: ... ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم) أو في القراءة الأخرى: ((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقِ عَظِيمٍ)) وخُلُقِ مضاف وعَظِيم مضاف إليه، والعظيم هو الله، فأنت على خُلُق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مباشرة، ولم يقُل له الله: وإنك لذو خُلقٍ عظيم، ولكن: (لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يعني أنت أعلى وأرقى من الخُلُق العظيم.

كان وصفه في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[١٤]

هل هذه الأوصاف فيها وصف للجسم؟ لا، كلها وصف للخُلُق الكريم الذي أرسله به ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومن أجله سمَّاه رءوفٌ رحيم.

وكان أحبارهم وعلماؤهم ورهبانهم يختبرونه في هذه الأخلاق:

فحضرة النبي ﷺ جاءه جماعة من العرب ومعهم بعض الصحابة يدعمونهم، قالوا: يا رسول الله هؤلاء أسلموا حديثاً، وهم فقراء، ويريدون المساعدة حتى يزكو الإيمان عندهم، وكان أحد كبار علماء اليهود اسمه زيد بن سعنة، يقول: كنت أنتهز أي فرصة لأرى أحوال النبي، فقلت له: يا رسول الله عندي تمر كثير وأعطيه لك للأجل الذي تحدده، فأتى بالتمر بعد أن ألَحَّ لأن سيدنا رسول الله لم يكن راضياً، ولكنه أعلمه الله بما في نفسه.

---

١٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

يقول هذا الرجل:

{فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: { إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ } قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتَ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا}[١٥].

يســـبق حلمه جهله، وكلما زاد الجاهل عليه في الجهل، كلما زاد في الحلم، فهل هذه الأوصاف أوصاف حسيّة؟

لا، كلها أوصـــاف أخلاقية، وأبواب الملكوت والقرب من الحي الذي لا يموت لا يكون إلا لمن تجمَّل بهذه الأوصاف والنعوت.

---

١٥ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

أُحيي الليل قائماً، والنهار صـــائماً، وأشـــتغل بتلاوة القرآن وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، ولكن لا أُحسِّـــن خُلُقي مع من حولي من الخلق، إن كان من معي في البيت، أو ذوي رحمي، أو جيراني، أو زملائي في العمل، هذا الكلام كله ماذا يســـاوي عند الله؟ كما قالوا لسيدنا رسول الله:

{ يا رسول الله إِنَّ فُلانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ: لا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي النَّارِ }[١٦]

هل في النار مع قيام الليل وصيام النهار؟! نعم، لأنها تؤذي الجار باللسان، ناهيك عن الشـــكاوى الكيدية التي كثُرت في زماننا، أو التقريرات المزورة الطبية التي كثُرت في زماننا، فهي أمور عجيبة وغريبة نراها في زماننا.

فالقرب من الله يحتاج إلى التخلق بأخلاق حبيب الله ومصطفاه،... وقدَّم الله ﷻ لنا هذه الصورة المثالية في الأدب مع الخلق، والأدب مع حضرة الخالق، ... ثم أمرنا أن نقتفي أثره، ونتخلق بأخلاقه، ... وقال لنا أجمعين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب).

ولذلك أكبر كرامة للإنســان في هذا الوجود أن يتخلق بأخلاق سيد الوجود ﷺ، وخاصــة عند مقتضــاها كما قلنا، إذا جهل عليه جاهل يحلم عليه، وإذا تعالى رجلٌ عليه وسبه وشتمه، يأنف أن يدافع عن نفسه ويرد عليه، ولكن يفوض أمره لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ســيدنا الإمام علي زين العابدين، واسمه زين العابدين ليس من أجل العبادة فقط، ولكن للأخلاق، وكل إنسان في خير ظاهر أو باطن لا بد أن يكون له حُسَّاد، قال ﷺ:

{ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ }[١٧]

إن كان في الدنيا، أو في عمل الآخرة، أو في العلم، أو في الصــلاح والتُقى، لا بد أن يكون له حُسَّــاد، فسـلطوا على سـيدنا علي زين العابدين رجلاً يسـبه ويشـتمه وهو عائدٌ إلى بيته، وهو ســاكت ولا يرد عليه إلى أن اقترب من بيته فوقف، وقال له: يا هذا إن كان بقي معك شــيء فهاته قبل أن يســمعك أحد من أولادي، ولن يســتطيعوا أن

---

١٦ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٧ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

يصبروا، فتعجب القوم من هذا الحلم الذي على نهج سيدنا رسول الله ﷺ، فسألوه: كيف صبرت على هذا؟! فقال ﷺ:

يخاطبني السفيه بكل قُبحٍ فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعودٍ زاده الإحراق طيبا

يعني كعود البخور، كلما زدت له النار، كلما أخرج الرائحة الأحسن والأفضل، فهذه منافسة الصالحين وتقربهم إلى رب العالمين، ولذلك قال سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه: **((ليست الكرامة أن تطير في الهواء، لأن الطيور تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تمشي على الماء، لأن الأسماك تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تقطع المسافة بين المشرق والمغرب في خُطوة لأن إبليس يفعل ذلك، لكن الكرامة أن تُغير خُلُقاً سيئاً فيك بخُلقٍ حسن))**.

فجهاد العُبَّاد في العبادات، وهذا يأخذون عليه أجور في الجنة إن شاء الله، وعند الله المزيد، والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، لكن جهاد العارفين الراغبين في القرب من رب العالمين في تغيير الأخلاق، وصوغها على أخلاق النبي ﷺ، حتى يكون الرجل صورة على قدره لأخلاق النبوة، وتجد عنده الصفح والعفو والكرم وكل مكارم الأخلاق التي جاءت عند نبينا ﷺ، وهذا يحتاج للجهاد الشديد للقرب من الحميد المجيد ﷻ.

فمتابعة رسول الله ﷺ هي البرهان على كمال الإيمان، وهي الدليل على محبة الرحمن ﷻ، فمن يُحسن هذه المتابعة ويتابعه في كل ما ذكرناه، على الفور يأخذ من الله: ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وهل يوجد شيء أعظم من أن الله يُحبني؟ لا يوجد شيء أفضل أبداً من أن الإنسان يدخل في ديوان: ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة) كان سيدي مصطفى البكري ﷺ يقول في ورد سَحَره: [اللهم إني أسألك بحبك السابق في (يحبهم) وحبنا اللاحق في (يحبونه)] من الذي يُحب أولاً؟ الله، وأيضاً من الذي يذكر أولاً؟

الله! ..

فذِكره سبق ذكري، وحبه سبق حبي، وكون الله ﷻ يُحب العبد، فيا هناه، .... يدخل فوراً في قول حبيب الله ومصطفاه:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ }[١٨]

كيف ذلك؟ يتولاه بالحفظ، فالعصمة للأنبياء والحفظ للأولياء، فيحفظ الله ظاهره وباطنه من الوقوع في الغفلة وارتكاب الذنوب، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أحبه.

رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ كان اسمه حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، وكان قد حضر مع حضرة النبي غزوة بدر، والذين حضروا غزوة بدر مع حضرة النبي جعل لهم الله ﷻ ميزات لا تُعد ولا تُحد في الدنيا والآخرة، لأن هذه أول غزوة في الإسلام.

من فضائل أهل بدر

فلما أراد النبي ﷺ فتح مكة .. وكان النبي حكيماً في كل تصرفاته، إذا أراد الغزو يُورِّي – يعني هو ذاهب إلى مكة فيقول: أنا ذاهب إلى الشام – لأن الحرب خُدعة ولا بد من ذلك:

{ اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ }[١٩]

وقال: { اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلادِهَا }[٢٠]

والعيون يعني الجواسيس، لماذا؟ ... لأنه لا يريد إراقة دماء، لأنه لو دخل جهاراً فإن الآخرين عندهم أنَفة وعزة وسيحاربون، وسيحدث قتل وغيره، وهو لا يريد ذلك .. لذلك أمر أصحابه بكتمان الأمر.

سيدنا حاطب كان أولاده لا يزالون في مكة، ولم يكن من عائلة كبيرة، فكتب كتاباً لأهل مكة يُعلمهم أن الرسول ﷺ آتياً لغزوهم، وأتى بجارية من عنده، وقال لها: لو أوصلت هذا الكتاب فأنت حرة لوجه الله.

ماذا تفعل؟ فكَّت شعرها، وضفرَّته، ووضعت الكتاب فيه، وأصبح الكتاب مخفي داخل الشعر ولا يراه أحد ... فنزل أمين الوحي سيدنا جبريل وقال لرسول الله: الحق فحاطب كتب كتاباً وأعطاه لفلانة، وفلانة هذه في المكان الفلاني خارج المدينة، ومتجهة إلى مكة، فأمر النبي ﷺ علياً والزُبير والمقداد أن يلحقوا بها ويأتوا بالكتاب.

---

١٨ الرسالة القشيرية وتاريخ بغداد عن أنس ﷺ
١٩ مسند الروياني والطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ
٢٠ تاريخ الطبري عن المسور بن مخرمة ﷺ

فذهبوا ولحقوا بالجارية فقال لها الإمام علي: هات الكتاب الذي معك، فقالت: ليس معي شيئاً!، فسيدنا علي كان شديداً في الحق، فقال: والله مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كُذِبْنَا، وَلَتُخْرِجِنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِـــفَنَّكِ – يعني نعريك – وكان ذلك عيباً عند العرب في ذاك الوقت.

فأخرجت الكتاب من شـــعرها، وأعطته لســـيدنا الإمام علي، وذهب للرســـول، فاستدعى سيدنا رسول الله سيدنا حاطب، وكما قلنا سيدنا عمر كان يغضب لله وليس لنفسه، يعني شديد في الحق لله، وهذه صفة الصالحين لأنها صفة النبي الأمين، فقد كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتُهكت محارم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كثير من الرجال الآن يعود إلى بيته، وزوجته لظروف ما لم تجهز الغذاء، فيغضـــب ويعمل لها مشـاكل، مع أنها لو لم تصـل الظهر أو العصـر قد لا يغضـب في هذه الحالة، فيغضب لنفسه، وليس لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!!.

فاستدعى رسول الله الرجل، وقال له:

{ مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ }[٢١]

هذه هي نفس الواقعة التي تحدث للبدريين إلى يوم الدين !!

فكل زمان فيه أهل بدر، وكل زمان فيه مُبشرون بالجنة !! وهل العشرة المُبشرون بالجنة لا يوجد غيرهم؟ ..

لا، بل يوجد غيرهم !!

---

٢١ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

حتى في أيام حضـــرة النبي، فهؤلاء العشـــرة الذين ذكرهم في حديثٍ واحد، لكنه بشَّر آخرين كثيرين غير هؤلاء العشرة، قال ﷺ:

{ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: بَشِّرْ خَدِيجةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ }[٢٢]

فهذه واحدة من المُبشرين، وغيرها الكثير.

والمبشرون موجودون في كل زمان ومكان:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧ الأحزاب)

هل من كانوا في زمانه فقط!! .. أم إلى قيام الساعة؟

إلى قيام الساعة ..!

منهم من يُبشره مناماً، ومنهم من يُبشره يقظةً، ومنهم من يُبشره عند خروج الروح لأنه لا يتحمل قبل ذلك رؤية حضـــرته، لأن رؤية حضـــرته تحتاج إلى ثبات قلبي من الله حتى يتحمل المرء رؤية حضرة النبي ﷺ.

جزاء أهل محبَّة الله

فأهل بدر في كل عصر، وهم أهل: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وما دام يحبهم الله يقيمهم دائماً في مقام محابه ومراضيه، فتجدهم دائماً في أي وقت في عمل يُحبه الله ويرضاه، ويرزقهم الله من عنده الإخلاص في قلوبهم، والصدق في اتّباع النبي في كل أحوالهم، حتى تنال الأعمال القبول عند الواحد المتعال.

فقد أعمل العمل ولا يتم له القبول، لأن هذا يتوقف على النية، ... فكل الأعمال نَيَّة (نيّئة) لا تُنضجها إلا النِيَّة، فالنية يتوقف عليها قبول العمل، وعليها يتوقف درجة صاحب العمل، فالنية من الذي يسوقها للإنسان في قلبه ويُثبّتها؟ الله ﷻ من فضله وكرمه وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فهل يحبهم فقط؟

---

٢٢ معجم الطبراني والبزار عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ

لا، بل: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ ضمن لهم مغفرة الذنوب، ولو الإنسان منا ضمن مغفرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لذنوبه، فالواحد يطير من الفرح، ما الذي نريده في الدنيا والآخرة أرجى من أن الله ﷻ يغفر لنا ذنوبنا؟!.

ما أفضل دعوة أدعوها في ليلة القدر يا رسول الله؟ ... السيدة عائشة قال لها:

{ قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }[٢٣]

فهذا هو العفو:

فإذا اختار الله ﷻ هذا العبد، وجعله من أهل عفوه وغفرانه:

فعلى الفور أصبح من طُلاب دار رضوانه، وليس من طُلاب جنانه !!

ففي الآخرة جنان، وهناك شيء آخر فوق الجنان اسمه دار الرضوان:

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ﴾ (٧٢التوبة)

فهذا الرضوان أكبر من الجنان.

هذا الرضوان فيه التجليات الذاتية الإلهية، والنظر إلى وجه رب البرية ...

لمن يمنحهم الله هذه المزية ....

ويُدخلهم في هذه الدار الرضوانية بجوار الحضرة المحمدية ...

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نكون منهم أجمعين.

اللهم أصلح أحوالنا، وسدد أقوالنا، وهذِّب أخلاقنا، وصفِّ نفوسنا، وطهِّر قلوبنا، واجعلنا دائماً وأبداً من خيار المقبلين عليك، وتولَّ جميع أمورنا، ولا تجعلنا نتحرك ولا نعمل ولا نقول شيئاً إلا بتوفيقك، واجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها

(٣)

رحمة النبي ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (آل عمران)

الطريقة السديدة لحل المشكلات	معاملة النبي لأصحابه
رفقه بأصحابه في عمرة القضاء	فضل التوكل على الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي علَّمنا في قرآنه الكريم، وفي أحوال وأعمال وأقوال نبيه الرؤوف الرحيم، ما به نُصلح حياتنا، ونسعد في آخرتنا، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أكمل الوجود خُلُقاً، وأشرفهم وأزكاهم نَفْساً، وأرقَّهم وألطفهم معاملة، صلّى الله عليه وعلى آله الذين آزروه ونصروه واتبعوه، وأصحابه الذين عاونوه وساعدوه، وأتباعه الذين مشوا على هديه واقتدوا به، واجعلنا منهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

عندما ينظر الواحد منَّا في آيات القرآن الكريم بتمعن، يجد أن الإنسان ما دام معه القرآن، وأمامه قدوة النبي العدنان، يكون معه مفاتيح حل المشكلات وكشف المعضلات في كل وقت وآن: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾ (﴿٤٩﴾الكهف) لا كبيرة ولا صغيرة في حياتنا إلا وذكرها لنا، حتى قضاء الحاجة، حتى طريقة جلوسنا في أيام الشتاء في الشمس، كل شيء ذكره الله، وطبَّقه عملياً في حياته سيدنا رسول الله ﷺ حتى يكون نموذجاً لنا في حياتنا.

نريد كلنا أن نتعلم من هذه الآيات التي معنا الأوصاف الكريمة والأخلاق العظيمة التي وصف الله بها سيد السادات في حل المشكلات، ونحن كلنا نتعرض للمشكلات، إن كان مشكلات مع الزوجة، وأحياناً مع الأولاد، وأحياناً مع الجيران، وأحياناً مع الإخوة والأخوات، وأحياناً مع الزملاء في العمل، وأحياناً كذلك – وإن كان ذلك لا يجوز – مع الإخوة في طريق الله.

الطريقة السديدة لحل المشكلات

فكيف نعالج هذه المشـــكلات؟ هذا البيان العملي الذي حدث مع رســـول الله، ونسأل الله أن يرزقنا أجمعين الاقتداء بهداه.

بعدما تغلَّب الرسول ﷺ على أهل مكة في غزوة بدر، جهز أهل مكة جيشاً كبيراً، وتوجهوا نحو المدينة، وقالوا: ســنذهب نســتأصــل محمد وكل من معه، يعني نقتلعهم من جذورهم ولا يبق أحدٌ منهم.

سمع حضـرة النبي بذلك، وكطريقته الحكيمة – والتي يجب أن نمشـي عليها كلنا – جمع أصحابه ليستشيرهم، وكان في كل أمر لا بد أن يستشير، فهو ﷺ رأى أن لا يخرجوا من المدينة ويتحصَّـــنوا بها، لكن الشـــباب قالوا: لِمَ نتحصَّـــن في المدينة؟! نحن حتى في الجاهلية لم يدخل علينا أحدٌ في المدينة، نحن نخرج لهم نحاربهم خارج المدينة، فنظر النبي ووجد الأغلبية على هذا الرأي، فتنازل عن رأيه، مع أن رأيه يقول فيه الله:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

فدخل بيته ليلبس ملابس الحرب، وكانت ملابس الحرب درع حديد على صـدره، وخوذة من حديد على رأســـه، فعندما دخل قال البعض: كيف تردون على رســـول الله وتخالفون رأيه؟! فعندما خرج قالوا: يا رسول الله ندمنا على ما قلنا وسنمشي على رأيك أنت، فقال لهم:

{ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهُ }[٢٤]

ما دام لبس ملابس الحرب فلا بد أن يُكمل المســـيرة، وخرجوا خارج المدينة، والكفار كانوا قريبين، فاختار مكاناً بجوار جبل أُحد، بحيث يكون وجهه للأعداء وظهره يحميه الجبل، ووجدوا أن هناك ثغرة في الجبل، ولها طريق من الخلف، قد تُمكِّن العدو أن يدخل منها، فاختار النبي خمسين رجلاً من الأشداء الذين يجيدون الرمي بالسهام، ليردوا العدو من بعيد، لأنهم لو انتظروا حتى يقتربوا لضـربوهم بالسيوف، وأمرهم أن يقفوا على الجبل، ولا ينزلون سواء انهزم المسلمون أو انتصروا.

---

٢٤ صحيح البخاري والحاكم في المستدرك

بدأت المعركة، وفي الجولة الأولى صال المسلمون وجالوا وأوقعوا بالمشركين، والمشركون هربوا، وأخذ المسلمون يجمعون ما تركوه في الميدان، وهذا ما نسميه غنيمة، إن كان سلاحاً أو جمالاً أو مالاً أو أي شيء من هذا القبيل.

الذين كانوا على الجبل قالوا لقائدهم: وهل نبق هنا وهم يأخذون الغنائم ولا نأخذ منها شيئاً؟! سنتركك وننزل، فقال لهم: رسول الله قال: لا تنزلوا حتى لو انتصرنا، لكنهم تركوه ونزلوا، وبقي معه عشرة فقط! ... خالد بن الوليد كان في هذا الوقت غير مسلم وكان قائد فرسان الكفار، نظر فلمح الثغرة التي في الجبل وليس عليها إلا عشرة، وعشرة عدد بسيط لا يستطيعوا فعل شيء معهم، فأخذ كتيبة ودار حول الجبل وقتل العشرة ودخل على جيش المسلمين من الخلف، والجيش مشغول بالغنيمة، فحدث هرج ومرج، وانهزم المسلمين لأنهم لم يُطيعوا أمر سيد الأولين والآخرين ﷺ.

هذه المشكلة تحدث في كل بيت، قد آمر زوجتي بأمر ويسهو عليها تنفيذه، أو تنشغل عن قضائه، وأولادي كذلك، وغيرهم.

كيف عالج حضرة النبي هذه المشكلة؟ لم يوبخهم، حتى لم يقل لهم: لِمَ فعلتم ذلك؟ وهذا هو العلاج النبوي، فالتمس لهم الأعذار لأن كله ظاهره وباطنه رحمة من حضرة الرحمن ﷻ؛ فالله يقول لنا لنتعلم من حضرة النبي: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ لأن معه رحمة الله لان لهم وعاملهم باللين، لا بالشدة ولا بالغلظة ولا بالقسوة، هل نفعل ذلك مع أولادنا وزوجاتنا في هذه المشاكل؟ لا، فلا بد للواحد منا أن يرفع صوته حتى يُسمع الجيران وجيران الجيران، ويأتي بالألفاظ التي تتعب الأجسام والأبدان، وقد يضرب ليُظهر أن هذه هي الرجولة!.

وهل النبي فعل ذلك؟ لا، مع أن هؤلاء لو كانوا في جيش عصري لتحولوا كلهم إلى محكمة عسكرية، لكن النبي ﷺ سنَّ لنا اللين: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾.

وعرَّفنا أن اللين ليس مهارة ولا شيء أشتريه أو أكتسبه وإنما أطلبه من الله، لأنه يأتي مدداً لصاحبه من مولاه، فبرحمة من الله يعني آتية من الله، وهذه كانت أوصاف حبيب الله ومصطفاه على الدوام، سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قالوا له: ما أوصاف حضرة النبي في التوراة، فقال:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ }[٢٥]

فحتى العتاب في ذات الوقت لم يفعله حضرة النبي ﷺ، فمتى أُعاتب زوجتي أو ابني؟ ليس وقتها، ولكن حتى تستقر الأمور وتنصلح الأحوال، وأكون قد هدأت حتى لا أتعصب ولا أكون غليظاً ولا قاسياً، وأُسيطر على نفسي وعلى الألفاظ التي ستخرج مني، وأقول لزوجتي أو لابني: أنت فعلت كذا، أو أنتِ فعلت كذا، وهذا التصرف خاطيء، فعلى الفور ستقول أو سيقول: أنا أخطأت في هذا الأمر وكان المفروض أن أفعل كذا.

فأول شيء نأخذه من رسول الله أن لا تعاتب وأنت في حال الغضب والحمية، حتى نعرف ونعلم علم اليقين أن أي واحد منا، أو في البشرية، أو في الإنسانية عندما يكون غضبان يُحميه من داخله الشيطان، ولذلك يعمل الأعمال التي تُسعد الشيطان، فيشتم أو يبصق أو يضرب بيده أو برجله، فهذه الأعمال التي تُسعد الشيطان، وهذه الأعمال عندما نراها نجدها كلها أعمال تقوم بها الحيوانات وليس الإنسان الكريم المكرم الذي عظَّمه الله، وكرَّمه على جميع كائنات الله ﷻ.

من الذي يبصق؟ الثعبان، ومن الذي يضرب بيده؟ الأسد، ومن الذي يرفس؟ الحمار، ولذلك لا يجوز لأي مسلم أن يرفس برجله أي إنسان مهما كان، لأنه مُكرَّم من الله، وأنت تهز هذا التكريم وتُلغي هذا التعظيم الذي أوجده له المولى العظيم!! لماذا فعلت ذلك؟ لأنك غضبان ولبسك الشيطان، فهو الذي يتصرف فيك من خلالك، واسمع إلى حبيب الله ﷺ، عندما كان يختلف اثنان من المسلمين ويتشاجرا مع بعضهما، وهذا يأتي بكل ما عنده من قاموس الشتائم التي يحفظها ويجهزها، والآخر يرد عليه بكل ما عنده من قاموس الشتائم والألفاظ البذيئة، والتي حتى لم يتذكرها في وقتها، فهؤلاء ماذا يكون شكلهم؟ قال ﷺ:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ }[٢٦]

هذا يركبه شيطانه، وهذا يركبه شيطانه، ولذلك يعملون أعمالاً تتنافى مع شريعة

---

٢٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٢٦ مسند أحمد وابن حبان عن عياض بن حِمار ﷺ

الله، وأحوال سيدنا رسول الله ﷺ.

فأول درس نأخذه من رسول الله كما ذكر كتاب الله؛ إياك أن تعاتب وأنت غضبان! .. قادم من الخارج جوعان، فوجدت زوجتك انشغلت وتأخرت في عمل الغذاء، فإياك أن تسارع وتقول لها كلاماً يحرّك الأعصاب، وربما يُسبب لها انهياراً عصبياً، وما فعلته معها ماذا يُغير في الموضوع؟ لا شيء، فماذا أفعل؟ الهدوء النبوي واللين المحمدي، فأقول لها مثلاً: لا يهم، وعلى مهلك، وهذه فرصة لأتوضأ وأُصلي، وأقرأ ما تيسر من القرآن حتى تنتهي، وأنا أعلم أن هذا الكلام صعب على البعض، ولكنه ليس صعباً لمن أراد أن يبلغ المراتب العالية، فهذا طريق الجهاد للمراتب العالية، وليست الصلاة والصوم .. ثم بعد أن أنتهي من الطعام وبهدوء أعاتبها لأنني أعود من العمل جوعان، فستجدها تعتذر، وينتهي الأمر بهدوء، ويظل بيننا وفاق واتفاق ومودة ومحبة بين الطرفين ..

لكن عندما أضربها كل يوم، يذهب هذا الحب، لأنها لا ترى مني إلا الشدة والغلظة والقسوة، والشدة قال لنا فيها: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٩الفتح) هذه الشدة في الحرب مع الكافرين الذين يحاربوننا، أو المشركين الذين يناوشوننا، لكن هل أحارب زوجتي؟! أو أحارب أولادي؟! أو أحارب جاري؟! أو أحارب أخي في الله؟! لا، لأنني على هدي سيدنا رسول الله، فأؤلف كل هؤلاء على الدوام.

فلا بد للإنسان أن يمتص الغضب في نفسه، ويكون حتى في أول مرتبة من مراتب القوم الكرام، فما أول مرتبة من مراتب الكرام في هذا الباب؟ ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ والمرتبة التي أعلى منها: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ والمرتبة الأعلى والأغلى والأرقى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤آل عمران).

متى أُسَجَّل في ديوان الصالحين؟ عندما ينطبق عليَّ حديث سيد الأولين والآخرين:

{ أَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا،
وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا }[٢٧]

---

٢٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ، والحديث كاملا للفائدة: قَالَ رَسُولُ الله: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِن أو يُعَلِّمُ مَنْ يعْمَلُ بِهِنَّ؟» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ الله. فَأَخَذَ بِيَدِي فعَدَّ خَمْساً وَقَالَ: «اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِما قَسَمَ الله لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ

هذه هي المرتبة الأعلى، وهي ما كان يفعله سيدنا رسول الله، وهناك أمثلة لا عدَّ لها ولا حدَّ لها في هذ الباب.

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

يعني يقول لنا الله: من كانت فيه الفظاظة والقسوة والغلظة فهي أوصاف لا يحبها الله، لأنها أوصاف تتنافى مع ما جمَّل الله به حبيبه ومصطفاه، إلا في حالة واحدة، وهي الغلظة على نفسي الأمَّارة بالسوء، فهي التي تحتاج إلى الغلظة ... أغلظ عليها لأنها لن تستقيم إلا بذلك، فلو طاوعتها ستضرني، لذلك تحتاج إلى الغلظة وتحتاج للشدة، أما الناس جميعاً فيحتاجون للرحمة، ويحتاجون للين الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

سيدنا أنس بن مالك ﷺ:

أُمّه كانت من كبار الصالحات، وهي السيدة أم سليم ﷺ، خطبها رجل، فقالت له: لا أريد منك مهراً إلا أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان من الفرسان الأشداء، فقال لها: أُشاور نفسي، ذهب ورجع لها بعد أن شاور نفسه، وقال: موافق وأشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالت له: نعم وهذا مهري.

لمَّا حملت بأنس وهذا كان قبل هجرة النبي إلى المدينة، وكانت على الفطرة الدينية، فقالت: يا رب إن رُزقت بغلام أجعله خادماً للكعبة، فولدت أنس وربَّته واعتنت به حتى يستطيع القيام بالخدمة، ولما بلغ عشر سنين هاجر حضرة النبي إلى المدينة، وكانت من أول المهاجرات التي شرح الله صدرها للإسلام، وذات يوم من الأيام جاءت بأنس وقالت يا رسول الله: هذا أُنيس كنت قد نذرت أن أهبه غلاماً للكعبة، واليوم أهبه غلاماً لخدمتك، مكث يخدم حضرة النبي في فترة المدينة وهي العشر سنوات التي قضاها النبي في المدينة، وكان تقريره عن مدة الخدمة مع حضرة النبي ماذا؟ قال:

{ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ، لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا }[٢٨]

وكان يقول لزوجاته عندما ينكسر شيئاً من أساس البيت، ويظهر عليها الحُزن:

الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ» .

٢٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

{ لَا تَضرِبُوا إِمَائَكُم عَلَى كَسْرِ إِنَائِكُم فَإِنَّ لَهَا أَجَلاً كَآجَالِ النَّاسِ }[٢٩]

يعني لا تحزن فقد انتهى عمرها، ولا يصنع بسبب ذلك مشكلة كما يفعل ذلك الكثير الآن، وهي أشياء بسيطة، فهي تعمل كخادمة ولا تأخذ منك شيئاً، ولو انتبهت لذلك وهو أنها تخدمك ولا تأخذ منك شيئاً، فماذا يكون عليك لها من الديون؟! لكن الكثير لا ينتبه لهذه الأمور، فهي تخدمك وبإخلاص، ومعك على الحُلوة والمرة الأربع وعشرين ساعة، فانظر إلى هذا الفضل الإلهي لتكون سائراً على وفق منهج النبي ﷺ.

معاملة النبي لأصحابه

ثم طلب الله من نبيه ﷺ زيادة في التثبيت، وزيادة في الإكرام، وزيادة في الإنعام طلباتٌ عجيبة، فهؤلاء يحتاجون إلى محاكمة، لكن الله يقول له: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ ﴾ يعني سامحهم فيما صنعوه معك، فلا تحاسبهم عليه، ولا تنزل بهم جزاء، ولا سجن، ولا شيء أبداً، بل اعف عنهم!! وإذا كانوا قد أخطأوا مع الله، فالله فوضه وقال له: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ فيكون العفو في الأخطاء التي في حق حضرة النبي ﷺ، والاستغفار للذنوب التي في حق حضرة علام الغيوب، فالله وكَّل النبي ليستغفر لهم حتى يسامحهم الله على كل ما فات.

والأهم من ذلك: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ :

يعني لا تترك المشورة معهم رغم ما حدث منهم، لأن هذا مبدأ أساسي للحياة الفاضلة، فليس معنى أنهم أخطأوا مرة لا أشاورهم مرة ثانية، لكن نسمع لهم.

أشاع البعض كلام بين المسلمين، ونسبوه مرة لحضرة النبي، ومرة لسيدنا عمر، وهو (شاوروهم وخالفوهم)، وهذا الكلام إما من تأليف اليهود أو المنافقين، لأنه لا يوجد حديث عن حضرة النبي بهذا المعنى، ولا كلام ورد عن سيدنا عمر بهذا المعنى، فقد كان النبي ﷺ أكثر الناس استشارة لأصحابه، ولزوجاته، لأن هناك أمور خاصة بالنساء نحن لا نعرفها ونحتاج فيها إلى مشورة النساء، لذلك يجب أن لا نترك المشورة طرفة عين ولا أقل:

شاور أخاك إذا نابتك نائبة يوماً وإن كنت من أهل المشورات

٢٩ الديلمى عن كعب بن عجرة، جامع المسانيد والمراسيل.

حتى من يحتاج الناس لمشورته، فهو يحتاج أيضاً للناس، لماذا؟ أنا سأنظر إلى هذا العامود مثلاً من الناحية التي أمامي، ولكن لا أرى ما به من الخلف، وغير متأكد لما عن يمينه ولا يساره، فعندما أشاور كل من حول العامود، أعرف كل ما في الجهات.

فأنا لي رأي وأحتار فيه، وأنا ناظر لهذا الرأي من زاوية شخصية خاصة بي، لكن هل أنا نظرت له من جميع الزوايا المتعلقة به؟ لا، لذلك أحتاج أن أستشير أهل المشورات لأعرف كل شيء عن هذا الرأي من جميع الزوايا والجهات.

رفقه بأصحابه في عمرة القضاء

ولذلك الذي يريد أن يحيا الحياة الطيبة في الدنيا، لا بد أن تكون حياته كلها على المشورات، وماذا تخسر عندما تقول لزوجتك: يا فلانة ما رأيك في هذا الأمر؟ وربما يكون عندها رأيٌ غائب عنك وهو الصواب، فلا مانع أن أتنازل عن رأيي وآخذ برأيها.

وأنتم تعرفون كلكم أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت ومعه أصحابه المباركين، وذهبوا في العام السادس من الهجرة في عام الحديبية ليؤدوا العمرة، وخرجوا من المدينة محرمين لأداء العمرة، وليس للحرب، وليس معهم سهام ولا رماح ولا غيره من أدوات الحرب إلا السيوف، والسيوف في أغمادها.

وسمع أهل مكة بقدومهم، وكان عندهم عناد، فقالوا: لن يدخلوا مكة، فوقف النبي ﷺ عند مكان اسمه الحديبية خارج مكة، وجرت مفاوضات، وتدخَّل بعض وجهاء العرب لإتمام المفاوضات، وبعد إتمام الصُلح كان من شروط الصلح أن النبي وأصحابه يرجعون ولا يؤدون العمرة في هذا العام، ويأتون العام القادم ليؤدوا العمرة.

والذي يذهب ليؤدي العمرة أو الحج لو مُنع من الطريق – وهذا حكم شرعي – عليه أن يُضحي بهدي في المكان الذي فيه ويرجع ويؤدي العمرة أو الحج مرة ثانية.

فرسول الله ﷺ أمرهم أن يحلقوا شعورهم ويذبحوا هديهم، فلم ينفذ أحدٌ منهم، فظهر عليه الحزن، ودخل خيمته، وكان معه في هذه السَفرة السيدة أم سلمة رضي الله عنها، فرأت وجهه قد تغيَّر فعرفت، فقالت:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْرُجْ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ

حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا }[٣٠]

مخالفة أمر النبي فيه هلاك، لكنها قالت: يا رسول الله إنهم يحبوا أن يقتدوا بك، ولن يفعلوا إلا إذا رأوك فعلت أنت أولاً أمامهم، فاخرج واذبح هديك واحلق شعرك، ولا تكلم رجلاً واحداً منهم، فلم يتخلف رجلٌ منهم قط.

تم هذا الأمر بمشورة الزوجة السيدة أم سلمة رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنها وأرضاها.

هل حضرة النبي ﷺ وهو يتلقَّى الوحي من مولاه، في حاجة إلى مشورة؟ لا، فلِمَ كان يشاور؟ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا رَحْمَةً لأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُعْدَمْ غَبْنًا }[٣١]

النبي ﷺ غير محتاج للمشورة، لكن يريد أن يعلِّمهم أن يبنوا حياتهم على المشورة، لذلك أنا أحتاج لأن أُعوِّد زوجتي من البداية على المشورة، وأُمرِّن أولادي من البداية على المشورة، فعندما يشب الولد ويصل إلى سن البلوغ والبنت كذلك أشاورهم، وآخذ رأيهم، وأنا غير محتاج لمشورتهم لأنني عملت حسابي على الأمر الذي أنفذه، ولكن لأدربهم حتى يمشون على المبدأ الإسلامي الهام وهو التشاور في أي أمرٍ من الأمور لأن هذا المبدأ الذي اختاره لنا الله جماعة المسلمين.

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ :

متى أعزم على التنفيذ والعمل؟

بعد المشورة، حتى لا أعمل عملاً أبداً وأنا متسرع، لكن لا بد أن أتأنَّ وأتشاور، وإذا استقر الأمر واتفقنا على رأي، أطلب معونة الله، وأسارع في تنفيذ ما اتفقنا عليه في المشورة، لأن هذا هو نهج الله الذي ارتضاه لحبيبه ومصطفاه، ... والذي أمرنا أن نسير على هديه .. إلى أن نلقى الله.

---

٣٠ صحيح البخاري ومسند أحمد عن المسور بن مخرمة ﷺ

٣١ آداب الصحبة للسلمي وشعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فضل التوكل على الله

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ لم يقُل: إن الله يحب المتواكلين، فالمتواكل الذي يترك الأسباب ويقول لك: خليها بالبركة وخليها على الله، تقول له: هيا نذهب بك للطبيب، يقول: لو أراد الله أن يشفيني سيشفيني من غير الطبيب، تقول له: لماذا لا تأخذ الدواء يا فلان؟ يقول: لو أراد الله لي الشفاء سيشفيني من غير دواء، وهل يجوز هذا الكلام في ميزان الإسلام؟ لا.

لكن أنا أذهب للطبيب، وأعلم علم اليقين .. أن الطبيب قد يُخطئ وقد يُصيب، فإذا توكلت على الله واستعنت بالدعاء، فإن الله ﷻ يُلهم الطبيب بالصواب، ويحفظه من الخطأ عندما يتم الكشف عليَّ، فآخذ الإثنين معاً، آخذ بالأسباب وأستعين بحضرة الوهاب ﷻ.

آخذ الدواء كما آخذ الطعام، ولذلك عندما يقول البعض نحن متوكلين على الله، ولكنهم لا يأخذون بالأسباب، نقول له: هل أنت متوكل على الله؟ فإذا قال: نعم، أقول له: هل القوة الموجودة في هذه الأجسام من الطعام أم من الله؟ يقول: من الله، أقول له: ما رأيك أن لا تأكل؟! هل يستطيع أحد أن يترك الأكل؟ لا، لأن هذا سبب سبَّبه الله لنا.

لأن الطعام الذي نأكله ليس فيه قوة من نفسه، فالرجل الذي يعمل في مزرعته قد يأكل بصلة برغيف عيش ويعطيه الله عزيمة تهد جبل، ورجل ثري وغني وأمامه ديك رومي ولا يستطيع حتى أن يمنع شيئاً عن نفسه، لأن القوة ليست من الطعام ولكنها من الله ﷻ، وماذا أفعل؟ آخذ بالأسباب لأن الله أمرني بذلك، وأستعين بالله وأعلم أن الله ﷻ هو الذي يجعل في الأسباب ما يحتاج إليه الإنسان في هذه الأكوان.

فالمتوكلون هنا في هذه الآية الذين يمحصون الرأي، ويكثرون المشورة، فإذا استقروا على رأي بعد تمام المشورة بدون الهوى، يطلبون المعونة والتوفيق والرعاية من الله، ثم ينفذون ما تشاوروا عليه، وهذا هو المنهج الذي أعطاه الله لنا على يد رسول الله ﷺ.

وبشر المؤمنين بعد ذلك بأنهم سيأتيهم النصر العظيم: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ ما دمنا سنتوكل على الله ونأخذ بالأسباب التي أمرنا بالأخذ بها الله، فنتأكد بأن معنا نصر الله ﷻ.

لكن نترك الأسباب والأسلحة ونقول: سينصرنا الله، كما نسمع من بعض غير المدركين للحقائق، ويقولون للشباب، هيا بنا نخرج إلى فلسطين، وماذا تفعلون في فلسطين؟! وماذا معك أنت وهو؟! هل معك سلاح تحارب به؟ !وهل معك شيء تدافع به عن نفسك؟! هم معهم أسلحة وطائرات، والله قال لنا كلنا:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٦٠الأنفال)

ما السلاح الأقوى الذي كان في الزمان الأول؟

﴿ وَمِن رِّبَـاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ (٦٠الأنفال) والتي هي تمثل الطائرات الآن، جهزوا لهم أحدث أنواع الطائرات لتدخل المعركة، وبعد ذلك تعتمد على الله، فيأتي النصر من عند الله.

لكن كل واحد يأخذ عصا ونخرج مائة مليون، أو حتى عشرة ملايين عصا تذهب لفلسطين، فماذا يفعل هؤلاء؟ أليست طائرة واحدة تُنهي عليهم؟!.

فالنصر يحتاج أيضاً الأخذ بالأسباب: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (٦٠الأنفال) قوة السلاح، وقوة الإيمان، وقوة الروح المعنوية، وقوة الإقتصاد، حتى لا تترك أولادك جياع لا يأكلون ولا يشربون، قوة في كل أنواع القوة، فإذا مشينا على ذلك: ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾.

﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

إذا تخلى عنا الله بعنايته، وإذا لم يمدنا بقوته، وإذا أخذ عنا حوله وطوله وتركنا وأنفسنا، فلن تقوم لنا قائمة، لنعلم أن الأمور كلها بيد الله، لكن لا بد من الأخذ بالأسباب التي وضعها لنا الله.

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا أجمعين الاقتداء بالنبي الأمين في كل أحوالنا، في سلوكياتنا، وفي أخلاقنا، وفي تعاملاتنا مع أُسَرنا، ومع جيراننا، ومع أهل بلدنا، ومع إخواننا في الله أجمعين، ومع المسلمين أجمعين، حتى نكون به تعالى مؤيدين، ومنه ﷻ موفقين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

البُشرى برسول الله ﷺ[٣٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران).

هم درجات عند الله	فضل الله علينا بالإيمان
النعمة العظمى	وظائف النبي في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أكرمنا بهداه، ومنَّ علينا بأعظم منةٍ في الوجود عُلواً وسُفلاً وهي منة رسول الله ﷺ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أرفع النبيين قدراً، وأعلاهم شأناً، وأعظمهم خُلقاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من آمن به واتَّبع هداه ومشى على نهجه، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

نحن نجلس سوياً الآن على مأدبة القرآن، استمعنا ما أراد الله ﷻ أن يُسمعنا من كتابه العظيم في هذا الوقت والآن، لندخل جميعاً في قول النبي العدنان ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[٣٣]

فأبشروا بفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا وعليكم أجمعين ...

الآيات التي قدَّر الله ﷻ لنا أن نسمعها الآن، ونتدبرها ونعيها ويوفقنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأن نعمل بها لنكون من أهلها والفائزين بثوابها وأجرها ودرجاتها ونورها، الآية التي لفتت نظري أولاً هي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ لم يقُل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لهم درجات، فكلنا سيكون لنا درجات في الجنات إن شاء الله، ولكن قال الله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ أي هم أنفسهم الدرجات عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٣٢ الأقصر – الرياينة ١٣ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/١٠م
٣٣ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

هم درجات عند الله

فمن هم الذين هم درجات عند الله؟ الأنبياء والمرسلين، وأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العاملين بصدقٍ ويقين من بعدهم في درجاتهم.

كل نبي من الأنبياء، وكل رسول من المرسلين هو نفسه درجة عند رب العالمين ﷻ، ولذلك هناك من يكون منا جماعة المؤمنين في درجة الكليم، ومنا من يكون في درجة الخليل، ومنا من يكون في درجة المسيح بن مريم، وأعلاهم وأرقاهم وأتقاهم من كان في درجة محمد رسول الله والذين معه.

وسيدنا رسول الله ﷺ أشار إلى هذه الدرجات في أحاديث متنوعات، فقال ﷺ:

{ لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ يُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ يُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ }[٣٤]

وكلمة لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً، يعني هذا الحد الأدنى، فقد يكون هناك أكثر من الأربعين بكثير على حسب صلاح الزمان، وتقوى أهل كل زمان، ويقول ﷺ:

{ ما أَظَلَّتِ الخَضرَاءُ، ولَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِن ذِي لَهجَةٍ أَصدَقَ ولَا أَوْفَى مِن أَبِي ذَرٍّ؛ شَبَه عِيسَى بنِ مَريمَ }[٣٥]

فهذا كان شبيه سيدنا عيسى بن مريم، وعندما حدث حوارٌ بين الصديق والفاروق أمام حضرة النبي ﷺ، وكان الحوار في أسرى غزوة بدر، سيدنا عمر قال: يا رسول الله أنا أرى أن نذبحهم ونستريح منهم، نعطي لفلان أبوه يقطع رقبته، ونعطي لفلان ابنه يقطع رقبته، حتى يعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه ليس في قلوبنا هوادة لسواه، وسيدنا أبو بكر قال: يا رسول الله إنهم أهلونا وذوونا، نتركهم ونأخذ منهم الفدية لعلَّ الله يهديهم إلى الإسلام، فقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنْ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنْ الْحِجَارَةِ وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: "مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

---

٣٤ معجم الطبراني ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد عن أنس ﷺ
٣٥ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

غَفُورٌ رَحِيمٌ" وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى قَالَ: "رَبِّ اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" أَنْتُمْ عَالَةٌ فَلَا يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ }[٣٦]

ولذلك كل صـــحابي في مقام نبي، على درجة نبي، على قدم نبي من الأنبياء الســابقين، وكذلك من بعدهم، فكل ولي على قدم صــحابي، على قدم النبي الذي على قدمه هذا الصـــحابي، وهؤلاء الأولياء لا يخلو منهم زمانٌ ولا مكان حتى يرث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأرض ومن عليها، وكان أصـــحاب النبي ﷺ يتناولون ذلك في أحاديثهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ:

{ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، وَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ: عَجَبًا إِنِ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُهُ! وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا! وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ! وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ! فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَتَعَجُّبَكُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى كَلِيمُهُ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَآدَمَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَإِنِّي حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ }[٣٧]

هو صاحب المقام الأعلى، فهو حبيب الله ﷺ، ولذلك ورد ببعض الأثر:

((أنا حبيب الله، والمصلي عليَّ حبيبي، فمن أراد أن يكون حبيباً للحبيب، فليكثر من الصلاة على الحبيب)).

---

٣٦ مسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٧ تفسير ابن كثير

فضل الله علينا بالإيمان

مهَّد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا بهذه الآية حتى يُعلمنا الفضـــل العظيم، والكرم العميم الذي تفضَّل به علينا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جماعة المؤمنين ...

وكل خير لنا في الدنيا ويســتمر إلى الآخرة، فهذا من فضــل الله، ومن إكرام الله، ومن السعادة العُظمى التي كتبها لنا المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلا أحد منا اختار لنفسه الإسلام!!

ولا استطاع أن يشق قلبه ليضع فيه الإسلام !!

ولذلك عندما منَّ بعض الأعراب على النبي ﷺ بأنهم مسلمين !! ..

قال له الله:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (١٧الحجرات)

أول منة منَّ الله بها علينا حضرة الرحمن هي نعمة الإسلام والإيمان.

وهي فضل من الله وإكرام من الله !!

لا بعمل عملناه، ولا بشيء قدمناه، ولا بصنع صنعناه ..!!

وإنما هو فضل الله علينا جماعة المؤمنين ببركة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

من الذي كتب الإيمان في قلوبنا؟ الله:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (٢٢المجادلة)

لذلك أنا وأنت والخلق أجمعون هل نقدر أن نهدي واحداً لا يريد الله هدايته؟

مستحيل !!!

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ (٩٠البقرة) ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ ﴾ (٩٧الإسراء) ... والإيمان والإسلام السبب فيهما، والذي أتى لنا بهما، والذي أكرمنا الله ببركته، وجعله سبباً لهذه النعمة العظمى، هو سيدنا رسول الله ﷺ.

النعمة العظمى

ولذلك يقول لنا الله: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١٠٣آل عمران) تذكَّروا دائماً هذه النعمة، ... إياكم أن يُنسيكم الطعام والشراب والمناصب والمكاسب والحياة الدنيا هذه النعمة العُظمى.

ما هذه النعمة التي عندنا؟ ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (١٠٣آل عمران) ما النعمة التي جاءت لنا بكل ذلك؟ سيدنا رسول الله ﷺ، لذلك أمرنا الله أن نتذكر هذه النعمة على الدوام.

وقال الله لنا في الآيات التي معنا: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المنُّ في معنى من معانيه هو المعايرة، وهو المعنى الدارج بيننا وبين بعضنا، وهو أيضاً في كتاب الله: ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (٢٦٤البقرة) والمن هنا المعايرة، لكن الله لن يعايرنا ﷻ، فالمعنى هنا غير المعنى الدارج الذي نعرفه لكلمة المن، فما معنى المن هنا؟ الإنعام والإكرام التام من ذي الجلال والإكرام:

أكبر نعمة أعطاها الله لنا جماعة المؤمنين بعد الإســـلام؛ أننا من أمة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

واللهِ يا أحبة لو جلســنا، وأعطانا الله الأعمار إلى أن تقوم الســاعة، وأخذنا نُعدد فضائل الله علينا برسول الله ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً:

فإن فضـــل رســـول الله ليس لـه حـدٌّ فـيُعـرب عـنـه نـاطـقٌ بـفـم

فأنعم الله علينا برسول الله: ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهذه نعمة كبيرة أنه منا، أي من البشر، فلو كان مَلَكاً فكيف كنا نتبعه ونحن لا نراه؟! كيف نقلده ونمشي مثله؟! إن كان في العبادات أو في العادات أو في كل الأحوال التي تعترينا في هذه الحياة الدنيا!.

لكنه ﷺ مع أنه نورٌ تام، والنور التام واضحٌ في قول الله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥المائدة) لو كان النور هو الكتاب لما وضع الله واو بينهما، فهو

نور وكتاب، هذا شيء وهذا شيء آخر، فالنور هو رسول الله، والكتاب هو كتاب الله، وكتاب الله أيضاً نور: ﴿ جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٥٢الشورى) والله ﷻ نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور) ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (٣٥النور).

فكان ﷺ نوراً يمشي بين الناس، ولكن في جسم وفي قالب بشري، لماذا؟

لأننا مأمورين أن نُصلي مثله، ونصوم مثله، ونحج مثله، ونمشي مثله، ونأكل مثله، ونتابعه في كل أحواله، فلا بد أن يكون مثلنا، ... وهي منَّة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنَّ بها علينا جماعة المؤمنين:

﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني منا، وهذا فضل الله علينا نحن العرب، لنعرف أننا الذين خُصصنا برسالة الإسلام، ونحن يجب أن نكون حاملين هذه الرسالة إلى جميع الأنام، فهذا شرف لنا أننا حملة هذه الرسالة العُظمى التي اختارها الله ﷻ، وجعلها خير دين، وجعلنا من أجلها خير أمَّة أُخرجت للناس.

رســـول الله ﷺ كان نوراً، والأدلة في هذا الباب كثيرة، الدليل الأول ما رُوي عن الصحابة المباركين أنه كان ﷺ إذا مشى لا يُرى له ظلٌ، وما الشيء الذي ليس له ظل؟ النور فقط.

والدليل الثاني يقول جابر بن سمرة ﷺ:

{ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ }[٣٨]

وقيل: **((ما رؤي ﷺ مع شمس ولا قمر ولا مصباح إلا وكان نوره أزهى من نور الشمس، وأبهى من نور القمر، وأضوأ من نور المصباح)).**

هذا ما يراه أصحابه المباركون، أما الكافرون فقال فيهم رب العالمين:.. ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف) يعني عمياً لا يرون شيئاً إلا الحقيقة الآدمية فقط، لكن الأنوار الإلهية التي في الحقيقة المحمدية لا يرونها، ولذلك لم يؤمنوا برسالته، ولم يصدِّقوا بكتابه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٣٨ جامع الترمذي وسنن الدارمي

الدليل الثالث يقول فيه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[٣٩]

يعني نرى نوراً يخرج من بين أسنانه صلوات ربي وتسليماته عليه، وأيضاً من الذي سيرى؟ المؤمنون، أما الآخرين لا يرون: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (﴿ الحج) وهذا نور للقلوب.

الدليل الرابع أنه ﷺ كان كل يوم في صلاة الفجر بعد أن يُصلي السُنَّة وينتظر إقامة الصلاة، يدعو بالدعاء الوارد في كتب الصحاح وهو دعاء ثابت وكان يقول فيه:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا }[٤٠]

ودعاؤه ﷺ مع الله لا يُرد، فجعله الله ﷻ نوراً صلوات ربي وتسليماته عليه.

السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما سألوها عن نورانية رسول الله ﷺ، قالت:

{ اسْتَعَرْتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ إِبْرَةً كُنْتُ أَخِيطُ بِهَا ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَقَطَتْ مِنِّي الإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَبَيَّنْتُ الإِبْرَةَ مِنْ شُعَاعِ نُورِ وَجْهِهِ }[٤١]

فرسول الله ﷺ كان ظاهره نور؛ نور العمل بشرع الله، وباطنه نور؛ نور الإيمان بالله، فهو ﷺ كله نور على نور صلوات ربي وتسليماته عليه.

الرسول ﷺ نور كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

أبرزته يد العناية كوناً وهو نورٌ في صورة آدمية

مع ذلك جعله الله ﷻ في البشرية، لماذا؟ حتى نُحسن متابعته، فنجالسه، ونستمع إليه، ونُحسن إتباعه في كل أحواله التي جاء بها لنا من عند الله.

---

٣٩ معجم الطبراني وسنن الدارمي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
٤٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
٤١ تاريخ دمشق لابن عساكر، ودلائل النبوة للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

ولذلك أرجو أن تتنبهوا معي .. فقد كان ﷺ يصوم صيام الوصال، وصيام الوصال يعني يصوم أيام متتالية لا يتسحر ولا يفطر، فأراد بعض الشباب من أصحابه أن يتابعوه، فقال ﷺ:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[٤٢]

الذي يُطعمه الله ويسقيه لِمَ يأكل معنا؟ ولِمَ يشرب بيننا؟ قال فيها سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه:

((والله ما أكل إلا ليُعلّمنا كيف نأكل؟ ولا شرب إلا ليُعلّمنا كيف نشرب، ولا نام إلا ليُعلّمنا كيف ننام)).

فلم يكن ينام، قال ﷺ:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[٤٣]

فهذه الأمور كلها لنتعلم من حضرته، ونعمل بقول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

وهذا من فضل الله علينا أنه جعله من أنفسنا، يعني مثلنا في البشرية.

والمعنى الثاني: ... أنه جعله عربياً ونحن عرب تشريفاً لنا،... وفخراً لنا أن النبي من بيننا، وأننا حملة لواء هذا الدين الذين جاء به من عند رب العالمين، وينبغي علينا أن نجدَّ بالقيام بهذه الرسالة في كل وقت وحين، ولا نتركها للآخرين، لأن هذا شرفٌ أعطاه لنا الله ﷻ.

النبي ﷺ الذي منَّ علينا الله به له منن لا تعُد ولا تُحد، مننٌ في التشريع، فقد جاءنا بالوسطية واليُسر، فلا مشقة في أي تكليف من التكليفات الإلهية لنا، وجاءنا بالعفو العام من العفو ﷺ، كلما أذنب العبد وتاب، تاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، ولم يفضحه ولم يُخزه، ولم يُظهر عيبه بين خلقه، وإنما يستره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلا إذا كان هو الذي قام بفضح نفسه عن طريق الفخر بين أشباهه وأمثاله.

---

٤٢ سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة ﷺ
٤٣ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وكان بنو إسرائيل إذا أذنب الرجل منهم ذنباً يجدون في الصباح مكتوبٌ على باب بيته: ... فلان سرق، فلانٌ زنا، فلانٌ قتل، فلان فعل كذا، لكننا والحمد لله سترنا الله بحبيبه ومصطفاه ﷺ.

نِعم الله علينا في الحياة الدنيا برسول الله لا تُعد، فما بالك في الآخرة، ويكفي في الآخرة وعد الواحد الأحد: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى) ... سيدنا الإمام جعفر الصادق قال: **(ولن يرضى وواحدٌ من أمته في النار))**.

وماذا سيفعل؟

سيترافع ويدافع، ويطلب العفو إلى أن يأخذ كل من في النار من المسلمين عفواً من رب العالمين، ويدخلون الجنة حتى يدخل هو الجنة صلوات ربي وتسليماته عليه.

وظائف النبي في الدنيا

ما وظيفة هذا النبي في الدنيا لنا أجمعين؟

الوظيفة الأولى: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ هو الذي يتلو كتاب الله الذي أنزله عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك نزل القرآن بلسان عربي مبين، وحفظه الله تعالى وسيظل محفوظاً أبد الآبدين .. كل الكتب السماوية حُرِّفت إلا الذي قال فيه الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر).

وقوله تعالى: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ يعني أنت أيضاً لا بد أن يكون لك قسط من تلاوة آيات الله كل يوم، ولو قسط قليل، لأن الله لم يشق علينا بل قال لنا: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (المزمل) يعني ما تقدر عليه، فإذا قرأت خمسة أسطر فلا مانع ولكن تواظب، أو قرأت صفحة فتكون أحسنت، أو قرأت رُبعاً فتكون تكرمت، أو قرأت رُبعين فتزيد في الأجر والثواب، ... لكن المهم أن لا يخلو يوماً من أيامك من النظر في كتاب الله.

أول متعة للعين تتمتع بها في الدنيا والآخرة هي النظر في كتاب الله، فلا تحرمها من هذه المتعة، والله ﷻ لم يشق علينا، فلم يقُل تقرأ القرآن في المسجد، ولكن في أي مكان، وفي أي زمان، وأنت سائر، وأنت راكب، وأنت نائم، فلا مانع من أن تقرأ ما

تيسر من القرآن، وإذا لم تحفظ فاسمع، وقد قال ﷺ تيسيراً لنا:

{ القَارِئ والمُستَمِع فِي الأَجْرِ شَرِيكَان }[٤٤]

فمن يسمع كمن يقرأ، فالإثنين مشتركان في الأجر والثواب، المهم أن يكون للمؤمن نصيب من قراءة كتاب الله كل يوم، قال ﷺ في تحديد هذه الأنصبة:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ }[٤٥]

من قرأ كل يومٍ عشر آيات لم يُكتب من الغافلين، إذاً فلا نقل عن عشرة آيات، ومن قرأ كل يوم ألف آية كُتب من المقنطرين، يعني يقدمون لله ﷻ قناطير مقنطرة من الأعمال، وأبرزها وأوضحها تلاوة كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الوظيفة الثانية: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ والتزكية يعني طهارة النفوس من الحقد والحسد والبُغض والكُره والغل والغيرة وكل هذه الصفات المذمومة، فلا بد للمؤمن كل يوم أن يتابع نفسه، ويراجع نفسه، ويحاسب نفسه، ويتأكد أنه ليس عنده شيء من هذه الأشياء المذمومة.

من المؤمنون يا رب؟

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر)

متى يدخل في الأُخوَّة الإيمانية؟ إذا نزع كل الأحقاد، وكلمة (ونزعنا) عندما تنزع شيء من الأرض فليس يخرج بسهولة، ولكنك تُخرجه بشدة، لأن النفس تميل إلى هذه الأشياء، فتحتاج الشدة في نزع هذه الأخلاق وهذه الطباع، لأنها سبب المشاكل بين المؤمنين في كل زمان ومكان.

ففي عصر النبوة استطاع النبي ﷺ أن يوجههم لاقتلاع شجرة الغل وما يتبعها، فكانوا يعيشون في الدنيا وكأنهم في الجنة، لا مشاكل ولا خلافات ولا أي أمر يستدعي حتى أن الواحد يقابل أخاه يدير وجهه للجهة الأُخرى ولا يُلقي عليه السلام.

---

٤٤ رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما
٤٥ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

عندما عيَّن سيدنا أبو بكر سيدنا عمر قاضياً، ومكث سَنة قاضياً لكل الدولة، وكان الأجر والراتب يُعطى كل سَنة، فاستدعاه ليأخذ راتبه، فقال له: لن آخذ شيئاً لأنني لم أعمل، فقال له: كيف؟! قال: لم تُعرض علي قضية واحدة طوال العام!.

لم تُعرض عليه قضية في الدولة كلها!

فأين نحن منهم؟! وهل نمشي مثلهم أم خالفنا؟!

حرصنا على الدنيا، فانتشر الطمع والجشع والأنانية والأحقاد والأحساد، وهذه هي الدنيا التي قال لنا فيها النبي وحذَّرنا منها، فقال لنا:

{ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ }[٤٦]

ما أساس كل الشرور والبلاء؟

ابحث على كل المصائب تجد السبب الأساسي حب الدنيا.فلا بد لكي نعيش في الدنيا حياة طيبة، ونكون في الآخرة في الجنة العالية، نجاهد في تزكية وتطهير نفوسنا بما جاءنا في كتاب ربنا، وبالمنهج الذي علَّمه لنا نبينا ﷺ.

الوظيفة الثالثة: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ بعد طهارة النفوس وصفاء القلوب، نتعلم الكتاب ونتعلم الحكمة، فمن تعلم الكتاب وعلوم الكتاب، وهي علوم الشريعة بعد أن طهَّر نفسه هل يُفتي فتوى بهواه؟ أو هل يميل مع شخص ضد آخر؟ لا، بل سيكون حكماً عدلاً لأنه لا يريد إلا رضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإذا مشى على هذا المنهاج يرزقه الله الحكمة: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢٦٩البقرة).

ثم ذكر الله شيئاً هاماً يجب أن نعيه جميعاً: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ فقبل هذا النبي كيف كان حال العرب؟ كانوا في جاهلية عمياء، ليس هناك عبادات، وليس هناك أخلاق ولا معاملات، بل همجية تامة كانت عليها الجزيرة قبل مجيء النبي .. من الذي هذَّب أخلاقهم، وحسَّن طباعهم، وجمِّل أحوالهم؟

اتِّباعهم لرسول الله ﷺ ..!!

---

٤٦ الزهد لابن أبي الدنيا

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً فصـــرنا بطه رجالاً فحولاً

ويُحذِّرنا أنه من لم يمشِ على هذا المنهاج، ويتبع رسول الله وصحبه المباركين، يرجع مرة ثانية ويكون قريباً من هؤلاء الأولين، فيكون ماشـــياً في الحياة الدنيا، وربما يتخلق بأخلاق الجاهلية التي قضت عليها الشريعة الإسلامية.

وهذا الكلام نراه عندنا ..

وأضرب مثلاً واحداً له، فالعرب عندما يُولد لواحد منهم ولداً يفرح ويقيم الأفراح والليالي الملاح، ومن يُولد له بنتاً يسود وجهه كما أخبر الله، وقد يأخذها ويحفر لها حُفرة في الصحراء ويدفنها وهي حية، وإذا تركها يكون حزيناً.

فلو مشينا على شرع رسول الله، فلا بد على الفور بعد أن ينتقل الأب إلى جوار الله، أجمع إخوتي بنين وبنات، ليأخذوا حقوقهم في الميراث الشرعي وفق منهج الله.

لكننا نجد كثير من المسلمين ومصليين ومحافظين على صلاة الفجر يقولون: البنات ليس لهن شيء، لأن زوجها هو الذي سيأخذ ذلك، وما شأنك؟ !!

فهذا شـــرع الحنان المنان ﷻ، وإذا أصـــرَّت على أخذ حقها يقول لها كلمات تســـتثيرها حتى تتنازل، أو تأخذ الدون من الميراث، ...!! وقد يهددها إن لم تتنازل أنه سيقاطعها ويخاصمها.

فهل هذا الشـــرع الذي أتانا به النبي؟ لا، لكنهم رجعوا إلى عادات الجاهلية التي تكلمنا عنها، وما أكثر هذه العادات التي انتشـــرت بيننا، ورجعت مرة ثانية، لماذا؟ لأن الناس تركوا نور رسول الله، ورجعوا إلى حظوظهم وأهوائهم.

نســأل الله ﷻ أن يجنّبنا أهواءنا، وأن يملّكنا حظوظنا، وأن لا يمكّن منا شــهواتنا، وأن يرزقنا حســن الاتّباع لنبينا، وحســن العمل بكتاب ربنا، وأن يجعلنا كلنا نحب بعضــنا في الله وبالله، وأن ينزع كل شــحناء وبغضــاء وحســد وغل من صــدورنا، ويجعلنا إخوة متآلفين متكاتفين، متوادين متواصـــلين، وأن يجعلنا دائماً وأبداً نراقبه ﷻ في كل وقت وحين، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٥)

الطاعة والتسليم لرسول الله ﷺ[٤٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء)

طاعة الكائنات للنبيين	التوبة من الذنوب
التسليم للنبي	تحكيم شرع الله
التسليم الباطن	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي حدَّثنا بذاته – مع كبريائه وعلو شأنه – عن عبده ونبيه وحبيبه ومصطفاه، لأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أدرك أنه لم يعرف كنهه ولم يُرزق الأدب معه إلا من نظر في كتاب الله، وتخلَّق بالآداب التي ذكرها فيه الله مع حبيبه ومصطفاه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، صاحب المقام العالي، والسر الغالي، وآله الذين تمسكوا بأهدابه، وأصحابه الذين لاحظوه وتابعوه في عَليِّ جنابه، والتابعين ومن بعدهم ونحن منهم أجمعين إلى يوم الدين.

الآيات التي معنا اليوم تتحدث عن الأدب مع رسول الله في كتاب الله، وهي من جملة الآيات التي تتحدث عن الأدب مع رسول الله ﷺ، والتي جمعناها في كتابنا (الآداب القرآنية مع خير البرية).

ونحن والحمد لله حرفتنا هي كتاب الله، قديماً وحديثاً وفي كل وقت وحين بضاعتنا هي كتاب الله، والإمدادات الإلهية والنظرات النبوية في تفسير كتاب الله على حسب حاجة أهل هذا الزمن كما بيَّن لنا رسول الله ﷺ، وكل آية من كلام الله فيها عناية، وفيها رعاية، وفيها من العلوم الإلهية ما لم يبلغ أحد فيه غاية، وكلام الله ﷻ كما قال فيه ﷺ:

---

٤٧ الأقصر – الرزيقات بحري ١٤ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/١١م

{ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ }[٤٨]

يعني لا يبلى مع كثرة الترداد، وإنما كلما قرأته وجدته غضاً طرياً يُفاض على قلبك منه علومٌ جديدة، ومحاسن فريدة، لم يأت بها أحدٌ من قبل، وهذا إعجاز القرآن الكريم.

فالآية التي نشرحها في موضع، وربما ذُكرت في موضع آخر، فيأتي الشرح بطريقٍ آخر، لماذا؟ لأن كل مكان له رزقه، وله فتحه من الفتاح العليم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

طاعة الكائنات للنبيين

الآيات التي عندنا اليوم من الآيات العُظمى التي تتحدث عما ينبغي أن يكون عليه السالكين الصادقين مع أمير الأنبياء والمرسلين، وساق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبلها حكمة بالغة حتى نتذوق شيئاً مما أعطاه الله لهذا النبي الرءوف الرحيم، فقال:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾.

لم يرسل الله نبياً إلا وأمر الأكوان كلها عاليها ودانيها؛ حتى الجمادات؛ حتى الأفلاك في السماوات؛ حتى الحيوانات أن تكون رهن إشارته وطوع أمره، لماذا؟ لأنه لا يريد شيئاً لنفسه، ولكنه جاء يدعو إلى الله ويبلّغ رسالة الله.

فلو نظرنا في طاعة الأكوان لأنبياء الرحمن سينتهي الوقت وينتهي الزمان، ولا ننتهي من سرد حكاياتهم مع طاعة الأكوان، ولكننا سنأخذ شذرات من طاعة الأكوان للنبي العدنان ﷺ.

أشار ﷺ إلى القمر بأصبعه فانشق نصفين، فالقمر طوع أمره.

وورد بالأثر أن النبي كان نائماً على فخذ سيدنا علي، ولم يكن قد صلى العصر، وهو لا يريد أن يوقظ النبي، فلما استيقظ كانت الشمس قد تورات خلف أشجار النخيل التي كانت هناك، فقال له: هل صليت العصر يا علي؟ فقال: لا، فقال: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد الشمس حتى يُصلي العصر، فرأوا الشمس بعد أن توارت وراء النخيل رجعت مرة ثانية حتى يصلي سيدنا علي العصر، فالشمس طوع أمر أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

---

٤٨ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

وكان ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فلحق به فارس من فرسان قريش، وكان يريد أن يحصل على الجائزة التي جهزتها قريش لمن يأتي لهم بالنبي حياً أو ميتاً وهي مائة جمل، وأصبح على وشك أن يُدرك النبي ﷺ، فدعا النبي الأرض أن تأخذه، فانشقت الأرض وأمسكت بأرجل الفرس الذي كان يركبه، ورجليه هو أيضاً، فقال: تبت، وسأرجع ولن أعود لك ثانية، فأمر النبي الأرض أن تتركه، فسمعت الكلام على الفور بدون تردد وتركته، ولكن نفسه راودته كيف سيترك الجائزة؟!، فعاد مرة ثانية، فأمر النبي الأرض أن تأخذه، فأخذته هذه المرة حتى وسطه والفرس حتى صدره، فقال له: أعاهدك أن أرجع، وأُعمِّ عن كل من يقابلني في الطريق من قريش وأتباعها، فسخَّره له الله ليكون جندياً يدفع عن رسول الله أعداء الله، وأعداء رسول الله ﷺ.

فالأرض كانت تحت أمره، وكل الكائنات العالية والدانية كانت رهن إشارته ﷺ، بل إنها كانت تأخذ الإشارة من أصحابه البررة الكرام، وإكراماً لحضرته تنفذ مرادهم، وليس مراد رسول الله وفقط !!!

كلَّم الذئب، وكلَّم الجمال مراراً وتكراراً، وكلَّم الطيور، وكان يأمر أصحابه بأن يتوجهوا إلى النباتات أو إلى الأحجار ويبلغونها أمر رسول الله فتستجيب، كان في سفر ويريد أن يقضي حاجته، وحاجته هذه فيها سر لا يُطلع الله عليه إلا كل صديق، ... لكن لا تباح الأسرار حتى للأبرار، فكان إذا أراد أن يقضي يبعد عمن كان معه، يقول عبد الله بن مسعود:

{ كَنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْغَائِطِ أَبْعَدَ حَتَّى لا يَرَاهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَبَصُرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَجَرَتَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، اذْهَبْ إِلَى هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا لَهُ لِيَتَوَارَى بِكُمَا، فَمَشَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا }[٤٩]

وفي رواية أخرى لأسامة بن زيد ﷺ، وكان في سفر مع رسول الله ﷺ، وأراد النبي قضاء حاجته، فقال لأسامة:

---

٤٩ معجم الطبراني ومسند البزار عن عبد الله بن مسعود ﷺ

{ يَا أُسَيْمُ، قُمْ، فَاخْرُجْ، فَانْظُرْ هَلْ تَرَى مَكَانًا يُوَارِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَخَرَجْتُ، فَمَشَيْتُ حَتَّى حَسِرْتُ، وَمَا قَطَعْتُ النَّاسَ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّهُ يُوَارِي أَحَدًا، وَقَدْ مَلَأَ النَّاسُ مَا بَيْنَ السَّدَّيْنِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ شَجَرًا، أَوْ رَجْمًا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَدْ رَأَيْتُ نَخَلَاتٍ صِغَارًا، إِلَى جَانِبِهِنَّ رَجْمٌ مِنْ حِجَارَةٍ، فَقَالَ لِي: يَا أُسَيْمُ، اذْهَبْ إِلَى النَّخَلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ: يَأْمُرُكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْحَقَ بَعْضُكُنَّ بِبَعْضٍ، حَتَّى تَكُنَّ سُتْرَةً لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْ ذَلِكَ لِلرَّجْمِ، قال: فَأَتَيْتُ النَّخَلَاتِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ﷺ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ تَفَاقُرَهُنَّ بِعُرُوقِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّى لَصَقَ بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقُلْتُ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقُرِهِنَّ حَجَرًا حَجَرًا حَتَّى عَلَا بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ جِدَارٌ، فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ﷺ: خُذِ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُنَّ سَبَقْتُهُ ﷺ فَوَضَعْتُ الْإِدَاوَةَ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَانْصَرَفَ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ يَحْمِلُ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ ﷺ ثُمَّ رَجَعْنَا، فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ الْخِبَاءَ، قَالَ لِي ﷺ: يَا أُسَيْمُ، انْطَلِقْ إِلَى النَّخَلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ: يَأْمُرُكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَقُلْ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَأَتَيْتُ النَّخَلَاتِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقُرِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّى عَادَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَقُلْتُ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَاقُرِهِنَّ حَجَرًا حَجَرًا، حَتَّى عَادَ كُلُّ حَجَرٍ إِلَى مَكَانِهِ، فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ }[٥٠]

لا يستطيع شيء أن يخالف رسول الله ﷺ، فقد آمن به كل من في السماوات ومن في الأرض، إلا عُصاة الجن والإنس، فهم الذين خُذلوا ولم يتبعوا سيد الأولين والآخرين ﷺ، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:

{ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ:

٥٠ دلائل النبوة لأبي نعيم وابن حجر عن أسامة بن زيد ﷺ

وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلَمَةُ، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: إِنْ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَكُنْتُ مَعَكَ }[٥١]

وكان ﷺ يُمسك بالحصى فيُسبِّحن في يده الشريفة، بألفاظ فصيحة وكل الحاضرين يسمع هذا التسبيح ... !! إذا كانت الجبال التي هي عبارة عن صخور صلبة، وليس فيها قلوب ذكر أنها تُحبه، فقال ﷺ:

{ أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }[٥٢]

ولما وقف عليه حضرة النبي ﷺ ومعه سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان، فالجبل من شدة الفرح اهتز، فحضرة النبي قال له:

{ اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ }[٥٣]

فثبت في الحال، وهذه الوقائع تستطيعون قراءتها في الكتب التي تتكلم عن معجزات رسول الله ﷺ، وستجد الكون كله طوع إرادته، فإذا كان الكون كله طوع إرادته، فما الإشارة لي ولك؟ أن الله ﷻ لا يؤخر له طلباً، ولا يؤخر له إجابة دعاء، وإنما يلبّي أمره وينفذ طلبه في الوقت والحال، لأنه مؤيد من الله ﷻ في كل أحواله، حتى عندما كُلِّف بالنبوة ظهر خاتم النبوة على كتفه الأيسر في مقابلة قلبه من الخلف، والخاتم كان عبارة عن شعرات مكتوب فيه:

((تَوجَّه حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَنصُورٌ))[٥٤]

يعني إذهب كما تشاء ... فمعك تأييد الله ونصر الله.

والحمد لله، فإن هذا النصر من كرم الله ومن جوده سحبه علينا في كتاب الله:

---

٥١ سنن الدارمي عن ابن عمر رضى الله عنهما
٥٢ معجم الطبراني ومسند أحمد عن سويد الجهني ﷺ
٥٣ صحيح البخاري والترمذي عن أنس ﷺ
٥٤ البداية والنهاية وسير أعلام النبلاء

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر) أعطاه لنا نحن أيضاً اكراماً لسيد الأولين والآخرين، هل في الآخرة فقط؟

لا، ولكن: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (٥١غافر) ولكن لا بد كما قال الله: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧الأنبياء).

سيمنحنا كلنا، لكن المرض الذي يتعبنا كلنا العجلة، فكلنا متعجلين، لكن لو فوضنا الأمر لرب العالمين، نجد أن نصر الله وتأييده لنا أيضاً لا يتخلف عنا في أي وقت وحين.

التوبة من الذنوب

بعد ذلك منَّ الله علينا بمنَّة كُبرى، فكلنا نُذنب، وكلنا نُخطئ:

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }[٥٥]

لم يقُل خاطئ بل قال: خطَّاء، بصيغة المبالغة، يعني كثير الخطأ، فلن يُخطئ مرة أو مرتين، بل على الدوام، وأسرع وسيلة للتوبة من الذنوب وستر العيوب أتى لنا بها الله وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ الذي يظلم نفسه ويقع في معصية، أو يقع في إثم، أو يقع في وزر، أو يقع في ذنب، أسرع وسيلة ليتوب الله عليه أن يذهب لرسول الله ﷺ.

وهل رسول الله ﷺ كما يقول بعض الناس الذين على قدر بسيط من العلم أنه محجوز في حجرة صغيرة في المدينة المنورة؟! .

فكيف نذهب إليه وهذ الأمر يحتاج إلى تأشيرة، ويحتاج إلى مال كثير وغير ذلك؟! لكن العارفون يعرفون أنه نور، وهذا النور يقول فيه الإمام أبو العزائم وهو يتكلم على لسان حضرته:

فروحي لم تغب والروح نورٌ تواجه من أُحب بنور نوري

هذا النور موجود في كل الأكوان، ولكن استحضره تجده معك، نادي عليه تجده فوراً يسمعك، واستنجد به في أي لحظة ترهب فيها من عدو تجده يدفع العدو معك، لأنها قدرات إلهية خصَّ الله بها خير البرية، حتى لا يقول أحد لماذا خصه؟! لكن:

٥٥ سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس ﷺ

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء).

فأعطاه الله هذه الخصـــائص من أجلنا، لأنه يحبنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن كان النبي في ذاته في غنىً عن كل هذه العطاءات، لأنه لا يريد إلا وجه مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأنا في أي زمان ومكان لم أســتطع أن أذهب لحضــرة النبي أعمل كما فعل أبونا آدم، وأســأل الله بحق هذا النبي، وهذا أمر ســهل ليس فيه شــيء، فآدم عندما وقع في الخطيئة وأُهبط إلى الأرض، عرف أنه خالف ما أمره به مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فأخذ يضـــرع إلى الله ويتوب، وقد نزل في بلاد الهند، وقيل ظل بها ثلاثمائة سنة، حتى أراد الله أن يتوب عليه فألهمه وذكَّره باسم الحبيب الذي رآه في الجنة، فقال:

{ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكِ رَفَعَتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }[٥٦]

والخطيئة وضَّح لنا الله أسبابها حتى نتلافاها ولا نقع في الأخطاء العُظمى ونحن في الدنيا: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١١٥طه) ما الذي يمنع الإنسان من الخطيئة؟ التذكر، لأن النسيان هو الذي يُوقعه في الخطيئة والعزيمة، فكيف أتذكر؟ حضرة النبي أعطانا الخلاصة، فقال:

{ صَاحِب مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ }[٥٧]

طالما أنت محافظ على إخوتك، ودائماً تجتمع بإخوان الصــدق والوفاء، وتكون في وسطهم، فتكون في أمان الله، ويحفظك الله بحفظه، والحفظ للأولياء من المعاصي والذنوب والغفلات وأشباهها وأمثالها.

ولو ظننت أنك قطب عظيم، وغير محتاج لهؤلاء، وأنك فرد من الأفراد، ولا يصح

---

٥٦ دلائل النبوة للبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ
٥٧ الإخوان لابن أبي الدنيا

أن تجالس هؤلاء أو تذهب إليهم أو تزورهم لأنك رجل كبير فاعلم أن الذئب يأكل من الغنم القاصية، والتي تكون بمفردها، لكن التي في وسط الغنم هل يستطيع أن يصل إليها؟ لا، لأن الراعي سيمنعه.

فالرعاية والعناية للأخ الذي دائماً مع الأحباب، ولا يتركهم أو يتخلف عنهم، إلا إذا كان هناك أمر ضروري، ولو وُجد أمرٌ ضروري لا بد أن يعتذر، وهذا نهج الصالحين منذ زمن سيد الأولين والآخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قد يقول البعض: إن سؤال الله بحق رسول الله خصوصية لآدم، لكن النبي نفسه ﷺ بَيّن لنا الطريق ووضحه وبيَّنه لبعض أصحابه، فعن عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ قال:

{ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَهُ ضَرِيرٌ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَوَتَصْبِرُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَيُجَلِّي لِي عَنْ بَصَرِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي، قَالَ عُثْمَانُ بن حنيف: فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا، طَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ الرَّجُلُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَر }[٥٨]

وفي رواية أخرى:

{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ، مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ }[٥٩]

قد يقول بعض المشككين أن هذا الرجل الذي أرسله هو حضرة النبي، وهو الذي قال له ذلك، ولكن حدثت حالة مشابهة في زمن خلافة عُثمان بن عفان ﷺ

{ فعَنْ عثمان بن حُنَيْفٍ ﷺ أَنَّ رَجُلا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ فِي حَاجَتِهِ، وَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

---

٥٨ دلائل النبوة للبيهقي والدعاء للطبراني عن عثمان بن حنيف ﷺ
٥٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن عثمان بن حنيف ﷺ

وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَتَقْضِي لِي حَاجَتِي، وَاذْكُرْ حَاجَتَكَ، ثُمَّ رُحْ حَتَّى أَرْفَعَ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَصَنَعَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ، فَقَالَ: انْظُرْ مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتُهُ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: مَا كَلَّمْتُهُ وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وذكر له الحديث: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ، مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ "}[٦٠]

هل هناك بيان بعد هذا؟!! فلو وقعت في أي ورطة، أو في أي شـــدة، أو في أي ملمة، وتوسلت إلى الله برسول الله وقلت: اللهم بحق سيدنا محمد اقض لي كذا وكذا، أو اللهم بجاه سيدنا محمد اقض لي كذا وكذا، أو اللهم بمقام سيدنا محمد اقض لي كذا وكذا، يقضـــي لك الله الحاجة فوراً، والحمد لله جربنا هذا الدعاء مراراً وتكراراً ولم نجد فيه إلا سرعة الإجابة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المهم أن لا تُجرب وتدعو بهذا الدعاء وتنظر هل يُصـــيب أم يخيب؟ فهذا لا ينفع مع الله، لكن لا بد أن تدعو الله وأنت موقن بالإجابة.

إذاً التوسـل برسـول الله لمن كان في زمانه، أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في أي زمان أو مكان، وبالطبع إذا كان التوسـل في الروضـة الشـريفة يكون أتم وأكمل وأقرب للإجابة إلى الله ﷻ المجيب.

ولذلك الإمام العُتبي ﷺ وهو إمام من أئمة الفقه يحكي أنه كان جالساً في الروضة النبوية فيقول: وجدت رجلاً أعرابياً دخل ووقف أمام رسول الله ﷺ، وقال:

اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ اللهم إني جئتُ إليك بذنوبي وعيوبي، واستشفعتُ بنبيك لتغفر لي، ثم أنشد:

---

٦٠ جامع الترمذي وابن ماجة عن عثمان بن حنيف ﷺ

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم مشى، فالإمام العُتبي يقول: أخذتني سِنة من النوم فرأيتُ النبي ﷺ جاء إليَّ وقال: يا عُتبي الحق الأعرابي وبشِّره بالمغفرة.

الصالحين الصادقين والعارفين المخلصين عندهم دقة ورقة في فهم الكلمات، فقالوا هذه الأبيات قالها الرجل بصدق، ولكن فيها كلمات لا تليق بحضرة نبي الله، فعندما نقولها نغير هذه الكلمات بالتي هي أحسن، فنقول:

يا خير من وضعت بالروض أنجمه فطاب من طيبهن الروض والأكم
نفسي الفداء لروض أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وفي مذهب الإمام مالك ﷺ لا يجوز أن تقول: زرت قبر النبي، ولكن تقول: زرت النبي، لأن قبر معناه أن شخص مات، لكن النبي يرد علينا السلام في كل صلواتنا، عندما نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، والسلام سُنَّة، ورد السلام فرض، وهو يقول:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ }[٦١]

من كان قلبه مملوء بالأنوار قد يرى ويسمع رد السلام، وقد يسمع فقط رد السلام، فإذا كانت بطارية القلب فارغة فلن يسمع شيئاً، لأن البعض يقول:نحن نصلي ونسلم على رسول الله على الدوام في الصلاة ولا نسمع!، أصلح بطارية قلبك، واملأها بالأنوار، تجد فوراً سماع وشهود وجه النبي المختار ﷺ.

كما قال الإمام الشعراني:

(ما من مرة أجلس في الصلاة للتشهد وأقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلا وأراه أمامي وأسمعه وهو يقول: وعليك السلام يا عبد الوهاب)

يعني يرد على كل واحد باسمه، ولا توجد لحظة في الأربع والعشرين ساعة في الكون كله إلا وأحد يسلم على النبي ﷺ، فالليل والنهار يتعاقبان في الكون كله، فإن كان عندنا ليل فإن

---

٦١ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أمريكا مثلاً يكون عندهم نهار، والعكس، فكل لحظة فيها من يُسلِّم على حضرة النبي، والنبي ﷺ يرد عليه السلام.

سيدنا رسول الله ﷺ بيَّن بياناً شافياً قدره عند الله في مغفرة الذنوب لمن التجأ إليه ليشفع له عند الله، فبعد أن أنهى غزوة الأحزاب ودخل بيته نزل عليه سيدنا جبريل، وقال له:

{ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ }[٦٢]

لأن بني قُريظة خانوه في الحرب وكانوا ضده، ثم نادي الرسول ﷺ على أصحابه وقال:

{ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ }[٦٣]

فالصحابة حدث عندهم تفاوت في الفهم والإدراك، فمنهم من فهم أنه يُصلي العصر في المدينة ثم يسرع إلى بني قريظة، ومنهم من فهم أنه لا يُصلي العصر إلا في بني قريظة فأخروا صلاة العصر.

فلم يختلفوا مع بعضهم، بل ردوا الخلاف لرسول الله، ولذلك آفة السالكين والمريدين في هذا الزمان، إذا حدث خلافٌ بين اثنين فإنهما يصعدان الخلاف، ولا يحتكمان إلى من يكبرهما، أو إلى من هو شيخٌ لهما، حتى ينتهي الخلاف سريعاً، ويظلوا إخوة متحابين متصافين.

فلما حكوا لرسول الله ﷺ أقر هؤلاء وأقر هؤلاء، والأمر لم يحتاج إلى خلاف، لأن هذا فهمٌ استنبطوه من كلام رسول الله ﷺ.

ذهب سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه الكرام متجهين إلى بني قريظة، وبنو قريظة قبل الإسلام كان لهم أصدقاء من الأنصار، فقالوا: أرسلوا لنا واحداً نتفاوض معه، فقيل لهم: نرسل لكم سعد بن معاذ، قالوا: لا إنه شديد، بل نريد واحداً ممن كنا نحبهم، فقالوا: ومن تريدون؟ قالوا: نريد أبا لُبابة الأنصاري، فأمره النبي أن يذهب إليهم وينظر ماذا يريدون؟ فركب ركوبته وذهب إليهم فقابله اليهود، ووجد الرجال والنساء والأطفال

---

٦٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٦٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

خائفين، فسألوه: ماذا هناك؟! فلم يتكلم ولكنه أشار إلى رقبته بالذبح، يعني معناها أنكم سوف تُذبحون كلكم!! لكنه بمجرد أن فعل ذلك اعتقد أنه خان الله ورسوله ﷺ، لأن هذا سرٌ حربي لا يصح أن يُظهره، فماذا يفعل؟ رجع وربط نفسه على عامود من أعمدة مسجد رسول الله وكان من النخل، وقال:

{ لا أَبْرَحُ مَكَانِي حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللَّهَ لا يَطَأُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلا يَرَانِي اللَّهُ فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبَرُهُ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدِ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، أَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانَهُ، حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ }[٦٤]

يعني لو ذهب لرسول الله، سيستغفر له الله وينتهي الأمر على ذلك: ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ فلا بد للإثنين معاً، يستغفر الله من الذنب الذي جناه، وأي ذنب يرتكبه أي عبد من عباد الله المسلمين يكون فيه مخالفة لرسول الله، فيحتاج لمسامحة رسول الله، وهذه في: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾.

وليس كما يقول بعض الجهَّال: يعني هل سيشارك الله؟ لا، أنت عملت ذنباً، فهذا الذنب مخالفة شرعية، وكونك خالفت الله، فقد خالفت رسول الله الذي جاء بهذه الشريعة من عند الله، فأنت ليغفر لك الله تحتاج أن تستغفر الله وتتوب وتندم على ما فعلت، ثم يسامحك رسول الله لتتم المغفرة من الله ﷻ: ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ فيواجههم باسمه التواب، ويواجههم باسمه الرحيم، ويغفر لهم هذه الذنوب.

وهناك وجه آخر في الآية ولكنه لأهل العناية، ولذلك لا نصوغه لأهل الغواية ولا في المجالس العامة، فالرسول ﷺ له ورثة ينوبون عن حضرته، وفي الأثر الوارد:

((من أراد أن يراني فلينظر إلى ورثتي، ومن رأى ورثتي فكأنما قد رآني، ومن رآني حرَّم الله جسده على النار)).

والورثة الذين معهم إذن من رسول الله ﷺ، جعلهم الله نوراً لهذا العصر، فإذا

---

٦٤ جامع البيان للطبري

الإنسان ذهب إلى وارث منهم واستغفر الله وتاب إلى الله وسأله أن يشفع له عند الله، فإن الله ﷻ يتوب عليه باستشفاع هذا الرجل الصالح له، ودعاؤه له سُنَّة الله، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً.

التسليم للنبي

بعد ذلك يطالب الله كل مسلم بالتسليم للنبي ﷺ في حياته، والتسليم لشريعته بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولذلك جعلت من تمام الإيمان التسليم التام للنبي العدنان وشريعته، حتى أن الله ﷻ ليُؤكد لنا هذا الأمر أقسم بذاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يؤمنون إيماناً كاملاً، وتمام الإيمان ماذا يحتاج؟ ما ذكره حضرة الرحمن: ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ هذه واحدة، وبعد ذلك: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ وهذه الثانية، وبعد ذلك: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ وهذه الثالثة.

ثلاثة أركان إذا قام بها المرء عاملاً، أصبح عند الرحمن تام الإيمان كما ذكر الرحمن ﷻ.

وهذه الآية لها أسباب نزلت فيها، فقد روت كتب التفاسير أن سيدنا الزُبير بن العوام ﷺ كان له أرض في مكان مرتفع، وواحد من أهل المدينة له أرض بعده منخفضة عنه، والمياه عندما تأتي تأتي من الأعلى وتمر على أرض الزبير، وبعدها تذهب لأرض الرجل الثاني، والزبير أمه هي عمة رسول الله ﷺ.

فالرجل ذهب يشكو الزبير لسيدنا رسول الله، وقال له: منع عني المياه، فحكم سيدنا رسول الله ﷺ في القضية بالسوية، وهو ﷺ ليس عنده عصبية ولا محسوبية ولا قبلية، وإنما يحكم بما أراه الله ﷻ، فقال:

{ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ }[٦٥]

يعني اسق أرضك ثم اترك الماء ليسقي هذا الرجل أرضه، هل فيكم أحدٌ يحكم بحكم آخر غير هذا؟! فلو أنا حكمت بأن يشرب من كان في الأسفل أولاً، فهل من كان فوق يستطيع أن يشرب؟! لا، لأن المياه لا ترجع لأعلى.

---

٦٥ صحيح البخاري

لكن الرجل – والله أعلم كان فيه ميل للمنافقين – قال له: لأنه ابن عمتك أنت حكمت له، فغضب النبي ﷺ وقال للزبير:

{ اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ يَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْجَدْرِ وَاسْتَوْعَى لَهُ حَقَّهُ}[٦٦]

أي اسق حتى تصل إلى الأسوار التي حولك، وهذا هو الصواب، لأن ما لا يشرب الآن، فلن يشرب بعد الآن، ثم أترك له الماء.

وكان هذا سبب نزول هذه الآية، فالتسليم هنا لا يقع من المنافقين، إنما التسليم التام من المؤمنين بالله تعالى عن صدق ويقين.

هناك رواية أُخرى وهي أن أحد المسلمين حدث خلاف بينه وبين أحد اليهود، فاليهودي قال له: نحتكم إلى النبي، فذهبوا للنبي وحكم لليهودي، فالحكم لم يعجب المسلم، وقال لليهودي: نذهب لفلان اليهودي ليحكم بيننا!!، فذهبا ومرا على عمر وحكيا له الأمر ليأخذا برأيه، فقال اليهودي: أنا قلت له نذهب للنبي وحكم بكذا ولم يعجبه، وقال نذهب لفلان اليهودي، فما رأيك؟ قال له سيدنا عمر: أنت تريد حكمي؟ قال: نعم، قال: انتظر، فدخل عمر وأتى بسيفه وخرج وقطع رقبته، وقال: هذا جزاء من لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ، فنزلت الآية.

وكثير من المفسرين مالوا لهذه الرواية، لأنه لا ينبغي التسليم لرسول الله ﷺ، ثم عدم الرضا بحُكمه، لأننا نعلم علم اليقين قول رب العالمين:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب الحديث عن حضرته، وبعض المنافقين قالوا له: إن النبي بشر قد يغضب وقد يرضى، وما يقوله في الغضب غير الذي يقوله في الرضا، فذهب سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص لرسول الله ﷺ وقال له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلا حَقًّا }[٦٧]

---

٦٦ صحيح البخاري
٦٧ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لأنه ﷺ كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }[٦٨]

كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكان أصحابه الأجلاء على هذه الوتيرة، فسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في عصر خلافته قابل قاتل أبيه الخطاب، فقال له: غيّب وجهك عني فإني لا أريد أن أراك، فقال الرجل: هل تمنعني حقاً هو لي؟ قال: لا، فقال الرجل: الحب والبُغض من شأن النساء، يعني لا يهمني أن تحبني أو تغضب عليَّ.

المهم أنهم كانوا لا يقولون إلا الحق ولو على أنفسهم، فأنزل الله هذه الآية حتى نعلم جميعاً وجميع المؤمنين إلى يوم الدين، بأنه ينبغي التسليم للنبي ﷺ في حياته لمن عاصروه، وينبغي التسليم لشريعته إلى آخر الزمان، وهي الكارثة العُظمى التي يقع فيها كثير من أهل مجتمعنا الآن.

من الذي يرضى بحكم الله الآن في توزيع الميراث؟ القلة القليلة!!

لكن الكثير بعد أن ينتقل صاحب الشأن إلى جوار الله يحكمون بالأهواء، يقولون بأن البنات ليس لهن نصيب في الميراث، ويكفي أنها تزوجت ونزورها، وكيف أن أرض فلان تذهب لفلان وهو من عائلة أُخرى؟! وإذا تمسكت بحقها يحدث التهديد والوعيد لها بالمقاطعة، وإذا أصرّت يشترون منها الأرض بثمن بخس، وإذا كان لها جار وله حقٌ فيها أو رجل غريب، يجبرونها على التراجع عن البيع، وهذا اسمه عدم التسليم لشرع الله ﷻ.

أحداث الطلاق التي زادت عن الحد في هذا الزمان في بلد الأزهر الشريف، وفي السنة الأولى من الزواج، بعد شهر أو بعد شهرين أو بعد ثلاثة أشهر، فننظر من الذي يطلق بالمعروف ويُعطي للزوجة حقوقها الشرعية التي أوجبها عليه رب البرية ﷻ؟ لا يوجد إلا القليل، والكل يتحايل إما ليسلبها حقها، أو ينتقص من حقها، ونسوا أن الإنسان إذا نجا من محاكم الدنيا، لن ينجو من محكمة القضاء الإلهي يوم القيامة!! فأين تذهب هناك؟! لا يوجد محام يُزوِّر، ولا شهود زور، وكل شيء سجَّله عليك الله ﷻ

---

٦٨ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

بجوارحك، وبالأرض التي تمشي عليها، ومع الكرام الكاتبين، وكلهم شهود صادقون! ..

أحوال كثيرة لا أُريد سردها، ولكن المهم في هذا الأمر التسليم ينبغي أن يكون لشرع الله ﷻ.. وما معنى التسليم لشرع الله؟ يعني إذا عملت أي عمل أياً كان، إن كان في بيتي، أو كان في عملي، أو كان مع جيراني، أي عمل لا أعمله إلا بعد أن أسأل وأتأكد من شرع الله وحكم الله في هذا العمل، فهذا فرض على كل مسلم إن كان لا يعلم، فالجهل ليس عذراً: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (﴿٤٣﴾النحل).

لا بد أن يسأل في أي أمر من الأمور، حتى يتيقن أنه يمشي على الصراط المستقيم الذي يدعو الله في كل ركعة من ركعات الصلاة أن يهديه للمشي عليه، ليكون: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (﴿٦٩﴾النساء).

تحكيم شرع الله

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ شجر يعني خلاف حدث بينهم، وخلاف متفرع، فالشجر نسميه شجر لأن له فروع كثيرة، فحتى الخلاف وإن كان متفرعاً لخلافات كثيرة، فلا بد أن نحكِّم رسول الله، وفي هذا الزمان وما بعده نحكِّم شرع الله.

ومن أين نأخذ شرع الله؟

من العلماء الذين وصفهم الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾ (﴿٣٩﴾الأحزاب) لا تسأل إلا أهل خشية الله ﷻ، لأنه ربما يكون عالماً بالفقه والشريعة ولكن ذو هوى، يميل مع هذا لأنه صاحبه، أو يميل مع هذا لهدية، أو يميل مع هذا لعطية، فيكون قد خرج من الإطار ولا يجب أن نرجع إليه في اتخاذ القرار.

فمن نسأل؟

الذين يخشون الله ﷻ، ويراقبونه في كل حركاتهم وسكناتهم.

التسليم الباطن

جائز أسـلِّم للشـرع ظاهراً، لكن لا أكون مسـتريحاً باطناً، فكذلك لا يتم الإيمان، لكن لا بد أن يكون التسليم ظاهراً وباطناً.

وما معنى باطناً؟ معناه الرضا التام على أحكام الله، وعلى شرع الله في أي قضية أنا مُقدِم عليها، فلا أعترض بباطني، كما لا أعترض بظاهري، وهذا الشرط الثاني: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ ﴾ حرجاً يعني ضيقاً.

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ بعد ذلك لا بد أن يعلم علم اليقين أن حكم الشرع في صالحه ولمنفعته في الدنيا ويوم الدين، فلا يعتقد أن حكم الشرع يكون فيه غُبن له، أو يكون فيه ظُلم له: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (﴿٤٦﴾فصلت) هذه آداب التسليم لرسول الله ولشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نجد الآن ظواهر تُقلق أهل الإيمان، يعني عندما نجد أهل الإيمان منذ عصـر النبوة كلهم متفقين وموقنين على أن الحجاب للمرأة المسلمة فريضة، وليست حرة لتلبس ما تشاء، بعضهم قال: الحجاب أن تستر جميع أجزاء جسمها بما في ذلك الوجه، لكن الغالبية والجماهير قالوا: ما عدا الوجه والكفين، والإمام أبو حنيفة ﷺ أضاف إلى ذلك القدمين، لكن ليس شيئاً بعد ذلك، فالحجاب فريضة إسلامية.

لكن نرى مهاجمين للحجاب الإسلامي في وسائل الإعلام المختلفة، وعلى الفيس وغيره، وأن المرأة المسلمة يجب أن يكون لها حرية الزي وحرية اللبس، فما معنى ذلك؟ عدم التسليم لشرع الله، وآية: ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ (﴿٣١﴾النور) بعد تفسير ابن عباس لها وتفسير السيدة عائشة لها، تجد المحدثين يفسرونها تفسيراً آخر يؤيد رأيهم، ويوافق وجهات نظرهم، وكأنهم يلقون بكل كلام القدامى في الكتب والآراء عرض الحائط، ويريدون ظهور إسلام جديد، فهذه الأمور التي تحتاج أن نحرص عليها، وهي: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾.

فلِمَ تُنشر هذه الآراء، لا نسمعها، ولا نقف عندها، ولا نناقش أهلها، ونُصِّر على أن نعمل بما توافق عليه أهل السُنَّة والجماعة حتى نكون ممن قال الله فيهم: ... ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ قال ﷺ:

{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }[٦٩]

فنحن ليس لنا شأن بأهل الشذوذ عن الله ﷻ، هذا الأمر يحتاج منا أن نتحرَّى في كل حركاتنا وسكناتنا أن تكون مطابقة لشرع الله، لماذا؟ لأنك أسلمت الوجه لله، ورضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالشرع الشريف حاكماً، فلا بد أن تستسلم لحكم الله ﷻ، الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول لنا في ذلك:

لسنته فاخضع وكن متأدباً وحاذر فحصن الشرع باب السلامة

ويقول عن الشريعة:

على الجمر قف إن أوقفتك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمةِ

لو أن الشريعة قالت لك: قف على الجمر فقف وسلِّم، فسيُحوِّل الله هذا الجمر ويكون برداً وسلاماً، لماذا؟ لأنك امتثلت لحكم الله ولشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لا بد أن نحافظ كلنا على شرع الله، وخاصة في هذا الزمان، فقد كثُر فيه الذين وصفهم النبي بأنهم غُثاءٌ كغثاء السيل، فالحرب التي تواجهنا الآن من جهات شتَّى، أشدُّها علينا ممن ينتسبون إلى الصوفية ويتخلون عن الشريعة المطهرة الإلهية، ويدَّعي أنه يمشي على الشريعة، وأنه يرى بنور الله، وأنه له كرامات، وتجد بعضهم يترك الصلاة!.

وهل حضرة النبي ﷺ ترك الصلاة حتى في أنفاسه الأخيرة؟! لا، بل عندما كان مريضاً عصَّب رأسه بعصابة وقام متكئاً على عليٍّ بن أبي طالب والعباس، حتى دخل المسجد الشريف وكان آخر وصاياه وآخر كلماته:

{ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }[٧٠]

فعندما يدَّعي أحدهم أنه من أهل الوصول، أو من الصفاء، أو غيره ويترك الصلاة، ففعله يكذِّب قوله، وهذا لا بد أن نضرب به عرض الحائط.

فلا نقول كما يقول بعض العوام أنه رجلٌ مجذوب وله حال مع الله، وهو يُصلي بكيفية أُخرى لا نعرفها، وهل صلاتنا فيها كيفيات أم كيفية واحدة؟!!

---

٦٩ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٧٠ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ

كيفية واحدة، والمجذوب الحقيقي لا بد أن يرده الله ﷻ وقت الصلاة ليؤديها مع جموع المسلمين، ولا يقوم أبداً بانتهاك حُرمة شهر رمضان فيُفطر ظاهراً في الشارع أمام الآخرين، فلا بد أن يصوم لأنه سيكون في يوم من الأيام قدوة يقتدي الناس به.

حتى ولو لم يكن له أتباع، فله أُناس يعشقون أحواله هذه، فيمشون خلفه، وبذلك يكون قد ضلَّ وأضَّل وزلَّ وأزَّل، لكن كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

من ترك الشرع الشريف فليس من آل العزائم فافهمن برهاني

يعني الذي يترك الشريعة فهذا ليس منا، لأننا أولى الناس باتّباع شرع الله ﷻ.

هناك حادثة تحدث وقد تثير بعض المشاكل بين الأحباب وبعضهم، ونحن نتعشم في بعضنا، ولكن لا بد أن نطبق شرع الله، يقول لأخيه: أنا أريد منك ألف جنيه سلف، يقول له: لا مانع ولكن اعطني مستنداً، فيحزن ويغضب ويفتعل مشكلة، لكن أليس الله الذي أمر بذلك؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ ﴾ (٢٨٢البقرة) حتى ولو كان شيئاً بسيطاً: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ (٢٨٢البقرة) ولا بد أن يحدد الأجل أيضاً، ومتى يسدده؟ وهذا أمر الله.

نفرض أنه أخٌ شقيق، وطلب قرضاً مني، وأنا معي، فيجب اتباع الشرع الشريف، لماذا؟ لأن الشرع يحفظ الحقوق .. نفرض أن أحدنا مات، مَن مِن أولادي أو أولاده يعلم هذا الحق؟ وهل أسافر وعليَّ دين؟ قال ﷺ:

{ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ }[٧١]

الميت مرهونٌ أو محبوسٌ في قبره بدينه حتى يُؤدي عنه، وأولاده قد يقولون: لم نأخذ منك شيئاً، فماذا أفعل؟!

لذلك لا بد أن أكتب مستند بيني وبينه.

ولا بد أن أنام على وصية مكتوبة حتى يعرفها أولادي، لأنه لا يعلم أحدٌ متى يأتيه الموت، فلا بد للإنسان أن يضع وصيته تحت رأسه عند النوم، أو على الأقل كما نفعل

٧١ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

الآن يكون معي نوتة وأضعها في مكان يعرفونه، حتى يعلموا ما ليَّ وما عليَّ، وليس مُهماً ما لي، ولكن المصيبة فيما هو عليَّ والذي أُسجن به.

فلا بد أن ألتزم بالشرع الشريف !

فالأصدقاء لو طلب أحدهم من زميلة أو صديقة ورقة مكتوبة بما اقترضه منه، قد تضيع الصداقة وتصير عداوة، لكن الشرع هكذا، ولو طبقنا شرع الله في هذا الأمر، فلن يحدث خلاف أو إتلاف أو إنكار كما نرى الآن في كل ليل ونهار ..!!!

يقول له: لم آخذ منك شـــيء، لأنه لا يوجد ما يُثبت ذلك، فلا بد أن تُكتب ويكون هناك شهود في هذا الأمر.

إذا قسَّمنا الميراث، فلابد أن يُكتب التقسيم، إن كان تقسيم ميراث أراضي، أو تقسيم ميراث مباني، لماذا؟

حتى لو مات أحدنا فأولادنا يعرفون حق أبيهم وحق عمّهم.

هذا ما أمرنا به الله.

أن نطبق شـــرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كل أحوالنا، ولا نســـتصـــغر أمراً، وإنما القرآن الكريم والشرع الحكيم لم يترك لنا حرية التصرف في أي أمر إلا بعد الرجوع والخضوع إلى شرع الله ﷻ.

كثير منا مقصـــرون في بعض هذه الأمور، لأننا لا نأخذ الشـــريعة بحذافيرها، لكن نحاول قدر الإستطاعة ونعمل بقول الله:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١٦التغابن).

أسـأل الله ﷻ أن يرزقنا إيماناً صـادقاً، ونوراً سـاطعاً، وخشـية في قلوبنا، وسـكينة تنزل علينا من عند ربنا، وأن يتغشـانا برحمته، وأن يحفنا بخيره وبركته، وأن يجعلنا في الدنيا من خيار المتَّبعين لشـريعته، وفي الآخرة من خيار الواقفين بين يدي حضـرته، وأن يسـمح لنا أجمعين بالنظر إلى جمال طلعته، وأن يُسكننا الجنة في جوار خير بريته.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٦)

فضل الله على رسول الله ﷺ[٧٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (النساء).

خصائصة في الحياة الأولية	خصوصياته في حياته الدنيوية
الحكم بما أراه الله	عدالة الإسلام
عناية الله برسوله	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي خصَّنا بألطافه، ووالانا بإسعافه.

والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، الذي آثره مولاه وحباه وأعطاه، وخصَّه بخصوصيات لم يخص بها أحداً من رسل الله، لأنه ﷺ محبوب ذات الله، صاحب مقام قاب قوسين أو أدنى في القرب من مولاه، ..

صلى الله عليه وعلى آله الذين تابعوه، وأصحابه الذين بايعوه، وأتباعه الذين أفردوه بالقصد، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بجودك ولطفك يا أرحم الراحمين.

في القرآن آياتٌ كريمة تتحدث عن الخصوصيات التي خصَّ بها الله ﷻ رسوله الرؤوف الرحيم ﷺ، وخصوصيات حضرة النبي لا يستطيع إنسانٌ عدَّها ولا حصرها!!

وحسبنا أن نكتفي فيها بما ذكره الله لنا في كتاب الله، فله ﷺ خصوصيات في البداية الأولية، وله خصوصيات في حياته الدنيوية، عندما كُلِّف بالرسالة، وله خصوصيات في الجوانب التشريعية، وله خصوصيات عُظمى في الحياة الأُخروية.

---

٧٢ الأقصر – أولاد الشيخ ١٥ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١٢/١٢م

خصائصه في الحياة الأولية

أما موجز إشارات خصائصة في الحياة الأولية فهو قوله ﷺ:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ }[٧٣]

وسأله صحابيٌّ جليل وهو سيدنا جابر بن عبد الله: يا رسول الله ما أول ما خلق الله؟ قال:

{ نُورُ نَبِيِّكَ مِن نُورِه يَا جَابِر }[٧٤]

هو أول النبيين في الخلق، وإن كان خاتمهم في البعث صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهو وحده الذي واثق له الله النبيين والمرسلين أجمعين أن يؤمنوا به ويتبعوه ويبلغوا أممهم أوصافه ﷺ، ويأمرونهم إذا حضروا زمانه أن يبايعوه ويؤمنوا به وينا صروه:.. ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٨١آل عمران).

فكان المُواثِق هو الله، والمواثَق له هو سيدنا رسول الله، وهذا هو العجب العجاب، أن الله بذاته وكمالاته يواثق المرسلين والنبيين لحبيبه ﷺ، لنشم على قدرنا رائحة من مقام حضرته عند مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

خصوصياته في حياته الدنيوية

أما في حياته الدنيوية فكان له خصوصيات شتَّى، أولها وأبرزها أن الله ﷻ فرض علينا خمس صلوات في كل يوم وليلة، بينما فرض على حضرة النبي ست صلوات، الخمس المعروفة، والسادسة التي قال له فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ (المزمل) وقُم فعل أمر، فأصبح قيام الليل فريضة على رسول الله ﷺ، ومن أراد أن يكون معه في يوم الدين، وفي الجنة العالية في جوار النبيين والمرسلين فتح الله تعالى هذا الباب لنا أجمعين، فقال لنا في آخر سورة المزمل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

٧٣ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ
٧٤ مصنف عبد لرزاق عن جابر بن عبد الله ﷺ

ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ (المزمل).

فالذي يريد أن يكون معه هو الذي يُلزم نفسه بقيام الليل، لأن الله لم يلزمه لأنها نافلة، لكنه هو الذي يُلزم نفسه بقيام الليل إذا كان راغباً في هذه المنزلة العالية والدرجة الرفيعة التي هي من الله دانية؛ درجة محمد رسول الله والذين معه، فقيام الليل خصوصية لرسول الله ﷺ.

أمرنا الله ﷻ بصيام شهر رمضان، وسنَّ لنا الحبيب ﷺ صيام بعض الأيام الفاضلة، كالإثنين والخميس، والأيام القمرية من كل شهر، وهي أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربي، وست أيام من شهر شوال، وأيام المناسبات كيوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم الخامس عشر من شهر شعبان، وأنا سُقتهم على حسب الترتيب الذي وضعه النبي العدنان ﷺ بحسب أولوياته النبوية، وأمرنا حضرة النبي في الصيام أن نتسحر وقال لنا:

{ تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً }[٧٥]

وأمرنا أن نفطر عند غروب الشمس وقال لنا:

{ لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ، وَأَخَّرُوا السُّحُورَ }[٧٦]

لكن بعض الشباب كان عندهم فتوة وقوة فقالوا: نتابع حضرة النبي في هذه العبادات الخاصة، لنحظى بهذا الفضل العظيم، ونكون من أهل هذا الكرم العميم، من الرحمن الرحيم ﷻ، فقالوا: نذهب لنسأل زوجات حضرة النبي ﷺ عن الخصوصيات التي يعملها لنشاركه فيها، وكانوا ثلاثة، قال أحدهم:

{أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[٧٧]

---

٧٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٧٦ مسند أحمد عن أبي ذر الغفاري ﷺ
٧٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

فكان في هذ الحديث الشـــريف كفًّاً لكل من أراد أن يتابع حضـــرة النبي في خصوصياته، إلا إذا كان له أمرٌ إلهي، لأنه لو معه أمرٌ إلهي ستأتي له معونة الله وتوفيق الله وقوته، وما دام معه قوة الله ومعونة الله وتوفيق الله فإنه يستطيع أن يقوم بهذا الأمر تشبهاً على قدره برسول الله، فخُصَّ ﷺ في الصيام بصيام الوصال، والسيدة عائشة تصف صيام رسول الله ﷺ فتقول:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ }[٧٨]

يعني يصوم أيام متتالية بدون سحور ولا فطور، وهو صيام الوصال حتى أن بعض الأشداء في العبادة كسيدنا عبد الله بن عمر، وسيدنا عبد الله بن عمرو، وهؤلاء كانوا من أئمة العُبَّاد من أصحاب حضرة النبي ﷺ وغيرهم، أرادوا أن يتابعوه، فقال ﷺ مبيناً خصوصيته:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ }[٧٩]

نهى عن صيام الوصال، لأن هذه خصوصية لرسول الله، ولذلك تجد في آيات سورة الأحزاب أمر غريب من الله ذكره عن حبيبه ومصطفاه:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ (٣٨الأحزاب).

لذلك لم يكن عنده مشقة، ولا تعب ولا عناء في الخصوصيات التي كلَّفه بها مولاه، أما نحن فعلينا أن نأخذ باليُسر الذي جاءنا به سيدنا رسول الله، لأننا نستمد قوتنا من الله، وفارقٌ كبير بين إمداد الله لحبيبه ومصـــطفاه، وإمداد الله لأهل أمته من البدء إلى الختام، ونحن كلنا من البدء إلى الختام، لن نأخذ قدر ما أخذه النبي المختار المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

٧٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٧٩ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ

الحكم بما أراه الله

من هذه الخصوصيات الخصوصية التي في هذه الآيات المباركة التي معنا:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾

يعني أنزلنا عليك الكتاب، لكنك تتلقَّى في كل نَفَسٍ وحيٌ إلهاميٌّ من الله، ولا تنطق بكلمة إلا عن وحيٍ من الله:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

فأنت غير القضاة! ..

فالقاضي لا بد أن يحكم بما أمامه من أدلة.

والقاضي لا يجوز له أن يحكم بما رأى بعينيه وإلا يكون شاهداً، فنفرض أنه رأى حادثة بعينيه لكن الأوراق لم تُستوف بالشهود، فلا يحق له أن يحكم ! ..

سيدنا عمر جمع أصحاب النبي ذات مرة وقال لهم:

ما رأيكم لو رأى خليفة المسلمين رجلاً يواقع امرأة، ماذا يصنع؟ قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: يُجلد ثمانين جلدة إن لم يأت بأربعة شهداء، مع أنه أمير المؤمنين، لأن النظر بالعين ليس له شأنٌ بالحكم.

لو رأى القاضي رجل يقتل آخر، فلا يستطيع أن يُصدر الحكم إلا بناء عن براهين وأدلة حسية ومنطقية، وإلا نقول له: أنت شاهد، اترك منصة القضاء واشهد.

لكن من الذي يحكم بدون أدلة وبما أراه الله؟ ... هو سيدنا رسول الله ﷺ، وهذه خصوصية لحضرته ﷺ:

﴿ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾.

ولو استعرضنا السيرة النبوية ... نجد فيها أحكام لا عدَّ لها ولا حصر لها في هذه القضية، فقد سرق رجلٌ في عصر حضرة النبي ﷺ ..

والسارق في التشريع الإسلامي تُقطع يده، وإذا سرق في المرة الثانية تُقطع رجله،

وإذا سرق في المرة الثالثة تُقطع يده الثانية، وإذا سرق في المرة الرابعة تُقطع قدمه الثانية، وإذا سرق بعد ذلك يُقتل.

فقال ﷺ:

{ اقْتُلُوهُ، فَقَالُوا: إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: فَاقْطَعُوا يَدَهُ، فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ الْخَامِسَةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ بِهَذَا حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ، اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ }[80]

أمر رسول الله ﷺ بقتله، لكن كان عندهم حرية رأي ... ولم يكن عندهم استبداد بالرأي، فحكم الشريعة أن تُقطع يده !!

فلما ذكروا ذلك لرسول الله أمرهم أن يقطعوا يده.

وفي عصر سيدنا أبو بكر سرق للمرة الثانية، فقُطعت قدمه، ثم سرق للمرة الثالثة، فقُطعت يده الثانية، ثم سرق للمرة الرابعة، فقُطعت قدمه الثانية، ثم سرق للمرة الخامسة فاستوجب القتل !!!

فقال سيدنا أبو بكر: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ بِهَذَا حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ.

رسول الله كان يعلم ماذا سيفعل هذا الرجل، لأنه يحكم بما أراه الله ﷻ:

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

هذه الآية لها سبب للنزول، الله ﷻ لم يُنزل القرآن جملةً واحدة لأسباب لا تُعد ولا تُحد، منها على سبيل المثال ليسهل حفظه على أصحاب حضرة النبي، لأنه لو نزل جملة واحدة سيصعب حفظه، لكن كان ينزل بالسورة أو بعض آيات من السورة، وهم لصفاء قلوبهم وطهارة نفوسهم، كان النبي إذا نزل عليه قرآن يقرأه ثلاث مرات، ولكن يقرأه بتأني وتدبر وترتيل، فكان منهم من يحفظ الآيات من المرة الأولى، ومنهم من يحفظ الآيات من المرة الثانية، وآخرهم من يحفظ من المرة الثالثة.

---

٨٠ الأحاديث المختارة عن الحارث بن حاطب

وأيضاً تثبيتاً للمؤمنين في مواقف الشدائد، فقد كان ينزل القرآن ليؤيدهم ويثبتهم حتى لا يرتابون ولا يشكون، ولا يأتيهم هاجس شك في جناب الله وتأييده ونصره لهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أيضاً لينزل التشريع بالتدريج، لأنه لو نزل التشريع كله مرةً واحدة، فمن الذي يستطيع أن يستوعبه؟! ومن الذي يستطيع أن يعمل به؟! فأنزله الله بالتدريج لسهولة معرفته وتنفيذه وإطاعة أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه.

ومعظم الآيات قيَّض لها الله سبباً في الحياة الدنيا تنزل في وقته، لأن طبيعة البشر الحادثة أسرع شيء إلى ذهن الإنسان، وهي آخر شيء في النسيان، فالإنسان عندما يسمع قصة أو حادثة على الفور يحفظها، وعندما ينسى ينسى حديث أو حكمة، لكن صعب أن ينسى الحادثة إلا إذا أُصيبت الذاكرة بشيء من الأمراض أو الضعف أو ما شابه ذلك، فكل آية قيَّض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لها حادثة بينهم لتكون أثبت في قلوبهم، وأثقف لعقولهم.

رجلٌ من الأنصار اسمه طُعمة بن الأُبيرق كان مسلماً بالظاهر، لكن كان إيمانه فيه دغل وليس ثابت، وكان ساكناً بجوار سيدنا قتادة الأنصاري، وهو رجلٌ من الصحابة العظام، سيدنا قتادة ﷺ أتى بدقيق، ووضعه في مكان خاص، لأنه كان من يأكل الدقيق في هذا الوقت في المدينة المنورة قلة من الوجهاء والأغنياء، فما كان طعام الكل؟ كما قالت السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها:

{ كَانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِلَالٌ وَهِلَالٌ وَهِلَالٌ مَا يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِ نَارٌ، قيل: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ؟ قَالَتْ: عَلَى الْأَسْوَدَيْنِ التَّمْرِ وَالْمَاءِ }[٨١]

كان الأكل الرئيسي تمر وماء، إن كان إفطار أو غذاء أو عشاء كان هذا أكلهم، وهو أكل الضيف إن لم يكن هناك غيره، كان الرجل الغني يأتي ببعض الدقيق ويدخره لنفسه ويضعه في مكان يُسمى (المشربية)، وهو مكان عال بعض الشيء، لينام عليه ولا

٨١ مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها

ينام على الأرض، ويصنعوا له وحده منه رغيف برغيف.

فوضع سيدنا قتادة الدقيق ووضع معه سلاحه، والسلاح كان أغلى شيء عند العرب وعند المسلمين في حروب الجهاد مع النبي ﷺ، فدخل طعمة بن أبيرق وأخذ السيف، وحمل معه الدقيق، ولم ينتبه أن جوال الدقيق كان به ثقب، فكان الدقيق ينزل منه أثناء سيره، وكان مصاحباً لأحد اليهود فقال: أحفظها عند فلان اليهودي، وليس عندي، فوصل الدقيق إلى بيت اليهودي.

ثم جاء سيدنا قتادة فلم يجد الدقيق ولا السلاح، فقال: الدقيق ليس مهماً، لكن السلاح لا غنى لي عنه، فقال له من حوله: نتتبع أثر الدقيق، فأوصلهم إلى بيت اليهودي، فقالوا له: أنت الذي أخذت السلاح؟ قال: ليس أنا، ولكن الذي أتى به عندي هو طعمة، وشهد بذلك اليهود الذين حوله.

عائلة طعمة كانوا يعتقدون أنه رجل صالح، فأخذتهم العصبية، خوفاً من الفضيحة، لأن قتادة أوصل الأمر إلى حضرة النبي، فخرج واحد منهم وذهب لحضرة النبي وقال له: هؤلاء يتهمون طعمة زوراً، ويقولون: أنه أخذ السلاح مع أنه رجلٌ صالح، ومحافظ على الفرائض في أوقاتها، ومحافظ على صيام شهر رمضان والنوافل وكذا وكذا وكذا، ونحن نريدك أن تُبرئه، فظن النبي أن هذا الكلام صحيحاً، فطلب من قتادة أن لا يتهم مسلماً بريئاً، ، فنزلت هذه الآيات من الله ﷻ، لتثبت أن الله ﷻ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه ﷻ لا يترك رسوله لحظة من اللحظات، ولكن يواليه حتى لا يتركه لأهواء هؤلاء، ولا عصبيات هؤلاء.

فجاءوا بهذا الرجل وهو طُعمة بن أُبيرق، ولما وجد الأمر قد اشتد اعترف، فلما اعترف أراد النبي أن ينفذ فيه حد السرقة وهو قطع اليد، فهرب وذهب لمكة وارتدَّ، فكانت عاقبته أنه كان ينقُب جداراً ليسرق أهل بيت، فوقع عليه الجدار فمات، ومات على الكفر ولم يمت على دين الله ﷻ، وهذا الذي قال فيه الله لحضرة النبي: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

فوصف هؤلاء بأنهم خائنين، لأنهم برأوا متهماً، واتهموا بريئاً، وهذا لا ينبغي أن يكون أبداً حال أي مسلم من المسلمين في أي زمان ومكان، فأخطر جريمة يقع فيها مسلم على وجه الأرض، أن يتهم بريئاً وهو يعلم أنه بريئاً تمام البراءة.

عناية الله برسوله

وعاد الله ﷻ ليُعرِّفنا أنه يشمل حبيبه ومصطفاه بعنايته، وبقربه ومودته، فقال له لأنه لم يكن يعرف القضية: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾، وإياك بعد هذه المرة تجادل عن الذين خانوا أنفسهم، وخانوا الله ورسوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ يعني ظلموا أنفسهم لأنهم أرادوا أن يُبرئوا المتهم، ويتهموا البريء، وهذه خيانة لأن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ والخَوَّان يعني شديد الخيانة باستمرار، والخيانة ذنب كبير، قال فيها الله: (أثيماً) يعني عظيماً عند العظيم ﷻ .. ثم وجَّه الله الكلام إلى هؤلاء القوم لننتبه كلنا، فنحن كلنا عائلات، لكن علَّمنا الإسلام في هذه الآيات أن نعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[٨٢]، وفي الحديث الآخر:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[٨٣]

إياك أن تجادل من أجل أحدٍ من أهلك، وتعلم أنه على باطل، لأنك تكون شريكه في هذا الإثم، وشـريكه في هذا الوزر، حتى ولو كان ابنك، حتى ولو كان من أهلك، لأن الإسلام أمرنا أن نكون عُدول.

وعندما جاءوا إلى رسول الله بامرأة وشفعوا فيها لأنها من عائلة بني مخزوم، وهي عائلة كبيرة في مكة، وأرادوا أن لا يقيم عليها رسول الله حد السرقة، مع إنها اعترفت بالسرقة، والاعتراف سيد الأدلة!! فخافوا أن يكلموا رسول الله، فطلبوا من أسامة بن زيد – وهو الذي رباه حضرة النبي ويحبه – أن يكلمه، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وقال:

{ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا }[٨٤]

---

٨٢ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب ﷺ
٨٣ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ
٨٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لو أُزيلت العصبية الجاهلية من بيننا فعلى الفور الحق سيكون ظاهراً بيننا، وإذا أقمنا الحق نظر الله إلينا نظرة بعطف وحنان، وبدَّل حالنا إلى أحسن حال.

هذا الكلام إن كان في الأعمال، أو في البلاد، أو في الحقول، أو في أي شأنٍ من الشئون، المسلم دائماً يقول الحق ولو على نفسه، ولا يجامل أحداً على حساب نفسه، هذه المجاملة ليست جميلة له، ولكنها إثم وذنب ووزر عليك، وسيحاسبك عليه الله ﷻ.

فقال له: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أسرعوا وجاءوا لرسول الله ليدافع عنه !!!! قبل أن تُعرض عليه القضية، حتى يبرئوه، !!! وهم يعلمون أنه هو السارق.

﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ كان الله معهم وهم يخططون ويدبرون لينقذوا صاحبهم بالباطل، فاتهمهم الله في هذه الآية بعدة جرائم:

أولاً: أنهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله.

ثانياً: أنهم لا يراقبون الله ﷻ.

ثالثاً: أنهم اتهموا بريئاً وحاولوا أن يبرئوا متهماً.

وهذه خيانة عُظمى في نظر الله ﷻ.

إذاً خُلاصة القول أن رسول الله ﷺ وحده هو الذي له أن يحكم بما أراد الله، ولو لم توجد أدلة ولا براهين ولا شهود، لأن الله ﷻ يُعلِّمه من عنده الحق ويأمره أن ينطق به.

أسال الله العظيم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحي بنا الحق، وأن يميت بنا الباطل، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يُرشدنا إلى خير ما يُحبه ويرضاه، ويوفقنا لأحسن الأعمال التي تجلب لنا قربه ونجواه، وأن يجعلنا في الدنيا في كنفه ورعايته، حتى لا نزل ولا نذل ولا نضل، وأن يجعلنا في الآخرة تحت لواء شفاعة حبيب حضرته، وأن يجعلنا من الناظرين إلى جمال طلعته.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

النور والكتاب المبين[٨٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (المائدة)

أوصاف النبي عند أهل الكتاب	وظائف الرسول لأهل الكتاب
أوصاف النبي النورانية	وظيفة الكتاب الرباني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار حبيبه ومصطفاه، وربَّاه على عينه وجعله خير رسول أرسله الله لخلق الله، يقول له سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وذهبت إلى قيصر في ملكه، وذهبت إلى النجاشي في ملكه، وعاشرت العرب، فما وجدتُ مثل أدبك، فمن الذي أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[٨٦]

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وزده رفعة وقدراً عندك، وأعلي شأنه وشأن أمته في جنتك، واجعله وسيلتنا للنجاة يوم القيامة، وشفيعنا في دخول الجنة أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

لقد وجدنا أن خير احتفاء بسيدنا رسول الله ﷺ هو تلاوة الآيات القرآنية التي تتحدث عن سيرته الزكية، ومحاولة توضيحها وبيانها، لأن الله ﷻ أعلم بمن خلق، وهو الذي أعلى شأنه، ورفع قدره، وبيَّن مكانته في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٨٥ الأقصر – قاعة هوست ٢١ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/٧م
٨٦ الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلةعن علي بن أبي طالب ﷺ

أوصاف النبي عند أهل الكتاب

والآيات التي معنا كانت سجال بين أهل الكتاب، وبين النبي ﷺ، فإن أهل الكتاب قد ذكر لهم أنبياؤهم كل أوصاف النبي الذاتية والخُلُقية في كتبهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوا لهم أوصاف أصحابه المباركين من الخلفاء الراشدين والصحابة الهادين المهديين:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ (٢٩الفتح).

أين هذا الكلام؟

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ ﴾ (٢٩الفتح) فالتوراة لم تصف محمد رسول الله وحده، بل وصفته والذين معه، والذين شُرِّف بهم الأكوان من أصحاب النبي العدنان ﷺ، وكذلك: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (٢٩الفتح) ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في بقية الآية.

وذكر الله ﷻ أوصاف حبيبه ومصطفاه على ألسنة رسُل الله، حتى أصبحوا كأنهم يعرفونه كما قال الله: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ ﴾ (١٤٦البقرة) يعرفونه أكثر من معرفتهم لأبنائهم.

قيل لسيدنا عبد الله بن سلام ﷺ بعد أن أسلم، كيف كنتم تعرفون رسول الله أكثر من معرفتكم لأنفسكم وأبنائكم؟ قال: أنا لا أعرف على يقين أبنائي مني أم من غيري، لكن رسول الله بعد خبر السماء والوحي الذي نزل على الأنبياء أصبح خبراً يقينياً ليس فيه شكٌ ولا مراء.

ولذلك تروي كتب السيرة العجب العجاب في ما حدث لأهل الكتاب، فقد كانوا يعرفون مكان مولده، ويعرفون موضع هجرته، ويعرفون الأمارات والعلامات التي تظهر في السماء حين مولده، ولذلك ترك كثيرٌ من الأحبار والرهبان بلاد العراق وبلاد الشام، مع أنها حدائق غنَّاء، وبلاد فيها الأنهار وفيها العيون، وفيها كل ما تشتهيه الأنفس، وجاءوا إلى الجزيرة العربية وهي صحراء جرداء.

منهم من سكن المدينة لأنهم يعرفون أنها موضع هجرته، ومنهم من سكن في مكة

لأنهم يعرفون أنها موضع ولادته، ومنهم من سكن في عرفات، وكلهم كانوا على يقين.

رُوي أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى موضع عرفات وسكن هناك، وذهب إلى أهل مكة وقال: يا أهل مكة يوشك أن يُولد لكم مولود يكون هو نبي آخر الزمان، فكل من يُولد له مولود يعرضه عليَّ، وعندما وُلد الحبيب المصطفى ﷺ أخذه جده عبد المطلب وذهب إليه، فقال: كن أباه عندما رآه، وعندما رأى النبي والأوصاف التي وُصف بها في التوراة في وجهه الشريف، قال: اقتلوني واقتلوا هذا الغلام، قالوا: لماذا؟ قال: لأنه نبي الختام نبي آخر الزمان، فقالوا: لسنا بقاتليه فابحث لنفسك عمن يقتلك.

وبعد الولادة مباشرة أُصيب النبي ﷺ برمد بسيط في عينيه، وكان هذا الراهب يعالج أهل مكة من أمراض العيون، فأخذوه وذهبوا إليه، فقال: هذا علاجه معه، خذوا من ريقه وضعوه في عينيه يُشفى بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فكانوا يعرفون النبي ﷺ معرفة تامة عامة، ولكنهم أخفوا أوصافه الموجودة في التوراة والإنجيل، وحجبوها عن أتباعهم تمسكاً بقيادتهم الدينية لهم، والمنافع التي يجنونها من ورائها.

فكشف الله أمرهم في هذه الآية، وفي آيات أخرى من كتاب الله، وقال الله لهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الله ﷻ يعلِّمنا كيف نخاطب غير المسلمين، لا بالشدة ولا بالعنت وإنما باللين والمودة، فمع كفرهم وتكذيبهم لرسول الله، إلا أن الله يخاطبهم خطاباً يشدهم إليه، ويجذبهم إليه ويقول: (يا أهل الكتاب).

لم يخاطبهم بالكفر ولا بالشرك، لأن هذا قد ينفرهم، ولكن خطابهم بأهل الكتاب قد يقربهم فيعلمون أنهم أهل كتاب، والنبي جاء بكتاب، وأنبياء الله كلهم مرسلون من عند الله، وبينهم صلة قرابة وضعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيما بينهم من مبادئ هذه الأديان السماوية.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ أعلمهم في هذه الآية أن هذا الرسول مرسلٌ لكم، (جاءكم) يعني مرسلٌ لكم أنتم، و(جاءكم رسولنا) تُعطي دعماً كبيراً لحضرة النبي ﷺ، لأن الله أسند الرسالة إليه، هو الذي أرسله، وهو الذي كلفه، وهو الذي كلفه بتبليغ الرسالة صلوات ربي وتسليماته عليه، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ولكن الذين تمسَّكوا بالكتابين الذين لم يُحرَّفا ولم يُبدَّلا.

وظائف الرسول لأهل الكتاب

ما أول وظيفة من وظائف الرسول لهؤلاء: ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يبين الآيات التي أخفوها في التوراة والإنجيل، واليهود الذين بالمدينة مع أنهم أعلنوا العداوة لرسول الله ﷺ، إلا أنهم كانوا يمتحنونه بوسائل شتى، تارة يأتون بأسئلة يرون أنها معضلة فيأتون ويوجهونها إليه، فسألوه مرة عن أهل الكهف، ومرة عن ذي القرنين، ومرة عن العبد الذي كان مع موسى، وتأتيهم إجابة الله في سورة الكهف، ويسألونه مرة عن الروح، فيأتيهم جواب الله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥الإسراء) وغيرها من الأسئلة التعجيزية.

وأحياناً كان إذا حضر عندهم قضية واحتاروا في الحكم فيها يذهبون إلى حضرة النبي ﷺ ليحكم بينهم، وكانوا يميلون إلى المحاباة، فينصرون الأغنياء على الضعفاء والفقراء، فأتوا إليه ذات مرة برجل وامرأة ثبت عليهما جريمة الزنا، فقال ﷺ:

{ مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ؟ فَقَالُوا: نُسَخِّمُ وُجُوهَهُمَا وَيُخْزَيَانِ، فَقَالَ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَجَاءُوا بِالتَّوْرَاةِ، وَجَاءُوا بِقَارِئٍ لَهُمْ أَعْوَرَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ صُورِيَا، فَقَرَأَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ تَلُوحُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ وَلَكِنَّا كُنَّا نَتَكَاتَمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا }[٨٧]

وهذا معنى قول الله: ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فإذا كانوا فقراء وضعفاء أقاموا عليهم الرجم، وإذا كانوا أغنياء عفوهم من الرجم، وهذا كما قال ﷺ:

{ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ }[٨٨]

---

٨٧ مسند أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
٨٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

فبيَّن لهم الرســـول ﷺ آيات الأحكام التي في التوراة والتي أخفوها في أحكامهم، وبيَّن لهم أوصاف حضرته التي ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابهم.

وأوصاف حضرته يقول فيها سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان يقرأ كتب الأولين، عندما سُئل عن وصف رسول الله في التوراة:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[٨٩]

وهذا نص من النصوص الموجودة في التوراة التي ذكَّرهم بها رسول الله ﷺ.

﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾:

لم يكشــف كل الأمور، لأنه لا يريد أن يفضــحكم، ولا يريد أن يكشــف أمركم، وإنما يريد أن يســتر عليكم لعلكم تتوبون وترجعون إلى الله، وتؤمنون برســول الله الخاتم محمد ﷺ.

أوصاف النبي النورانية

ثم بين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوصاف هذا النبي القرآنية النورانية:

﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ النور هو رسول الله ﷺ، والكتاب المبين هو القرآن، وبعض السادة المفسرين قالوا: النور والكتاب المبين هو القرآن، لكن هذا لا يمشي مع سياق اللغة العربية لأن بينهما حرف الواو، والواو تقتضي المغايرة، يعني ما بعدها غير ما قبلها، فلو قلت جاء محمد وإبراهيم، فمحمد شخص وإبراهيم شخصٌ آخر، ولو قلت: جاء محمد إبراهيم فهو شخص واحد، فالواو تقتضي أن ما قبلها غير ما بعدها، فالنور هو سيدنا رسول الله ﷺ.

---

٨٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

والأدلة على نورانيته وشفافيته لا تعد ولا تحد، فقد كان ﷺ يدعو كل صباح بين ركعتي سُنَّة الفجر وصلاة الفجر دعاءاً مشهوراً متفقٌ عليه يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا }[٩٠]

ونحن نعلم علم اليقين أن دعاءه مستجابٌ من رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان يدعو بهذا الدعاء فإنه ﷺ قد ثبتت نورانيته لمن حوله من المؤمنين، أما الكافرين فإنه يقول فيهم: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف) لا يرون النور الذي فيك، والذي جمَّلك به خالقك وباريك ﷻ.

هذا النور لمسه أصحابه المباركين، فقد قالوا عنه ﷺ: **((كان إذا مشى لا يُرى له ظل))** والشيء الذي ليس له ظلٌ هو النور، فالمصباح الذي نراه فوقنا ليس له ظل لأنه نور، وأي جرم آخر لا بد له من ظل، لكن رسول الله ﷺ كان إذا مشى لا يُرى له ظل صلوات ربي وتسليماته عليه، ويقول سامعوه عند حديثه ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[٩١]

يعني من بين أسنانه الأمامية، هم يرون هذا النور بما في قلوبهم من نور الإيمان، أما أهل الكفر والظلمات لا يرون هذا النور لأن نور الإيمان لم يصل إلى قلوبهم، فلا يستطيعون أن يروا نور الحبيب ﷺ لانطماث بصيرتهم؛ وكان ﷺ كما قيل عنه: **((ما رُؤي ﷺ مع شمس ولا قمر ولا مصباح إلا وكان نوره أزهى من نور الشمس، وأبهى من نور القمر، وأوضح من نور المصباح))** لأنه ﷺ كان نوراً ربانياً من نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالرسول ﷺ نور، والقرآن الكريم نور:

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٥٢الشورى)

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نور:

---

٩٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
٩١ معجم الطبراني وسنن الدارمي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٣٥النور)

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (٣٥النور).

﴿ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ :

يعني المبين والموضح لكل شيء يحتاجه الإنسان في دنياه، أو يحتاج إلى العمل به ليسعد في أخراه، منذ بعثته إلى أن يرث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأرض ومن عليها .. فما من شأن من الشئون ظهر أو سيظهر إلا وتجد له في القرآن خبر، ولذلك قال ﷺ عن القرآن الكريم:

{ كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ }[٩٢]

فيه خبر الماضين من أمم الأنبياء والمرسلين، وفيه خبر المعاصرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفيه أخبار البرزخ ويوم القيامة، والبعث والنشور إلى فريقٌ في الجنة وإلى فريقٌ في السعير: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ (٤٩الكهف).

وظيفة الكتاب الرباني

هذا النور النبوي وهذا الكتاب الرباني، ما وظيفتهما؟ ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ يهدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالنبي العدنان، ويهدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالقرآن من اتبع رضوانه، ودخل الإيمان في تجاويف قلبه إلى السُبل – يعني الطرق – التي تؤدي به إلى السلامة والنجاة من أهوال الدنيا ومن أهوال يوم القيامة.

﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الشك إلى نور اليقين:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾ (الشورى).

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يُعلِمنا ماينفعنا، وأن يهب لنا علماً رافعاً، ونوراً ساطعاً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

٩٢ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

(٨)

استجابة المؤمنين لرسول الله ﷺ[٩٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنفال).

القلوب النيِّرة	وصف الكافرين والنافرين	أهل الذكرى
أهل الحرمان	الحياة الإيمانية	الاستجابة الإيمانية
ثبات الإيمان	التنبّه للفتن العصرية	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما منَّ به علينا جماعة المؤمنين من وسائل ربانية تجعلنا نهتدي إلى الله، ونقتدي بخير خلق الله سيدنا محمد وصحبه ومن والاه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية، ... ومعدن العناية الإلهية، وكوكب الأنوار الربانية ...

وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين

آمين آمين يا رب العالمين.

الآيات التي معنا لو استمعناها بعقل يعي كلام الرحمن، سنعرف بها فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا، والخصوصية التي خصَّنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها من بني الإنسان.

٩٣ الأقصر – الرزيقات بحري ٢٥ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ١١/١١/٢٠٢٠م

القلوب النيرة

فإن أهل الإيمان خصَّهم الله ﷻ بالإضافة إلى الأجسام الظاهرة بقلوب باطنية نيرة، فيها عينٌ تنظر إلى جمال الله، وبها آذانٌ تستمع إلى كلام الله، وإلى كلام حبيب الله ومصطفاه، وإذا صفت تستمع إلى جميع الكائنات وهي تسبح الله، وبها لسانٌ يناجي حضرة الرحمن ويتكلم به مع الملائكة الذين هم عباد الرحمن، وقد يكرمه الكريم فيتكلم به مع كل الكائنات بلغتها اكراماً من الله تعالى لهذا الإنسان، وهذه عناية الله بالمؤمنين.

أما غير المؤمنين من الكافرين والمشركين والضالين من بدء البدء إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين فليس لهم إلا هذه الأعين الظاهرة، وهذه الآذان الواضحة، وهذه الألسن المتحركة، وليس معهم الجهاز الخاص بالمؤمنين، ولذلك لو جئت لهم بكل العلماء الذين فتح الله عليهم فتحاً وهبياً إلهياً فإن آذانهم عن كلام هؤلاء العلماء صماء لا يسمعون، وبصيص النور الذي يظهر من حضرة النبي ﷺ، وكان يراه أصحابه المؤمنين لا يبصرونه: ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف) والأعين التي ينظرون بها في ملكوت السماوات والأرض مفقودة غير موجودة، فلا يرون إلا المظاهر، ولا يرون فيها حتى نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الظاهر.

حتى لا نغتر بالأجسام، لأن العبرة بما في الأجسام من أجهزة نورانية وضعها فيها الملك العلام تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وصف الكافرين والنافرين

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هؤلاء القوم وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاً شنيعاً في كتاب الله، فوصفهم أولاً أنهم دواب، ولذلك يقول في الآية الأخرى: ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤الفرقان) هم أضل من الأنعام لأن الأنعام تسبح الله وتذكر الله، وهؤلاء لا يذكرون الله قليلاً ولا كثيراً، فوصفهم الله بأنهم شرٌ من كل هؤلاء الأنعام وقال فيهم: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾.

وكلمة الدواب جمع لدابة، وكل شيء يدب أو يمشي على الأرض نسميه دابة، إن كان يمشي على أربع، أو يمشي على إثنين، أو يمشي على بطنه، كل من يمشي على

الأرض نسميه دابة، فعندما يقول الله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ يعني هم شر ما في الكون من مخلوقات الله.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ﴾ والصُّمُّ ليس صمم هذه الأذن، لكن صم عن سماع الحق، فالآذان الداخلية لهم صماء لا يسمعون بها الحق إن كان من كلام الحق، أو من كلام سيد الخلق ﷺ.

﴿ ٱلْبُكْمُ ﴾ ألسنتهم الباطنية بكم، لا تنطق بتوحيد الله، ولا تنطق بذكر الله، ولا تنطق بتسبيح الله، ولا تنطق عند النعم بشكر الله على عطاء الله، فهم كالخرس تماماً بتمام.

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وإن كانوا في الدنيا يعقلون ويهندسون ويبنون ويخترعون، إلا أنهم عن الآخرة وعن دين الله غافلون كأنهم لا عقول لهم.

والآية الأُخرى في كتاب الله توضح هذه الآية، حيث يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (١٧٩الأعراف) ليست القلوب التي في الأجسام، ولكن القلوب النورانية ليست معهم، ونحن من فضل الله علينا معنا القلب النوراني، فيقول الله تعالى مثنياً علينا جماعة المؤمنين، ومبيّناً فضله علينا وعلى الكافرين أجمعين:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق).

أهل الذكرى

إذاً ليس كل البشر لهم قلب يعقل عن الله، فالقلب الظاهر موجود حتى في الحيوانات، وهو القلب الذي يتلقى الدم وينقيه ويأخذ منه ثاني أكسيد الكربون ويعطيه الأكسجين ويضخه مرة ثانية في الدم، لكن القلب الذي يعقل عن الله هو الذي فيه الإيمان، والذي فيه تقوى الله، والذي فيه مراقبة الله، والذي فيه خشية الله، والذي فيه الخوف من الله، هذا القلب معنا نحن فقط، ولذلك نحن أهل الذكرى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (٣٧ق).

والآخرين: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ (١٧٩الأعراف) هؤلاء هم الكافرون والمشركون والضالون، وإن أعجبتك أجسامهم، وإن أعجبتك ملاحة تقاطيعهم وألوانهم، كل هذا يزول لأنهم في

الحقيقة ليس عندهم ما يعرفون به فضل الله، ويقرون له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالألوهية، وما يعرفون به بركة رسول الله ويعترفون له بالرسالة ﷺ.

لماذا أتى الله بهذه الآية في هذا الموطن من سورة الأنفال؟ مع أنه ذكر آيات مثلها كالتي ذكرناها الآن، لأن جماعة من قبائل قريش كبني هاشم، وبني تيم، وبني مخزوم، وبني عبد الدار، اتفقوا مع أبي جهل على أنهم لا يسمعوا لكلام النبي، أو ما جاء به النبي، ولا ينظرون ولا يبصرون في أي كلامٍ أتى به من عند الله حضرة النبي، وقالوا: نحن صمٌ وبكمٌ وعميٌ عن كل شيء أتى به محمد، وأهل الجاهلية –سبحان الله – كان من عنادهم تحدث منهم أشياء عجيبة وغريبة، كهذه الحكاية، فذكرهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ولأنهم لو قالوا: لو استمعنا إليه وأراد الله هدايتنا سنهتدي، لفتح لهم الله آذان وعيون وعقول القلوب، لكنهم سدوا الباب نهائياً وقالوا: طالما نحن في الحياة سنكون صمٌ وبكمٌ وعميٌ عن كل ما جاء به محمد.

وأبو جهل أيضاً عندما سمع كلام الرسول وما أنزل الله عليه من القرآن، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!!، العاقل يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق فاهدنا له، أو خذ بأيدينا إليه، لكنه قال: لو كان هذا حق فأنزل علينا حجارة من السماء أو أنزل علينا عذاب أليم، ولذلك سموه أبو جهل، وهو جهل مركب، هل يوجد من يطلب هذا؟!! اطلب النجاة تنجو، واطلب الهداية يهديك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أهل الحرمان

ولذلك لأنهم سدوا الباب نهائياً قال الله في شأنهم: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ هؤلاء ظاهراً وباطناً لا يوجد أي عضو من أعضائهم يميل إلى الخير، ولا يستجيب لداعي الخير، لأن الله ختم على سمعهم وعلى قلوبهم وعلى أبصارهم.

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ حتى لو سمعوا فلن يستجيبوا وسيعرضون عن السماع، ويبعدون عن الله، وعن دين الله وعن رسول الله ﷺ.

عندما قالوا هذا الكلام وجاءت غزوة بدر، قال لهم أبو جهل: أنتم أول من تحمَّس لحرب هذا الرجل، فسنعطيكم اليوم الراية وتكون معكم القيادة وتكونوا في المقدمة في حرب محمد، فماتت القبيلة كلها في الحرب، ولم ينج منها إلا رجلين كانا قد أسلما، أحدهما سيدنا مصعب بن عُمير، وكان قائد جيش المسلمين، والباقين جعلهم الله نكالاً للخلق أجمعين فلم يبق منهم أحداً، وماتوا شر موتة، وماتوا على كفرهم.

وبعد المعركة فرَّ الكفار وتركوا موتاهم، فأمرسيدنا رسول الله ﷺ بجمعهم ودفنهم في البئر، وكانوا سبعين من الكفار، وبعد أن ألقوهم في البئر وغطوهم بالتراب، ذهب إليهم سيدنا رسول الله ﷺ ينادي عليهم بأسمائهم:

{ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ }[٩٤]

لنعرف أن الموتى كلهم يسمعون، سواء كان مسلم أو غير مسلم، فإذا ذهبنا نزور الأموات نقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهم يردون علينا السلام، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، إِلا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ }[٩٥]

يرد عليه السلام ويظل مستأنساً به ما دام واقفاً عند قبره، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ بزيارة الموتى، ثم نادى الله ﷻ على المؤمنين، وهذا نداء عجيب تنبهوا لما فيه، يقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ينادي الله على المؤمنين، علينا وعلى من كان قبلنا، وعلى من يأتي بعدنا، كل المؤمنين إلى يوم القيامة يُخاطبهم الله بهذا النداء، وعندما ينادي الله على المؤمنين ننظر ماذا يريد منا بعد النداء، سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ يحكي عن حال أصحاب رسول الله ﷺ، فيقول: **(إذا سمعت الله يقول: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا } فأرعها سمعك، فإنه إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهى عنه)**[٩٦]

---

٩٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ
٩٥ تاريخ دمشق لابن عساكر وفوائد تمام الرازي عن أبي هريرة ﷺ
٩٦ القواعد الحسان فى تفسير القرآن، والتفسير سنن سعيد بن منصور.

فكانوا ﷺ إذا سمعوا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) أصـــغوا آذانهم وقالوا: لبيك اللهم ربنا وسعديك، ثم انتظروا ...

فإن كان أمراً سارعوا إلى تنفيذه !!!

وإن كان نهياً سارعوا إلى الانتهاء عنه ....

الحياة الإيمانية

فالآية التي معنا بعد نداء الله المؤمنين يأمرنا فيها بأمر عجيب وغريب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

ألسـنا أحياء الآن؟! نحن أحياء في نظر أنفسـنا، لكن في نظر الله وبفحص ما ذكره في كتاب الله، فالذي نحن فيه اسمه معيشـــة، وهذه المعيشـــة يشـــترك فيها الخلق أجمعين، ولذلك الذي يبعد عن الله ويغفل عن طاعة الله ماذا يقول فيه الله:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه).

ليست حياة ولكنها معيشة!!

هذه المعيشـة التي فيها الطعام والشـراب والنوم والنكاح للأجسـام، وهذه يسـتوي فيها المسـلم وغير المسـلم، بل الإنسـان والحيوان، لأن الحيوان لا بد أن يأكل، ولا بد أن يشرب، ولا بد أن يتناكح ليتكاثر، وهذا كله بالجسم الظاهر !!

وهذه اسمها معيشة، وليست حياة.

ما معنى الحياة؟

ذا احتيا القلب بذكر الله، وإذا احتيا الفؤاد بنور الإيمان الذي يتنزل فيه من عند الله، تبدأ هنا الحياة، واسمها الحياة الإيمانية ..

وهي التي تقرب من حيـاة الملائكـة، وهي حيـاة الطـاعـة، وحيـاة تجنـب الغفلـة والمعصية، وحياة الإكثار من ذكر الله والتسبيح والتحميد والاستغفار والصلاة والسلام على سـيدنا رسـول الله .. حياة الإنسـان في الأعمال الصـالحة والتعاون على فعل الخير لعباد الله، وهذه هي الحياة الإيمانية التي دعانا إليها الله ﷻ.

الاستجابة الإيمانية

ومتى تأتي؟

بعد الإستجابة لله وللرسول: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ ﴾ يعني أطيعوا واتبعوا الله والرسول إذا دعاكم إلى هذه الحياة الإيمانية التي ذكرناها.

أو الحياة الروحانية، بأن يُعلي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ همة العبد، ويُقوي دائرة الأنوار في آفاق قلبه، ويُشرق على قلبه بروحه النورانية التي هي سر النفخة الإلهية في قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٢٩ص).

وإذا أشرقت هذه الأنوار، واتصلت بعالم الروح، هامت في العوالم العليا، وقد يأخذها الله مناماً أو يقظة سياحة في ملكوته الأعلى، وتبدأ بأن تتعرف على الملائكة، والملائكة قد تزوره هنا في الدنيا ويصاحبوه، أو هو يصعد هناك ويتكلم معهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (٣٠فصلت).

والحوار الذي يدور بينهم ذكر الله منه: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ ﴾ (فصلت).

فالمؤمن مطالب بعد الإيمان أن يستجيب بكل جوراحه وأعضائه إلى حضرة الرحمن، وإلى ما يطلبه منه من فعل أو ترك النبي العدنان، ليكون صادق الإيمان مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، سيدنا رسول الله ﷺ كان في مسجده المبارك، وكان سيدنا أبو سعيد بن المُعلَّى رضي الله عنه يصلي ركعات نافلة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليست فريضة، فناداه النبي، ولكنه أكمل الصلاة ولم يرد على النبي ﷺ، وبعد أن أكمل الصلاة ذهب إلى رسول الله ﷺ، يقول رضي الله عنه:

{ كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" }[٩٧]

يعني إذا نادى عليك النبي وكنت في صلاة نافلة، فعليك أن تجيبه ..

٩٧ صحيح البخاري وسنن أبي داود

لأن إجابة رسول الله فرض، والصلاة التي أنت فيها سُنَّة، والفرض أولى، فتخرج من الصلاة فوراً وتسلم وتجيب رسول الله ﷺ.

وانسحب على هذا الأدب نداء الأب أو الأم لابنهما أو ابنتهما، فإذا كنت أُصلي نافلة، وأبي نادى عليَّ أو أمي، فإن الفقه في الدين يقتضي أن أخرج من الصلاة وأجيب نداء الأب والأم، فإن تلبية نداء الأب أو الأم فرض، وعلى الفور لا بد أن أطيعهما، حتى لا أُغضبهما، لأن أحرص ما يحرص عليه الإنسان في حياة الأبوين أن لا يغضبان عليه ولو لحظة، لأن غضبهما من غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذا غضب الأب عليك، غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليك، وإذا غضبت الأم عليك غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليك، فتحرص على عدم إغضابهما مهما كانت الظروف، ومهما كانت الأسباب تنفيذاً لأمر الله، وطاعة لأمر حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

نفرض أنني أصلي فريضة، قالوا: إذا كان يُصلي الفريضة ونادى عليه الأبوين يرفع صوته أثناء الصلاة حتى يعرفا أنه يصلي، فإذا تأكد أنهما عرفا أنه يصلي يكمل الصلاة، فإذا لم يعرفا أنه يصلي ولم يسمعاه عليه أن يُسلِّم ويجيب نداءهما، ثم يستأذن الله في أن يعيد بين يديه الصلاة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه غفور ورحيم وتواب وكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه خائف على غضب أبويه، وغضبهما يغضب من أجله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أيضاً نلحظ هنا ملحظ غريب، من الذي يدعو لله؟ الرسول، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (إذا دعاكم) ولم يقُل إذا دعاكما، لأن الحق ﷻ هل يتنزل من عليائه ليدعونا؟ لا، لكنه كلَّف الرسول بهذه الدعوة، فدعوة الرسول دعوة لله، لأنه لا يدعو إلى نفسه ولكنه يدعو إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلا نستهين بدعوة النبي، لأن دعوة النبي هي دعوة الله، وطاعة النبي هي طاعة الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء) فنعلم علم اليقين أن النبي لا يدعو إلى نفسه وإنما يدعو إلى الله، وأنه هو المكلف بإبلاغ دعوة الله، ولذا أفرده الله: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾.

فدعوة الرسول ﷺ هي دعوة إلى الله، وكذلك من ينوب عن حضرته من العلماء العاملين، والحكماء الربانيين، والورثة الروحانيين، في أي زمان ومكان، هم نواب عن

حضرة رسول الله ﷺ.

من الذي كان يصعد المنبر ويخطب للمؤمنين؟ الرسول، لذلك كل واحد يقف في هذا الموقف يكون نائباً عن حضرة الرسول ﷺ.

هؤلاء أيضاً ما داموا قد دعونا إلى الله، ولا يبغون منا إلا الاستجابة لدين الله، فطاعتهم طاعة لله ورسوله كما ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية الكريمة.

ثبات الإيمان

وذكر الله تعالى لنا أمراً ينبغي أن يتوقف عنده كل مؤمن، لا يوجد أحد من السابقين، ولا من المعاصرين، ولا من العلماء، ولا من الأولياء، ولا من العوام يضمن لنفسه أن يثبت الإيمان في قلبه حتى يلقى الله، فالإيمان في القلب، وسُمي قلب لأنه يتقلب، ومن الذي يقلبه؟ مقلب القلوب والأبصار ﷻ.

فقال لنا: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ يعني ليس لأحد سلطان على القلب، فالسلطنة على القلب لرب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يضع فيه الإيمان: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (٧الحجرات).

هو الذي يضع فيه الحب لفلان، وهو الذي يضع فيه البغض لفلان، ولا يوجد أحد يستطع أن يضع في قلبه حباً لشخص ما لأن الحب والبغض بيد من يقول للشيء كن فيكون، فالقلب يتقلب، والذي يقلبه مقلبه ﷻ.

لذلك نحن دائماً نطلب من الله في كل نَفَس من أنفاسنا أن يُثبِّت القلب على الإيمان، وأن يعيننا على طاعته، وأن يُنيلنا رضاه.

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ بذاته يدعو الله عقب كل صلاة ببعض الأدعية، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟

قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ }[٩٨]

من الذي كان يدعو بهذا الدعاء؟ سيدنا رسول الله، فعلينا أن لا نزيد العشم زيادة عن الحد في حضرة الله، ونعمل مثل سيدنا أبو بكر، فكان يقول: **((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة))** ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء).

عندنا حسن ظن بالله لا شك في ذلك، ولكن يكون معه خوفٌ من جلال الله، وخشية من كبرياء الله، وخشية من تقلب الأمور، والأمور كلها بيد الله، وأنا لا أعلم ما يخفيه لي الله، فعليَّ دائماً أن أستعين بالدعاء كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

والله قال لنا نحن في القرآن، وعلَّمنا نقول: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران) وإذا كان الخوف عند سلفنا الصالح قيراط، فالخوف في زماننا نحن يجب أن يكون مائة قيراط، لأن نبينا ﷺ كان يقول، وهذا الذي كان يحذرنا منه:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا }[٩٩]

لماذا؟ لأن الأمور اختلطت، وأصبح الناس يحللون على مزاجهم، ويحرمون على مزاجهم، ويرفضون الاقتداء بالأئمة الكرام الذين جاءوا لنا بالنهج السوي عن الحبيب المصطفى، وقد يظن أنه على الحق وهو على الباطل فيزيغ، ولذلك المؤمن في هذا الزمن بالذات مُطالبٌ بأن يكون على الصراط المستقيم دوماً، ولا يفعل إلا بأمر صريح من القرآن أو السُنَّة، أو باجتهاد صحيح من الأئمة المعروفين بالورع والتقوى وخشية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إياك أن تفعل ككثير من المسلمين، حيث يبحث عمن ييسر له الأمر وهو يعلم أنه على خطأ، ويقول ضعها في رقبة عالم واطلع سالم!!، لكن لا بد للإنسان المؤمن أن يتحرى أمور دينه، حتى يثبت فيه الإيمان، إلى أن يخرج من الدنيا وهو على الإسلام والإيمان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٩٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ
٩٩ معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله ﷺ

يوسف الصديق نبي الله، والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، والذي حفظ نفسه من الوقوع في الخطيئة وقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ (يوسف) والذي رفض أن يتهم إخوانه مع أنهم وضعوه في البئر ولم يُشر إليهم حتى لا يسيء إليهم، ومع ذلك كان يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف) كان يطلب من الله أن يتوفاه مسلماً ويُلحقه بالصالحين!.

التنبّه للفتن العصرية

ونحن في هذا العصر ينبغي على المؤمن أن يكون حريصاً حرصاً شديداً على ثبات الإيمان في قلبه، فلا يفعل عملاً يستوجب غضب الله، أو سخط الله، حتى يُثبّته الله على الإيمان إلى أن يلقاه، ولذلك قال الله عقبها:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾

انتبه من الفتن في عصر الفتن الذي نحن فيه، والذي قال فيه حضرة النبي:

{ سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ }[١٠٠]

عليك بكتاب الله، وبمن يفقه كتاب الله، لأن هناك نظرية استجدَّت عند كثير من المسلمين في هذا الزمان يقول: أنا معي القرآن معي السُنَّة فلماذا أذهب للعلماء أو لفلان أو لفلان؟! لكن تعالوا نرى السلف الصالح، فقد كانت امرأة كبيرة في السن، فقالت لابنها أريد رأي الدين في مسألة، فقال لها: من القرآن أم من السُنَّة أم من رأي الإمام مالك؟ قالت: من رأي الإمام مالك، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن الإمام مالك أفقه مني ومنك في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله، يعني لن يأتي بشيء من عنده، ولكنه فقيه ويعرف الصحيح.

ولكننا أين فقهنا الذي ندرك به معاني كلام الله، ومقاصد كلام رسول الله؟!!

فلا يصلح أن نأخذ من القرآن والسنة مباشرة إلا إذا وصلنا إلى زهد الإمام مالك وأمثاله من الرجال، وخوف الإمام مالك وأشباهه من الرجال، وخشية الإمام مالك

---

١٠٠ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

وأشباهه من الرجال، فالناس إذا وصلوا إلى هذه الحالات لا بأس، حالة يقول فيها الإمام مالك: **((ما بِتُّ ليلة إلا ورأيتُ رسول الله ﷺ في المنام))**.

إذا وصلنا لهذه الحالة لا بأس أن نأخذ من القرآن، فلا تمر عليه ليلة يبيت فيها إلا ويبيت في أحضانه سيدنا رسول الله ﷺ، لخشيته وخوفه ووقاره وإقباله على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك كانوا يقولون: لا يُفتَى ومالكٌ في المدينة.

لكن لو أخذ كل واحد من القرآن وأوَّله على هواه، والآخر أيضاً يأوله على ما يريد، فسيكون كل واحد منا في واد، وتتفرق الأمة، وتكون شيعاً وهذا لا يُرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فحذرنا الله ﷻ من هذه الفتن في هذا الزمان، وأمرنا بالعمل بالقرآن، يعني العمل بفهم الفقهاء الأجلاء الذين لشدة قربهم من الله نشر الله سيطهم في الأمة، ونشر مذاهبهم، وجعل الخلق كلهم يقبلون عليهم ويستزيدوا من علومهم، وهذا الذي نحن مطالبون به في هذا الزمان:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾.

لأنه إذا استشرت هذه الفتنة وكثُرت ستأخذ الجميع معها، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا ظَهَرَ الْخَبَثُ }[١٠١]

إذا رأى الصالحون المنكر فلم يغيروه يكونوا شركاء في هذا المنكر، فمن يستطع أن يغير المنكر الآن؟!! إلا إذا كان في حدود أولاده أو بيته أو قريب من ذلك، فعلينا جميعاً أن نستمسك بكتاب الله، وبالفهم الوسطي الذي جاء به لنا الأئمة الكرام.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يثبِّت الإيمان في قلوبنا، وأن يتوفانا مسلمين ويُلحقنا بالصالحين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠١ جامع الترمذي ومسند أبي يعلي الموصلي عن عائشة رضي الله عنها

الحب الإيماني[١٠٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة)

قياس الإيمان	سبب النزول	موالاة الصادقين
الحب لله ورسوله	متابعة النبي	الفقه في الدين
براق الأحبة		

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

قياس الإيمان

الآيات التي معنا هي الأجهزة القياسية الإلهية التي تقيس قدر الإيمان في قلوب الرجال الذين يؤمنون بالرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأصحاب النبي ﷺ وهم النموذج الأمثل في هذا الميدان فازوا وجازوا ونجحوا في الإمتحان، والإمتحان يتكرر على مدى الزمان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فعلى كل إنسان يتقي الله أن يزن نفسه بموازين كتاب الله حتى يتأكد ويضمن أنه فاز وجاز في امتحان الإيمان ونال:

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ (١١٩المائدة).

١٠٢ الأقصر – نجع علوان – جمعية الدعوة إلى الله ٢٤ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ١٠/١١/٢٠٢٠م

فأصحاب حضرة النبي ﷺ وخاصة أهل مكة، قد يكون أبوه ظل على كفره، أو أمه ظلت على كفرها، أو أخوه ظل على كفره، والعصبيات بينهم كانت شديدة، وخاصة العصبية للنسب القريب كالذي ذكرناه.

فالله ﷻ أصدر لهم أمراً إلهياً أن يبروا هؤلاء الآباء إذا طُلب منهم برٌ لهم، لكن لا يكون بينهم وبينهم ولاية، يعني مودة وصداقة، لكن الصداقة والمودة إذا لم توجد لا تمنع البر.

فالسيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وهي في المدينة وكانت أمها وهي زوجة لأبي بكر قبل الإسلام لم تسلم بعد، وذهبت لابنتها فقالت لرسول الله:

{ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ }[١٠٣]

يعني أعطيها شيء من طعام أو كساء أو مال، إذاً لم ينه عن الصلة، رغم أنه الله ﷻ نهى عن المودة التي تحدث بين المؤمنين الصادقين.

سبب النزول

وهناك آية تمدحهم على ذلك: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ (المجادلة) هذه الآية نزلت في سيدنا أبو عبيدة بن الجراح وسيدنا أبو بكر الصديق وغيرهم من أصحاب النبي الفضلاء رضي الله عنهم أجمعين، وكانوا في غزوة بدر، فأبو عبيدة جاء أبوه في صفوف كفار مكة، وأخذ يبحث عن ابنه ويسب إله المسلمين ويدعوه إلى عبادة آلهة الكافرين، وأبو عبيده يهرب منه، وأبوه يذهب خلفه، فلما وجد لا مفر قَتَله، ليستريح من هذا الأمر، حتى يعلم الله أنه ليس في قلبه هوادة لغير الله ورسوله ﷺ.

وسيدنا أبو بكر كان ابنه عبد الرحمن رجلاً فتياً وكان في صفوف الكافرين، فعندما رآه أخذ يعدو خلفه ويتتبعه حتى لا يرى شخصاً غيره يقتله فيتغير قلبه نحو مسلم، فمدحهم الله وأنزل قوله جل في علاه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة) لأنهم كانوا صادقين في الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

١٠٣ البخاري ومسلم

بل إنهم بعد غزوة بدر والمسلمين كانوا قد أسروا سبعين من الكفار وقتلوا سبعين، فماذا يفعلون بالأسرى؟ جلس النبي ﷺ يشاور أصحابه، وكان منهم الشديد في دين الله الذي ليس عنده هوادة كسيدنا عمر بن الخطاب، وكان عندهم الرجل الذي عنده شيء من اللين والشفقة والمودة، كسيدنا أبو بكر الصديق، فسيدنا أبو بكر الصديق قال: يا رسول الله نأخذ منهم الفداء، يعني كل واحد منهم يفدي نفسه بمبلغ من المال، وكان يعتقد أن الله ﷻ ربما يغير أحوالهم فينقلبوا إلى مسلمين بدلاً من أن يموتوا كافرين، وكان هذا حرصه على هذا الأمر.

وسيدنا عمر قال: يا رسول الله أعطني قريبي فلان، وأعط أبي بكر ابنه، وأعط فلان كذا، وكل واحد يأخذ قريبه فيقتله، حتى يعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونُعلم الله أنه لا هوادة في قلوبنا لكافر.

كل هذا يبين لكم كيف كان هؤلاء في صدق إيمانهم، لأنهم القوم الذين قال الله في شأنهم، ونرجو الله أن نلحق بهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ ﴾ (٢٣الأحزاب) لا أحد إلا الله ورسوله، هو الأكبر وهو الأعظم.

موالاة الصادقين

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ هنا يتكلم عن الموالاه، والموالاه يعني الصداقة والأُنس والمجالسة، ونتحرك مع بعضنا، ونذهب مع بعضنا، يعني صداقة قوية.

فأمر الله ﷻ المؤمنين أن لا يُوالوا إلا من كان يحب الله ورسوله حباً عميقاً من أعماق قلبه وفؤاده، وإذا كان قريباً كأبي الذي أنجبني، أو أمي التي حملتني وأرضعتني، أو ابني الذي هو قطعةٌ مني، فأقوم له بحقوقه التي ينبغي أن تكون له، وصرَّحت بها الشريعة المطهرة، لكن لا يكون بيني وبينه مودة وصلة وعلاقاتٌ قوية، إلا إذا كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ.

ويكون على هذا الأساس قد وضع لنا الله كيفية إتخاذ الأصدقاء، من الذي تصاحبه وتصادقه ويكون صديقٌ على الدوام؟ الأتقياء الأنقياء الذين يشتركون معك في حب الله ورسوله ﷺ.

معي زملاء في العمل أنواعٌ شـتَّى، أَصِـلهم في العمل، وأُحسـن التعامل معهم في نطاق العمل، وأعينهم على إتمام أي أمر كُلفوا به في نطاق العمل، لكن الصداقة والمودة قال فيها ﷺ:

{ لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ }[١٠٤]، وقال:

{ لا يَدْخُلْ بَيْتَكَ إلا تَقِيٌّ }[١٠٥]

نوالي من يا رب؟ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩) انتقي الصادقين واجعلهم المحيطين بك، واجعلهم بطانتك التي تستشيرها في كل الأمور، والذين تمشي معهم، والذين تجلس معهم، قال ﷺ:

{ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }[١٠٦]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ متى؟ ﴿ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ لكن ما داموا مؤمنين ومسلمين وأتقياء فيجب لهم الولاية في الدرجة الأولى، لأنهم أقرب الناس إليَّ، والأقربون أولى بالمعروف.

والحمد لله هذه الآية غير موجودة بيننا الآن، لكنها قد تكون موجودة في بعض مجاهل أفريقيا، أو بعض مجاهل آسيا، وهم الشباب الذين أسلموا، ولكن الآباء لا يزالون على ما هم عليه، لكن الآية كان الكلام فيها في أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم جاء التحذير الشديد والوعيد الأكيد من الله لمن يتولى هؤلاء ويجعل بينه وبينهم ولاية وصداقة ومودة: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

وكان هذا التحذير لأمر خطير علمه الله ﷻ، أنه إذا كان هناك ولاية يعني صداقة ومودة قد أذيع له بعض الأسرار، أو أكشف له بعض الأخبار، وهؤلاء أعداء لله ورسوله، فلا ينبغي أن تكشف لهم سراً من أسرار رسول الله، ولا تكشف لهم أمراً من أمور حبيب الله ومصطفاه، لأن هذه الأمور لا تُكشف إلا للصادقين من المسلمين، وهؤلاء الناس لا تكشف لهم عورات المسلمين أبداً مهما كان بيننا وبينهم من علاقات.

---

١٠٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٠٥ معجم الطبراني عن عائشة رضي الله عنها
١٠٦ شعب الإيمان للبيهقي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ

الحب لله ورسوله

الآية الأُخرى والتي هي الميزان الشديد لقوة الإيمان وقوة الحب لله وللرسول:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ وهي نفسها عبَّر عنها رسول الله ﷺ فقال:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ، وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[١٠٧]

وهذا الميزان الذي نزن به، وهو حب الله وحب رسول الله ﷺ، كان سيدنا رسول الله ماشياً ذات يوم من الأيام ومعه سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فسيدنا عمر قال:

{ وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ }[١٠٨]

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ لا بد أن يكون حب الله ورسوله أكبر وأعلى وأرقى وأغلى من حب أي شيء نؤثره ونفضله في هذه الحياة، والله عدد لنا في الآية أصنافاً، فلا بد أن يكون حب الله ورسوله أكبر من آبائنا الذين أنجبونا، وأكثر من أبنائنا الذين هم فلذة أو قطعة منا، وأكثر من إخواننا الذين هم يشتركون معنا في العصب وفي الرحم، وأكثر من نسائنا اللاتي يقمن بمعاونتنا في كل أمورنا، وسترٌ وغطاءٌ علينا، وأقوى من العشيرة وهي العائلة، لأن عائلة المؤمن كل المؤمنين، فلم يعد له عائلة مخصوصة باسم مخصوص ..

فبعد الإسلام كان سيدنا سلمان الفارسي يقول:

أبى الإســـلام لا أب لى ســـواه إذا افـتـخـروا بـقـيـس أو تـمـيـم

يعني من يفتخروا بقبيلة قيس أو بقبيلة تميم أو غيرها أو غيرها فأنا أفتخر

---

١٠٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

١٠٨ صحيح البخاري ومسند أحمد

بالإسلام، وذات مرة سألوه: من أبوك؟ قال: أبي الذي سجدت له الملائكة أجمعون!، لأن آدم أبي، وحضرة النبي ﷺ قرَّب هذا الأمر فقال:

{ كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ }[١٠٩]

لا تقفوا عند هذه الحدود الصغيرة، ولكن ارفعوا أبصاركم وبصائركم إلى أعلى، ستجدون كلكم لآدم، وآدم من تراب، فلِمَ الفخر بالعائلات والأنساب؟!!. إذا كنت من عائلة الإسلام فهذا الفخر الذي تفتخر به لأن الله قال في شأنه:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات)

وكذلك لو كان الإنسان عنده أموالاً ويتاجر فيها ويربح فيها:

﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ يعني تتعاملون بها وتتاجرون فيها وتكسبون من ورائها!

﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ الكساد يعني البوار ..

وكذلك :﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ فالأعلى من ذلك كله حب الله ورسوله.

الذي عنده شيء من هذه الأمور أعلى من حب الله ورسوله يخشى من قول الله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ وهو أن يأتيه ما لا يحمد عقباه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ز

فخلاصة الآية:

إذا تعارض معك أمرٌ لله ورسوله، وأمرٌ لنفسك، أو أمرٌ لزوجك، أو أمرٌ لولدك، أو أمرٌ لتجارتك، أو أمرٌ لبيتك الذي تسكن فيه، من الذي تبدأ به أولاً؟

أمر الله ورسوله.

لأن الحب هنا ليس كلاماً ..

ولكن الحب معناه المتابعة:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران).

---

١٠٩ مسند الربيع وشعب الإيمان للبيهقي

متابعة النبي

حب النبي ﷺ يعني متابعة النبي متابعة كاملة ... في أخلاقه، وفي معاملاته، وفي سلوكياته، وفي عباداته، وفي كل شيء كان يفعله بين يدي المسلمين في حياته.

لأنه النموذج القويم الذي رسمه المولى على عينه، وقال من أراد أن يحبه الله فليحتذي بهذا النموذج، وليقتدي بهداه حتى يحظى بمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب).

الفقه في الدين

فهذه الأمور تُكلِّف المؤمن أن يتفقه في الدين، ويستطيع أن يزن ويوازن بين الأمور، كالذين كانوا في السوق، وفي أثناء صلاة الجمعة وصلت تجارة من بلاد الشام، ووصل الخبر لمن كان في المسجد، فتركوا حضرة النبي وخرجوا كلهم للتجارة، فعاتبهم الله ووضع لنا المبدأ إلى يوم القيامة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩الجمعة)

فهذا الفقه في دين الله ﷻ.

أنا في سفر وسمعتُ أذان الظهر مثلاً، وعندي وقتٌ يمكنني من أداء الصلاة، فلا تضحك عليَّ نفسي وتقول: أجِّل الصلاة حتى ترجع!

لكن طالما عندي الوقت فما المانع؟!

لكنها النفس!!

وعندما أرجع لبيتي، فتقول سأصلي بعد الغذاء، وبعد الغذاء يكون العصر قد أذن، فأكون قد أخطأت في حق نفسي لأنني قدمتُ شهوتي وحظي على ما فرضه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علي، وأمرني فيه بالاقتداء بسيد الرسل والأنبياء ﷺ.

لأنه ﷺ كان في سفر، وحان وقت الظهر، وكان ﷺ خير من ينظم كل أمور حياته، ولذلك الرجل الذي تجده منظماً في ملابسه وفي بيته وفي ميزانيته وفي كل أحواله، تجده

أشد الناس شبهاً برسول الله ﷺ.

فكان من تنظيمه لجيشه المبارك أن يمشي أمام الجيش جماعة عندهم الخبرة بمعرفة الماء في باطن الأرض، فإذا وجدوا الأرض فيها ماء يكشفوا الماء وينتظروا الجيش حتى إذا وصل إلى هذا المكان يستريح الجيش ويأخذ ما يحتاج إليه من الماء.

وجماعة كان يجعلهم في مؤخرة الجيش ينتظرون بعد أن يتحرك الجيش حوالي ثلاثة أو أربعة كيلومترات ليبحثوا في المكان عن أشياء تركها الجيش فيجمعوها ويلحقوا برسول الله ﷺ، فحان وقت الظهر، فسألهم عن الماء، قالوا: لا يكفي الوضوء ويكفي الشرب فقط، فإذا بخبراء المياه قادمين، وقالوا: يا رسول الله بيننا وبين الماء ميلٌ واحدٌ، الميل يعني اثنين كيلومتر إلا ربع، فانتظر حتى نصل إلى هناك ونتوضأ كلنا ونصلي، فقال ﷺ:

{ وَمَا يُدْرِيني لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ }[١١٠]

يعني كيف أضمن أن أصل إلى هذا المكان الذي فيه الماء؟!! لمن هذا التعليم؟ لنا أجمعين، فعندما أسمع الأذان ألبي نداء الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فوراً ما دام في الإمكان، ولكنني لو أركب طائرة أو قطار لن أستطيع أن أقول لقائد الطائرة أو القطار توقف حتى نصلي ثم نكمل الرحلة، وهذه لها أيضاً مواصفاتها في فقه دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن ما دام عندي المساحة وعندي الوقت لا بد من تلبية نداء الله تعالى، لأن البعض يستغل وقت الصلاة في الكلام مع زملائه في العمل أو في المكتب، ولا يوجد عمل يشغل البال، وهذه طامة كبرى، لأني آثرت الانشغال بهذه الأحاديث عن مناجاة الله ﷻ في الوقت الذي حدده لنا الله وقال لنا فيه في كتاب الله:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء ١٠٣).

ولذلك أي مسلم في أي عمل في إمكانه تطبيق هذه السُنَّة، لا بدأن يُطبقها، فأنا أعمل في مكان ما ولي حرية، ما المانع أن أذهب لأؤدي الصلاة، أو عندي حضانة وبها أطفال ما المانع أن أعلمهم ترديد الآذان وأصلي بهم في هذا المكان، حتى أعلمهم أداء الصلاة في وقتها، لأن هذه أفضل عبادة يحبها حضرة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

١١٠ مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

أو أنا في بيتي وليس عندي عمل في هذا اليوم، هل يجوز أن أسمع إلى الآذان وأنا أتكلم مع زوجتي أو أولادي وأقول: لا زال الوقت مبكراً على العصـــر، وأكمل حديثي معهم؟ لا يجوز ذلك، بل يجب أن أقول لهم هيا نصـــلي لله ونكمل العمل أو الحديث الذي نحن فيه بعد الصلاة، قيل للسيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها:

{ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ }[١١١]

وفي بعض الأثر:

((كان رسول الله ﷺ يجلس معنا يحدثنا ونحدثه، فإذا استمع إلى الأذان فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه)).

فيم ينشغل؟

في ترديد الأذان ..

لذلك يجب أن نعلم نســـاءنا وبناتنا وأبناءنا ترديد الأذان، حتى ولو كنت في المدرســة وأنا في حصــة وسمعت الأذان، ما المانع أن أقول للطلاب: رددوا الأذان، حتى وإن كنا سـنؤجل الصــلاة، ولكنني أريد أن أعلمهم ترديد الأذان، المهم أن الحس الديني عندي أن أبدأ أولاً بما يحبه الله، وبما يحبه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

براق الأحبة

إذا مشى الإنسان المؤمن على هذه الوتيرة فيرتقي، وبراق الأحبة هو المحبة، الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

((ذرة من المحبة ترفع أهل الجهالة إلى أعلى مقام القُربة))

ثم يقول: من هو أبو بكر الصديق؟

كان يُســمى عتيق، وفي رواية كان يُســمى عبد الكعبة، فمنَّ الله عليه بذرة من محبة الله، ومحبه حبيبه ومصطفاه، فارتقى إلى أعلى الدرجات في كتاب الله:

---

١١١ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء).

بل إن الله ﷻ ذكره مقروناً بحبيبه في آية التوبة حوالي خمس مرات:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠التوبة)

خمس مرات ذُكر مع رسول الله ﷺ في هذه الآية، حتى يبين الله منزلته عنده.

بم بلغها؟ بمحبته لله ولرسوله، والتي جعلته يضحي بالنفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله، وحُسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

إذا وُجد هذا الصنف في أي زمان – وإن شاء الله سيُوجد في هذا الزمان – ..

سيعلو به راية الإسلام، ويعلو به دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ..

وهو الذي يُؤثر ما عند الله على هواه وعلى حظه وعلى شهواته الدنيوية، لا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يفضِّل إلا ما فضَّله الله، ولا يسعى في الدنيا إلا من أجل رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في علاه، ولا يقتدي إلا بحبيب الله ومصطفاه، وكل أمله نظرة رضا من الله، أو ذرة محبة تُفاض عليه من حبيب الله ومصطفاه.

لا يبغي من وراء ذلك دوراً ولا قصوراً ولا حوراً، وإنما يبغي من وراء ذلك كله أن يكون منظوراً من خير البرية، ويقول:

أنا المطلوب للحضرة العلية ... أنا المنظور من خير البرية
أنا المعشوق والعشق مقامي ... أنا المحبوب لا لومٌ عليَّ
أنا الساقي مداماً سلسبيلا ... أنا الساقي مداماً عيسوية
أنا الميزان للأحوال فانهض ... لأحوالي تنل رُتباً عليَّة
أنا النار الحمية قم تَعرَّض ... فقم وافنى بعزمك يا أُخَيَّة
فهيا يا مريد الوصل وانهض ... فهذا الوقت وقت الماضوية
لهم هذا الزمان صفا فهيا ... تمسك بالرجال أُولي العطية

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١٠)

أجر الناصرين للنبي[١١٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (التوبة)

صحبة الصادقين	معية الله	هجران مجالسة الظالمين
وصف الصادقين	رتبة الصديقية	خُلُق الصدق
غزوة تبوك	نصر الله والفتح	عتاب المتخلفين
أجر المجاهدين	حكم المتخلفين بعذر	دور المسلمين المعاصرين

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أثلج صدورنا بسماع كلامه، ونبَّه عقولنا بمفاهيم قرآنه، ورقَّق أفئدتنا وقلوبنا بأنوار قرآنه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جعل الله قلبه محلاً لتنزل القرآن، وأعضاءه وجوارحه هي المنفذة للقرآن، حتى كان ﷺ قرآنا يمشي بين الناس، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنك وجودك يا أرحم الراحمين.

القرآن الكريم مأدبة الله في الأرض للأتقياء والأصفياء والمؤمنين والمتقين، لأن فيه قوت القلوب، وفيه غذاء الأرواح، وفيه خير عمل تعمله الأجسام والأشباح، وفيه أعمالٌ ينال الإنسان بها رضا الملك الفتاح تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

١١٢ الأقصر – أرمنت – الرياينة ٢٥ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/١١م

صحبة الصادقين

فخاطبنا الله تعالى فيما معنا من الآيات بخطاب، وأول شيء في هذا الخطاب توجيهٌ إلهي إلى كل مؤمن من عصر النبي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مع من أمشي؟ ومع من أجلس؟ ومن الذي أصاحبه من الناس؟ ومن الذي أثق فيه وأماشيه؟ ومن الذي أقيم بيني وبينه علاقة مودة ومحبة؟ ومن الذي أأتمنه على نفسي وعلى أهلي؟ أعلمنا بذلك الله حتى لا نتوه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

قبل أي عمل للدنيا أو الآخرة استند على تقوى الله جل في علاه، فتقوى الله هي السنادة التي يستند عليها المؤمن في كل أمور الدنيا، وكل أمور الآخرة، وكل ما يحتاج إليه في هذه الحياة، لأن الله ﷻ جعل مفتاح تفريج كل الأشياء في التقوى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (٢الطلاق) في أي أمر، وفي أي بند، وفي أي غم، وفي أي هم، ما دام معه تقوى الله سيجد المخرج إن شاء الله من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فأهم ما يركز عليه المؤمن في هذه الحياة تقوى الله.

معية الله

والتقوى لها معان كثيرة، لا أريد أن أطيل عليكم بذكرها ولكن نكتفي بمعنى سهل جامع بسيط، فتقوى الله يعني مراقبة الله مراقبة من يعلم أن الله يطلع عليه ويعلم ظاهره وخفاياه، فيشعر الإنسان دائماً في قرارة نفسه وفي فؤاده أن الله ناظرٌ إليه، وأن الله مطلعٌ عليه، وأن الله شاهدٌ عليه، وأن الله ﷻ لا تخفى عليه خافية إن كان في صدره، أو كان في نفسه، أو كان في سره، أو كان في أخفى من سره، لأنه ﷻ يعلم السر وأخفى.

إذا وصل الإنسان إلى هذا المقام يطمئن، ويعلم علم اليقين أن الله معه، كيف يكون معه؟ يؤيده، ويوفقه، وينصره، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

كرامات الأولياء التي نسمع عنها كلها عبارة عن هذه الأمور، يقع في ورطة فينادي الله فيلبيه فوراً مولاه، أو ينتابه همٌ فيناجي الله فيرفع الله عنه فوراً هذا الهم، أو تحدث له مشكلة ولا يجد له نصيراً إلا الله، فيلجأ إلى مولاه فيجد النصر عاجلاً مستعجلاً من حضرة الله، وهكذا فهذه إكرامات الله لمن يتقي الله ﷻ.

هجران مجالسة الظالمين

بعد أن أتقي الله، وما دمت وصلت إلى مقام مراقبة الله، ماذا أفعل؟ ... ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) لا أجالس الظالمين لأنفسهم، الذين لا يعلمون أنهم يضيعون أعمارهم في القيل والقال والسب والشتم واللعن، لأني لو جلست معهم سأكون مثلهم، حتى لو جلست ولم أتكلم سأكون كما ورد في الأثر أن: **((السامع والمغتاب شريكان في الإثم))**.

لأنك أعطيته فرصة ليتكلم، ولكن لو منعته عن الكلام أو قمت وتركته، فمع من يتكلم؟ لا أحد، فكونك حتى سمعت يجب أن ترد الغيبة عن أخيك المسلم الذي اغتابه أو تكلم في حقه، فإذا سكتَّ تكون كما قيل: ((الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس)).

وماذا أفعل؟ كما قال الله:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

وصف الصادقين

ومع من أجلس؟ ومع من أمشي؟ الذين قال لي فيهم الله: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ دائماً تكونوا مع الصادقين، وهؤلاء الصادقين ما وصفهم؟ كما وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المهاجرين في سورة الحشر: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (٨الحشر) وكما وصف الله تعالى به سيدنا أبو بكر: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٣٣الزمر) وكماوصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ (٢٣الأحزاب) فأمثال هؤلاء هم الذين يماشيهم الإنسان على الدوام.

وعندنا مثال واضح لكل ذي عينين، فسيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا الزبير بن العوام، وسيدنا سعد بن أبي وقاص، وغيرهم وغيرهم، من الذي أدخلهم في الإسلام؟ سيدنا أبو بكر، لأنهم كانوا أصحاب سيدنا أبي بكر قبل نزول الوحي، وسيدنا أبو بكر كان تاجراً، لكن كان من أخلاقه الصدق، وكان دائماً

بشوش الوجه، حُلو الشمائل، ولا يتكلم إلا بالكلام الطيب، فكان الناس يحبونه!

ولذلك عندما دخل في الإسلام كان كلما جاءه واحد من أصحابه يعرض عليه الإسلام فيستجيب فوراً، وفي الحال يدخل في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ببركة مصاحبة الصدِّيق .. فهذا هو الصاحب الذي يجذب الإنسان للخير، والذي يعين الإنسان على عمل البر، والذي يَنْهَ الإنسان عن العقوق والعصيان، والذي يجعله دائماً موزون بميزان القرآن، لأنه واقف له، فإذا مال هكذا أو هكذا يقول له: ارجع فقد ملت عن كلام الله، أو انحرفت عن هدي رسول الله ﷺ.

فنحن كلنا نحتاج إلى هذا الصادق الصدوق في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

رتبة الصديقية

ورتبة الصدِّيق هي أعلى رتبة بعد النبوة:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء)

هذه الرتبة كيف ينالها الإنسان؟

كم ركعة يصليها الإنسان كل ليلة ليكون من الصديقين؟ كم مرة يقرأ القرآن ليكون من الصديقين؟ كم يوماً يصوم من أيام الله ليكون من الصديقين؟ ...

لا هذه ولا تلك، لكن الرسول ﷺ بيَّن لنا الأمر فقال:

{ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }[١١٣]

وإذا كان قائماً بمثل هذه الأعمال لكن ليس فيه خُلُق الصدق، فكما أخبر رسول الله ﷺ عندما قالوا له:

{ يا رسول الله إِنَّ فُلانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ: لا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي النَّارِ }[١١٤]

---

١١٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

١١٤ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

العبرة بالصدق، فعندما تقرأ آيات القرآن وترى موضع الصدق من الرحمن لأنبياء الرحمن تجد عجباً، يقول الله في القرآن:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ (٥٤مريم)

وصفه الله أولاً بأنه صادق الوعد، قبل وصفه بالرسالة والنبوة!.

خُلُق الصدق

فلذلك نحن كلنا معاشر المسلمين في كل بلاد الإسلام ....

لا خلاص لنا مما نحن فيه إلا إذا رجعنا إلى خُلُق الصـــدق الذي طلبه منا الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلن تحلو الحياة إلا بالصدق.

أنا أسمع من هذا، وأشتري من هذا، فلا أصدق هذا في كلامه، ولا أصدق هذا في ثمن السلعة التي أشتريها منه، لماذا لم تعد عندنا ثقة في بعضنا؟! لأن الكذب انتشر بين المسلمين، وضاع الصدق بين المؤمنين.

وما الخُلُق الذي يحفظ للمجتمع توازنه؟

خُلُق الصدق !!

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة هو وأصـــحابه، وجدوا الســـوق كله بيد اليهود، الذي يبيع الذهب هم تجار اليهود، والذي يبيع السلاح هم تجار اليهود، والغذاء عند تجار اليهود، فخطَّ النبي ﷺ سوقاً للمسلمين في المدينة المنورة، والمهاجرين من أهل مكة كانوا نشـطاء ومتميزين في التجارة، فأمرهم أن يتاجروا ليغنوا المســلمين عن الحاجة لليهود وغيرهم من المشركين والكافرين.

فكانوا صـــادقين، لذلك كان عندما يحل وقت الصـــلاة فكل واحد منهم له فرش عليه بضـاعته، يترك فرشـه ويترك ماله كما هو، فليس معه خزينة يضـعه فيها، ولا شـيء يغلق عليه، ويذهب يصـلي مع رسـول الله ويرجع ويجدون الأمور كما هي!، متى ترجع لنا هذه الأحوال؟! يا ليت فنكون كأننا في جنة النعيم.

كانوا على هذه الأحوال، من يشـتري شـيء من تاجر، وكان في البضـاعة عيب لا

بد أن يظهره ويقول له: فيها عيب كذا، لأن النبي وصـــاه أن يبين، فإن لم يبين العيب يكون غشاش، وقال النبي فيه:

{ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا }[١١٥]

وإذا أخذ البضاعة، وعندما عاد للبيت لم تعجبه أو لم تعجب أهل البيت، فيُرجعها للبـائع، فيفرح البـائع، ويقبلهـا منـه، لكن الآن بعض البـائعين يكتبون على المحلات (البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل) ولا أعلم من أين أتوا بهذه العبارة؟ فهي ليست من القرآن، وليسـت في السُـنَّة، وليسـت في دين الإسـلام أصـلاً، وحتى غير موجودة عند الأمريكان ولا الأوروبيين، فمن أين أتوا بها؟!!.

ولذلك سـيدنا الإمام أبو حنيفة ﷺ وكان تاجراً، في الصـباح فتح المحل، فجاءه رجل وقال له: أنا اشتريت هذا الثوب منك بالأمس، وأمي لا تريده، فقال له: كم دفعت فيه؟ قال: كذا، قال له: خذ مالك، وأخذ الثوب منه، ثم نادى على ابن أخيه الذي كان يعمل معه وقال له: يا غلام أغلق المحل لا حاجة لنا اليوم في بيع ولا شـراء، فقال له: لماذا؟ قال: وأنا قادم اليوم نويت أن أفتح المحل اليوم حتى أعمل بقول النبي ﷺ:

{ مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ، أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١١٦]

وقد جئت وعملت بالحديث، فلست في حاجة لبيع أو شراء مرة ثانية، ما هذا؟! هؤلاء الذين غزوا العالم، وأدخلوا الإسـلام دول العالم، منهم من أدخل الإسـلام أندونيسيا، ومنهم من أدخل الإسلام أفريقيا، ومنهم من أدخل الإسلام الصين والهند .. وغيرهم، من الذي أدخل الإسـلام في هذه الدول؟ لا جيوش ولا علماء ولا خطباء، ولكنهم التجار الذين تحلوا بخُلُق الصدق الذي أمرنا به الله ﷻ.

فالصـدق هو أهم خُلُق إسـلامي نحتاج إليه، ولذلك من الذي أوصـانا به؟ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في علاه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

كونوا مع الصادقين دائما، وهذا التوجيه الأول.

---

١١٥ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١١٦ صحيح ابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

غزوة تبوك

بعد ذلك انتقلت الآيات إلى توجيه ثان نحن أيضاً في أمسّ الحاجة إلى معرفته ..

سيدنا رسول الله ﷺ سمع أن الروم في بلاد الشام جهزوا جيشاً مكوناً من مائتي ألف مقاتل، وزعيمهم هرقل قال: سنرسل هذا الجيش ليقضي على محمد وكل من معه، وكان ﷺ – كما نعلم جميعاً – لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق إلا بإذنٍ وأمرٍ ممن يقول للشيء كن فيكون:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦٤مريم).

فأشار عليه مولاه أن لا يستقر في المدينة حتى يأتي هذا الجيش، ولكن يخرج إليهم، لأن عددهم كبير، وكل من في المدينة لا يزيدون عن عشرة آلاف.

فأعلن النبي بين أصحابه الجهاد، وأعلن أن الجهاد ناحية بلاد الشام في مكان اسمه تبوك شمال المملكة العربية السعودية الآن، وهي مسافة حوالي سبعمائة كيلو متر من المدينة، وكان الجو في الصيف والحرارة تصل هناك أكثر من خمسين درجة، وكان قُرب ميعاد حصاد المحصول الرئيسي للمدينة وهو التمر.

فقال بعضهم: هل نترك تمرنا ونسافر في هذا الحر؟ ونحن كل أحوالنا متوقفة على التمر؟ فالذي يُريد أن يشتري شيء ينتظر حتى يجمع التمر، والذي يُريد تجهيز نفسه بسلاح أو بعتاد ينتظر حتى يجني التمر.

فتباطأ بعضهم، والمنافقون – نسأل الله الحفظ والسلامة منهم أجمعين – تلمسوا الأعذار، فبعضهم قال: يا رسول الله الجو حر، فننتظر حتى يعتدل الجو، فرد الله عليهم وأمر النبي أن يقول لهم: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١التوبة) إذا كنتم تخافون من هذه الحرارة فماذا تفعلون في حرارة جهنم؟!

وقالوا: كيف نترك بيوتنا مكشوفة؟ ومن الذي يحرسها وهي عورة؟ لكن كذَّبهم الله: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (١٣الأحزاب) يريدون أن يفروا ولا يأتون معك، ولكنهم يتلمسون الأسباب.

أما الصادقون ....

فقد ضحوا بكل ما يملكون في سبيل تجهيز جيش سيد الأولين والآخرين ﷺ.

سيدنا عثمان ﷺ ...

كان من تجار المسلمين، وكان تجار المسلمين يعتبرون ما معهم من مال ملك لكل المسلمين، إذا احتاج الإسلام إلى مالهم يدفعوه بسخاوة نفس وسلامة صدر وفرح واستبشار، وغير متضررين، والرسول ﷺ عقد اجتماع في المسجد ليناقش المسلمين، فقال سيدنا عثمان ﷺ وأرضاه:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ }[١١٧]

ضمن له رسول الله الجنة مهما عمل، وهو لن يعمل إلا ما يحبه الله ويرضاه لأنه يخش الله ويتَّق الله، ولكن الذي عمله في هذا الوقت عملٌ لا يعمله إلا رجال كل همهم إرضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكل واحد من المسلمين ساهم بقدر ما يستطيع، ولم يكف ذلك، فكان كل ثلاثة لهم جمل، واحد يركب واثنان يمشيان، ويتبادلان مع بعضهما، لماذا؟

لأن المعركة جاءت في وقت شديد، وهذا هو امتحان الله لعباده المؤمنين على الدوام:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت)

هذه هي الإمتحانات التي تبين صدق الإيمان في قلوب عباد الرحمن.

---

١١٧ جامع الترمي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب ﷺ

نصر الله والفتح

مشى رسول الله ﷺ وكان الفتح والنصر من عند الله ...

فالقبائل العربية كلهم في الطريق من المدينة إلى فلسطين يقولون: هل النبي ذاهب ليحارب الروم؟! فماذا نفعل؟ نحن نؤمن بحضرة النبي ونسلم له ...

فكانت سبباً لفتح الإسلامي لكل هذه القبائل.

والرسول ﷺ كان معه سلاح من الله !!

وأيضاً أعطانا الله هذا السلاح، ولكن إذا اتقينا الله ..

هذا السلاح يقول فيه ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[١١٨]

عندما يكون بينه وبين الأعداء مسافة شهر سفر، ويسمعوا أن النبي ذاهب إليهم تحدث الرجفة في قلوبهم، والخوف في أفئدتهم، ويظلوا يرتعشون ويرسلون إلى النبي أنهم مستسلمين، فهذا سلاح إلهي، وأعطاه الله للمسلمين وهم يحاربون في غزوة بدر وغيرها: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (الأحزاب).

ولن نغلب في أي معركة إلا بهذا السلاح، كيف انتصرنا في حرب ١٩٧٣م؟ أسلحتنا لم تكن كأسلحة اليهود، لكن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب اليهود، لأننا كنا قد أصلحنا حالنا مع الله، وهو الذي جعلهم يستسلمون، ويسلموا بسبب سلاح الرعب الذي أعطاه الله للمسلمين.

فلما عرف الروم أن حضرة النبي توجه إليهم وسائرٌ إليهم، صرفوا جيوشهم، وتركوا المكان الذي كانوا قد تجمعوا فيه، وهربوا في كل أرجاء الشام.

ورجع النبي، ولم تحدث معركة بينه وبينهم، ولكنه أرعبهم !!!!

وزاد على ذلك بأنه دخل أهل القبائل المجاورة بهذا الطريق عن اليمين وعن الشمال في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أفواجاً.

---

١١٨ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ

عتاب المتخلفين

والله في هذه الآية يعاتب الذين تخلفوا بغير عذر، وفي نفس الوقت يعطي فتحاً عظيماً وأملاً كبيراً لمن تخلفوا ولكن رغماً عنهم، لأن معهم العذر.

والذين تخلفوا بدون عذر كان معهم المال، وعندهم الركائب، وعندهم السلاح، وعندهم الزاد، لكنهم بخلوا أن يقوي جيش رسول الله ويذهبوا معه، فهؤلاء الذين يقول لهم الله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أهل المدينة وبعض القبائل العربية الذين حول المدينة لا يجوز لهم أن يتخلفوا إذا ناداهم رسول الله للجهاد.

﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ يجلسون في بيوتهم، يعيشون العيشة الطيبة الهنية، في الأثاث الفاخر، وفي الهواء اللطيف، وفي المياه الباردة، ومع النساء، والرسول ﷺ في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ظل ولا ماء، هل يجوز ذلك؟ لا يجوز ذلك.

ولذلك أحد الأنصار وهو سيدنا خيثمة ﷺ كان جالساً في حديقة جميلة بمنزله في ظل أشجارها، وزوجته كانت جميلة بجواره، وأتت له بأشهى الطعام وبالمياه الباردة، لكن ضميره حاسبه فقال: أنا أجلس في الظل والمياه الباردة ومعي امرأةٌ حسناء، ورسول الله ﷺ يتكبَّد الحر في الصحراء، لا يكون ذلك، فقام وجهزوا له الفرس، وأخذ زاده، ومشى وراء الجيش مسرعاً ليلحق بهم، نظروا فوجدوا رجلاً قادماً، فقالوا: رجل قادم من بعيد يا رسول الله، فقال: { كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ }[١١٩]

فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهؤلاء هم الذين فازوا، وبقي حوالي ثمانين ظلوا باقين في المدينة، وهؤلاء اسمهم المخلفون، أي الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بغير عذر.

لا يجوز للمؤمن إذا ناداه رسول الله ﷺ للجهاد أن يتخلف، أو يؤثر نفسه على رسول الله، هل يجوزأن يؤثر نفسه بالراحة وبالطعام الهني وبالشراب الروي على رسول الله ﷺ وهو في أطوار هذا الجهاد؟

لا يجوز ذلك أبداً: ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

---

١١٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن كعب بن مالك ﷺ

أجر المجاهدين

وعلل الله السبب وذكر أن كل شيء يحدث لهم له أجر، فالذي يجاهد في سبيل الله، والذي يذهب مع رسول الله، وكل شيء عمله له أجر:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ لا يصيبهم عطش إلا وكان لهم أجر، وإذا جاع يكون له أجر، وإذا مشى في أي مكان ورفع قدم ووضع قدم له بها أجر، لأنه يجاهد في سبيل الله، حتى قال ﷺ:

{ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا }[١٢٠]

السَوط الذي يسوق به الإنسان الإبل أو الخيول خير من الدنيا وما فيها من الخيرات والمبرات، لأنه له أجر لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

حكم المتخلفين بعذر

وجاء بعد ذلك رسول الله ﷺ فبشَّر الذين لم يخرجوا معهم لعذر، وتخلفوا رغماً عنهم، فقال ﷺ ذات يوم بين أصحابه:

{ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ }[١٢١]

كانوا يريدون أن يكونوا معكم ولكنهم لم يجدوا ما يستطيعون أن يسافروا به ويضحوا به في سبيل الله، فمن بقي بعذر فله أجره الكامل عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لكن من يتخلف بغير عذر فهذا الوعيد الذي وعده الله ﷻ به، ويحاسبه عليه حساباً شديداً في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

---

١٢٠ صحيح البخاري وسنن الترمذي عن سهل بن سعد ﷺ
١٢١ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أنس ﷺ

دور المسلمين المعاصرين

هذه الآيات التي معنا ما دورنا فيها في هذا الزمان؟

الإسلام يحتاجنا كلنا، لأن العالم كله في حاجة إلى رسالة الإسلام، ولكننا لا نرى أحداً عاقلاً وحكيماً يستطيع أن يوصل لهم تعاليم الإسلام بالصورة التي جاء بها المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

لا بد لكل واحد منا أن يكون له دور في الجهاد لرفعة الإسلام، مثلاً رأينا جماعة يعملون كُتَّاب لتحفيظ القرآن، فعلينا أن نساهم فيه، وجماعة يبنون معهداً دينياً لتعليم علوم القرآن فعلينا أن نساهم فيه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فهو لم يفرض علينا قدر، بل قال:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٧الطلاق).

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾

كل واحد ينفق ما يقدر عليه، ولا يوجد أمر، ولكنه لم يعف أحد، حتى لا يقول أحد أنا فقير، بل ادفع على قدر ما تستطيع:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣آل عمران)

ما أوصافهم؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ (١٣٤آل عمران)

لا عذر هنا، إن كان غنياً أو فقيراً، والضراء يعني فقير، فالفقير ينفق.

وعندما يحكم الإنسان عقله وينظر، لو عندي طفلان صغيران والواحد منهما نفرض أنه يأخذ جنيهاً في اليوم ليشتري به ما يريد ..!

فأنا أعتبرهم كأنهم ثلاثة أولاد وأتصدق بالجنيه الثالث لله، وهذا الأمر يحتاج فقط توفيق من الله، والعمل الذي يحبه الله يريد المداومة عليه، حتى لا أتصدق لمدة يوم أو يومين أو حتى شهر، وبعد ذلك أتوقف، لكن كما قال ﷺ:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[١٢٢]

وقال: { اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[١٢٣]

وشق تمرة يعني نصف تمرة، وهل يتصدق أحدٌ بنصف تمرة؟! لكن لو تصدقت بنصف تمرة لرجل صائم وأفطر بها عند المغرب، أخذت أجر صيامه، وهو أجره لا ينقص منه شيء، مع أنك أعطيته شيء بسيط جداً، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[١٢٤]

وفي رواية أخرى:

{ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا }[١٢٥]

إن الرجل ليتصدق بالصدقة لا يُلقي لها بالاً – يعني شيئ بسيط – فيجدها يوم القيامة كجبل أُحد، فيقول ما هذا يا رب؟ فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا، أخذناها وربيناها لك حتى صارت كما ترى!.

لا أجر في العالم كله يساوي أجر الصدقة في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ..

ونحن جماعة المسلمين نرى الكافرين قد تكاثرت معهم الأموال، وتكاثرت معهم الأسلحة، ويتحكمون فينا، لذلك نحتاج كلنا أن نتعاضد بالقليل، والقليل مع القليل يكون كثير، لنصر دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

نحن هنا في بلادنا ما شاء الله ندخل المساجد فنجدها مملوءة بالمصاحف ولو ذهبت في دول أفريقيا وهم حوالي مائتي مليون ومعظمهم مسلمين، يتمنوا لو وجدوا مصحفاً معك، يحبون أن يكون معهم مصحف، لذلك هؤلاء يحتاجون من ينظم لهم هذه الأمور من الدول الإسلامية، ويرسل لهم مصاحف، ويرسل لهم من يعلمهم القرآن،

---

١٢٢ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها
١٢٣ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ
١٢٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
١٢٥ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

ويعلمهم بدايات الفقه، حتى يعرفوا كيف يعبدون حضرة الديان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كلنا في حاجة أن نساهم على قدرنا في رفع راية الإسلام، ونبدأ ولو بالقليل، والقليل سيجعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كثير ... ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠الكهف)

لم يقل: إن الله لا يضيع من عمل، ولكن (من أحسن عملاً) لأن الذي أحسن العمل أول شيء يجعل النية لله، ولا ينوي بالعمل رياء ولا سمعة ولا شهرة.

لذلك الذي يريد أن يُحسن العمل لا بد أن تكون النية خالصة لله، ولا يبغي مقابلاً من إنسان مثله، لأنه لا يوجد إنسان ولا حتى دولة تستطيع أن تعطي مسلماً أجراً على تسبيحة واحدة يسبحها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا بد أن أجعل هذا العمل لله:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان)

لا نريد منكم حتى كلمة شكر.

إذاً إحسان العمل أن يجعل النية فيه لله، وأن يُخلِّصه من الرياء والشهرة والسمعة، وأن يقتدي في هذا العمل بسيدنا رسول الله، ينظر كيف كان يعمله رسول الله فيتابعه ويقتدي به ويمشي على هديه في هذا العمل حتى يعطيه الله ﷻ الأجر الكبير على هذا العمل ولو كان صغيراً.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

فكل ما يفعله المؤمن لله له أجره وافراً عند الله.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يزرع في قلوبنا الرغبة في الخير، وأن يضع في أفئدتنا الإخلاص في العمل، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا الاقتداء بالنبي الرؤوف الرحيم، وأن يجعلنا من الذين يسارعون في الخيرات، ويبذلون كل ما يملكون لله ﷻ رغبة في رضاه، ولا تشغلهم الدنيا بما فيها عن الجهاد لإعلاء كلمة الله.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١١)

رؤوف رحيم[١٢٦]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ (التوبة)

القرآن وكفاية الهموم	رسول منكم
وصف الله لرسوله	رحمته بأمته
حريص على أمته	يسر الإسلام

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وضح لنا صورة نبيه الرؤوف الرحيم ..

وأعلى شأنه ... ورفع قدره ... وخصَّه في الدنيا بالتعظيم ..

وفي الآخرة بالتكريم ..

وفي الجنة جعله هو مفتاح جنة النعيم ...

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ...

السابق للخلق نوره ...

والغالب على الشمس والقمر وكل الأضواء ظهوره ...

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ...

وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين ...

وعلينا معهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

---

١٢٦ الأقصر – أولاد الشيخ ٢٦ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/١٢م

القرآن وكفاية الهموم

الآيات التي معنا آخر آيتين في سورة التوبة، وهي من أواخر الآيات التي نزلت من القرآن على النبي ﷺ قبل انتقاله إلى الملأ الأعلى ...

وهي آيات مباركات ...

ولذلك إذا رجعنا إلى أوراد الصـــالحين قديماً وحديثاً نجد من جملة أورادهم قراءة هاتين الآيتين صباحاً ومساءاً ... لماذا؟

أخذوا ذلك من الحديث الشريف الذي قال فيه ﷺ:

{ مَنْ قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: لأَكْفِيَنَّ عَبْدِي صَادِقًا كَانَ، أَوْ كَاذِبًا }[١٢٧]

من قالها كفاه الله جميع همومه، وأظن أننا جميعاً نحتاج أن يكفينا الله جميع همومنا، كانوا يقرأوها عقب الصـــلاة مباشـــرة بعد قراءة آية الكرســـي مباشـــرة، ثم بعد ذلك التسبيحات والتحميدات والتكبيرات والتي هي ختام الصلاة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومما حفَّزهم على ذلك أيضـاً أنه في القرن الثالث الهجري، وكانت الدولة العباسية أكبر دولة في العالم الإســـلامي، وكانت تســـيطر على العالم الإســـلامي كله، وكان لقُرَّاء القرآن شـــأنٌ كبير، واحترامٌ من الناس كبير، فكان رجلٌ في بغداد من كبار قُراء القرآن، وقُراء يعني يُقرئون الناس القرآن، يعني معلم.

كان هذا القارئ اسمه أبو بكر بن مجاهد، وكان له مســـجداً، وله تلاميذ، وكان يعمل بقول النبي ﷺ:

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }[١٢٨]

وبلغ من إخلاصـــه في خدمة القرآن أنه كان يهابه الوجهاء والوزراء، وكان إذا أتى إليه حتى الوزير القائم يسلم عليه وهو جالس ولا يقف له، لأن التشريف والتكريم يكون لحامل القرآن وليس لعامل السلطان أو وزير السلطان.

---

١٢٧ الدعاء للطبراني
١٢٨ صحيح البخاري والترمذي عن عثمان بن عفان ﷺ

وذات يوم دخل عليه رجلٌ من الصالحين اسمه الإمام الشبلي ﷺ، والإمام الشبلي كان والياً على أقليم كبير من أقاليم الدولة العباسية، وجاءته العناية الإلهية فترك الولاية وتفرغ لعبادة الله وطاعة الله، والحالة التي جاءته حالة جذب إلهي، فترك كل الدنيا وعاش مع الله ﷻ، حتى أنهم اتهموه مرة بالجنون وأدخلوه مستشفى المجانين على أنه مجنون، لماذا؟ لأنه كان مجنوناً بحب الله، وقد قال ﷺ:

{ أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ }[١٢٩]

دخل الإمام الشبلي على الشيخ أبي بكر، فقام واحتضنه وأكرمه غاية الإكرام، وبعد أن مشى سأله تلامذته: إنك لا تقوم لوزير الخليفة عندما يأتي لزيارتك، فلماذا قمت للشبلي؟ قال ﷺ:

كيف لا أُكرم رجلاً كرَّمه النبي، قالوا: كيف؟ قال:

في الليلة السابقة رأيت النبي ﷺ في المنام وقال لي: سيأتيك غداً رجلٌ من أهل الجنة فأكرمه!، من الذي أمر بالإكرام؟ رسول الله ﷺ.

بعد هذه الواقعة بيومين، قال: رأيت رسول الله ﷺ، وقال لي: جزاك الله خيراً لإكرامك رجلاً من أهل الجنة، قال: فقلت: يا رسول الله لِمَ أوصيت به؟ وما العمل الذي يعمله حتى صار من أهل الجنة؟ قال: هذا الرجل يصلي الفرائض الخمس منذ ثمانين عاماً، وبعد كل صلاة يُصلي علي ويقرأ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

من يحافظ على تلاوة هاتين الآيتين والصلاة على حضرة النبي أفلا يستحق هذا التكريم؟! بالقطع يستحق هذا التكريم.

فهاتين الآيتين من يحافظ على تلاوتهما مرة صباحاً ومرة مساءاً، يكفه الله جميع همومه، ويكون من أهل التكريم يوم لقاء حضرة الكريم ﷻ يوم الدين.

---

١٢٩ مسند أحمد عن أبي سعيد ﷺ

رسول منكم

لماذا؟ لأن هاتين الآيتين تصف لنا وتبين لنا ما لا نعلمه من صفة نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه، فالله يقول لنا في خطاب تتفتت منه الجبال وليست القلوب فقط: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ كلمة (رسول من أنفسكم) تُعلي شأننا، وترفع قدرنا، وتجعل لنا منزلة عظمى عند ربنا ﷻ.

فمن نكون نحن حتى يكون منا رسول الله ﷺ؟! لكنها عناية الله ورعاية الله، وملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب، فعناية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا أن الرسول منا.

وجعل الله ﷻ هذه الكلمات حجة على كل الكافرين والمشركين والمعترضين، فأنتم لِمَ تعترضون على هذا الرجل؟! أنتم تعرفون نسبه، وتعرفون حسبه من البدء إلى الختام، وتعرفون أخلاقه، وأنتم الذين وصفتموه بالصادق الأمين، فلماذا لا تتبعوه ولا تهتدوا بهديه؟!! فهذه حجة شديدة على المعترضين والكافرين والمشركين الذين لم يؤمنوا بنبوة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ولذلك وضَّح الله ﷻ حقيقة نَسَبه في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فمرة يقول له: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (٢١٩الشعراء) نورك كان يتقلب في ظهور الساجدين وبطون الساجدات من أول آدم إلى عبد الله وآمنة، قال ﷺ:

{ خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي }[١٣٠]

كلهم ساجدين لله، واليهود – قاتلهم الله – يأتون بحجة للضعفاء في العلم والرأي والإيمان في هذه الأمة، ويقولون: هذا الكلام يتعارض مع أبو إبراهيم لأنه كان غير مسلم، واستدلوا بقصة سيدنا إبراهيم في القرآن، مع أن إبراهيم وُلد يتيماً، والذي كان يربيه عمه، وكان ولا زال الكثير يقول للعم: يا أبي.

ولذلك يقول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ (٧٤الأنعام) لو كان هو أبوه المباشر لما قال الله (أبيه آزر) لكن آزر هذا كان عمه، وكان يشتغل بصناعة الأصنام، لكنه

---

١٣٠ المعجم الأوسط للطبراني ومصنف ابن أبي شيبة عن علي ﷺ

هو الذي رباه، لأن إبراهيم ولد يتيماً كما ولد رسول الله ﷺ، لكن كل آباؤه وأجداده كانوا موحدين وساجدين لرب العالمين

أعظم المؤرخين العرب الذين أرخوا في تاريخ الأولين إلى سيد الأولين والآخرين كان اسمه الإمام الكلبي يقول: كتبت خمسمائة أم للنبي ﷺ كلهن مسلمات وطاهرات، يقول ذلك في كتابه الذي يحكي سيرة الأولين.

ما اختار الله ﷻ طائفتين إلا واختار سيدنا رسول الله ﷺ من خيرهما، لذلك رسول الله ﷺ كان كما يحكي عن نفسه:

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ }[١٣١]

والعرب كانوا يجيدون علم الأنساب، وكان هذا العلم مقرر على الجميع، ولم تكن هناك مدارس، لكن كل واحد كان لا بد أن يحفظ نسب العائلة، ونسب العائلات التي حولهم.

لذلك كلهم كانوا يعرفون نسب النبي، ويعرفون حسبه، ويعرفون نشأته فلماذا يعترضون عليه؟! هذا الأمر عدم توفيق من الله، أو غضب من الله، أو سوء قصد يحاسبهم عليه الله جل في علاه.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ جاءنا رسول منا، ونحن نعرفه، فلا نعترض عليه، ولا نكذب بما جاءنا به، وإنما نصدق به، ونصدق في اتباعه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهناك قراءة أخرى للآية تؤيد هذا الكلام يقول فيها الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني من أنفس عائلة من عائلاتكم، ومن أنفس بطن من بطون هذه العائلة، من أنفس أب وأم من هذا البطن، فمِن أنفَسِكم يعني من أشرفكم وأغلاكم وأعلاكم وهو رسول الله ﷺ.

---

١٣١ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

وصف الله لرسوله

أراد الله أن يعطينا بعض الملامح والصفات لهذا الرسول على قدرنا، لنعرف قدر نبينا ﷺ، فقال: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ أول الصفات: (عزيز عليه ما عنتم)، والصفة الثانية: (حريصٌ عليكم)، والصفة الثالثة: (رؤوف)، والصفة الرابعة: (رحيم)، أربع صفات جعلها الله ﷻ في هذا النبي الكريم ﷺ، كلها تدل على الرحمة والحنان والشفقة والعطف.

والذي جعل العوالم كلها من حولنا تدخل في الإسلام هذه الأوصاف عندما اتصف بها أهل الإسلام اقتداءاً بالنبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهي نفس الأوصاف التي تحتاجها الأمم التي حولنا كلها لكي تهتدي إلى دين الإسلام، ونحن أيضاً نحتاجها ليصلح الله أحوالنا، وليهدي الله أبناءنا، ولكي يعفّ الله بناتنا.

الأمريكان والأوروبيون واليابانيون وغيرهم، هل أحد منهم يحتاج إلى مال أو خير من خيرات الدنيا؟! لا، بل إنهم يعطوننا معونات، فما الذي يحتاجونه وغير موجود عندهم؟ ليس عندهم الحنان ولا العطف ولا الشفقة ولا الرحمة ولا الرأفة، فهذه الأخلاق غير موجودة إلا في صيدلية الإسلام، ولا تأتي من مصانع تصنعها، ولكن هي في رجال يتجملون بها، وعندما يتجملون بها سيشدون غيرهم إلى دين الإسلام، وإلى هدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قرآنه الكريم، ومع نبيه الرؤوف الرحيم.

ولذلك عندما يصف الله حضرة النبي في آية أخرى يقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران) هم جاؤوك ومشوا خلفك بسبب الرحمة اللي رأوها فيك، واللين في المعاملة، والبشاشة في الوجه، والكلم الطيب، والمعاملة الرحيمة التي أنت عليها، هذه هي التي شدَّت الناس إلى دين الله ﷻ، لكن: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران) سيتركوك وينصرفوا.

فعرَّفنا الله أن هذه أوصاف النبوة، والتي يجب أن تكون أوصاف أتباع النبي الصادقين، وهي السلاح الذي يشد الناس الآخرين إلى دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالناس يحتاجون إلى ذلك، يُريدون الحنان، ويريدون العطف، ويريدون الذي يحتضنهم، حتى الكبار وليس الصغار فقط.

كلما تشتد مضايق الحياة فما الذي يحتاجه الإنسان؟ من يحتضنه ويخفف عنه، ومن يقول له كلمتين طيبتين يروح عنه ويخفف عنه، لذلك الإسلام جعل الكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

فمن لم يستطع أن يتصدق بالمال، يتصدق بالكلمة الطيبة، ويتصدق بالابتسامة الحسنة في وجوه الآخرين، ولذلك كان ﷺ كما وُصف لا يُرى إلا مبتسماً.

وهو يعَلِّمهم يبتسم، وهو يتكلم مع أي أحد على الدوام البسمة تعلو وجهه صلوات ربي وتسليماته عليه، لأن البسمة تطمئن الإنسان الآخر، فيذهب من عنده الخوف والرعب والجزع والفزع، لأن رسول الله ﷺ كانت عليه هيبة من عند الله، لا يستطيعون أن يسيطروا على أنفسهم عندما يرونه، فقد روي أن رجل كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَأَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

{ هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ }[١٣٢]

والقديد هو لحم مملح، حتى يعيش شهرين أو أكثر، وكان يأكله الفقراء، لكن الأغنياء كانوا يأكلون اللحم طازجاً دائماً، فقال له: أنا أمي كانت فقيرة لأنها كانت تأكل القديد، حتى يخفف عنه ويُذهب عنه روعه ورعبه وخوفه صلوات ربي وتسليماته عليه.

رحمته بأمته

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ العنت يعني الشدة، فكل شدة تقع لنا منذ زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يناجي مولاه، ويرفع أكف الضراعة إلى الله، ويسأل لهم الإغاثة من الله، ولكن بشرط أن يكونوا قد فاقوا وأفاقوا واتجهوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ليرفع عنهم كل عناء وكل بلاء وكل وباء.

ولذلك نحن نسأل الله الآن ونقول:

اللهم بجاه حبيبك الأعظم ﷺ ارفع عنا كل وباء، واجعلنا في الدنيا أتقياء أنقياء، وفي خير ويسر وهناء، وفيما يرضيك من العمل الصالح سعداء، وارزقنا يوم القيامة صحبة إمام الرسل والأنبياء .. آمين آمين يا رب العالمين.

---

١٣٢ الحاكم في المستدرك وابن ماجة عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

كان ﷺ لا يحب أن يشـــق على أمته قط، والأمثلة في هذا المجال لا نســـتطيع ذكرها، ولكن نشـير إلى ما لا بد لنا منه، فكان ﷺ له أصـحاب جاءوا مهاجرين، وليس لهم أهل ولا مال ولا زوجة ولا ولد، فأين أقامهم؟ في مسـجده المبارك، والمسـجد لم يكن له سقف، فصنع لهم سقفاً سموه الصُفَّة ليحيمهم من الشمس في الصيف، ومن المطر في الشتاء، فكانوا ينامون تحت هذه الصُفَّة.

والنبي ﷺ فرض الله عليه فرضاً في الصلاة زائداً عنا، فالصلوات التي علينا خمسة، والصلوات المفروضة على النبي ستة، لأن الله قال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ (المزمل) فالقيام في حقه فرض، وفي حقنا نحن سُنَّة لو تركناه لا ملام علينا.

فكان ﷺ إذا دخل مسـجده المبارك، وهؤلاء نائمون، يمشـي على أطراف أصـابعه حتى لا يشعروا بحضرته فيستيقظوا!!، انظر إلى الرحمة التامة لرسول الله ﷺ.

وكان لكل زوجة من زوجاته ليلة، ينام بجوارها، السيدة عائشة تحكي وتقول:

{ أَتَانِي فِي لَيْلَتِي، فَدَخَلَ مَعِي فِي فِرَاشِي حَتَّى أَلْصَقَ جِلْدَهُ بِجِلْدِي، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَلَأُحِبُّ هَوَاكَ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا }[١٣٣]

وفي رواية أخرى:

{ لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي }[١٣٤]

ما هذا الأدب العالي؟! هل يوجد من يسـتأذن زوجته؟! النبي يسـتأذن من زوجته، لأنها ليلتها، وهذا حقها، ودائماً المعاملة الطيبة تقابلها المعاملة الطيبة، فعندما خاطبها بهذا الأسـلوب، هي خاطبته بنفس الطريقة وبنفس المنوال، فأذنت له، رغم أنها صـاحبة الليلة، حتى يعلمنا أن نعطي الحقوق لأهلها، ولذلك كان يقول لأصحابه دوماً:

---

١٣٣ تنبيه الغافلين للسمرقندي عن عائشة رضي الله عنها
١٣٤ صحيح ابن حبان وأخلاق النبي للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

{ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }[١٣٥]

هذا الأدب النبوي لرسول الله ﷺ، فقد جاءته امرأة وهو في الطريق، وقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ لَهَا:

{ يَا أُمَّ فُلَانٍ، اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَجْلِسَ إِلَيْكِ، قَالَ: فَجَلَسَتْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا }[١٣٦]

لم يقُل لها خدي ميعاد أولاً، ولكن اجلسي في ناحية من الطريق وأنا أجلس معكي، فكان ﷺ في هذا المجال لا يُبارى، فصلوات ربي وتسليماته على من قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم).

خرج مع أصحابه إلى غزوة بدر، واقتضى تجهيز الجيش أن كل ثلاثة يكون لهم جمل واحد، ويتبادلون الركوب عليه، وكان مع النبي ﷺ اثنين من الصحابة يشاركانه في الجمل، فقالا له: يا رسول الله اركب أنت ونحن نمشي ونغنيك عن هذا الأمر، فرفض.

هو رفض ليس من أجل الثواب، ولكن ليبين ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم من التواضع والمساواة بين خلق الله، فهذه التي تريح النفوس، وتجعل الناس جميعاً يحبون الإنسان لأخلاقه المهذبة التي هي صورة من أخلاق النبي العدنان ﷺ.

ذكر الطبري في خلاصة سير سيد البشر: أن النبي ﷺ كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر عليَّ طبخها، فقال ﷺ: وعليَّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام ﷺ وجمع الحطب!! هل يوجد مهنة من هؤلاء أشق من جمع الحطب؟! لا، لأنه سيبحث في الصحراء عن الحطب، حتى يجد شجرة أو يجد فرع شجرة، والحطب غير متوفر في الصحراء في كل مكان، لكن حتى يعلموا علم اليقين أن أساس هذا الدين هو الخُلُق الكامل الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

١٣٥ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ﷺ
١٣٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أنس ﷺ

حريص على أمته

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ ...

لم يترك شيء أبداً يقربنا إلى الله إلا وذكَّرنا به !!

ولم يترك شيء يستوجب غضب الله إلا وحذَّرنا منه ...!!

ولم يترك باباً للفضل والتكريم يوم لقاء الله إلا وطلبه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا.

فمكث فترة طويلة يدعو الله أثناء سيره، أو وهو جالس بعد الصلوات، ... أو وهو نائم، ويقول:

{ اللَّهُمَّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ }[١٣٧]

نحن سنكرمهم من أجلك! وأنزل الله له قانون يستند عليه فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى)

سيعطيك ما تريده حتى ترضى.

سيدنا جعفر الصادق ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكان من الأئمة العظام، قال:

(ولا يرضى ﷺ وواحدٌ من أمته في النار)

فهو ﷺ مفتاح الجنة .. والجنة لن تُفتح إلا إذا هو ذهب لها، قال ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }[١٣٨]

---

١٣٧ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٣٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

فهل يدخل ويتركنا؟

لا !!! بل يظل حتى يطمئن على أمته.

عن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ }[١٣٩]

يقف أولاً على الصراط حتى يطمئن على أمته، وكذلك عند الميزان، وقال لنا:

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ }[١٤٠]

يشفع لمن يسعى في مصلحة أي فرد من المؤمنين، ولكن لوجه الله تعالى، وليست مصلحة مقابل مصلحة، أو منفعة مقابل منفعة.

فسيدنا رسول الله ﷺ يظل في أرض القيامة حتى يطمئن على أن أمته قد دخلت الجنة، ومن فضل الله علينا أننا أول أمة في الحساب، وأول أمة في دخول الجنة، قال ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّة }[١٤١]

نحن آخر أمة في الدنيا، لكن يوم القيامة سنكون أول أمة في الحساب، ولذلك يقول الله له:

{ يَا حَبِيبِي يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ، قَالَ: هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: يَا حَبِيبِي، فَهَلْ غَمَّ أُمَّتَكَ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنْ

---

١٣٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ

١٤٠ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٤١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الأُمَمِ }[١٤٢]

حتى يطلعوا على مساوئ الأمم السابقة، ولا يطلع على مساوئهم أحدٌ غير الله.

نحن نقرأ القرآن ونرى ما فعله قوم نوح، وما فعله قوم لوط، وغيرهم، لكن هل سيأتي أحد بعدنا ويرى ما عملناه؟ لا أحد، فالأمر بيننا وبين حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ونحن كذلك لا يطول مكثنا في القبور مدة طويلة، حتى يأتي الميقات وتأتي نفخة الصور، وتنتهي الدنيا، ويبدأ البعث والنشور لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

عندما نحاول أن نجمع بعض ما طلبه رسول الله من الله لنا من التكريم والتعظيم والفضل الكبير لا نستطيع أن نحصر ذلك، لا في مجلدات، ولا في مسجلات، ولا في أي شيء في الدنيا، لأنه أمرٌ كبير وكثير يقول فيه الله:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ ... خائف عليكم.

يسر الإسلام

﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ كل تعاليمه التي جاءنا بها مبنية على اليسر، وليس على العسر، فلا يوجد شيء أمرنا به الله وفيه مشقة شديدة علينا ولا نستطيع أن نفعله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (﴿٢٨٦﴾البقرة).

إن لم أستطع أن أصلي واقفاً أباح لي أن أصلي قاعداً، فإن لم أستطع أصلي راقداً، وكذلك إن لم استطع أن أتوضأ بالمياه الباردة أباح لي الماء الدافيء، فإن لم أجد أتيمم، وهكذا تيسير في كل شيء.

نحن كلنا مكلفين من الله ﷻ بالشهادتين، والصلاة، والصيام لمن معه الاستطاعة، فالمريض الذي لا يستطيع الصيام أو الكبير في السن، الذي يعجز عن الصيام أعطاه الله الرخصة بالفطر، وعليه إخراج الفدية للفقراء والمساكين.

وفرض علينا الزكاة، لكنها على من يملك مال، أو أرض زراعية وأخرجت النصاب القانوني الذي حدده خير البرية، فهنا يجب إخراج الزكاة، لكن لو عندي عشرة أفدنة

١٤٢ تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ

وزرعتهم بالقمح مثلاً، ولم تنتج من المحصول سوى خمسين كيلة مثلاً، فهل عليَّ زكاة؟ لا، وآخر عنده ست قراريط وأخرجت له ستين كيلة من القمح، فهل عليه زكاة؟ نعم، لأن نصاب الزكاة خمسين كيلة، فالزكاة لمن معه، والذي ليس معه غير مطالب بالزكاة.

وفرض الله علينا الحج، ولكن الذي ليس معه امكانية الحج لبيت الله الحرام، لا يحاسبه الله ﷻ على فريضة الحج، حتى من كان معه امكانية الحج، وقدَّم للحج، ولم يأت له النصيب إن كان في القرعة أو في مكتب سياحي أو غيره، فإنه يأخذ أجر الحج تاماً، كأنه ذهب وأدى المناسك، مع أنه لم يذهب، ولكنه صنع ما عليه ولم يمنع نفسه وإنما المنع جاء من غيره.

فالدين كله عندما ننظر فيه نجد أنه يسر، ولذلك يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:.. ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٧٨الحج) ليس فيه مشقة، وبالمناسبة أسمع من البعض يقول: (لا حياء في الدين) هذه الكلمة غير صحيحة، لأن الدين أساسه الحياء، قال ﷺ:

{ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الْحَيَاءُ }[١٤٣]

وقال: { الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ }[١٤٤]

ولكن نقول: لا حرج في الدين، والحرج يعني المشقة والعناء.

فالله ﷻ لم يكلفنا بأي أمر فيه مشقة أو تعب أو عناء، بسبب تيسير حضرة النبي ﷺ لنا جماعة المؤمنين.

وعندما تدرس الدين بتأني تجد كله ينشد اليسر، والرجل الذي يبحث على العسر، ويريد أن يشدد على نفسه وعلى غيره فهذا مسكين عنده متاعب نفسية، لكن الدين كله مبني على اليسر، لأن سيدنا رسول الله ﷺ كله رأفة بنا، وكله رحمة علينا: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٤٣ موطأ مالك، والبيقي في شعبه، ومسند الشهاب

١٤٤ البخاري ومسلم عن عمران بن الحصين ﷺ

(١٢)

تثبيت الفؤاد لخير العباد[١٤٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (هود)

ظهور الشيب في شعر النبي	سر ابيضاض شعر النبي
حكمة قصص الأنبياء في القرآن	عصمة الأنبياء
ذكرى للمؤمنين	الصالحون في بدايتهم
منهج قراءة كتب الصالحين	خطاب المكذبين
عالم الغيب	حسن التوجيه الإلهى

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تنزل من علياء سمائه، ومن عظمته وكبريائه، ليُخبرنا بما جرى وما حدث لرسله وأنبيائه، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين، سيدنا محمد وآله وصحبه وأجمعين.

عندما نقرأ كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نجد أنه يتخلله قصص الأنبياء والمرسلين، وأحياناً نجد قصة الرسول أو النبي تُذكر في أكثر من موضع من سور القرآن، لكن في كل موضع لها بهاؤها، ولها رونقها، ولها أحداثها التي يسوقها الكريم ﷻ للنبي ﷺ ولنا جماعة المؤمنين، ومن السور التي فيها قصصٌ كثير لأنبياء الله السابقين، وكان لها تأثيرٌ في سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، سورة نبي الله هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

١٤٥ الأقصر – الضبعية – نجع حسان ٢٧ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ١٣/١١/٢٠٢٠م

ظهور الشيب في شعر النبي

وكان من نبأها أن الرسول ﷺ كان شعره أسود، فلاحظ بعض أحبابه المقربين أن بعض شعرات من شعره قد ابيضت، وكانوا لحرصهم على معرفة كل شيء عن نبيهم عدُّوا هذه الشعرات، فقالوا: سبع عشرة شعرة، فانظروا إلى الحرص على رسول الله كيف كان؟! لا أحد في الوجود كله قبلاً ولا بعداً ذُكر عنه كل شيء بالتفصيل إلا سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك سألوه: ما الذي شيب شعرك يا رسول الله؟ لأن البياض دليلٌ على الشيب وكبر في السن، أو طبياً فإن الخلايا التي تغذي اللون ضعفت ولم تعد تؤدي مهمتها فابيض الشعر، فقال ﷺ:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا }[١٤٦]

وفي رواية أخرى قال:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }[١٤٧]

سر ابيضاض شعر النبي

لماذا ابيض شعر النبي عندما قرأ سورة هود؟

الأئمة الكرام بدأوا يستمنحون المنح والإلهام من الله حتى يُلهمهم بالقول الصواب في هذا الأمر، لأنه لا يوجد إمام من الأئمة القدامى كان يتكلم بهواه، أو يتكلم من منطلق فكره وعقله، بل يتكلم بما يُلهمه به مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكان عندهم قاعدة يُعلِّمونها للمريدين الصادقين، وهي:

((إذا لم تعلم شيئاً فَكِلْهُ إلى جهلك الأول يُعلِّمك الأول ﷻ)).

لا تشغل الفكر به، ولا تشغل البال به، بل رده إلى الله، وقِف أمام الله، وأنت في حقيقتك البدائية ليس معك شيء:

---

١٤٦ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٤٧ الحاكم في المستدرك وابن حجر في المطالب العالية عن أبي بكر الصديق ﷺ

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ (١الإنسان)

فيأتيك التعليم من حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والله ﷻ لإحاطته بالعلوم، ولغنى ذاته بأنواع الفهوم، يُعطي لكل واحد قدراً من هذه العلوم، ولا يوجد أحد من السابقين ولا اللاحقين سيأخذ العلم كله، ولذلك اختلفت وجهات نظر العلماء، لأن هذا أُلهم بتفسير، والآخر أُلهم بتفسير آخر، والثالث أُلهم بتفسير ثالث، ورابع وهكذا، وعلم الله يسع ذلك كله ويزيد.

فبعضهم قال: أن سيدنا رسول الله ﷺ ابيض شعره لأن الله في آخر سورة هود يقول له: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (١١٢هود) فعندما قال له (فاستقم) اقشعر بدنه وخاف، ومن شدة خشيته من الله، وخوفه من الله، ابيضت شعرات في رأسه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وبعض الأئمة الآخرين قالوا: الله ﷻ عندما ذكر له قصص الأنبياء والمرسلين في سورة هود، كان يقول في آخر كل قصة: ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴾ (٦٠هود) ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴾ (٦٨هود) فذكر البعد أخاف رسول الله ﷺ على أمته، وأخذ يناجي الله ﷻ طلباً لرضاه، لكن هذا الخوف الشديد من الله هو الذي جعل شعره ﷺ يظهر فيه الشيب والبياض.

حكمة قصص الأنبياء في القرآن

هذه القصص التي ذكرها الله لنبيه ولرسوله ولنا، هل لنتسلى بروايتها؟ لا، ولكن بيَّن الله الحكمة في ذكر هذه القصص:

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (١١١يوسف)

فيها عظة وذكرى وحكمة من أجلها ساق الله ﷻ هذه القصص لنبيه ولنا معشر المسلمين في ما أنزله على نبيه ﷺ.

لماذا يُذكِّر الله نبيه ﷺ بهذه القصص كما ذكرت الآيات التي معنا؟ خصوصية لحضرته، لأن الذي تعرض له أنبياء الله ورسل الله السابقين أجمعين لا يساوي ما تعرض له سيد الأولين والآخرين.

ولو فحصت ورأيت كل ما تعرض له الأنبياء والرسل السابقين تجده لا يساوي شيئاً بجانب ما تعرض له أمير الأنبياء والمرسلين، ولذلك عندما أمره الله بالصبر، ماذا قال له؟ قال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٣٥الأحقاف).

يعني انظر إلى صبر أولي العزم كلهم، وصبرك أنت وحدك يكون قدر هؤلاء كلهم، لأن عليك عبء كبير، وعليك حمل ثقيل في دعوة الله، وفي دعوة الخلق إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولذلك كان ﷺ يشير إلى ذلك أحياناً وهو يتحدث عن قصص الأنبياء والمرسلين، فكما ورد في بعض الأثر أنه لما قُتل أبو جهل في غزوة بدر، وقف النبي ﷺ عندما عُرض عليه وقال: **{ اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا فِرْعَوْنِي وَفِرْعَونُ أُمَّتِي، كَانَ شَرُّهُ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي أَعْظَمَ مِنْ شَرِّ فِرْعَونُ عَلَى مُوسَى وَأُمتِهِ }**[١٤٨].

فرعون موسى لم يفعل بموسى كما فعل هذا في جماعة المؤمنين، والتاريخ شاهد ودليل لمن يرجع إلى ذلك، ففرعون كل ما عمله أنه اتفق مع موسى على يوم وأحضر السحرة، وحدث ما حدث، ثم أخرجهم من مصر، لكن لم يعذبهم كما حصل للمؤمنين من أبي جهل وقادة الكافرين في تعذيب وإذلال المسلمين، حتى جعلهم حاصروا النبي وعائلته في مكان بين جبلين ثلاث سنين عندما وقفوا معه، فمنعوا البيع لهم، ومنعوا الشراء منهم، ولا يزوجوهم منهم، ولا أحد يتزوج منهم، ولا يقضوا حاجة من مكة ولا من ضواحيها، فكيف يعيشون؟!!.

سيدنا سعد بن أبي وقاص يقول: في ذات يوم من الأيام أخذني جوعٌ شديد، فوجدت قطعة تشبه الجلد على الأرض، ومن شدة جوعي لم أفحصها ولم أعرف ما هي، فقذفتها إلى بطني، وأنا إلى الآن لا أعلم ما هي!!، أي شيء يضعه في بطنه ليسد به الجوع، والآخرين يعيشون في رغد العيش، حرب كانت شديدة، قواهم وأعانهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليها، ولذلك قال له:

﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ وأنباء يعني أخبار الرسل ..

لماذا؟

---

١٤٨ في الدر المختار شرح تنوير الأبصار وفي البحر الرائق وشرح السير الكبير ورد: وقد حمل ابن مسعود يوم بدر رأس أبي جهل وألقاها بين يديه عليه الصلاة والسلام، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا فِرْعَوْنِي وَفِرْعَونُ أُمَّتِي، كَانَ شَرُّهُ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي أَعْظَمَ مِنْ شَرِّ فِرْعَونُ عَلَى مُوسَى وَأُمتِهِ»

حتى تعلم علم اليقين أن ما حدث لك كما حدث للأنبياء والمرسلين السابقين، وهذه حكمة الله، وسُنَّة الله في خلق الله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ (٢٣الفتح).

كل نبي لا بد أن يكون له عدو من المجرمين، كما قال رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ ﴾ (٣١الفرقان) ولذلك كلما حدث له حال مع الكافرين يتذكر مثيلتها التي حدثت مع الأنبياء السابقين، فتعينه على الصبر وعلى التحمل صلوات ربي وتسليماته عليه: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾.

عصمة الأنبياء

الأمر الثاني: ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ العرب كانوا قد عرفوا من اليهود قصص الأنبياء والمرسلين السابقين، لأنهم كانوا يحكونها لهم، وكل القصص التي ذكرها اليهود محرفة، وإلى وقتنا هذا، وللأسف نجد بعض العلماء والخطباء يذكر بعض القصص الإسرائيلية، ويضعها في كتبه وهي غير صحيحة، لأنهم عندما ذكروا قصص الأنبياء لم يراعوا عصمة الأنبياء، وأهم نقطة تلحظها وأنت تسمع أو تروي قصة لنبي، أن أنبياء الله معصومين، فلا تحكي قصة تتنافى مع عصمة الأنبياء والمرسلين.

فالله ﷻ ذكر له القصص الحق حتى يقصها لأصحابه وللآخرين، وينزه ساحة الأنبياء والمرسلين، ويبين القصص الحق لهؤلاء القوم أجمعين، ولذلك قصص القرآن هو القصص الحق لكل أنبياء الله ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن هنا أنا أنبه الأحباب أن هناك كتب تباع اسمها قصص الأنبياء، وهي تحكي روايات يهودية عن الأنبياء ما أنزل الله بها من سلطان، منهم كتاب مشهور يباع أمام مساجد الصالحين اسمه (قصص الأنبياء للثعالبي) وكله روايات لا تليق بعصمة الأنبياء، لأنها روايات يهودية، ونحن يجب أن لا نسمع عن الأنبياء ما يتنافى مع عصمة الأنبياء، لذلك نبعد عن هذه الكتب وأشباهها.

﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ ﴾ :

الكلام الفصل الذي جاء به الله وأنزله على حبيبه ومصطفاه ليس فيه تحريف ولا تغيير ولا تبديل، وفيه عصمة للأنبياء والمرسلين أجمعين، كما شملهم بذلك ربُّ العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ذكرى للمؤمنين

الأمر الثالث: ﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هذا القصص موعظة وذكرى لنا نحن المؤمنين، لأننا في حاجة لأن نتعظ بما حدث للسابقين، ونتذكر الأفعال التي استوجبوا بها غضب رب العالمين، فنبتعد عن هذه الفعال، ونبتعد عن هذه الخصال، ونتشبه بأمير الأنبياء والمرسلين وصحبه المباركين، حتى نتهنى بفضل الله في كل وقت وحين.

هذه بعض الحكم من قصص الأنبياء، وكذلك الصالحين وأتباع الصالحين، والراغبين في أن يكونوا مع الصالحين، دائماً يبحثون عن أحوال الصالحين السابقين، حتى يتأسَّوا بهم، ويمشون على منهاجهم، ويأخذوا العزيمة من أفعالهم وأحوالهم وأخلاقهم، فليس لنا شأن بالأنبياء، ولكننا نريد أن نكون مع الأولياء، وهذا هو الباب المفتوح لنا.

الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه إمام الصوفية في القرن الثالث الهجري كان يقول:

((حكايات الصالحين جندٌ من جند الله، يقوي قلوب المريدين، ويشحذ عزيمتهم في السير إلى طريق رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)).

الصالحون في بدايتهم

ولذلك عندما ننظر إلى الصالحين نجد معظمهم في بدايتهم كانوا يأخذون الزاد من قصص الصالحين الصحيحة الصادقة.

والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الإسلام ورحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، وكان من الصالحين، وجد أن بعض الكتب ككتاب الرسالة القشيرية، يذكر قصص الصالحين في جزء كبير منه، فحققه وخرَّجه وطلب من الناس أن يقرأوه، وقال:

الإمام القشيري رجلٌ عظيم من الصالحين، حكى قصص الصالحين بطريقة تشد العصاة والمذنبين، لأنه بدأ أولاً بذكر الصالحين الذي كانوا في بدايتهم عصاة ومذنبين ثم تاب الله عليهم ومشوا في طريق الصالحين، حتى يشوق الناس إلى طريق الله، ويعلم الجميع أنه لا يوجد حجر عثرة تمنع المرء في السير في طريق الله، كان مذنباً وأناب، وما الذي يمنع عنه المتاب؟! والله ﷻ يحب التوابين ويحب المتطهرين.

ولما وجد أن أسلوب كثير من الكتب القديمة لا يتناسب مع العصر، قام بعمل حوالي خمسة وعشرين كتاباً عن الصالحين القدامى المشهورين، كتب عظيمة ومحققة، وفيها الكلام الصادق الواقعي وبأسلوب عصري.[١٤٩]

تحدث فيها عن سيدي أبو الحسن الشاذلي، وعن سيدي أبو العباس المرسي، وعن سيدي أحمد البدوي، وعن الإمام الجنيد، وعن الإمام سهل التستري، وعن الإمام الشبلي، وعن الإمام الحارس المحاسبي، وغيرهم.

ولذلك يجب أن نقرأ هذه الكتب ونقتنيها حتى تثير فينا الهمة لبلوغ ما وصلوا إليه من فضل الله وإكرامات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي رخيصة ومطبوعة بتكلفتها.

والإمام أبو العزائم ﷺ يحكي لنا نُبذة عن نفسه في مطلع كتاب من كتبه اسمه (شراب الأرواح من فضل الكريم الفتاح) وهذه النبذة حكاها في مقدمة الكتاب في الطبعة الأولى، وللأسف في الطبعات التالية رفعوها، يقول:

منذ صغري حُبب إليَّ حكايات الصالحين، فاشتريت كتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) للإمام اليافعي، وكنت أطالعه كثيراً حتى أنني من كثرة مطالعته حفظته.

وهناك كتاب مختصر له ولكنهم سموه (روض الرياحين في مناقب الصالحين) مع الباعة الجائلين الذين يبيعون الكتب أمام سيدنا الحسين والسيدة زينب وهو مختصر صغير، لكن الكتاب الأصلي كبير ومجلد وموجود في المكتبات عند سيدنا الحسين وفي الأزهر وفي هذه الأماكن.

وهذا الكتاب يركز على قصص الصالحين، لأن حكايات الصالحين تعطيك العزيمة، وتعطيك الإرادة، وتجعلك لا تكل ولا تمل ولا تسكن ولا تستكين، كلما ضعفت عزيمتك تقرأ في حكايات الصالحين فتقوى العزيمة مرة أخرى.

---

١٤٩ وللشيخ فوزى محمد أبوزيد مؤلفات عديدة عن الصالحين وسيرهم بأسلوب علمى خالٍ من الخرافات وفيها يتتبع سيرهم الصادقة وتلقيهم للعلم الشرعى وجهادهم لأنفسم للترقى وجهادهم فى سبيل نشر الدعوة الصادقة وتربيتهم لمريديهم وحرصهم البالغ على الشريعة، وقد بلغت تسعة كتب حتى الآن ومازالت حلقاته ومجالسه فى سير الصالحين قائمة ، نسأل الله أن يعينه حتى يخرج للعالم الإسلامى سيرهم بالثوب العلمى الأكثر مناسبة لهذا العصر، ويمكنك الإطلاع على عناوين مؤلفات الشيخ فى سير الصالحين السابقين والمعاصرين ص٥٩٢ من هذا الكتاب، كما يمكنك زيارة موقع الشيخ لتقرأ مؤلفاته أو تنزيلها ، أو شرائها، ويمكنك أيضاً حضور مجالسة بالبث المباشر على النت، أنظر ص٥.

وهذا ما لنا في هذه الآية مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فنحن نأخذ قصص الأنبياء، ونأخذ معها لنا قصص الصالحين وحكايات الصالحين، مع ملاحظة أن بعض الكتب التي أُلِّفت عن الصالحين ألَّفها بعض المريدين شديدي الشوق إلى مشايخهم، ومن شدة شوقهم كانوا يحكون عن مشايخهم حكايات من تأليفهم لا يقبلها العقل، ولا تثبت في النقل، وهذه الحكايات لا ننظر إليها.

لكن نحن نأخذ الروايات والحكايات التي يقبلها العقل، وموجودة في المراجع المعتمدة، لكن الحكايات التي يحكيها أي شخص في ساحة من ساحات الصالحين، فإنها روايات وقصص معظمها من تأليف المحبين وليست روايات حقيقية، ونحن نريد روايات حقيقية للصالحين في حياتهم، وإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم.

منهج قراءة كتب الصالحين

ما الذي نركز عليه في قراءة كتب الصالحين؟

الأمر الأول: نركز في كيف أن هذا الرجل ربى نفسه إلى أن وصل إلى ولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ وما الطريق الذي مشى فيه في التربية؟ وكيف كان الجهاد الذي جاهد نفسه فيه حتى وصل إلى هذا المقام الكريم الذي أكرمه به الكريم؟.

الأمر الثاني: كيف كان يربي مريديه؟.

هذه الأمور هي التي تشدنا في قصص الصالحين، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا إلى ذلك أجمعين.

خطاب المكذبين

ثم وجَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الخطاب إلى حبيبه ومصطفاه، للمكذبين والضالين والذين لا يؤمنون بما جاء به من عند رب العالمين، فقال له:

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾

لقد أعذر من أنذر، بعد أن تبلغهم مرة ومرات ولا فائدة، قل لهم: افعلوا ما تريدون، ونحن نعمل ما أمرنا به الله، وما طلبه منا الله في كتاب الله ﷻ.

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

في الدنيا والآخرة، ننظر ماذا سيحدث بيننا وبينكم في الدنيا؟

وماذا سيحدث لنا ولكم يوم لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟.

ماذا ينتظرون؟

أهل مكة – سبحان الله! – كأن الله ﷻ جعل عقولهم لا تعقل، لأنهم كانوا يطلبون من حضرة النبي استعجال العذاب، فيقولون للنبي: أنت قلت أن الأنبياء والمرسلين كان من يكذبهم ينزل الله عليهم العذاب، فلماذا لم ينزل العذاب علينا؟! حتى قالوا: ... ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢الأنفال).

ما هؤلاء الناس؟!

لو عقلاء كانوا سيقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق فاهدنا له، لكن يقولون: لو كان هذا هو الحق أنزل علينا حجارة من السماء، أو أنزل علينا عذاب أليم، فهذا تفكير سقيم، تفكير ليس فيه عقلانية ولا نورانية ولا فكر ناضج.

عالم الغيب

فأمره الله ﷻ أن يقول لهم: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ..

نزول العذاب غيب، والغيب لا يعلمه إلا عالم الغيب ﷻ، والغيب كل ما غاب عن رؤية الحواس الظاهرة، وليس الغيب الذي في السماء فقط، فنحن معنا هنا غيوب لا نراها بالعين، كالملائكة الكرام الكاتبين، هل نراهم؟ لا، فهؤلاء غيب، وفي مجالس العلم كهذا المجلس نبأ النبي ﷺ فقال:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[١٥٠]

١٥٠ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

هـل الملائكـة موجودون أم لا؟ موجودون ولكنهم غيـب، والغيـب لا يُرى بعين الرأس، ولكن يُرى بعين القلب إذا صفت، قال سيدنا عمر ﷺ للإمام علي:

((يا علي إن القلوب إذا صفت رأت))

إذا صـفت القلوب ترى بعض الغيوب، لأن علام الغيوب ﷻ لا يكشـف الغيوب لأي إنسان إلا بقدر مقدور.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إذاً الغيب ليس في السماوات فقط ولكن هناك غيب أيضاً في الأرض: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن) هذا الغيب لله لا يعلمه إلا الله، ويعرفه لمن أراد في الوقت المناسب، ويعرفه أشياء ويحجب عنه أشياء حتى تظل الألوهية لها حدودها الكلية، التي لا يستطيع أن يصل إليها أي إنسان بقواه البشرية، حتى ولو كان نبياً أو رسولاً، فإن الله ﷻ وحده هو عالم الغيب كله.

حسن التوجيه الإلهي

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ :

كونه ينزل العذاب، أو يؤجل العذاب، أو يرفع العذاب، فهذا أمر الله:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس).

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾:

وجه الله حضـرة النبي أن لا يعبأ بكلامهم، ولا يهتم بأحاديثهم، ولا ينشـغل بهم، وإنما ينشـغل بالله، ويجعل وقته كله في عبادة الله جل في علاه، ويتوكل على الله في كل أموره، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وحسبه يعني كافيه.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ لا تخف فالله ﷻ يرى كل الذي يعملوه.

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً رافعاً، ونوراً ساطعاً، وقلباً خاشعاً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١٣)

كفاية الله للنبي ﷺ في كل زمان ومكان[١٥١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر)

خصوصية الإيتاء	السبع المثاني	سر التسمية بالمثاني
تعليقٌ بسيط	معنى إشاري في الآيات	متاع الدنيا
جناح رحمته	الجهر بالدعوة	كفاية المستهزئين
الكلم الطيب	الدواء العصري	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خصَّ حبيبه ومصطفاه بما لم يُعطه لأحد من السابقين من الأنبياء والمرسلين، ولا الملائكة المقربين، لأنه هو المحبوب الأعظم لربِّ العالمين ﷻ.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتح كنوز الفضل الإلهي، وباب القرب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكل آدمي، وسر كل الأسرار التي نزلت من الله في قلوب الأبرار والأطهار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

١٥١ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١٢ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١٠/٢٩م

نحن نتحدث عن الآيات القرآنية التي تتحدث عن خير البرية، وليس هناك – كما نظن وكما نتيقَّن – كلام أعلى ولا أرقى ولا أثنى ولا أبهى في حق السيد الأعظم ﷺ من كلام مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الآيات التي معنا هي التي تناسب الحالة الحاضرة للمسلمين في وسط العالم الآن، وما يشاع وما يذاع من هنا ومن هناك عن رسول الله ﷺ.

خصوصية الإيتاء

بدأت الآية بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خطاباً من الله مباشراً لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يُعلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه خصَّه بخصوصية لم يخص بها سواه حتى من أنبياء الله ورسله الكرام، خصوصية ذاتية للحضرة المحمدية.

ولم يقُل الله: ولقد أعطيناك، وإنما قال: (ولقد آتيناك) والإيتاء يكون مباشرة ليس بواسطة، إن كان جبريل أو غيره من الملائكة، أو أي سبب من الأسباب، وإنما من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في عظمته وألوهيته إلى الحبيب ﷺ بلا نقاب ولا حجاب.

السبع المثاني[١٥٢]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ السبع المثاني فيها كلامٌ كثير لعلماء التفسير لا أريد أن أُطيل عليكم بذكره، لكن كما قيل:

العلم صعبٌ وطويل سُلَّمه فانتقي من كل شيء أحسنه

حتى تأتي بكل كلام العلماء في تفسير الآية تحتاج كتاب تفسير في هذه الآية وحدها، وماذا أفعل؟ أنتقي من كل شيء أحسنه كما يُلهمني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل شيء عليم.

ذكر علماء أسباب النزول أن سبب نزول هذه الآية أن يهود بني قريظة وبني النضير في المدينة جاءهم في يوم سبع قوافل تجارية محملة بكل ما يخطر على البال من

١٥٢ الكتاب القادم للشيخ فوزى محمد أبوزيد (تفسير وفوائد الفاتحة وآية الكرسى)، فاقتنه.

أنواع التجارات، فقال بعض المسلمين: لو كانت هذه القوافل وما فيها من أموال لنا لسخرناها في الجهاد في سبيل الله وإعلاء شأن الإسلام، فأعلمهم الله ﷻ بنظرتهم الدانية أن الله أعطاهم ما هو أفضل وأكرم وأكمل من هذه العطاءات الدنيوية جميعاً وأمثالها أضعاف مضاعفة:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

ولما كان كلام المفسرين في معنى السبع المثاني بناءاً على فقه في التأويل، أو على ترجيح لدليل على دليل، فنحن اخترنا أن نقف فيها مع قول السيد النبيل ﷺ، حيث كان ﷺ في مسجده، وكان أحد أصحابه يُصلي نافلة، فناداه حضرة النبي ﷺ فاستمر في صلاته ولم يُجب نداء النبي إلا بعد انتهاء الصلاة، فقال له ﷺ:

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ }[١٥٣]

فالاستجابة لله وللرسول فريضة، وهذه الصلاة نافلة، والفريضة أولى من النافلة، لذا كان يجب عليه أن يُسلم من صلاته ويجيب دعوة النبي، ثم بعد ذلك يصلي ما شاء من النوافل فإن النوافل بابها مفتوح.

بل قال العلماء الأجلاء هذا النداء إذا كان من الوالدين، فلو أن الأب أو الأُم نادى على ابنه أو ابنته، وهم في صلاة فريضة، قالوا: يرفع صوته ليُعلمهم أنه في الصلاة، فإذا تأكد أنهم لم يسمعوا يخرج من الصلاة ويجيب نداء الوالدين، لأن إجابة نداء الوالدين فريضة، وهذه الصلاة فريضة، والله ﷻ يتسامح في حقه، لكن الوالدين ربما لا يتسامحا في حقهما، فهما أولى بالإجابة في هذا المقام.

أما إذا كان يُصلي نافلة ففوراً يخرج من الصلاة ليُلبي نداء الأب أو نداء الأم، لأن نداءهما فريضة ويلزمه الطاعة، وطاعتهما واجبة وفريضة عليه كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قرآنه الكريم.

وبعد أن انتهى النبي ﷺ من حديثه مع هذا الصحابي الجليل، قال له:

---

١٥٣ صحيح البخاري وسنن أبي داود

{ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ }[١٥٤]

ولذلك أنا قلت أننا نقف عند قول رسول الله ﷺ، لأن قوله فصل في هذا الأمر، ولا نفرع ولا نتشتت هنا وهناك.

سر التسمية بالمثاني

لِمَ سُميت السبع المثاني؟

لأننا نُثنّيها، وكلمة نثنيها في اللغة يعني نعيدها في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهذا رأي، وهناك رأيٌ آخر يقول: لأن فيها ثناءٌ ودعاء، ثناء من العبد على مولاه، ودعاءٌ له يجيبه فيه مولاه، سر قوله تعالى في الحديث القدسي:

{ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ"، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[١٥٥]

فالفاتحة بين العبد وبين الله ﷻ ... وقوله تعالى في هذا الحديث القدسي: (ولعبدي ما سأل) جعل الفقهاء والعلماء وأفراد الأمة أجمعين يفتتحوا كل أمر هام بالفاتحة ... فإذا قرأناها في حفل زواج بارك الله في هذا الزواج، .. وإذا قرأناها في عقد بيع أتم الله هذا البيع على خير، وكذلك كل أمر، لأن الفاتحة رجاء ودعاء، ووعدنا الله بإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، في قوله ﷻ: (ولعبدي ما سأل).

---

١٥٤ صحيح البخاري وسنن أبي داود
١٥٥ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

تعليق بسيط

كثير ممن ينتسب إلى العلم ويتحدث بحديث العلماء يأخذ كلماتٌ من كتب الأولين، وإن كانت لا تناسب العصر الذي نحن فيه الآن، فيسيء لنفسه، ويسيء لدينه، فيكون على المنبر أو في درس عام، فيقول عن قول الله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٧الفاتحة) غير المغضوب عليهم هم النصارى، والضالين هم اليهود، فمن أين أتيت بهذا الكلام؟!! النصارى واليهود أهل كتاب، والضالين هم الذين لم يهتدوا لكتاب، والمغضوب عليهم هم الذين لم يهتدوا إلى دين صحيح، ولا إلى نبيٍّ من الأنبياء.

فهذا الكلام لا ينبغي أن نقوله في هذا العصر وفي هذا الزمان، لأن القرآن نزل لطيفاً يخاطب أهل كل عصر بخطاب لطيف فيه ذوق، وفيه أدب، وفيه رقّةٌ وجمال وكمال.

بعض السادة العلماء قالوا: سورة الفاتحة مثاني لأن كل آية تتكون من كلمتين مثنى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ (الفاتحة) كل جملة من جملها عبارة عن كلمتين، يعني مثنى من الكلمات.

معنى إشاري في الآيات

والكلام في هذا الباب واسع لا عد له ولا حد له، لكن إشارات الفحول من العلماء الربانيين والعارفين فى معنى السبع المثاني – وهذه إشارة خاصة لا تتنافى مع ما ذكرناه من أقوال العلماء في الآية – فقالوا:

أن السبع المثاني هي السبع صفات الربانية التي خلعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بفضله على الحضرة المحمدية، وهذه الصفات السبعة هي العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، البصر، والكلام، والحياة.

هذه الصفات السبعة لحضرة الله، ... والله ﷻ خلعها على حبيبه ومصطفاه!

ولذلك قال عنه في كتاب الله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١الإسراء) ...

فمن هو السميع البصير هنا؟

سيدنا رسول الله، لأن الله لم يقُل: إنه أنا السميع البصير، بل قال: (إنه هو) ولكنه سميعٌ بسمع الله، وبصيرٌ ببصر الله ﷺ، وهبه الله سمعه فسمع به، ووهبه الله بصره فأبصر به: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ (٣٨مريم).

فوهبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه الصفات النورانية، ولذلك كان هو ﷺ القرآن العظيم الذي من سمعه واستمع إليه لا بد أن يخشع لجلال تلاوته، ولكريم ألفاظه وحروفه، لأنه هو القرآن الذي تخشع له القلوب قبل الأبدان: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢١الحشر).

لو سمع أي إنسان القرآن من سيدنا رسول الله ﷺ في أي زمان ومكان، فإنه لا بد أن يخشع قلبه ويتزلزل فؤاده لكلام حضرة النبي ﷺ، لأنه ينطقه بالتعظيم للعظيم، فيؤثر هذا التعظيم في أي إنسان يستمع إليه، حتى أن كفار مكة كانوا يخافون من سماع نسائهم وعبيدهم وأطفالهم للقرآن من حضرة النبي، ويقولون: سيفتن نساءنا وأطفالنا وعبيدنا.

بل كانوا كذلك يخشون من سماع القرآن من أبي بكر الصديق ﷺ عندما ابتنى مسجداً في بيته، وكان يقرأ القرآن، فكان يأتي نساء الكفار وصبيانهم وعبيدهم يلتفون حول البيت يستمعون لسيدنا أبي بكر وهو يتلو القرآن، لأنه كان يقرأ القرآن مع تعظيم حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ وفي قراءة أخرى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِيَّ الْعَظِيمَ) وهذه لا نستطيع توضيحها ولا شرحها لعُلو مقامها في هذا المقام.

ثم خاطب الله في حضرة النبي أصحابه والمؤمنين به، ... لأننا كما نرى في أي مصلحة من المصالح الرسمية أي مكاتبة لهذه المصلحة تكون باسم رئيس العمل، ... هل هو مخاطب بهذه المخاطبة بمفرده؟ لا، بل كل الذين معه، ولكن لا بد أن يأتي الخطاب باسم رئيس العمل، فخطابات الله لأمة النبي من يتحملها؟ حضرة النبي ﷺ، لأن كلام الله كما قال الله:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٥المزمل)

لا يستطيع أحدٌ تحمله إلا حضرة النبي ﷺ بما أعانه وقواه به مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

متاع الدنيا

فخاطبه الله وهو يقصد في الخطاب أحبابه وأتباعه، لأن ما ورد في هذه الآية لم يكن فيه نصيبٌ مما كان عليه سيدنا رسول الله: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ وهل سيدنا رسول الله كان يمد عينه إلى شيء من الدنيا؟! لا، وهل كان يتطلع إلى أي نعيم فاني من نعم الدنيا؟! لا، من الذي كان يتطلع؟ بعضاً من أصحابه، أو بعضاً من أتباعه، فكان خطاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم في ذات النبي ﷺ، يعني لا تنظروا إلى ما مع اليهود وغيرهم من أموال ومن تجارات ومن عقارات ومن متع الحياة الدنيا الفانية والتي يكفي أن الله قال فيها: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (٧٧النساء).

مهما كثُرت متع الدنيا فهي قليلة بالنسبة للمتع القلبية للعارفين والصالحين، وبالنسبة للمتع الأُخروية لعامة المؤمنين، لأن الله ﷻ أعد للمؤمنين في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ :

وهذا يعطينا مدى شفقة وحرص حضرة النبي، فقد كان ﷺ أحرص الناس على إيمان جميع الناس برب الناس، وكان يتعنَّى ويتألم في سبيل ذلك كثيراً، لأنه كان يريد أن كل الناس يؤمنوا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك لم يدعو على أحد منهم قط مهما آذوه، ومهما تكاتفوا في إيذائه، يقولون له: ادعو على أهل مكة، فيقول:

{ اللَّهُمَّ أهد قَومِي، فَإِنَّهُم لا يَعلَمُونَ }[١٥٦]

وفي رواية: { اللَّهُمَّ اغْفِر لِقَومِي، فَإِنَّهُم لا يَعلَمُونَ }[١٥٧]

وجاءه سيدنا أبو هريرة ومعه نفرٌ من قومه من قبيلته وهي قبيلة دوس، وقالوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ }[١٥٨]

---

١٥٦ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ
١٥٧ البخاري ومسلم عن أنس عبد الله بن مسعود ﷺ
١٥٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

يريد أن كل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فلم يدعو على أي أحد كائن ما كان، ولكن دعا بالهداية لأي إنسان، لأنه كان طامعاً في فضل الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويثق أن الله لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعاً.

فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ لا تحزن على هؤلاء الكافرين، لأن الهدى هدى الله، والله ﷻ يهدي من يشاء لما يشاء، وليست الهداية لأحد غيره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا في الأرض ولا في السماء.

جناح رحمته

ثم أمره الله ﷻ أن يأخذ بأيدي المؤمنين: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ كان النبي ﷺ في المقام الأعلى هائماً حول الحضرة القدسية بروحه وسره ونفخة قدسه، وإن كان بدنه على الثرى، فكان هائماً دائماً في مولاه، حتى أن أهل مكة قالوا فيه قبل بعثته: لقد عشق محمد ربه.

فأمره الله ﷻ أن يتنزل من عليائه، وأن ينزل من أُفقه الأعلى ليحمل المؤمنين على جناحه إلى رأفة الله، ورحمة الله، وطريق الله الذي وضحه له الله، ويحملهم برفق ولين صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذه العبارة هي لُبُّ الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان، فأي داعٍ يدعو إلى الله كيف يدعو غيره إلى الله؟ بخفض الجناح، وبالتواضع، وبالرفق، وباللين، وبالرحمة، وبالكلمة الطيبة، وهذه دعوة الأنبياء المرسلين، وإمامهم سيد الأولين والآخرين ﷺ، وبغير هذا لا تنجح الدعوة وتؤتي أُكلها: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (١٥٩آل عمران).

وما أحوجنا في هذا العصر إلى هذا الخُلُق النبيل، ونحن كلنا دعاة؛ دعاةٌ مع زوجاتنا، ودعاةٌ من أبنائنا وبناتنا، ودعاةٌ مع جيراننا، ودعاةٌ مع رفقائنا في العمل، ودعاةٌ مع أصدقائنا، فنحتاج إلى التعامل مع كل هذه الفئات بخفض الجناح والرأفة والرحمة واللين والحب والمودة والتواضع والمسكنة، فهذا المنهج الذي ارتضاه الله لحبيبه ومصطفاه، ومن يمشي عليه فهذا الذي مشى على منهج حبيب الله ومصطفاه ﷺ، لكن الذي يدعو غيره ولو كان أقرب الناس إليه بالفظاظة والغلظة والشدة والسب والشتم

واللعن، فهل هذه دعوة نبي الهدى والرشاد؟! حاشا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذه دعوى الجاهلية، ولذا لو سار أهل الأمة المحمدية على هذا المنهاج الدعوي، ما تخلَّف عن أمة الإسلام رجلٌ نقول عنه أنه شقي، لأنهم سيدخلون في دين الله أفواجاً إن شاء الله.

وفي السيرة النبوية، وفي قصص الدعاة الحق من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين الكثير والكثير في هذا المجال، ليتنا نرجع إليهم ونشاهد هذه النماذج الطيبة لنحتذي حذوهم على الدوام إن شاء الله.

﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ الرسول ﷺ نذيرٌ وبشير، بشيرٌ للمؤمنين، ونذيرٌ للكافرين، ونذير يعني يُحذِّر، فيُحذر الكافرين من عقاب الله، ويُحذرهم عن عاقبة الكفر، ويحذرهم مما وقعوا فيه من الغفلة والبعد عن أنبياء الله ورسل الله.

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المقتسمين إما أن نقول الذين قسَّموا كتب الله المُنزلة، فحذفوا منها أجزاء لا تروق لهم، وأبقوا منها أجزاء توافق أهواءهم، لذلك أصبحوا مقتسمين لأنهم لم يرضوا بكلام الله كله، ولذلك أصبحوا عصاة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وإما أن نقول أن المقتسمين هم أهل مكة، فذات مرة من المرات اجتمع بهم الوليد بن المغيرة وقال: يا معشر قريش لقد اقترب موسم الحجيج، ويأتيكم معاشر العرب ويسألونكم عن هذا النبي، فماذا أنتم قائلون فيه؟ فقالوا: ما ترى؟ قال: نوقف على كل طريق من طرق مكة نفراً يصدونهم عن هذا الرجل.

وكانت الطرق كثيرة، هناك رواية تقول أنهم كانوا اثنى عشر طريقاً، وهناك رواية تقول أنهم كانوا ثمانية عشر طريقاً تؤدي إلى مكة، فقال: يقفون عليها، ويقولون: لا تصدقوه إنه ساحر، إنه كذا وكذا، حتى يصدوا الناس عن رسول الله ﷺ، وهؤلاء اسمهم المقتسمين الذين اقتسموا فيما بينهم ليصدوا عن دعوة الله ورسوله ﷺ، لكن:... ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة).

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ عضين يعني أجزاء، فهم قبلوا بعض الأجزاء منه، وبعض الأجزاء أنكروها ولم يقبلوها.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ... هذا قسمٌ من الله ﷻ أن الله ﷻ سيحاسبهم جميعاً، ... ويحاسب الخلق جميعاً على ما كلَّف به رسله وأنبياءه يوم الدين ﷻ.

الجهر بالدعوة

إلى هذا الوقت كان النبي ﷺ ينشر الدعوة سراً بين أهل مكة، فجاءه الأمر من الله أن يُظهر دينه، ويُشهر أمره، ويدعو إلى الله جهاراً: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ أَعلِن الدعوة للجميع، ولا تخف ولا تخشَ، فكان هذا الأمر من الله لحبيبه ومصطفاه بإبلاغه أن يجهر بالدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويُعلن على الملأ للناس جميعاً الدين الذي جاء به من الله ﷻ.

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ لا تبالي بإعراض المشركين، ولا تكذيب المشركين، ولا محاججة المشركين، ولا الحرب التي سيشنها عليك المشركين.

كفاية المستهزئين

لأن الله قال: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ وعده الله أنه سيكفيه كل المستهزئين، ولم يقُل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: إنا سنكفيك، ولكن قال: (كفيناك) يعني من قبل القبل، ولم يقُل المستهزئين في زمانه، ولكن المستهزئين في زمانه وبعد عصره وأوانه وإلى يوم الدين؛ كفاه الله ﷻ بذاته كل أنواع وأصناف المستهزئين، إن كان عن طريق الرسوم الكاريكاتيرية، أو عن طريق الكتابات في الصحف والمجلات، أو عن طريق الكتب المدرسية، أو عن طريق الخطب، أو عن طريق الظهور في التلفزيونات العصرية .. في أي جهة من الجهات تولى الله ﷻ كفاية حبيبه ومصطفاه كل أنواع المستهزئين.

وضرب الله ﷻ لأهل مكة ومن حولها أمثلة ظاهرة رأوها عياناً بياناً، فأول المستهزئين كان عمه أبو لهب، وبالغ في إيذاء النبي إيذاءاً ما بعده إيذاء، فقد كان عنده ولدين، زوَّج أحدهما واحدة من بنات النبي وخطب الثانية لولده الثاني، فأمرهما أن يطلقا بنتي النبي في ليلة واحدة، وهذا أول إيذاء.

وكان يمشي حول النبي وهو يدعو الناس إلى الله في الأسواق التي في مكة كسوق عكاظ وسوق ذي المجنة وغيرها من الأسواق التي هناك، فالنبي يقول للناس: إني رسول الله إليكم، وهو يقول لهم: لا تصدقوه فأنا عمه وأنا أدرى به منكم، إنه ساحر، وإنه كذاب، وإنه كذا، ويمشي وراء النبي القدم بالقدم.

ماذا كانت النتيجة؟

ابتلاه الله ﷻ بمرض ينفر منه العرب أجمعين، وكان يسمونه بالعدسة وهو مرض معدي، ومن يقترب منه يُعدى منه، فحُبس في بيته، وأولاده لا يستطيعون أن يقتربون منه، ولا يستطيعون أن يتعاملوا معه حتى مات، وبعد أن مات خافوا أن يأخذوه ويغسلوه ويكفنوه ويدفنوه، فرشُّوا عليه الماء من بعيد، وأخذوا يقذفونه بالحجارة حتى توارى في هذه الحجارة في غرفته وصارت هذه الغرفة قبره الذي دُفن فيه.

هل توجد كفاية أعظم من هذه الكفاية؟! كفاه الله المستهزئين.

الرجل الآخر الذي أتى بالمقتسمين وأوقفهم على الطريق وهو الوليد بن المغيرة، وكان من أغنى أغنياء مكة، وكان عنده عشرة من البنين يتباهى بهم، كان ماشياً ذات يوم عند رجل يصنع النبل، فعلقت نبلة بطرف ثوبه، لكن منعه الكِبر والخُيلاء أن يُطأطئ عنقه ويأخذ هذه النبلة ويبعدها عن ثوبه، فخدشت النبلة جسمه خدشاً، وإذا بهذا الخدش يكبر حتى صارت رجله كرجل الفيل، ومات بإذن الحي الذي لا يموت ﷻ بسبب أوهى الأسباب.

أبو سيدنا عمرو بن العاص، وكان اسمه العاص، وكان أيضاً من ضمن هؤلاء، فذات يوم كان يتنزه مع أولاده، ودخلت شوكة في قدمه فقال: لقد دخل في قدمي شوكة، فقالوا: لا تبالي بها، لكن في الحال قدمه تورمت ورماً كبيراً ومات على أثرها في الوقت والحال.

آخر ذهب ليستهزئ بحضرة النبي ﷺ، وكان سيدنا جبريل مع حضرة النبي، ويراه هذا الرجل، ولكن غيره من الكافرين لا يروه، فقال سيدنا جبريل: من هذا؟ قال: كافر بن كافر، فقال: سنكفيكه، فأمسك سيدنا جبريل برأسه وأخذ يضربها في شجرة حتى توفى هذا الرجل ومات بأمر الله.

وكتب السيرة فيها الكثير والكثير عن كفاية الله بالمستهزئين بسيدنا رسول الله ﷺ.

وما ظهر في هذه الأيام مما جعل كثير من المسلمين يثور، وربما يُظهر الضجر ويُعلن السخط على أهل أوروبا وعلى رأسهم زعيم فرنسا لما قاله بشأن الإسلام، ولكن كفانا الله هذا الأمر، فقد أُفرج عن امرأة فرنسية كانت أسيرة في دولة مالي لمدة خمس سنوات، والذي أفرج عنها المخابرات الفرنسية بعد محاورات مع الجماعات الإسلامية التي هناك.

وجهزوا المطار في باريس، وعملوا منصة ضخمة يقف عليها رئيس فرنسا ويتحدث عن هذه القضـــية، وكيف خلعوا عنها أســـرها وفكوا وثاقها، وجهزوا له الخطب التي سيقولها، والفقرات التي ستعرض معه في هذا الحفل، واستدعوا وكالات الأنباء العالمية، والصحفيين العالميين، وكل المحطات الفضائية الأمريكية والأوربية واليابانية.

وذهب رئيس فرنسا ليقابل المرأة عند سُلم الطائرة ليسلم عليها، وكعادة الفرنسيين يريد أن يسلم عليها ويحتضنها ويقبلها، وإذا به يراها محجبة، وأراد أن يقبلها ويحضنها، فرفضت وقالت له: لا يحق لك ذلك، فأنا مسلمة واسمي صوفي، والإسلام يأمر بكذا وكذا، وأخذت هي التي تخطب عن الإسلام أمام عدو الإسلام والمسلمين، فما كان منهم إلا أن جروا ذيل خيبتهم، وألغوا الاحتفال، وألغوا كلمته، واقتصـــرت الكلمة في هذا الحفل على كلمة صوفي المرأة المسلمة التي بيَّنت جمال الإسلام وكمال الإسلام.

هل يوجد انتصار أعلى من هذا؟!! انتصار ما بعده انتصار، وكفاية من الله الواحد القهار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هل يوجد اســـتهزاء أكثر من ذلك بهذا وأمثاله؟ أبداً، يكفيه خزيه وعاره أمام من اســـتدعاهم ولم يســـتطع أن يتفوَّه أمامهم بكلمة، وإنما الذي مُدح والذي أُثني عليه الإسلام، ومن امرأة مسلمة جديدة فرنسية.

هذا الأمر يحدث في كل وقت وحين، وقد قال فيه رب العالمين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣١الفرقان) هل يوجد وصف أبشع من هذا الوصف؟!.

هؤلاء المجرمون لا نشغل بالنا بهم، وهم ينبهونا أن نحسن فيما بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين نبينا، ونتخلق بأخلاق نبينا، لأنهم ما قالوا ذلك وما علا صـــوتهم في ذلك إلا لما رأوا ضـعفنا، وعدم تمسـكنا بديننا، وتخلفنا عن الحضـارات العصـرية التي هي ركيزة الزمان والمكان، فاستهزأوا بنا.

لكن في عصر القوة للدول الإسلامية هل كان أي ملك من ملوك العالم يستطيع أن يهاجم نبي الله أو دين الله؟ مستحيل.

امرأة مسـلمة في زمن عزة الإسـلام لطمها رجلٌ رومي في عامورية بأرض الروم – تركيا الآن – فقالت: وامعتصـماه، فنقل رجلٌ من المسـلمين ذلك إلى المعتصـم الخليفة

العباسي وقال: امرأة من المسلمين تستغيث بك في عامورية، قال: جهزوا الجيش، فجماعة من المنجمين قالوا له: لا تصلح الحرب الآن، لا تصلح الحرب إلا في زمن العنب والتين، قال: وما للتين والعنب وما نحن فيه؟!.

وجهز الجيش وذهب لإغاثة المرأة، وأتى بها بعد أن دخل المدينة، وسألها: من الذي ضربك؟ قالت: فلان، فقال: هاتوه، وقال لها: اضربيه كما ضربك، ولكنها أظهرت أخلاق الإسلام، فقالت: عفوت عنه يا أمير المؤمنين حتى نعلمهم أننا أهل العفو وأهل الصفح وأهل المغفرة، وحسبي أني شرُفت بلقائك.

فالذي تجرأ هنا وهناك إن كان رئيس فرنسا أو غيره أو أمثاله لماذا تجرأوا؟ من ضعفنا، ومن عجزنا، ومن عدم تخلقنا بأخلاق ديننا، ومن عدم مشينا في مجتمعاتنا على منهج قرآننا، فتركنا العلوم العصرية وأصبحنا عالة عليهم في كل ما نحتاجه في حياتنا، فرأو أن الإسلام معه التخلف، ومعه كما نرى انعدام الأخلاق، ومعه النفاق وما أدراك ما النفاق؟! والأخلاق التي سادت وأدَّت إلى الشقاق في مجتمع المؤمنين، فهذا ما أطمعهم فينا.

لكن في عصر الإسلام ودول الإسلام الفاضلة كان أي ملك من ملوك الغرب مجرد أن تصله رسالة من ملك المسلمين يُعلن الولاء ويرسل الهدايا فوراً.

فملك فرنسا أيامها وكان اسمه شارلمان، وكانت فرنسا في زمانه دولة من الدول العُظمى في أوروبا، هدد دولة من دول أوروبا فاستنجدت بهارون الرشيد، فأرسل هارون الرشيد رسالة له فيها تهديد: ارجع وإلا سأرسل إليك جنوداً أولهم عندك وآخرهم عندي، ماذا كانت النتيجة؟ أتى بالمخترعين الذين عنده، والعلماء الذين عنده، وأخذ يجهز هدايا ليس لها نظير، وأرسلها لهارون الرشيد يستعطفه بها حتى لا يفكر في الاعتداء عليه أو الذهاب إليه.

لكننا سنتكلم ونرد عليهم، وماذا يفعل الكلام؟! هذا سيحفزهم أكثر ويثيرهم أكثر، لا يوجد أحدٌ تعرض لما لا قبل لأحد به من الهجاء والسب والشتم من رسول الله ﷺ في زمانه، وكان العرب يستأجرون شعراء مخصوصين لهجو رسول الله ﷺ في قصائد شعرية، أين هذه القصائد الآن؟! ليس لها وجود.

سيدنا عمر ﷺ قال لهم: ((أميتوا الباطل بعدم ذكره)) اجمعوا هذه القصائد الباطلة كلها وأحرقوها ولا تردوا حتى عليها، وإياك أن تقولها، لأنك لو قلتها وسمعها غيرك سيقولها أيضاً.

ولذلك لا يوجد عندنا في التراث العربي كله قصيدة من هذه القصائد في الهجاء، وكذلك الألفاظ الوقحة التي كان أهل مكة وغيرهم يرسلوها لحضرة النبي، لأنهم أماتوها وأبطلوها بعدم ذكرها.

لكننا نذكر فلان قال كذا، وفلان عمل كذا، والذي يشجع على ذلك فئة تحريضية لا تريد الخير لأهل الإسلام، فهي التي تحرض المسلمين، لصنع فتنة بيننا وبين الأوربيين، وهذه الفتنة ستضر إخواننا المسلمين الموجودين في هذه الأماكن، ففرنسا فيها حوالي ثماني مليون مسلم يتمتعون بكل الحقوق المدنية والدينية، من الذي سينضَّر عندما نعلن الحرب على هؤلاء؟ هؤلاء المسلمين.

الرجل لم يهاجم الإسلام، لكنه هاجم الجماعات الإسلامية المتطرفة، ونحن كذلك نهاجم هذه الجماعات، وهاجم أيضاً الجماعات اليمينية المتطرفة الذين عنده في فرنسا، فهو يهاجم هؤلاء ويهاجم هؤلاء، لكنه لم يهاجم نبي الإسلام.

والرجل الذي نشر الصور المسيئة للإسلام فهذا رجلٌ معتوه وحدث هذا الكلام قبل ذلك ومات وانتهى.

فنحن نحتاج إلى وعي في تقبل هذه الأمور، ونعتقد تمام الاعتقاد في قول الله:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

ما النفحة التي نريد أن نأخذها ونمشي عليها ليرتاح بالنا، ويرتاح قلبنا وفؤادنا، ونكون في الدنيا في خير حال؟

النفحة هذه أن نأخذ خُلُق واحد من أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ ونتخلق به ونمشي على هداه، يقول الله له في الآيات التي معنا:

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

نحن والحمد لله كلنا ليس لنا علاقة بالمشركين، ولكن عندما يأتي أذى كالذي سمعناه من المشركين يجب أن نعرض عنهم، فلا نهتم ولا نقيم الدنيا ونقعدها، ولا نثور، لماذا؟ لأنه ليس بعد الكفر ذنب، فهو كافر فليقُل ما يريده، ولا شأن لنا به.

لكن الخُلُق الذي أريد أن نأخذه هو قول الله:

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)

وهذه التي نحتاجها الآن !

فكلنا نسمع ايذاء من المسلمين والمؤمنين المصلين والصائمين والتالين للقرآن والموحدين، ونغلي بداخلنا كيف يفعلون هذا الكلام وهم مسلمون؟!. ولذلك أكثر شيء يُتعب قلوب المؤمنين الغيظ الموجود في القلوب، ويسمعوه من المسلمين والمؤمنين.

المسلم أو المؤمن الذي يسمعني ما أكره، ويخوض فيَّ ويسُبني ويشتمني ويسيئ إليَّ، فهذا جاهل بدين الله، وجاهل بيوم الدين؛ يوم القصاص عند مولاه، وجاهل بعاقبة الأمر.

أفلا يعرف أنه عندما يتكلم كلمة في حق إنسان فوراً لا بد أن يتحول جزء من رصيده من الحسنات إلى رصيد فلان الذي تكلم في حقه، فإذا مكث ساعة في النهار يتكلم في حق فلان وفلان وفلان، فآخر النهار يكون رصيده صفراً لأنه تحول للآخرين، وهذه مصيبة كبرى حلَّت بالمسلمين في هذا الزمان، فلا يبالون بمغبَّة الكلمة، ويظن أن هذه الكلمة شيء عادي، لكن أي كلمة صغيرة أو كبيرة لا بد وأن تُسأل عنها:

﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق).

فكل كلمة لا بد أن تعرف لماذا قلتها؟ ولأي شيء قلتها؟

حتى لا توزع حسناتك ورصيدك وأنت تظن أنك رجل من العُبَّاد، أو أنك رجل من القُوَّام، أو رجل من الصُوَّام !! وحضرة النبي ﷺ ضرب لنا مثلاً، فقد قالوا له:

{ يا رسول الله إِنَّ فُلانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ: لا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ فِي النَّارِ }[١٥٩]

١٥٩ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

هي في النار رغم الصلاة والصيام الذي تقوم به!!!

لماذا؟

لأنها لن تقدر أن توفي هؤلاء الذين تكلمت في حقهم بحسناتها !!!

فتحمل من سيئاتهم، وهذا الذي قال فيه حضرة النبي:

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }[١٦٠]

الكلم الطيب

لذلك كان أول درس يُعلِّمه حضرة النبي ﷺ لأصحابه – وقد لا ينتبه لذلك أحد – درس اسمه الصمت !!!

هل يوجد من يتعلم الصمت الآن؟! لا !!!

سيدنا أبو بكر كان يقول: **((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)).**

لا يتكلم إلا إذا كان مع الله في ذكر الله، وفي تسبيح الله، وفي تحميد الله، وفي تلاوة كتاب الله، لكن متى تتكلم مع خلق الله؟ إذا كانت نصيحة، أو إذا كانت معلومة، لكن الكلام الذي لا يفيد ليس لنا شأن به جماعة المؤمنين.

قد يقول قائل: إذا لم أتكلم مع أحد فإن الناس لن يتركوني في حالي، يقولون: لا بد أنه كذا وكذا، ويخوضون في سيرتي، وهذه طباع كثير من الناس، عندهم فقر في الكلام فيريدون أن يتكلموا في ما لا يفيد.

---

١٦٠ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

فهذا الكلام طبعاً يُؤذي الأتقياء، ويؤلم الصالحين والأولياء، لأنه كلام غير واقعي وغير حقيقي، لكن الله ﷻ أعطانا روشتة أعطاها لسيد الرسل والأنبياء نمشي عليها فنستريح، ما هذه الروشتة؟ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ نحن نعلم أن صدرك يضيق من الكلام الذي يقولوه.

وما العلاج؟ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ما علاج الضيق من الكلام الذي نسمعه؟ أحياناً الواحد منا الكلمة تجعله لا ينام ليلة كاملة، والشر يكون في عينيه، وأحياناً لا يستطيع أن يكتم مشاعره فينفِّث ذلك في الأولاد أو في أي شيء أمامه، وهذا غير مطلوب للمؤمن، ماذا يفعل؟ التسبيح لله.

فعلاج ضيق الصدر من الكلام الذي نسمعه من الأنام هو التسبيح، فنقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) أو (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله العظيم) فالتسبيح هو العلاج.

ولذلك كان السلف الصالح من هديهم عندما يسمع أحدهم كلمة عجيبة يقول (سبحان الله!) فيأتي بكلمة سبحان الله لأنها بمثابة الأسبرينة التي تُثلج صدره حتى لا يثور ولا يخرج عن مشاعره، كما ذكر الله ﷻ.

والتسبيح كما وصفه الله في القرآن، فسيدنا يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام أُرسل إلى قومه في بلد اسمها (نينوى) في شمال العراق فلم يستجب له أحد منهم، وحاول كثيراً بلا فائدة، وبعد ذلك حذَّرهم من العذاب، ولكن كعادة الكفار، قالوا: أين العذاب الذي تحدثنا عنه؟ فقال لهم: سيأتي عليكم يوم تكون الدنيا كلها حمراء، ويوم تكون الدنيا كلها صفراء، ويوم تكون الدنيا كلها سوداء، فلم يستجيبوا أيضاً.

فلما رأى العذاب سينزل، قال في نفسه: لو ظللت معهم سيأخذني العذاب معهم فخرج من البلد، وركب السفينة ليهرب، فهاجت الأمواج، فقالوا: لا بد أن يكون معنا رجل عاصي وهو سبب هياج الأمواج، من العاصي؟ فلم يتكلم أحد، فصنعوا قرعة فوقعت عليه، وكرروها عشر مرات وفي كل مرة تقع عليه، فرموه في البحر، فأرسل الله حوتاً ابتلعته، وأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ:

{ أَنْ لا تَخْدِشَنَّ لَهُ لَحْمًا، وَلا تَكْسِرَنَّ لَهُ عَظْمًا }[١٦١]

قالوا: أنه كان في سقف فم هذا الحوت، لأنه حوت كبير ولو دخل في داخله لهضمه وانتهى.

وبعد أن ذهب سيدنا يونس، ورأى قومه أن الجو قد تغير للون الأحمر، وفي اليوم التالي للون الأصفر، فقالوا: إن يونس على حق، نحن نرجع لله ونؤمن بالله، فرجعوا لله وآمنوا بالله ﷻ، فرفع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنهم العذاب.

المهم أن سيدنا يونس يقول فيه الله:

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (﴿١٤٤﴾الصافات)

ما الذي أنقذه من بطن الحوت؟ .. التسبيح! ... وماذا كان تسبيحه؟

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ)

ولذلك سيدنا رسول الله قال:

{ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ،
فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ }[١٦٢]

لأنه يخاطب الله مباشرة، فعلينا بالتسبيح ليُجلي القلب، ويسلِّم الإنسان مما تسمعه الأُذنان مما يتأذَّى منه الإنسان من كلام الإنس في هذا الكون وفي هذه الدنيا.

إذا وجد بعد التسبيح أن صدره مشتعل، ... ولا تزال النار بداخله لم تبرد، ... فماذا يفعل؟ ... ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ !! الدواء الأول التسبيح !! وإذا لم يأت التسبيح بالمفعول !!

يكون السجود لله!

يعني الإنسان يصلي لله، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ قال:

---

١٦١ كشف الأستار لنور الدين الهيثمي عن أبي هريرة ﷺ
١٦٢ سنن الترمذي ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

{ إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ }[١٦٣]

كما أن النار يُطفئها الماء، فنار الغضب يُطفئها الوضوء، والإنسان عندما يغضب يجب أن يغير حاله، إن كان جالساً يقف، وإن كان واقفاً يجلس، وإن كان في مكان يتحرك ويمشي إلى مكان آخر، أو يتوضأ، وبمجرد أن يتوضأ يهدأ وتهدأ أعصابه وأعضاؤه، فإذا صلي بإخلاص للواحد الأحد الفرد الصمد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجد الأمر قد انتهى.

فعلاج ما نسمعه ويُفزعنا، ويحزعنا، أو يجعلنا نخرج عن مشاعرنا، أو يجعل في صدورنا غلاً أو حقداً أو بُغضاً أو كُرهاً لإنسان سمعنا عنه هذا الكلام، إما التسبيح، وإما السجود لله ﷻ.

ولذلك أحسن علاج للإنسان كتحصين من كل هذه الأمور أن يكون في كل أنفاسه عابداً لحضرة الرحمن: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ لا تشغل نفسك إلا بالعبادة، فتقوم على ذكر الله، وتقعد على ذكر الله، وتنام على ذكر الله، وتمشي على ذكر الله، وتكون كحبيب الله ومصطفاه ﷺ،:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ }[١٦٤]

ولذلك كان ﷺ من كثرة الذكر إذا نام تنام عينه وقلبه لا ينام، لأن القلب المشغول بذكر الله على الدوام ليس فيه مكان لكُره أو بُغض أو حقد أو حسد لأحد من الأنام، هذا القلب الذي يقول فيه الله: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (الحجر).

فأحسن وقاية لك من كل هذه الأمور دوام العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ..

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين القائمين له بين يديه في كل وقت وحين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٦٣ سنن أبي داود ومسند أحمد
١٦٤ الطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة ﷺ

(١٤)

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة[١٦٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾

(النحل)

الدعوة الحقة	بصيرة الدعاة
سبل الله	أسلحة الداعي الحكيم
أقسام الدعوة	توجيهات الله لنبيه
مدد الصبر	معية الله للأتقياء

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ... الذي دعانا به .. وبهديه وبرسله وأنبيائه .. وبسيد رسله إلى طريقه المستقيم ... والصلاة والسلام ... على المعلم الأول للدعاة والحكماء في طريق الله ... وآله وصحبه ومن والاه.

ليت كل الذين يتحدثون باسم الإسلام : ... ينظرون بعين صدق ويقين إلى الوصايا الإلهية الربانية التي وصى بها الله نبيه وحبيبه وصفيه سيدنا محمد ﷺ ... ومشوا على هديها ...، وساروا على منهاجها ... فهي السبيل الوحيد لأي داع رشيد يؤثر في قلوب السامعين، ... وينفض عنهم غبار الكفر والشك، ... ويجذبهم بفضل الله إلى طريق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

١٦٥ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١١ من ربيع الآخر ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/٢٦م

الدعوة الحقة

والآيات واضحةٌ جلية وضوح الشمس، لكن المشكلة أن النفوس غوية وعصية، فنجد أكثر المتحدثين باسم الإسلام إما أن يغمضوا أعينهم عنها، وإما أنهم لم يدرسوها ويعرفوها، وإما أنهم لم يتخلقوا بالأخلاق الإلهية التي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من يتعرض لدعوة الله أن يتصف بها... لكن أدب الدعاة مستوفى بالكامل في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأعلاها وأزكاها وأرقاها وصايا الله لخير أنبياء الله ورسل الله سيدنا محمد ﷺ.

ونجد لو نظرنا بعين الاعتبار أن الآيات التي معنا تتحدث عن الدعوة إلى سبيل الله، بينما هناك آيات غيرها تتحدث عن الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى السبيل، غير الدعوة إلى حضرة الجليل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذه لها أناسها، وهذه لها رجالها.

فالدعوة إلى سبيل الله، سمَّاه سبيل الربوبية، لكن الدعوة إلى الله يكون إلى حضرة الألوهية، وهي حضرة عليه وهبية غيبية.

بصيرة الدعاة

والدعوة إلى الله أمر الله حبيبه فقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (١٠٨يوسف) يعني هذه الدعوة التي اخترتها وارتضيتها ومشيت عليها، لا تتركوها لغيرها، لأنها إختياري أنا، وما السلاح الذي سيدعو به: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (١٠٨يوسف) فأي إنسان يدَّعي أنه يسوق الناس إلى الله بلا بصيرة، فهذا رجلٌ دعيٌّ، وليس داعيا كما أنبأ كتاب الله ﷻ، فالشرط هنا البصيرة!! .. ومن يمشِ وراءه في هذا الطريق حكم الله عليهم بنفس الحكم: ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١٠٨يوسف) فكل من ادَّعى من أتباعه أو من أحبابه أنه يدعو إلى الله بغير بصيرة في فؤاده، ونورٌ في قلبه، يكشف به الأشياء ويستبين ويستوضح به المبهمات، فهذا دعيٌّ وليس داعياً، ويحتاج إلى تكميل سيره وسلوكه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ... هل يحتاج الأمر بعد ذلك إلى وضوح لكشف الأدعياء والمدعين؟! لا، فالأمر واضح لا يحتاج إلى بيِّنَه، ولا إلى براهين ولا أدلة بعد كلام الله ﷻ الناصع المبين.

هذا هو الدليل الواضح، فالداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، ومن اتَّبعه كذلك، لأنه لو لم يقُل: (أنا ومن اتبعني) لكان كل شخص يمشي وراءه يدَّعي أنه في

نفس الطريق، لكن الله سد الباب حتى لا يظهر إلا كُمَّل الأحباب الذين اصطفاهم الله وطهرهم، وجعلهم من أولي الألباب، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

وهذه الدعوة إلى الله التي يقصد رجالها وجه الله، لا يطلبون غير الله، ولا يسعون إلا إلى رضاه، ولا يبغون في الدنيا ولا في الآخرة إلا أن يكشف لهم عن جمال وجهه فيرونه بلا نقاب ولا ستر ولا حجاب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقائلهم يقول:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي أشهى عليَّ من الدنيا وما فيها

أما الدعوة إلى السبيل، فإن السُبُل متعددة، هناك سبيل الجنة، وهناك سبيل النجاة من فتن يوم القيامة، وهناك سبيل النجاة من جهنم والعياذ بالله، وهناك سبيل الحصول على ما يحتاج إليه المرء في دنياه، وهناك سبيل لكي يحقق كل إنسان مناه إن كان في الدنيا أو في الآخرة؛ .. سبُل متعددة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (٦٩العنكبوت) وحتى عندما جاء بهذه الآية حدد أهل العناية: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ (٦٩العنكبوت) يعني ليس لهم شأن بهذه السبل، فالذي يُريد الله ليس له شأن بهذه السُبُل كلها، ويعمل بقول الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (٥٠الذاريات).

والدعوة إلى السبيل هي دعوة الأمة كلها، وفيها يقول سيدنا عمر ﷺ وأرضاه: **((أُدعوا بأخلاقكم قبل أقوالكم))** الدعوة تحتاج للأخلاق أولاً، فمتى تجمَّل المرء بالأخلاق حصل الوفاق بينه وبين حضرة الخلاق، وأمده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمدد الوفاق، فوفقه في كل كلمة، وفي كل عمل، وفي كل سعي يمشي فيه، لأنه موفق من الموفق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا ما نحتاجه، نحتاج إلى توفيق الله:

{ قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ }[١٦٦]

أحياناً تجد رجلاً أُمِّياً لكنه موفق، ورجلاً درس بحور العلم، وتبحر فيه ولكن غير موفق، فالعبرة في التوفيق، والتوفيق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨هود)، ولذلك دائماً الصادقين والمخلصين في كل أنفاسهم يطلبون من الله التوفيق، لأنه لو حجب عنا مدد التوفيق قد نزل أو نضل عن الطريق، فأهم شيء نحتاجه مدد التوفيق من الموفق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

١٦٦ أورده الغزالي في الإحياء، وذكره صاحب الفردوس

سبل الله

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ الذين يدعون الخلق باسم سيد الخلق، هم نواب عن حضرته، وكل نائب ينوب عن تخصص من التخصصات الإلهية التي كان عليها خير البرية، هناك من يدعو إلى سبيل الزهد، وهناك من يدعو إلى سبيل قيام الليل، وهناك من يدعو إلى سبيل الصيام، وهناك من يدعو إلى سبيل إطعام الطعام، وهناك من يدعوا إلى سبيل مجالس القرآن، وهناك من يدعو إلى مجالس تدبر ودراسة القرآن، وهناك من يدعوا إلى السعي في قضاء مصالح المسلمين والخلق أجمعين، وهناك من يسعى لحل قضايا البؤساء والفقراء والمساكين.. سُبُل لا حد لها ولا عد لها، وكلها من حضرة الربوبية لأنها عطايا دنيوية أو أخروية.

لكن حضرة الألوهية عطايا ذاتية، كلها فتح وكشف وإلهام وعلم وهبي.

أسلحة الداعي الحكيم

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ وحتى العطاءات الدنيوية أو الأخروية من يدعو بها لا بد أن يتجمل بالجمال النبوي، فيكون معه دبلومة في الحكمة، حتى يكون حكيماً وليس عليما، فالحكيم أهم من العليم الحكيم، لأنه قد يكون عليماً ولكنه غشيماً، فيتركه الناس، لكن الحكيم هو الذي ينفع منه التعليم، لأنه قليل الكلام كثير العمل، والناس يحتاجون لمن يقتدوا به في العمل وليس في القول.

﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ وكذلك مع الحكمة لا بد أن يكون معه الموعظة، ولم يقُل الموعظة فحسب، ولكن معه الموعظة الحسنة التي تجد صدى طيب عند السامعين، وتنفذ إلى ما تتحرك به أفئدتهم من استفسارات وتوجهات وتجيبهم عليها بلا سؤال.

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ وبعد ذلك معه أساليب الجدال الحسنة للمعترضين والكافرين والمشركين والجاحدين، وأظن أن هذا كمال في الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ إذا صادفت أهلها، فتتكلم معهم بالحكمة، لأنهم عندهم القابل النوراني والاستعداد الإلهي لقبولها، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تَكَلِّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ }[١٦٧]

لا تمنعوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم، ولا تعطوها لغير أهلها فتظلموها، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء.

ومَن كان معه الحكمة فهو بين أمرين اثنين، إما أن الله ﷻ كاشفه بقلوب السامعين، فيعطيهم من العلوم الإلهية العالية، والأسرار الراقية، ما به يُقبلون عليه، ولا يعترضون علي أي كلام يخرج من بين فكيه.

وإما أنه سلَّم واستسلم وجعل أمره لله، وكان المتحدث على لسانه هو سيدنا رسول الله ﷺ، وسيدنا رسول الله ﷺ لا يُعطي لأي إنسان إلا ما تتحمله قواه النورانية والروحانية، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك:

فتارةً أنا مخمورٌ أراك أنا وتارةً أنا عبد ذاته مُحقت

ويقول:

كل الذي أنا فيه فضل محمد منه بدا وإليه كان وصوليا
وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذي لولا عنايته هلكت بحاليا

ويقول كاشفاً هذا لأمر:

لولا ولولا ولولا عهد وثيق لمولى
لكشفت عني ستاري وبحت بالسر قولاً
إن كان ما قلت نوراً فالسر أعلى وأغلى
يُعطَى لفرد مرادٍ عن كل غيرٍ تسلى
باع النفوس ومالاً حتى به صرت أولى
لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

فالحكمة لأهل الحكمة ...

---

١٦٧ المطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس ﷺ

لكن في المجالس العامة إن كان على منبر أو في مجلس عام ويتكلم بالعلوم العالية والتفسيرات الراقية، فهذ ليس معه حكمة، وبهذا يضيع ما أعطاه الله ﷻ بدخول هواه فيما أعطاه له مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الداعي الحكيم الذي له إرث في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قرآنه الكريم: ... ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (٣النجم) لا تخرج كلمة منه بهوى نفس لحب الظهور، أو الشهرة، أو السمعة: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤النجم) والوحي للأولياء إلهام، والإلهام موجود إلى يوم الدين، وهو نوع من أنواع الوحي، فالوحي جعله الله للأنبياء والمرسلين، وجعل الإلهام للأولياء والصالحين.

فلا يُظهر الحكمة إلا لأهلها، قال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: ((لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير)) والحكمة أغلى من الجواهر، والذي لا يقبل الحكمة شرٌ من الخنازير، فكيف تأتي بالجواهر وتعلقها في أعناق الخنازير؟ لا يجوز.

قد يقولون: هو ليس بشيخ، ولا يعرف شيئاً!، فلا ينظر إلى هذا الكلام، لأن نفسه ماتت، كتب لي شخص سؤالاً على الانترنت، وأنا الحقيقة لم أفهم ماذا يقصد من سؤاله، وطلب مني الرد على السؤال، فكتبت له: خير من يجيبك على سؤالك الدكتور على جمعة فوجه سؤالك إليه لنتعلم جميعاً منه.

وماذا في ذلك؟! هل سيُنزل ذلك من مكانتي أم سيرفعها؟ الجهلاء يظنون أنها تنزل المكانة ويقولون: هو لا يعرف!، لكن العقلاء يعرفون أنها تعلي مكانة الإنسان.

المهم أنك لا تُظهر الحكمة لغير أهلها ...

فقد يكون السؤال يحتاج إلى إجابة بالحكمة العالية، والسائل ليس من أهلها، وقد يكون من الذين يتفلسفوا، والفلسفة لا شأن لها بالحكمة، وهم يتفلسفوا بعقولهم، وهذا سفه، لذلك الأفضل الهروب من هذا الميدان.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضه له كتاب سماه (مذكرة المرشدين والمسترشدين) فيه نصائح للدعاة، يقول: **((لو وُجد في المجلس ألف رجل من أهل مقام الإحسان، ورجلٌ واحدٌ من أهل مقام الإيمان، فليس على الداعي أن يضيع ليلة بأكملها يتحدث في مقام الإيمان حتى لا يكشف السر لغير أهله)).**

لا مانع أنه يضـــيع ليلة كاملة يتكلم في مقام أهل الإيمان، لأنه لو تكلم في مقام الإحســـان لن يقبل الآخر هذا الكلام لأنه مريض، فالذي لا يقبل الحكمة كالمريض الممنوع من أكل اللحم السمين.

والحكمة أسمن من اللحم !!، فلو أطعمته قطعة لحم سمينة ســـيزيد المرض !!، والداعي الحكيم لا يريد أن يفر رجل من يده، ... بل يريد أن يعالج الكل من كتاب ربِّ الكلِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أقسام الدعوة

فالدعوة هنا يقسمها الله ﷻ إلى ثلاثة أقسام:

دعوة بالحكمة، وهي لأهل الحكمة العالية، وهم أهل الصـــفاء والنقاء الخلَّص من عباد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهؤلاء لهم حديثهم.

ودعوة بالموعظة الحســـنة، وهي للأقل من أهل الحكمة، وهؤلاء عندهم رغبة طيبة ونية صـالحة، لكنهم لم يسـلكوا في الطريق الذي سـلك فيه الأولون، لذلك لا يصـح أن أعطيه مناهج أهل النهاية، ولكن أعطيه مناهج أهل البداية.

أما الذين عندهم اعتراض أو امتعاض، سواءكانوا بيننا فيعترضـون على ما نحن فيه من أحوال وأقوال وأفعال، وما أكثرهم في هذا الزمان، أو كانوا على المســـرح العام من المعترضـــين على الإســـلام أو القرآن أو على النبي العدنان، فلا بد أن تكون معي هنا الحجة والبرهان، لأنه لن يقبل إلا بذلك.

فلا بد أن أسلح نفسي بالأسلحة المنطقية، والأدلة والبراهين العقلية، من الحديث الشريف، ومن كلام الله الحنيف، حتى أستطيع أن أواجه الحجة بالحجة.

كل هذه مؤهلات الداعي إلى ســـبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا بد له أولاً من دراســـة علوم الحكمة .... وأنا دائماً أنادي وأقول: عندما تحدث أي مشـكلة أو معضـلة من أخ مع أحبابه، أو مع زملائه في العمل، أو مع أهل بيته إن كان زوجته أو أبنائه أو بناته أو مع أي أحد، فهو يحتاج إلى دبلومة في الحكمة العالية، وهذه الدبلومة كان يأخذها الصغار في عصر النبي المختار.

على سبيل المثال ..

سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، عندما كانا صغاراً، وجدا رجلاً يتوضأ لكنه لا يُحسن الوضوء، ولأنهما تربيا على الحكمة، لم يفعلا كما يفعل البعض بأن يُكفِّروه أو يهينوه أو يضربوه، لكنهما اتفقا مع بعضهما، وصوَّرا للرجل أن خلافاً حدث بينهما على مَن أحسن منهما في الوضوء، وطلبا منه أن يحكم بينهما، فتوضئا وأحسنا الوضوء، فلما رأى الرجل قال لهما: أنا المُخطيء.

وهذه هي الحكمة، لكن لو شخص فعل ذلك في هذا الزمان سيقول له أحدهم: وضوءك باطل، وصلاتك لا تصح، وأنت كذا وكذا، وهو قد يرد عليهم بالمثل أضعافاً مضاعفة، وقد يضربه، وتحدث مشكلة، لأن الدعوة لم تكن بالحكمة.

الحكمة هي الإصابة في القول والفعل، يصيب في قوله فيقول ما يوافق منهج الله، ويصيب في فعله فيفعل ما يوافق ما كان عليه رسول الله ﷺ، فهذا الحكيم الذي لا يغضب منه أحد غير المنافق، قال عليّ بن أبي طالب ﷺ:

{ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ؛ أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ }[١٦٨]

وهذا الكلام موجه لكل ولي بعد الإمام علي، فكل ولي من الأولياء، من الذي يبغضه؟ المنافق، لأن كلامه ليس على هواه، لكن لا يوجد مؤمن يبغضه أبداً لأنه يتصرف بحكمة الحكيم تبارك وتعال في علاه، هذه الحكمة العالية والموعظة الحسنة التي تطابق ما في النفوس يقول فيها سيدنا عبد الله مسعودٍ ﷺ:

((لا تزالون بخير ما إن وُجد في صدر أحدكم شيئاً وجد مَن يخبره عنه))

يُخبره عنه بدون أن يتكلم! ولذلك كانوا يقولون: لو حدث كذا لكان كذا، فقال ﷺ:

{ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ }[١٦٩]

---

١٦٨ صحيح مسلم والنسائي عن علي بن أبي طالب ﷺ
١٦٩ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

لا تقولوا لو حدث كذا، لأنه لو حدث أي شيء جديد في أي زمان يقيد الله لهذا الزمان رجالاً يعرفون حل مشاكل هذا الزمان.

فلا تقل لو ! ولكن انتظر حتى يحدث ..

لأن لو من عمل الشيطان، فلو حصل كذا، سأجد في وقتها من يؤهله الله لحلها، وهذه حكمة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

مع كل هذه العلوم والفهوم والمقامات:

يكون عنده يقين أنه ليس الهادي، ولكنه يهدي بأمر الله لما يريده الله جل في علاه، ... فلا يفرح ويقول: أنا هديت فلان، أو أنا أحضرت فلان إلى طريق الله!!، أو أنا أسلم على يدي كذا وكذا !!، لأنه يعلم أن الهدى هدى الله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

يعني أعمل ما عليّ، فإذا حدث المراد فيكون لموافقته مراد رب العباد، أما إذا لم ما يحدث ما أريد فلأنه يريد وأنا أريد، ولا يكون إلا ما يريد، فلا أحزن.

فالذي يحزن هو من ليس عنده شيء من هذه الأمور، وهو يريد الدنيا، لذلك يحاول أن يُكثر من الذين حوله ليستفيد منهم، لكن الذي يدعو لله لا يحزن على أي شيء: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف).

هؤلاء هم الدعاة إلى الله، وهذا وصف لهم في آية واحدة من كتاب الله، ولو نظرنا إلى غيرها من الآيات وجمعناها سنحتاج إلى رسالة دكتوراة تسجل في أوصاف الدعاة إلى الله، التي وصف بها الله حبيبه ومصطفاه ﷺ في كتاب الله.

ولو جزء من الأمة: ... ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ (آل عمران)

أمة فقط تمشي على هذا المنهاج لن يتبقى كافر واحد على ظهر البسيطة لأنهم سيدخلون كلهم في دين الله أفواجاً، ولكنهم يتعرضون لدعوة الله ولم يتمكنوا من هذه الأوصاف، ولم يتمكنوا من هذه الأفعال، فإن ما يؤلبوه ويثيروه أكثر ممن سيهدوه ويجلبوه إلى طريق الله ودين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

توجيهات الله لنبيه

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ هذه الآية فيها مقامٌ عالي للحبيب المصطفى ﷺ، وفيها تعليم لنا أجمعين، أن الحبيب ﷺ الذي بلغ أعلى المقامات، وارتقى أرفع الدرجات إلا أنه كان يخضع للتوجيهات العلية من رب البرية على الدوام، مع أنه وصل إلى مقام الكمال، لكنه لم يكن يعترض على الله طرفة عين في أي أمر من الأمور.

في غزوة بدر كان سيدنا حمزة ﷺ قد قتل لرجل من الكفار أباه وعمه، والسيدة هند زوجة أبي سفيان أم معاوية كان قد قتل أبيها وعمها وأخيها، فالإثنين اتفقا قبل غزوة أُحُد مع عبد حبشي في مكة اسمه وحشي وكان مشهور بضرب الحربة بدقة بالغة، وقالوا له: نريد منك شيء واحد وتكون حراً بعد ذلك، قالوا: نريد منك أن تقتل حمزة، فذهب للمعركة وليس له شأن بخطة قتال ولا صفوف مقاتلين، وكل ما في رأسه هو حمزة، فاختبأ خلف صخرة قريبة من المعركة حتى يتمكن من قتل حمزة وهو يقاتل القوم.

وكان سيدنا حمزة بطل من الأبطال ويضع على صدره ريشة نعامة، ويصول ويجول في صفوف الكافرين، والرجل وجه الحربة له فدخلت من صدره وخرجت من ظهره، ووقع من على فرسه ومات.

وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان نذرت أنها إن مات حمزة ستأكل كبده، وتمثل بأعضائه كلها، فشقت بطنه وأخذت قطعة من كبده وحاولت أن تأكلها ولكنها لم تستطع، لأن الله كما حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد النبيين والمرسلين، حرَّم عليها أن تأكل أجساد ورثة النبيين والمرسلين.

ولذلك سيدنا يوسف عندما ادَّعى إخوته أن الذئب أكله، وهم قد أخذوا هذه الحجة من أبيهم، لأنه أخبرهم أنه خائف من أن يأكل الذئب يوسف، فجاء الذئب لسيدنا يعقوب وقال: يا نبي الله أنت تعلم أن الله حرم علينا أجساد الأنبياء.

المهم أنها جدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وقطعت ذكره، ومثلت بجسمه، كالكافرين ليس عنهم إلا قساوة القلب، لكن الرحمة لا توجد إلا لمن كان في قلبه إيمان، ولذلك حروب الإسلام هي الوحيدة الحروب الرحيمة، لكن حروب الكافرين والمشركين كلها

قسوة وغلظة لا يتحملها بشر ولا حجر، والحكايات كثيرة في هذا الميدان.

وبعد انتهاء المعركة وانسحاب الكافرين، ذهب النبي ﷺ يتفقد الشهداء في المعركة من المسلمين، فوقف عند سيدنا حمزة وعندما رآه حزن حزناً بليغاً وقال:

{ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حَزْنٌ مِنْ بَعْدِكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاهِ شَتَّى ، ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ: وَاللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" }[١٧٠]

المسلمين الذين كان لهم شهداء في غزوة أحد أيضاً الكفار مثَّلوا بهم، والمثلة نهى عنها الإسلام، ولذلك لم يفعلها المسلمون مع الكافرين في غزوة بدر، مع شدة ايذائهم لهم في مكة، فقالوا: إن شاء الله في العام القادم نُمَثِّل بهم مُثُلاً لم يسمع بها أحد من الأولين والآخرين، فأنزل الله على الفور لأنه يربي حضرة النبي على الدوام: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ تريد أن تعاقب فتكون بنفس العقوبة.

والأفضل من ذلك: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ انظر إلى التربية الإلهية، إما أن تعاقب بنفس العقاب، والأفضل أن تعفو وتصفح، لذلك عفا عنهم النبي ﷺ، وكان قد حلف يميناً، فكَفَّر عن يمينه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذا يعطينا إشارة في طريق الله، فلو حلفت يميناً على أي أمر فيه مشقة أو شدة على غيري، أفلا أقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ، وأصفح وأعفو.

على سبيل المثال ابني فعل شيء وحاولت أن أمسك به فأخذ يجري، فقلت: والله إن أمسكتك سأفعل فيك كذا وكذا، لماذا؟ لتنتقم منه، لكن لو حلفت أدب نفسك وهذبها وكَفِّر عن يمينك بأي طريقة من طرق تكفير اليمين، حتى تدخل في قول الله:

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النور)

اعفُ واصفح حتى يحبك الله ويغفر لك ...

كما أدب الله سيدنا أبو بكر كما ورد في سورة النور.

---

١٧٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

مدد الصبر

ثم جاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لرسول الله بترغيب إلهي في الصبر: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ إذا صبرت سيكون معك مدد من الله، وهل نحن لا نريد المدد؟! نحن نريد مدد بغير عدد، فلذلك عرِّض نفسك للصابرين حتى تدخل في ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٥٣البقرة) وتكفي معية الله، وكذلك مدد الله ﷻ للصابرين.

وهؤلاء الكافرين الذين فعلوا في المسلمين هذه الأفاعيل، والذين صنعوا هذا الصنيع سيكفيك الله ﷻ بأسهم وشرهم: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ فإن الله ﷻ معك، وما دام الله معك: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (٣٠الأنفال).

معية الله للأتقياء

ثم جاء بما هو أعلى وأرقى وأتقى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ معهم بنصره، ومعهم بتأييده، ومعهم بمعونته، ومعهم بقوته، ومعهم بفضله ورحمته، ومعهم بعزه ونصرته، ومعهم بكل الكنوز الإلهية الظاهرة والغيبية، لأن من كان في معية الله يكون معه الله بكل كنوز فضل الله ﷻ إن كان في عالم الملك أو عالم الملكوت.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ التقوى هي الخوف من الله، ومراقبة الله، ومراعاة أن الله ﷻ يطلع على المرء ويعلم ظاهره وباطنه وخفاياه:

﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ الذين بلغوا مقام الإحسان، والذي قال فيه ﷺ:

{ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[١٧١]

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يرزقنا حسن التأسي بنبينا الكريم الرؤوف الرحيم، وأن يجعلنا فقهاء حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٧١ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

أدب الداعي[١٧٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت)

سر الرضاع الطبيعي	الأزهر والدعوة الإسلامية	الدعوة والعمل الصالح
أدب الأنبياء	الخُلُق الكريم	

مع آيات أُخرى تحوي أدب الدعاة في كتاب الله، والآية فيها نورانية وعناية.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ هناك قولٌ حسن، وهناك قولٌ أحسن، فما القول الحسن؟ قالوا فيه: **((الكلام إذا كان من القلب دخل إلى القلوب، وإذا كان من اللسان لا يتجاوز الآذان))**.

سيدنا أبو ذر ﷺ وأرضاه كان من كبار الزهاد والعباد في صحابة النبي، وكان على قدم سيدنا عيسى بن مريم في زهده وعبادته لله، ولذلك قال ﷺ:

{ ما أَظَلَّتِ الخَضرَاءُ، ولَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِن ذِي لَهجَةٍ أَصدَقَ ولَا أَوْفَى؛ مِن أَبِي ذَرٍّ؛ شَبَه عِيسَى بنِ مَريمَ }[١٧٣]

قال له ابنه عمر يوماً: يا أبت لِمَ أجد لكلامك وقعاً في آذان الناس غير كلام الآخرين؟ فقال ﷺ: **((يا بني ليست النائحة الثكلى التي فقدت وحيدها كالنائحة المأجورة))** يعني النائحة التي فقدت وحيدها .. ليست كالنائحة التي يستأجرونها، فهناك فارق بين الإثنين.

---

١٧٢ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١١ من ربيع الآخر ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١١/٢٦م
١٧٣ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

كذلك الذي انفعل بكلام الله، وعمل به متابعاً لرسول الله، هل يستوي مع الذي قرأ كلمتين وجاء لينقلهم لنا مرة ثانية؟! مستحيل، وهذا الكلام نجده في كل زمان ومكان.

كانوا في العصر الأول، ولا يزال فتيةٌ منهم في هذا الزمن يعيشون على نهج العصر الأول، وهم الذين عليهم المعول في هذا الدين، كانوا يقولون: كنا لا ننتقل من آية من آيات القرآن إلى التي تليها إلا إذا فقهناها وعملنا بها.

لا يعد ختمات، ولكن كل آية ينظر ما فيها ويعمل به، ولذلك يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((كان من يحفظ سورة البقرة بين أصحاب رسول الله ﷺ يُدعى عظيماً)) يعني أصبح باشا، كلغة عصرنا، وكيف حفظها؟ علماً وحروفاً وعملاً.

سر الرضاع الطبيعي

تعالوا معي لنرى رجلاً من هؤلاء، والذي كان يعتبر أول الزهاد في التابعين، وهو سيدنا الحسن البصري ﷺ، ويرجع سر زهده إلى أن أُمَّه كانت تعمل خادمة عند السيدة أم سلمة رضي الله عنها، وذات يوم ذهبت لتقضي مصلحة للسيدة أم سلمة وتركت معها رضيعها وهو سيدنا الحسن البصري، وغابت، فجاع وأخذ يبكي، وكانت السيدة أم سلمة قد تجاوزت الثمانين، فأعطت له ثديها لتُسكته به، فأنزل له لبناً فرضع، قالوا: إن هذه الرضعة هي سر زهده ونبوغه رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه.

لنعرف أن الرضاع له تأثير كبير، فالرضاع يؤثر في الطباع، واحفظوا ذلك جيداً، فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان من أول الدعاة إلى الله الذين استخدموا المستحدثات العصرية التي ظهرت في زمانه، فأول ما ظهرت السيارات اشترى سيارة وكان معه سائق، وهذا السائق كان مسيحياً، ثم أسلم، وسمى نفسه صُهيب الرومي، وذات يوم من الأيام أراد الإمام أبو العزائم أن يُعرِّفه سر إسلامه، فقال له: يا بني زُر مرضعتك التي أرضعتك لبن الإسلام، فتعجب، وذهب لأمه وكان من الإسماعيلية، وسألها، فقالت له: عندما وُلدت مرضت أنا مرضاً شديداً ولم أستطع إرضاعك، وكانت لنا جارة مسلمة هي التي أرضعتك!، فكشف السر أن هذا اللبن هو سر دخوله الإسلام.

يظن الناس أنها هينة ولكنها عند الله عظيمة، فالرضاع يؤثر في الطباع، أو إن شئت قلت يغير الطباع، وهل من يرضع لبن صناعي كمن يرضع لبن طبيعي؟ مستحيل.

المهم كان الحسن البصري ﷺ لا يقول شيئاً على المنبر في البصرة حتى يفعله وينفذه عملياً، فذات يوم ذهب إليه جماعة من العبيد – والعبيد كانوا كثير في زمانه – يشتكون إليه من سوء معاملة أسيادهم لهم، وقالوا له: نريد أن تخطب لنا خطبة تبين فيها أدب الإسلام في معاملة العبيد، ووصايا حضرة النبي ﷺ، فقال لهم: إن شاء الله.

وتجمعوا يوم الجمعة فلم يسمعوا شيئاً في الخطبة عن هذا الأمر، والجمعة التي تليها كذلك، والتي تليها كذلك، وبعد شهرين خطب خطبة عصماء في هذا الأمر، بعدها معظم الأغنياء في البصرة حرروا العبيد الذين عندهم!.

فذهب جمع من العبيد إليه يلوموه: لماذا تأخرت عنا؟ فقال: في الوقت الذي طلبتم مني هذا لم يكن عندي عبد أعتقه لوجه الله، فلو قلت لن يسمع أحد مني، ولم يكن معي مال أشتري به عبداً، فانتظرت حتى أتاني الله مالاً فاشتريت عبداً وأعتقته لوجه الله، ثم تكلمت ليُسمع مني!.

هكذا كان حال الدعاة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك تجد الدعاة إلى الله المؤثرين في كل زمان هم الذين خرجوا من بين الصوفية الصادقين، لماذا؟ لأنه لا بد أن يجاهد نفسه جهاداً شديداً، ولا يخرج للدعوة إلا بعد أن تأتيه الإلهامات والواردات، ويعرضها على شيخه، ولا يؤذن له بالدعوة إلا بأمر من رسول الله ﷺ.

فعندما يكون داعياً إلى الله بإذنه، يكون سراجاً منيراً لمن حوله، لأنه أخذ الإذن من رسول الله ﷺ.

الأزهر والدعوة الإسلامية

كانوا كلهم على هذه الشاكلة ...

حتى الأزهر في عصوره الفاضلة ...

كان الجامع الأزهر مملوءاً بالخلوات، وكانت الدراسة في نفس الجامع، وكل شيخ يجلس بجوار عامود، والتلميذ الذي ينتهي من الدراسة لا يُسمح له بالخروج للتدريس للخلق إلا إذا دخل الخلوة ثلاث سنوات على الأقل، فيعطوه الأوراد ويتابعوه، وهذا تطبيق عملي لما درسه عملياً، حتى يتأكدوا أنه أصبح على قدم.

ولذلك عندما تقرأ سيرة الشيخ صالح الجعفري ﷺ وأرضاه، تجد المدرسين الذي كانوا يُدرِّسون له في الأزهر كلهم من ذوي الكشف، وهو يحكي ذلك بنفسه عنهم في قصته، وكانوا كلهم من أهل الكشف، كانوا يوجهون المريدين بالكشف، ورأينا واحد منهم لعهد قريب في طنطا وكان سمه الشيخ محمد خليل الخطيب ﷺ وأرضاه، وكان يرى الرسول ﷺ كثيراً، وهو الذي بشر برؤية النصر في أكتوبر ١٩٧٣م، وحكاها للشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ عبد الحليم محمود بشَّر بها على منبر الأزهر.

وكان مُدرِّساً في المعهد الديني الأحمدي في طنطا، فكان يدخل الفصل، وكان الجو شاتي في أيام الدراسة والأمور كانت لا زالت بدائية، والطلبة الذين كانوا يسكنون في طنطا يسكنون في أي بيت ليس فيه سخان للماء ولا غيره، فيأتي عند بعض الطلبة ويقف عنده، ويقول له: ألم تجد ترعة لتستحم فيها وأنت قادم؟! يعني كان يعرف أنه احتلم ولم يستطع الاستحمام لأن الماء بارد، فيأتي كما هو.

فكان هؤلاء على هذه الكيفية، وبالطبع عندما يكون الداعي على هذه البصيرة، فبدون شك تكون دعوته منيرة، وتصل إلى القلوب، وتخرق الحجب الموجودة كلها، وتدخل إلى قاع القلب لتستقر فيه بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الدعوة والعمل الصالح

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ هل الدعوة أولاً أم العمل الصالح؟ العمل الصالح أولاً، إذاً كيف يدعو إلى الله ويعمل صالحاً؟ ذهبنا لشيخ يفسرها لنا فقال: يا بني أنت تدعو نفسك أولاً، فالكلام الذي تقوله حتى على لسانك توجهه لنفسك أولاً، وتقيم عليها الحجة أمام الآخرين لتلزمها، فتضطر أن تعمل بعد ذلك، ... فأنا أي كلمة أقولها أو أي توجيه أو أي خطبة ... تكون لنفسي أولاً حتى لا أكون كما يقولون:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وهذا كلام لأبي الأسود الدؤلي، وإن كان بعض الناس ينسبونه للإمام علي كرَّم الله وجهه وأبو الأسود الدؤلي تلميذ الإمام علي رضي الله عنهم أجمعين.

﴿ دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ دعوة وعمل صالح، وبعد ذلك لا يرى نفسه من المؤمنين ولا من المحسنين ولا من الموقنين ولا من الزاهدين ولا من العابدين، وكيف يرى نفسه؟ ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أقل منزلة، لأن النفس تحتاج ذلك، والإنسان لو رأى نفسه فكما يقول الشيخ ابن عطاء الله: **((من رأى نفسه فوق التراب ضل))**

لأن أصلنا تراب، وقبل التراب ماذا كنا؟

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (١الإنسان).

وكذلك من الذي يتذكره بعد الموت؟ المخالطون له فقط، وهؤلاء سيقدحوا فيه، وهؤلاء سيمدحوا فيه ويثنوا عليه، فهل ينفعه هذا الكلام؟! لو أعطوه وسام كذا ووسام كذا بعد أن مات، فماذا يفعل بهذه الأوسمة؟! كل هذا ذهب.

الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه سيد الطائفة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى رآه أحد أصحابه في المنام، فقال له: كيف حالك؟ قال: ضاعت تلك الإشارات، وطاحت تلك العبارات، ولم يبق إلا رُكيعات كنا نركعها في السَحر!، والإمام الجنيد ﷺ وأرضاه كان يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة.

والكلام حتى ولو أُعيد في الإذاعات فماذا يفعل به؟

لكن ما ينفعنا: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾.

فعندما ننظر لهؤلاء الرجال نجد أننا لا شيء بالنسبة لهم، أين نحن وأين هم؟

لا نسبة بالمرة ...

ومع ذلك الكِبر ملأ قلوب الجميع !!!

فكل من حفظ كلمتين يعتقد أنه إمام القبلتين، وهذه مصيبة كبرى، ويريد من هذا أن يُقبِّل يده، وهذا يطلب دعاءه، وإذا ذهب عند التجار ليشتري شيئاً يريد منهم أن يكرموه لأنه يقول كلام لله، وهكذا.

أدب الأنبياء

والله يعلِّمنا الأدب على لسان أنبياء الله ورسله، فسيدنا موسى قال لسيدنا الخضر: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ (٦٩الكهف) فلم يستطع أن يصبر، لكن عندما قال سيدنا إسماعيل: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) صبر، لأنه أدخل نفسه في الجماعة، فلذلك أكرمه الله ببركة الجماعة، لكن سيدنا موسى لم يُدخل نفسه في الجماعة، فلم يستطع أن يصبر.

ولذلك الفاتحة جاءت بلسان الجماعة، وحضرة النبي بذاته علَّمنا في دعاء القنوت أن نقول:

{ اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ }[١٧٤]

إذا كان رسول الهداية يقول ذلك، فماذا نقول؟! يعلِّمنا أنه لا أفضل من الدعاء على الإطلاق من خلُق التواضع، وهذا الخُلُق الأول والأساسي لسيدنا رسول الله ﷺ، فالداعي إن لم يكن متواضعاً فكيف يؤلف غيره، قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ }[١٧٥]

كيف يألف ويؤلف؟ إذا كان متواضعاً يجالس هذا، ويكلم هذا، ويناقش هذا، لكن يتكبر أن يتكلم مع هذا، ويتحدث مع هذا، فمَن يدعو؟!! لأن الدعوة ليست على المنابر، لأن ما على المنابر إبلاغ، لكن الدعوة إلى الله تحتاج إلى مخالطة، فأخالط هذا وآتي به، وأخالط هذا وأجذبه.

لماذا كان الصالحون لهم المجال الأوسع في الدعوة؟ كانوا يذهبون إلى المذنبين والعصاة وقطاع الطريق ويجذبونهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكانت دعوة معظم الصالحين بهذه الوسيلة، يجذبون هؤلاء ويدخلونهم إلى الله ﷻ، فالموجود في المسجد هو موجود في المسجد، لكن أنا أريد أن أُدخل الآخر للمسجد، كيف أجذبه؟ لا بد وأن أذهب إليه.

أحد تلاميذ الإمام أبو العزائم وكان اسمه الشيخ عبد السلام الغريب ﷺ وأرضاه، بعثه الشيخ لأحباب بورسعيد، لأنهم كانوا طالبين مَن يُحيي معهم شهر رمضان، فبعثه

---

١٧٤ معجم الطبراني والسنن الكبرى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
١٧٥ مسند الشهاب والطبراني عن جابر ﷺ

لهم، فلما وصل سألهم عن ترتيب الشهر، فقالوا: رتبنا لك جدولاً بالمساجد في شهر رمضان، كل يوم في مسجد، فقال لهم: لا، أنا أريد جدولاً بالمقاهي، وكل يوم سأذهب إلى مقهى، وبورسعيد مشهورة من القديم بالمقاهي، وطلب منهم أن يأتي معه واحد فقط منهم.

فكان كل يوم يذهب بعد صلاة العشاء إلى مقهى، ويجلس مع رفيقه على منضدة، ويتحدث معه بصوت مرتفع، فيشد من بجواره ويأتي، ويشد الآخرين الذين يلعبون الطاولة وغيرها، فيغلقون الطاولة ويأتوا إليه ويسمعوا، حتى إذا كثر العدد يصعد ويقف على المنضدة من فوق ويظل يتكلم حتى قرب السحور، فيقول لهم: هيا اذهبوا للسحور، ثم تذهبون للمسجد.

كل يوم مقهى من المقاهي، أرأيتم كيف كانت الدعوة إلى الله؟! من الذي يستطيع أن يفعل هذا من المعممين؟! يخافون حتى لا تُهان العمامة، لكن هذه الدعوة الحقة لمثل هؤلاء.

ولكن من الذي يذهب إليهم؟ تحتاج معه مدد من الله، لأن الله سيُلقي في قلوبهم الرعب منه، ويكسوه بالهيبة التي أعطاها لحبيبه، فقد كان ﷺ من رآه بديهةً هابه، وحتى هؤلاء لا يستطيعوا عمل أي شيء معه، فيخضعوا له ويسمعوا له، ويجذبهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أين الآن البرامج الدعوية التي توصي الدعاة أن يدعوا العصاة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟! لا يوجد إلا المساجد، ولا تزيد الخطبة عن عشرة دقائق، والحاضرين هم المستديمون.

لكن الذي يريد جديداً يذهب إليه، وإذا ذهبت إليه فيجب أن أتواضع له، وأتكلم معه، وأناقشه، وأحاول معه حتى أجذبه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذه المهمة الأساسية للدعاة، أن يأخذوا العصاة من أيدي الشيطان ورعاياه، ويُدخلونهم على حضرة الله، وهذا دورك أنت، فأنت ترى عدداً من المسلمين أسرى للشياطين، وأنت تشاهدهم وتقول: أنا أعظ في المسجد، لكن الذين يأتون المسجد ويؤدون الصلاة هم على خير، لكن الآخرين هم الأحوج للوعظ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٥٣الزمر) من الذي يوصل إليهم هذا الكلام؟ أفلا يحتاجون إلى أحد يوصله لهم؟ ويأتي لهم بالنماذج والأمثلة، ويجذبهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا لُب الدعوة إلى الله.

ومعها كما قال الله:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

لا بد أن يكون الداعي على الخُلُق الكريم للنبي الرؤوف الرحيم ﷺ:

{ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ فُلَانٍ، اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاحِي السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَجْلِسَ إِلَيْكِ، قَالَ: فَجَلَسَتْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا }[١٧٦]

لم يقل لها اذهبي وخذي ميعاد، بل اجلسي في أي مكان على الطريق وأنا أجلس معك، هل أنا أطلب من العصاة والمذنبين أن يأتون إليَّ؟

لن يحدث أبداً !! وماذا أفعل؟

أذهب إليهم، ومعي روح من الله:

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ (١٥غافر).

فالدعوة تحتاج من الداعي أن يصاحب هؤلاء الذين يقضون وقتهم في لعب الكوتشينة وغيرها، وأنا أعلم أنهم لا يصلون، فلا أتكلم معهم أولاً في الصلاة، ولكن أصاحبهم حتى يأنسوا بي، ثم أبدأ فأجذبهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أليست هذه تجارتنا؟!!

﴿ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٠الصف)

لكن ما التجارة التي على المنبر؟! .. خطبة جاءتك مكتوبة وجاهزة وأنت تقرأها!! ... وقد تناسب الحاضرين، وقد لا تناسبهم

لكن هؤلاء هم المحتاجون كما قال الله:

---

١٧٦ سنن أبي داود ومسند أحمد

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ولذلك كان السلف الصالح يمتحنهم المنافقون واليهود وغيرهم إمتحانات شديدة!

فالإمام علي زين العابدين ﷺ وأرضاه سلطوا عليه وهو في الطريق رجل يشتمه ويسبه بألفاظ قبيحة جداً، وهو يتظاهر أنه لا يسمعه، حتى قرب من البيت، فالتفت للرجل وقال له: يا هذا إن كان عندك شيء آخر فهاته قبل أن يسمعك الصغار فيؤذوك، فاعتذر وقال:

إنك ابن رسول الله حقاً !!، ففلان وفلان هم الذين أوصوني أن أفعل ذلك، ثم قال الإمام ﷺ:

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيبا

كعود البخور كلما اشتعل أكثر كلما زادت رائحته الطيبة.

الإمام أحمد الرفاعي ﷺ وأرضاه جاءه رجل يريد أن يمتحنه، فقال له:

أنا أدعوك اليوم للغذاء عندي، والحديث:

{ مَنْ دُعِيَ فَلْيُجِبْ }[١٧٧]

فأخذ يمشي معه حتى دار به كل بغداد وقال له:

يا سيدي معذرة لقد تُهت عن البيت !!!

فقال له: سأرجع، وبمجرد أن مشى قال له: أنا تذكرت، وكرر نفس الأمر ثلاث أو أربع مرات، حتى وصل للبيت، وهو لم يتأثر لأن الحلم سيد الأخلاق للدعاة ..

بعد ذلك جاءه برغيف عيش قديم وقدمه له، وكلَّمه بلغة غليظة .. فقال له: يا بني هذا الرغيف حتى يصل إلى هنا عمل فيه كذا وكذا من ملائكة السحاب، وكذا وكذا من ملائكة الرياح الذين ساقوا السحاب، وكذا وكذا من الملائكة الذين ينزلون الماء ليسقي النبات، وذكر له السلسلة كلها ..!!!

---

١٧٧ سنن أبي داود عن جابر ﷺ

وأثناء كلامه معه جاء كلب، فأشـــار له بلقمة عيش فجاء، ثم قال له: امشـــي فمشى، وكررها ثلاث أو أربع مرات، ثم قال للرجل:

يا بني أتريد أن تكون أخلاق أحمد الرفاعي أقل من أخلاق كلب؟!!.

هؤلاء هم الصالحون!

والناس في حاجة لهذه الأخلاق، والكون كله في حاجة لهذه الأخلاق.

أخلاق النفاق تصدَّرت الكون كله الآن ..

والذين معهم القوة المادية هم أسوأ الأمم أخلاقاً مع غيرهم !!!

هم الذين يبتزون الأمم كلها !!

وهم الذين يسخرون الأمم كلها !!

وهم الذين لا يريدون أحداً أن يعيش إلا هم !!

إذا تكلموا عن حقوق الإنسان فيقصدون الإنسان الأمريكي فقط، لكن الإنسان مصـري أو غيره فلا، إلا إذا كان لهم مصـلحة فيثيروا القضـية حتى يخيفوا الحكام عندنا، لكن هل عندهم حقوق للإنسان المصري أو غيره؟ لا.

عندهم حقوق الحيوان، كالكلاب والقطط وغيرهم ويحاربون عليها هنا!!

لكن حقوق الإنسان لا!!

لأن الذين عملوه في كل الدول العربية والإفريقية والآسيوية وغيرها أيام الاستعمار لا يعمله إنسان عنده ذرة من ضمير، أو ذرة من رحمة.

فهؤلاء كلهم ماذا يحتاجون؟

وماذا يريدون الآن؟

محاسن الأخلاق التي جاءنا بها سيدنا رسول الله من عند الكريم الخلاق:

فهذه بضاعتنا !!

وإذا ظهرت هذه البضـاعة بيننا فسـيشـاهدونها، وهذه هي التكنولوجيا الراقية التي

يحتاجونها، والتي يريدون أن يأتونا ليأخذوها من عندنا.

ولكنهم يرون أننا تخلينا عنها بالمرة !!! ... ودمرناها وقتلناها وقبرناها !!!

فلا يرون هذه الأخلاق، يرونها في الورق في كتب التاريخ وأمثالها.

لذلك نحتاج أن يكرمنا الله جميعاً ونقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ في مكارم الأخلاق، ونعمل بدعوة سيدنا عمر:

((ادعوا إلى الله بأخلاقكم، قبل أقوالكم)).

إذا تم هذا المراد فيكون:

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾

تحتاج لصبر! ..

وهي أيضاً لمن يريد أن يكون إماماً:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ (٢٤السجدة)

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١٢٧النحل)

صُلب الدعوة كلها على الصبر:

- الصبر على تحمل الجاهلين ..
- وتحمل الفاسدين ..
- وتحمل العصاة والمذنبين ..

لأدعوهم برفق إلى طريق رب العالمين.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُصلح أحوالنا ..

وأن يُذهب أحزاننا، وأن يصفي قلوبنا، وأن يُكرِّم أخلاقنا، وأن يهدينا سبلنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١٦)

أعمال الصالحات[١٧٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف)

فريق الجنة وفريق المنة	أهل الصُفَّة	الإيمان والعمل الصالح
الفردوس الأعلى	كلمات الله	حجاب البشرية
بشرية النبي	الأسوة الحسنة	خصوصية الوحى
المقام الأعلى	الشرك الأصغر	الخلاص بالإخلاص

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل خير بيان على قلب النبي العدنان، وجعله نبراساً لأهل العيان، وهدى لأهل الإيمان ...

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعله مولاه في قاله وحاله وعمله وأخلاقه صورة لمكنون القرآن، صلى الله عليه وعلى آله الذين اقتدوا بهداه، وأصحابه الذين تربوا على مائدة التقوى مع حبيب الله ومصطفاه، وكل من مشى على نهجهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

هذه الآيات التي معنا هي من أواخر سورة الكهف، وهي تبين حال الفريقين الذين اختارهما الله من هذه الأمة، وجعلهما أهلاً للقرب والمناجاة.

١٧٨ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٩ من جمادى الأولى ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠/١٢/٢٤م

فريق الجنة وفريق المنة

فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل فريقاً للجنة، وفريقاً للمِنَّة، فريق يطلب النعيم في دار التكريم، وفريق كل لذته النظر إلى وجه الكريم.

الفريق الأول سماه الله أهل اليمين: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ (الواقعة) وهؤلاء نسميهم طلاب الجنة.

والفريق الآخر وهو الأعلى والأكرم سماه المقربين:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ ﴾ (الواقعة) وهناك قراءة: أخرى: (فراح وريحان وجنة نعيم) يعني أخذوا الحسنيين، أخذوا الراح أو الروح، والريحان وهو أن يشموا نسيم القرب من حضرة الحنان المنان – وليس الريحان الذي نشمه في الدنيا – وأخذوا مع ذلك أيضاً جنة النعيم.

والمؤمن في أي مقام من المقامات مطالب دوماً بعُلو همته، فقد قيل: **((عُلو الهمة من الإيمان))** فلا بد أن تكون همته عالية، والناس – وما أدراك ما الناس؟! فكلمة الناسِ يعني الغافل – عندهم طموحات وآمال في الدنيا، ويريد أن يترقى فيها، فإذا كان يسكن في شقة فإنه يريد أن يسكن في فيلا، وإذا كان يسكن في فيلا شكلها كذا يريد فيلا أرقى منها، وهكذا في كل الأمور.

فرجال الله، وأهل الله، وطلاب وجه الله، لا بد أن يكون عندهم همة أعظم وعزيمة أكبر لينالوا ما يشتاقون إليه من فضل الله وكرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والله ﷻ آلى على نفسه أن يُعطي لكل سائل سؤله، ولكل مريد مراده، فالذي يريد من الله ﷻ أن ينجو من النار وأن يدخل الجنة، هل يقول له سأرقيك وأجعلك مع أهل المنة وتشهد الوجه العلي؟! لا، لأن همته غير ذلك، وطلبه غير ذلك، لكن لا بد أن تكون همة المؤمن أعلى.

والفريقين في القرآن، وأشار إليهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أكثر من موضع من آيات القرآن، فهناك رجال يعبدون ربهم خوفاً وطمعاً:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (السجدة) خوفاً من النار وطمعاً في الجنة.

أهل الصفة

لكن من الذين أمر الله حبيبه ﷺ أن يُصبِّر نفسه معهم؟

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ (٢٨الكهف)

هؤلاء يريدون وجه الله ...

فأمر الله النبي ﷺ أن يُصبِّر نفسه مع هؤلاء ...

وهؤلاء كانوا تسعين رجلاً ليس لهم في المدينة سكن ولا دار ولا زوجة ولا تجارة، لأنهم فرَّغوا أنفسهم لله ورسوله، وأقاموا في مسجد حضرة النبي ﷺ، وجعل لهم النبي ﷺ عريشاً كانوا يسمونه الصُفَّة، يقيمون تحته، ويقيهم حرارة الشمس في الصيف، ومن المطر في الشتاء ...

وكانوا ضيوف رسول الله، إذا أتى لهم أحد من الأنصار بطعام فبها ونعمت، وإذا لم يأت لهم طعام كانت ضيافتهم على الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وجعل لهم رسول الله ﷺ قائداً منهم وهو سيدنا أبو هريرة، وأطلق عليه عريف أهل الصُفة، وسماه بذلك لأنه هو الذي يعرفهم، ويعرف أحوالهم جميعاً رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم.

وكان ﷺ قبل نزول هذه الآية يجلس معهم فإذا أراد أن يقوم قام وتركهم، ولكن بعد نزول هذه الآية كان لا يقوم حتى يأذنوا له !!!

يقول سيدنا خباب بن الأرت ﷺ:

{ فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا؛ قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ }[١٧٩]

هم الذين يأذنون له، لأن الله أمره أن يُصبِّر نفسه معهم !! حتى يبين لنا الله ... ويبين لنا حضرة النبي المنزلة العالية .... والدرجة الراقية والغالية لهؤلاء الأكابر، ... نسأل الله أن يُلحقنا بهم أجمعين.

---

١٧٩ سنن ابن ماجة والطبراني عن خباب بن الأرت ﷺ

الإيمان والعمل الصالح

فبدأ الله ﷻ الآيات التي معنا بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ دائماً في كل القرآن تجد الإيمان مقروناً بعمل الصالحات، لأن إيمان بدون عمل لن يحقق الأمل، قال ﷺ:

{ لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }[١٨٠]

ويقول الحسن البصري ﷺ: **((ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ... ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، .. وإن قوماً غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، ... قالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا،... لو أحسنوا الظن! لأحسنوا العمل!))**.

الذي يختار غاية من الغايات العالية، أو درجة من الدرجات الراقية، عليه أن يدفع المهر، كيف؟ ليس مال، ولكن يقدم العمل الذي يتعرض به لبلوغ هذا الأمل، ما العمل الذي يعمله ليبلغ به هذا الأمل؟ ينظر إلى أعمال المقربين الذين أشرنا إليهم من أصحاب حضرة النبي، وأعمال من مشى على منوالهم ومنهاجهم من أصحاب الصالحين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين؛ لا يقارن نفسه بالناس العاديين، كما نسمع أحدهم يقول: ... الحمد لله أنا أحسن من غيري، ففلان لا يُصلي، وفلان لا يدخل المسجد، وفلان غافل على الدوام، وأنا والحمد لله محافظ على الصلاة، ولا بأس بذلك، ولكن ستأخذ الجزاء على قدر عملك:

﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٦الطور).

لكن إذا كانت الهمة عالية فلا بد أن تدخل في الفئة الراقية، وتعمل عمل هؤلاء لتنال ما نالوا، وتصل إلى ما وصلوا إليه.

وعمل الصالحات شرطه الأساسي أن يكون موافق لشرع الله، وأن يتابع فيه العامل في الهيئة والحركات والسكنات سيدنا رسول الله، وإلا حبط عمله، فلا بد أن يكون عملاً من الشريعة المطهرة، وفي نفس الوقت يقتدي برسول الله ﷺ.

---

١٨٠ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس ﷺ

الفردوس الأعلى

من يعمل هذه الأعمال الصالحة، ويحفظ نفسه من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، ما جزاؤه؟ ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ وانظر إلى كلام ربنا العجيب، لم يقُل (سيكون لهم جنات) ولكن (كانت)، يعني ملكناهم جنات الفردوس.

والفردوس في المعنى اللغوي يعني أفضل أنواع البساتين، فعندنا بساتين وحدائق في الدنيا، لكن أفضل أنواع البساتين والحدائق نسميه الفردوس، ولذلك يقولون على بلاد الأندلس (الفردوس المفقود) لماذا؟ لأنها كانت حدائق غناء ليس لها مثيل.

أما الفردوس فحضرة النبي ﷺ طلب لهؤلاء العمال أن تصعد هممهم، وتعلو عزائمهم، حتى يطلبوا أعلى الدرجات في الجنان، والجنة كما ورد عنه ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }[١٨١]

وقال ﷺ: { إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[١٨٢]

والفردوس أنواع وليس نوعٌ واحد، فإذا كان هناك الفردوس الأعلى فمعنى ذلك أن هناك الفردوس الأوسط والفردوس الأدنى.

لذلك عظموا رغائبكم، يعني اجعل رغبتك عظيمة، ولا تجعلها رغبة دنية، وخاصة أنك تطلب من الحنان المنان الكريم الذي لا يرد من سأله وأعطاه، وهو لا يبخل، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، ثُمَّ لا يَضَعُ فِيهِمَا خَيْرًا }[١٨٣]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمَّ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا

---

١٨١ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٨٢ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٨٣ الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك ﷺ

حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِمَا خَيْرًا }[184]

فما دام الأمر هكذا لا بد أن أسأل الله شيئاً عظيماً، والفردوس الأعلى، تنبع منه أنهار الجنة، وأنهار الجنة يقول عنها الله في آيات القرآن: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١٥محمد).

أنهار لا يستطيع أن يعيها العقل البشري في هذه الدنيا، لأنها تنبع من هضبة الفردوس الأعلى الذي أمرنا سيدنا رسول الله أن نطلبه من الله.

ودخول الجنة لأهل الجنة لا يمنع خوفهم، لأنهم يخافون عندما يدخلون الجنة أن يخرجوا منها مرة ثانية، وسيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه كان يقول: **((لا آمن مكر الله، ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة))** والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه قال: **((لا آمن مكر الله ولو كنت بكلي في الجنة، فإن آدم كان في الجنة وأخرجه الله منها))** كان بكله فيها وليس بقدم واحدة فقط وخرج منها.

فلو دخل الإنسان الجنة يريد أن يطمئن، فطمأنهم الله وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وكلمة خالدين فيها هي التي أتت بالإطمئنان لأهل هذا المقام في جنة الرحمن وفي جوار النبي العدنان ﷺ.

ولذلك عندما يدخلوها: ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ أي لا يطلبون أن يتحولوا ولا يتغيروا ولا يتبدلوا من هذا المُقام، فعندما نذكر الجنة نقول: (مُقام) وإذا ذكرنا الأرض والدنيا نقول: (مكان) لكن الجنة ليست مكان، ولكنها مُقامٌ كريم كما وصفها الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ ... يعني منزلة كريمة ينالوها في هذا المُقام.

اليهود كانوا دائماً يبحثون عما يجادلون به حضرة النبي ﷺ محاولين التشنيع عليه، والتشنيع على نبوته، وعلى هيئته، وعلى صورته ﷺ.

وسورة الكهف نزلت إجابة على أسئلة اليهود.

---

١٨٤ مصنف عبد الرزاق والطبراني عن أنس بن مالك ﷺ

عندما ذهب إليهم وفدٌ من أهل مكة وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب نريد أن نسأل هذا النبي بأسئلة تعجزه، فقالوا لهم: سلوه عن فتية كانوا في الدهر الأول، والذين هم أهل الكهف، وسلوه عن رجل بلغ مطلع الشمس، وهي حكاية ذو القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوا حضرة النبي هذه الأسئلة.

فأنزل الله ﷻ سورة الكهف رداً عليهم ... وبياناً شديد اللهجة لعلهم يُسَلِّمون أو يُسْلِمون، ولكن الله لم يكتب لهم الهداية فذهبوا مع أهل الغواية !!!

نسأل الله الحفظ والسلامة.

كلمات الله

قال ابن عباس: قالت اليهود لما قال لهم النبي ﷺ ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥الإسراء) كيف وقد أوتينا التوراة؟ ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً!!

فنزل قول الله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾.

ويقصد بالبحر هنا المياه الموجودة في الدنيا كلها، إن كانت في البحار، أو في المحيطات، أو في الأنهار، أو في الآبار، أو في العيون، أو في الثلوج، هذه المياة كلها: ﴿ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾ والمداد هو الحبر، يعني لو كان هذا البحر كله مداداً لكتابة كلمات القدرة التي يقدرها القدير ﷻ في نَفَسٍ واحد لعجز!.

كل مخلوقات الله في الكون عاليه ودانيه بكلمة من كلمات الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٨٢يس) فكل مولود تُوضع نطفته في بطن أمه في هذه اللحظة إن كان من الإنسان أو الحيوان أو الطيور أو الأسماك، كل شيء يريد كلمة حتى يتم هذا الخلق وبعده التصوير.

كل شيء يحدث في الكون من موت وحياة ومرض وشفاء وبُرء من المرض وأكل وشرب ودواء وغذاء وغيره وغيره يحتاج إلى كلمة، ومن الذي يستطيع عد كلمات الله في هذه الكائنات؟!!. ما بالك بكلمات الله في السماوات؟! وما بالك بكلمات الله في الجنات؟! فكلمات الله هي مقدورات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي قدرها، وليست كلمة ككلمتنا

هذه، بل مقدورات الله التي قدرها في كل ملك الله وملكوته وعوالم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ ويقول الله لنا في آية أُخرى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧لقمان) يعني لو أن أشجار الدنيا كلها جعلنا فروعها أقلاماً، وهذه الأقلام ستكتب كلمات الله ما نفدت كلمات الله، لنعرف عظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا جماعة المؤمنين ...

﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ ...:يعني لو كانت المياه لا ينقطع عن البحر مددها من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الدوام، فإن كلمات الله في الخلق والإحياء والإماتة، والهداية وغيرها لا تنقضي أبداً في نَفَسٍ واحد في يوم واحد من الأيام.

حجاب البشرية

أهل مكة كان كل ما يدعوهم إلى تكذيب حضرة النبي ويستندون عليه أنه بشرٌ مثلهم، ويقولون هو مثله مثلنا، ولم يزد علينا بشيء، فيأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق مثلنا، فما الفرق بيننا حتى نتبعه؟! لأنهم كانوا ينظرون إلى ظاهره كما قال الله: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف).

يشاهدون هذا الغلاف الظاهر، وهذا الغلاف يحوي حقائق ودقائق ورقائق لا يحيط بعلمها إلا الله، لكنهم لا يرون غير هذا الغلاف، ولم يكشف الله لهم ظاهر الغلاف ليروا ما فيه!!! وهذا ما يحدث أيضاً مع الصالحين، يقول قائل: إن فلان رجلٌ صالح هيا لنزوره ونقتبس منه، فيرد عليه أحدهم: وماذا يزيد عنا؟! إنه بشرٌ مثلنا، أيضاً ينظر إلى البشرية، ولذلك سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ قال:

((إذا أحب الله عبداً دله على أوليائه، وكشف عنه حجاب بشريتهم، وأراه نورانيتهم - يراها بعين القلب - وإذا أراد الله بعبد سوءاً كاشفه ببشريتهم، وحجبه عن نورانيتهم))

يراهم مثلهم مثله، ... لأنه يرى الظاهر، ... والظاهر خلفه نور الظاهر والباطن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقالوا عن رسول الله أنه بشرٌ مثلنا، فأمره الله أن يقول لهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ وحضرة النبي ﷺ له حديث يتمسك به من لم يُوفق ممن ينتسب إلى العلم والعلماء، يقول فيه:

{ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ }[١٨٥]

يقولون: هذا الحديث يفرق الآية والنبي يقول ذلك، لكن الصالحين يرون بعين اليقين وبعين القلب لا عين الرءوس كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

بعين الروح لا عين العقول ... شهدتُ الغيب في حال الوصول

فهم ينظرون لأمور أُخرى، فالدليل الشرعي على أن بشريته ليست كبشريتنا، هو ما ذكره ﷺ عندما كان عند مرضعته حليمة السعدية رضي الله عنها، وكان عنده من العمر أربع سنوات، وأخذه إخوته من الرضاعة معهم لرعي الغنم، قال:

{ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ أَهْلِي فِي بَطْنِ وَادٍ فِي أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ، نَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ، إِذْ أَتَانَا رَهْطٌ ثَلاثَةٌ، مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ ثَلْجًا، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، فَخَرَجَ أَصْحَابِي هِرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ، فَقَالُوا: مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلامِ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِينَا مِنْ غُلامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ؟ وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ قَاتِلِيهِ فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ، فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانَهُ، فَاقْتُلُوهُ وَدَعُوا هَذَا الْغُلامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ، فَلَمَّا رَأَى الصِّبْيَانُ الْقَوْمَ لا يُجِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا انْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤْذِنُونَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي

١٨٥ صحيح مسلم وسنن ابن حبان عن أنس ﷺ

مِنْهُمْ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَنَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، فَأَخْرَجَ قَلْبِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، فَوَجَدْتُ بَرَدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ، الَّذِي شَقَّ بَطْنِي: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ }[١٨٦]

إذاً فهو وحده يســـاوي أمته كلها، وإذا كان جده الأعلى إبراهيم قال فيه الله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (١٢٠النحل) فماذا يكون هو؟!، وإذا كان تلميذه الأول سيدنا أبو بكر ﷺ قال فيه ﷺ:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }[١٨٧]

يعني إيمان أبو بكر أكثر من إيمان الأمة كلها، فماذا يكون هو؟! هو يساوي العوالم كلها، ظاهرها وخافيها، ولذلك يقول الله: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ (٧٥الإسراء) أنت وحدك قدر الأحياء من البدء إلى الختام، وقدر الأموات من البدء إلى الختام.

هذه الأدلة الشرعية على أنه بشر ولكن ليس كمثلنا.

سيدي محمد أبو المواهب الشاذلي ﷺ والذي يُطلق عليه سيدي التونسي، كان يرى الرسول ﷺ ويوجهه دوماً، فرأى رجلاً يعارض في بشرية رسول الله ﷺ، قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال: هلا قلت له:

---

١٨٦ تاريخ الطبري، والمطاالب العالية لابن حجر، ودلائل النبوة للبيهقي عن شداد بن أوس ﷺ
١٨٧ الفوائد المجموعة للشوكاني

والرواية التي يرويها الشـيخ عبد الوهاب الشـعراني ﷺ يقول: ثم أمسـك بخنجره وطعن الرجل فمات، يقول: فاستيقظتُ على صُراخ، فسألت فقالوا: فلان قد مات.

خنجر غير ظاهر، كسيدنا الخضـر، لما قتل الغلام هل أحدٌ رأى ذلك القتل؟! لا، الذي رآه سيدنا موسى فقط، لأنه لو رآه أحدٌ آخر ممن حوله لتشـاجروا معه، لكن قتله بسر جبروت من الأسرار التي معه، وليس بشيء ظاهر.

والبشرية كان لا بد منها للاقتداء بحضرته، فلو كان مَلَكاً رسولاً فهل كنا سنراه؟! وكيف نتابعه؟! وكيف نقلده؟! ولكن كما قال سيدي أبو الحسـن الشـاذلي ﷺ: **((والله ما أكل إلا ليُعلّمنا كيف نأكل؟ ولا فعل شيئاً إلا ليعلمنا كيف نفعله؟))** قال ﷺ:

{ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[١٨٨]

فهل بعد ذلك يحتاج لطعامنا!؟ لا، ولكنه يأكل حتى يُعلِّمنا كيف نأكل؟ ويُعلِّمنا كيف نشرب؟ ويُعلِّمنا كيف ننام؟ وكيف نجلس؟ وكيف نمشي.

الأسوة الحسنة

ممن نتعلم هذا كله؟

من المعصـــوم ﷺ، لأن أي إنســـان غيره قد لا نســـلم له لأنه قد يكون اجتهاد شخصي، لكن رسول الله كلامه يكون مع توجيه الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب) ولكم يعني كلكم من البدء إلى الختام عليكم بهذا الرجل واقتدوا به:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر).

نحن بشر ونحب أن نقلد، فوجَّهنا الله إلى تقليد رسول الله ...

وهو قال لنا:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[١٨٩]

---

١٨٨ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ

١٨٩ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

وفي الحج قال لنا:

{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }[١٩٠]

وأمره الله أن يقول لنا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣١آل عمران) يعني امشوا ورائي، وتعلموا مني ماذا أعمل؟

وهذا سر البشرية، حتى نتبعه ونقتدي بهداه ونمشي على منواله، فننال محبة الله ورضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

خصوصية الوحي

﴿ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أنا بشر صحيح، ولكن معي الوحي، وما دام يُوحى إليه فهل يكون مثلنا؟! لا، لأن الله ﷻ كما قال في قرآنه عن حضرته ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

إذا كان النطق وحيٌ يُوحى، فالعمل أيضاً وحيٌ يُوحى، وأي أمر يعمله بوحيٌ يُوحى إليه، ولذلك كان لا يفعل شيئاً إلا عن إذن من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذا كان الملائكة يقولون: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦٤مريم) فما بالنا بحضرة النبي كيف يكون؟! ... فكونه أنه يُوحى إليه، .... فهذه أظن أنها وحدها حجة داحضة لكل المجادلين والمعارضين ... بأنه الزُمردة الوحيدة، والزبرجدة الفريدة التي ليس لها مثال في الأولين ولا في الآخرين، ولذلك كان من تفسير بعض الصالحين لآيات سورة الضحى، ولكنه تفسير لخاصة المحبين في قول الله تعالى:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾ (الضحى)

قالوا: يتيماً ليس لأن أبوه مات، ولكن معناها أنه ليس له مثيل في عالم الخلق، فهذه نسميها جوهرة يتيمة يعني ليس لها نموذج آخر، فكان فريداً من نوعه، وفريداً في توجهه، وفريداً في إقباله على ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

١٩٠ سنن البيهقي عن جابر ﷺ

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٧الضحى) ضالاً يعني محباً، لأن سيدنا يعقوب عندما تذكر يوسف وقال لأولاده أنه يشعر أنه حياً، فقالوا له:

﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٩٥يوسف)

يعني حبك ليوسف لا يزال كما هو، فالضلال هنا يعني الحب الذي كان فيه، أو ضالاً يعني عَلَماً يهدي الضُلَّال.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (٨الضحى)

عائلاً ليس معناها فقيراً، ولكن يعني عائلتك كبيرة، وهل توجد عائلة أكبر من عائلته؟! وهي من عصره إلى يوم القيامة، وأغنى يعني أعطاك كل ما تحتاجه هذه العائلة من الفتوحات والإلهامات والتوجهات والتنزلات والتفضلات.

المقام الأعلى

ثم خاطب الله تعالى أصحاب المقام الأعلى؛ الذين يريدون جنة الفردوس، وقد تكلمنا عنهم، فقال:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ ... همه كله في لقاء الله.

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ يقول:

((لو أراد الله ﷻ عذابي يوم القيامة، لأدخلني الجنة وحرمني من لقائه، فلا شيء أغلى ولا أعلى ولا أبهى ولا أحلى من لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)).

أنا جئت أزورك في بيتك، وأولادك قابلوني وقدموا لي ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، وسألت عنك: أين فلان؟ فقالوا: هو موجود بالداخل ولن يستطيع مقابلتك!!

فهل أتلذذ بطعام أو شراب؟!

لا، كذلك لو دخل الجنة، وفيها الطعام والشراب والحور وغير ذلك، لكن سيُحرم من لقاء الله، فهل سيكون سعيداً؟

لا، بل سيكون في عذاب، وهذا اسمه عذاب الحجاب عن شهود وجه الله، ... أو عذاب الصد، ... أو عذاب الهجر.

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ما شروط العمل الصالح؟ هذه هي المهمة: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

هو مؤمن ويريد لقاء الله، ويعمل الأعمال الصالحة فكيف يقول له: لا تشرك؟! الشرك هنا في العبادة فقط، وهو غير شرك الكفار، وهل يوجد شرك في العبادة؟

نعم !!، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ }[١٩١]

وقال ﷺ: **{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }**[١٩٢]

وقال ﷺ: **{ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ }**[١٩٣]

وقال ﷺ: **{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }**[١٩٤]

الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

وما معنى الرياء؟

أن أعمل العمل من أجل الخلق، ومن أجل الشهرة حتى يلتفوا حولي، ويكون همي كله حب الظهور !!! أما إذا كنت أعمل العمل لله ولكن أحب أن يراني خلق الله، فهذا ليس رياء ولكن ينتقص من الأجر، قال رجل يا رسول الله إني أعمل العمل لله، ولكن أحب أن يراني الناس، فنزل قول الله:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

---

١٩١ الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس ﷺ
١٩٢ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ
١٩٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٩٤ الحاكم في المستدرك وأبي نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها

العمل الصالح ما دواؤه لينال القبول؟

أن لا يكون فيه رياء، ولذلك معظم إعاقة ووحلة وتعطيل السائرين والسالكين في طريق الله من الرياء، لأنه قد يكون يرائي ولا يشعر ولا يدري أنه يرائي.

الوحيد الذي ليس له رياء مع انتباه النفس إذا كان عالماً يعمل العمل ليقتدي الناس به، ولكن يحتاج إلى ملاحظة شديدة للنفس.

ولذلك أعلى جهاد للصالحين في التخلص من الرياء، والرياء إن شئت سميته حب الظهور، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: ((حب الظهور يقسم الظهور)).

وكما ورد في بعض الأثر: ((يأتي الرجل بأعمال أمثال الجبال يوم القيامة، فيقول الله تعالى لملائكته: اضربوا بهذا وجه صاحبه، فيقولون: ولمَ يا رب؟ فيقول الله تعالى: لأنه لم يُرد بذلك وجهي والدار الآخرة)).

ويقول الله في الحديث القدسي:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[١٩٥]

فكل من عمل عملاً توجَّه به إلى غير الله تركه له، لأنه لا بد أن يكون عملك خالصاً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والعمل الخالص لله هو الذي يعمله الإنسان ولا يريد أحداً في الوجود أن يعرف ماذا يعمل.

أرى بعض الأحباب وخاصة السيدات تتباهى وتفتخر وتقول: عملت لفلان كذا، وأنا أعطيت فلان كذا، وأنا جمعت كذا وكذا من أجل فلان، فأنت ضيعت عملك يا مسكين وحبط العمل ... لكن إذا أردت قبول العمل فيكون بينك وبين الله، ولا يطلع عليه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في علاه.

هل سمعنا عن أحد من الصالحين يذكر الأعمال الخاصة التي بينه وبين رب العالمين؟! لا، وهل سمع عن أحد من الصالحين يحكي المشاهد الخاصة التي رآها مع سيد الأولين والآخرين ﷺ؟! أبداً.

---

١٩٥ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

أنا أجد كثير لا يزالوا في بداية طريق الله، ويقول أحدهم: أنا رأيت حضـــرة النبي وقـال لي كـذا وكـذا، وأنا رأيتـك في رؤيا وأنـت تعمـل كـذا وكـذا، مـا هـذا؟! ... الشيطان ضحك عليه.

أحد تلاميذ الإمام الجنيد يقول له: يا سيدي أنا رأيت أني وأنت في الجنة، فقال له الإمام الجنيد: هل الشـيطان لم يجد أحداً يضـحك عليه إلا أنا وأنت؟! يريد أن يخرجه من هذا الأمر على الفور، لأن من رأى نفسه فوق التراب ضل.

ماذا أفعل؟ كما قال ابن عطاء الله السكندري ﷺ قال:

((ادفن نفسك في أرض الخمول، تُشرق عليك أنوار الوصول)).

الخلاص بالإخلاص

لكن تريد أن تظهر وتلمع في الشـــاشـــات، وتلمع عند الناس، وماذا يفعل لك الناس؟! هب أن الخلق كلهم اتبعوك، فبماذا ينفعوك؟! وأنت ماذا تصنع لهم؟!

لكن الإنسان لا بد أن يكون ما بينه وبين الله مجملٌ بالإخلاص الذي قال فيه الله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

والإخلاص كما وصفه الله في القرآن:

﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصَا ﴾ (٦٦النحل) اللبن الذي نشربه جاء من بين روث ودم، الحيوان، هل فيه أي أثر للروث؟ لا، أو هل فيه أي أثر للدم؟ لا، كذلك نفس الأمر، فالعمل الصالح يخرج من بين الفرث والدم، يعني من بين النفس بشهواتها، ومن بين الجسم وطلباته وأغراضه، فلا حظ فيه للجسم، ولا حظ فيه للنفس، لأنه خالصاً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو الإخلاص الذي يُكرم به الله الخواص.

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا الإخلاص في أحوالنا ونوايانا، والصدق في أقوالنا وأفعالنا، واتِّباع النبي في كل حركاتنا وسكناتنا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١٧)

تميز المؤمنين الصادقين من المنافقين[١٩٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النور)

الآيات الإلهية	آيات الموقنين	عبادة الفكر
الاستجابة لله والرسول	كشف حقيقة المنافقين	أسباب النفاق
حال المنافقين في الآخرة	استجابة المؤمنين	أهل الفلاح

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، الذي بيَّن لنا في قرآنه الكريم موازين إلهية نزن بها مجتمع المسلمين ليميز الله المؤمنين الصادقين من المنافقين، جعل هذا الميزان في يد كل مسلم حتى يكون المؤمن كما قال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ }[١٩٧]

وما أحوجنا في هذا الوقت وهذا الزمان إلى هذه الموازين القرآنية، لأن النفاق انتشـــر بصورة كبيرة، وأصبح الناس لشدة تمثيل المنافقين على بساطة وسذاجة المسلمين ينخدعون فيهم ويغترون بشأنهم، فيصابون بخيبات بعد ذلك دنيوية يتحسرون عليها وهم المسئولون.

---

١٩٦ المقطم – مجمع الفائزين ١٥ من جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ ٢٠٢١/١/٢٨م
١٩٧ مسند الشهاب عن أنس ﷺ

الآيات الإلهية

وبدأ الله ﷻ هذه الموازين بتفصيل الآيات التي أمرنا أن ننظر فيها رب العالمين.

فقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ :

آيات توضح دلائل قدرة الله، وهي الآيات التي في الآفاق:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ ﴾ (١٣٣آل عمران).

هذه الآيات ينظر إليها الإنسان بعين الفكر ..

عين البصر تلمح، وعين الفكر تتدبر وتعي ما في هذا الكون، وما في الإنسان من علامات ودلالات تدل على قدرة من يقول للشيء كن فيكون، ..

وهذه اسمها آياتٌ كونية.

وهناك آياتٌ متلوة باللسان، والتدبر فيها ليس بالعقل والفكر، ولكن بالقلب والجنان الذي تطهر من كل الشوائب، وأصبح يتلقى المعاني من حضرة الرحمن ﷻ، وهي آيات القرآن الكريم، نتلوها باللسان بعد النظر إليها بالعينين، والتدبر يكون للقلب الذي فَقِه، وهو القلب الذي خلُص من المعاني الحسية، ومن الدناسة المعنوية، وأصبح طاهراً بالكلية لرب البرية ﷻ، وفيها يقول الله:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤محمد).

ما الذي يمنع التدبر؟

إذا كانت هناك أقفال على القلوب !!

والأقفال التي على القلوب هي الجوارح التي في الإنسان التي تورد للقلب من الصور الكونية، والأحاديث الإنسانية ما به ينشغل عن حضرة الرحمن ﷻ.

العين تورد له المناظر، ... والأُذن تورد له الكلام، ... وبقية الأعضاء تبين له وتورد له ما حسَّت به من حاسة اللمس، ,,, من أحاسيس زائفة أو شبه حقيقية، فينشغل بها عن رب البرية ﷻ.

آيات الموقنين

وهناك آياتٌ جعلها الله ﷻ للموقنين، يرونها بعين البصيرة إذا كانت منيرة، وفيها يقول ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[١٩٨]

ولذلك ينبغي على أي مؤمن أن يجد ويجتهد في جهاد نفسه مع مولاه حتى يصل إلى هذه الدرجة الأدنى، فيكون في قلبه لمبة نورانية إلهية تكشف له الحقائق والأسرار فيما ينظر إليه من عالم الإنس والرجال والنساء، منهم من يعرف من يخاطبه أو يواجهه في لحن القول: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (سورة محمد) وراثة محمدية، فيعرف من يتكلم أمامه إن كان صادق أو مخادع أو منافق أو كاذب والعياذ بالله.

الذي ضيَّع المسلمين فقد هذه الأسلحة النورانية، ... !!وهي لا تباع في أمريكا ولا في اليابان ولا في الصيدليات، وإنما تُهدى إلى العبد بعد صفائه ونقائه، هدية من حضرة النبي العدنان ﷺ ... ومنهم من يعرفهم بسيماهم، وهذه السميا ليست هذا الجزء الظاهر، لكن السميا تكون كشاشة تُظهر ما في عالم القلب، لمن استنار بنور الرب ﷻ، فعندما ينظر إلى هذه الشاشة لأي إنسان يعرف ما يدور بخلده، وما يدور بسريرته، وما يدور بقلبه من خواطر وأفكار وغيرها.

ولذلك بعض السُذَّج من المريدين أو الغافلين من السالكين، يحاول أن يخدع شيخه بالكذب أو الاحتيال، ويظن أنه خدعه ولا يعرف، ونسي قول الله في الحديث القدسي:

{ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[١٩٩]

فالعارف ورث هذه الأوصاف والنعوت الإلهية، فينظر بنور الله إلى القلوب، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٢٠٠]

يرى ما في القلوب، ومن أخفى عليه أحواله وكذب، فهو محجوب، أو معطوب،

---

١٩٨ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٩٩ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٢٠٠ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

محجوب إذا كان مؤمناً ولكن خدعته نفســـه، أو معطوب إذا كان منافقاً والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن هذا ليس له إصلاح.

هذه الآيات لا بد للمؤمن أن يكون له نصيبٌ فيها كلها، نصيب في آيات كتاب الله، يُطَّهر قلبه ويقرأ ويتدبر بقلبه خطاب ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إليه، وكلما قرأ يقرأ على أن هذا الخطاب موجهٌ إلى شـخصـه، وليس موجه لأحد آخر، لأن الكلام لك أنت، وينظر في الآيات في نفسه وفي الآفاق:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت).

عبادة التفكر

لا يقوي الإيمان ولا يزيد العقيدة في قلب المؤمن إلا إذا دخل عبادة الفكر، وهي عبادة الأنبياء والمرسلين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام) كيف وصل إلى هذا الأمر؟ بعد عبادة الفكر، التي أعطانا نماذج لها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتاب الله.

إذا أكرمه الله بهذه وهذه فإن الله من كرمه ومن جوده يتفضـل عليه بنور من عنده يلقيه في قلبه فينظر بنور الله:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٢٠١]

أصـحاب حضـرة النبي ﷺ الصـادقين قد وصـلوا إلى هذا المقام الأمين، ولذلك يقول سـيدنا عبد الله بن مسـعود ﷺ: **((كنا نعلم الكذاب بعلامة في وجهه))** لم يكن معهم جهاز كشـف الكذب، لأن جهاز كشـف الكذب ظني، ولكن معهم جهاز أقوى وهو النور الإلهي الذي قذفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قلوبهم نتيجة لصفاء نفوسهم.

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ من يحبه الله ويريد أن يرفع شأنه ويُعلي ذكره، يهديه إلى هذا المنهج القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه سيدنا محمد الرؤوف الرحيم ﷺ، نسـأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا أجمعين إلى هذا المنهج القويم في هذا الوقت والحين.

---

٢٠١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الاستجابة لله والرسول

ثم يبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الميزان، والرسول ﷺ زاد في شروحه وأحاديثه بياناً تفصيلياً لهذا الميزان، للفارق بين المنافقين والمؤمنين.

الفارق الذي عندنا في هذه الآية الكريمة في الاستجابة لله وللرسول، فاستجابة المؤمنين غير استجابة المنافقين، وهنا المنافقين الذين يعلنون الإسلام بأفواههم وقلوبهم منه هواء، فارغة من الإيمان، فهم يصلُّون مع المسلمين، ويذهبوا إلى المعارك والغزوات مع المسلمين، ويجلسون معهم على أنهم منهم، ولكنهم ليسوا منهم، ويظنون لغبائهم وسوء أفعالهم أنه لا أحد يعرفهم ولا يكتشف أمرهم، وهذا طمس البصيرة والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذا كان الإنسان يفعل الأشياء ويظن أنه لا يستطيع أحدٌ كشفه ولا معرفة شأنه، فقد دخل هذا الباب،نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحفظ والسلامة، كما قال حتى الشاعر الجاهلي:

ومهما يكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

لا بد أن يُظهرها الله ولو بعد حين، فالرجل الذي سرق في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجاءت أمه تدافع عنه أمام سيدنا عمر وتقول: إنه ابني، وأنا أعرفه، وليس هذا من خُلُقه ولم يسبق له السرقة قط، فقال لها: أماه، إن الله لا يفضح الرجل إلا في المرة الثالثة .. يستره في المرة الأولى، ويستره في الثانية حتى يرجع، فإذا ظهر وانكشف واطَلع عليه القوم، فنعرف أن هذه ليست أول مرة أبداً، ولكنها المرة الثالثة على الأقل، وهذا من شديد تسامح الله وعفو الله بعباده المؤمنين.

لكن المنافقين يغترون بهذا العفو طالما لم يكشفه أحدٌ في المرة الأولى ولا في الثانية، فيظن أنه سيكون على ذلك أبداً، فيأتيه بعد ذلك ما لا يحمد عقباه وينكشف أمره بين عباد الله، وهذه من الموازين التي أعطاها لنا سيدنا عمر، وأخذها من حضرة النبي، فإذا انكشف أحد وافتضح أمره فلا تدافع عنه بحرارة شديدة، وتعلم تعلم علم اليقين أن هذه ليست المرة الأولى ولا الثانية، فالله ستره في الأولى وستره في الثانية، ولكن لا بد أن يُظهر أمره حتى يعلم الناس شأنه، وهذا أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهؤلاء الجماعة:

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾

نحن مؤمنون بالله، .. ومؤمنون بالرسول، ... ومطيعون لله وللرسول، ... ونصلي ونصوم ونجاهد ونحارب.

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

يتولى يعني يُعرض، يُعرض جزءٌ منهم من بعد ذلك عن الطاعة، كيف؟ هم يفعلون الطاعة أمام الخلق، فإذا اختلوا بأنفسهم ولا يطلع عليهم أحد إلا الحق، تركوا الطاعة، وهذا نفاق والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لكن المؤمن سواء كان في السر أو في الجهر، سواءٌ كان بين الخلق أو في خلوة لا يطلع عليه إلا الحق، يواصل طاعة الله وطاعة رسول الله فيما أُمر به من شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذه أظن تُعرف بخُلُق الرياء، ولذلك دائماً أحوال المنافقين متلبسة بالرياء، يريدون أن يظهروا والناس تراهم، لكن المؤمنين يتوارون ولا يريدون أن يعرف أحدٌ عنهم شيئاً.

وعندما نطالع سيرة السلف الصالح نجد أن أغلب أحوال المؤمنين كانت سراً بينهم وبين ربهم، حتى كان الرجل لا يُطلع على أحواله الخاصة مع الله حتى زوجته وحتى أولاده، لأنه يريد أن يكون له خصوصية مع مولاه، وكانوا يقولون: **((لا بد أن يكون لكل رجل خبيئة بينه وبين مولاه))** ورجل يعني رجل في طريق الله، يكون له شيء في الخفا بينه وبين الله، لا يطلع عليه أحدٌ أبداً، لا من الأقارب، ولا من ذوي الأرحام، ولا الأصدقاء، ولا حتى إخوانه السالكين معه في طريق الله.

هذه الخبيئة تكون بينه وبين الله ﷻ، وهي التي بها يعلو ويرتقي إلى أعلى مقامات المقربين عند رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذا الذي جعلنا عندما نرى أحداً يتحدث عن نفسه ويقول أنا أفعل كذا وكذا،

نقول أن هذا لم يصل إلى أحوال الصالحين، وهو يتخبط في البداية، ويحتاج لمن يزن له أحواله، ويزن له أعماله، ليصبح موزون يعرف أن من يقول للشيء كن فيكون يطلع عليه، فيخشى أن يبيح بما بينه وبين مولاه لأحد من خلق الله إلا إذا كان للعارف الرباني حتى يُصحح له أحواله، كمن يُظهر عوراته للطبيب ليصف له الدواء المصيب.

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ ﴾

هذه الآية كشفتهم ..

فأحد الأنصار كان اسمه بشر، حدث خلافٌ بينه وبين يهودي، وكان الميزان الذي يعرفونه أن من له حق ويريد أن يظهر يطلب التحاكم إلى رسول الله، ومن ليس له حق ويريد أن يَظلِم كان يرفض التحاكم إلى رسول الله، ويريد التحاكم إلى غيره، لأنهم يعرفون أن رسول الله يحكم بقولة الحق على الفور.

فالرجل اليهودي قال: نتحاكم إلى رسول الله، لأنه يعرف أن له الحق ورسول الله سيحكم له، والذي يزعم أنه مسلم قال له: لا، سنحتكم إلى فلان اليهودي!!، والأمر واضح فهو لا يريد رسول الله ويريد الحكم لليهودي فماذا بعد ذلك؟!

هذه رواية، .. وهناك رواية أخرى:

أنه ذهب إلى رسول الله فحكم بالحق، فلما رأى أن رسول الله حكم لليهودي قال له: هيا نحتكم إلى فلان اليهودي، وهذا اليهودي كان يحابي ويظلم.

فالرجل اليهودي أخذه وذهب لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فحكوا له الحكاية، فقال له: أنت غير راض بحكم سيدنا رسول الله، قال: نعم، قال له: انتظر، ودخل وجاء بالسيف وقطع رقبته، وقال: هذا جزاء من لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ، ومن وقتها سُمي عمر الفاروق، لأنه فرق بين الحق والباطل.

فلذلك ذكر الله هذه الآيات حتى يرينا علامات الذي يريد أن يضيع الحقوق ويحتكم إلى غير رسول الله أو الصادقين أو الصالحين من عباد الله، هل نعرف أنه مسلم أم منافق؟ منافق على الفور.

أسباب النفاق

ثم بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ – وهذا من إعجاز القرآن – أسباب النفاق، ما الذي أوصله إلى هذا النفاق؟ ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ إما أن يكون قلبه مريض كما قال الله في سورة البقرة: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ (١٠البقرة) وما المرض هنا؟ هو مرض النفاق!!! ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ إذا لم يكن عنده نفاق، فلماذا يرتاب يعني يشك في رسول الله، وأنه مُرسلٌ من عند الله، وأنه ما ينطق عن الهوى، وأنه كما قال الله: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (١٠٥النساء) فهل أشك فيه بعد ذلك؟!!، فالمرض الثاني بسبب النفاق الشك، والشك في ماذا؟ في رسالة الرسول ﷺ.

والشيء الأعظم: ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ هم خائفين لئلا يجور عليهم رسول الله، ويحكم عليهم بغير الحق، وهم على الحق، وهي قاسمة الظهر، لأن رسول الله ﷺ ثارت ثائرته عندما أمسكوا بامرأة من بني مخزوم قد سرقت، وكانوا من أشراف مكة، وأرادوا عدم قطع يدها لأن هذا يخل بشرف القبيلة كلها، فقالوا: من يشفع فيها عند رسول الله؟ قالوا: لا يوجد غير أسامة بن زيد وكانوا يسمونه حِبُّ رسول الله، لأنه هو الذي رباه في بيته وكان يحبه حباً شديداً.

فذهب أسامة يكلم النبي، فغضب النبي، وكان ﷺ كما وُصف لا يغضب لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم لله ﷻ، فقال:

{ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا }[٢٠٢]

ما هذه العدالة؟! هل هناك عدالة بعد ذلك؟! فعندما يشك أحد في هذه العدالة وفي صاحب هذه العدالة ويرتاب فيه، ويظن أنه يجور عليه في الحكم حتى ولو كان يصلي مع المصلين ويصوم مع المسلمين، فهل نسميه مسلماً؟!! الأمر ليس الصلاة والصيام، وإنما العقيدة واليقين الذي في القلوب.

---

٢٠٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

حال المنافقين في الآخرة

ثم قال الله واصافاً لهم بأقبح وصف: ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ هؤلاء ظلموا أنفسهم ظلماً بيناً لأنهم أخرجوها من دائرة الإيمان إلى دائرة النفاق والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ... وأين المنافقين؟

كما نعلم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء) وأريد أن أُوضح هذه الآية، لأن بعض السادة العلماء يتكلم فيها بغير معناها الحقيقي، فيقول: إن المنافقين بعد الكافرين في نار جهنم، وهذا خطأ، فالجنة درجات، والدرجات للصعود، وجهنم دركات للنزول، فكل من نزل في هذه الدركات سيخرج منها في يوم من الأيام، لأنه على دركة من الدركات، لماذا؟ لأنه قال (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ولو مرة، فيأخذ حسابه ويستوفي نصيبه، ويأتي عليه يوم من الأيام وسيخرج.

وأين الكفار؟ في مكان اسمه الهاوية، وهذه ليس لها درك نهائياً: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ (القارعة).

فبعد أن يخرج من كان في آخر دركة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (الحجر) يقولون ليتنا قلناها ولو مرة واحدة، ولو باللسان، لأن الذي قالها باللسان ولو مرة يأتي عليه يوم من الأيام سيخرج من جهنم، اكراماً لقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ).

استجابة المؤمنين

فكيف تكون طاعة المؤمنين؟ وما ميزان المؤمنين في طاعة الله والاستجابة لرسول الله؟ ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهناك قراءة أخرى: (قولُ المؤمنين).

﴿ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ ﴾ عندما يُدعى المسلمون لحكم الله ولحكم رسول الله يقولون سمعنا وأطعنا.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ انظر ما شهادة الله لهم؟ هؤلاء الذين أفلحوا ونجحوا وأصبحوا من أهل الفلاح والنجاح.

وهناك لمحة بسيطة أوجّه بها نفسي وأحبابي لأن الدين النصيحة، فأحياناً كثيراً يحدث بين الأخ وأخيه من الأحباب خلاف أو تنازع في أي أمر، فيقول له: هيا نعرض الأمر على الشيخ، فيقول له: لا، نعرضه على فلان أو فلان، ومثل هذا دخل في شميم القوم المنافقين ...!!! لماذا؟ أنت كمؤمن لو تعرف أنك على خطأ، فالاعتراف بالحق فضيلة، أو تعرف أن أخاك على الحق فلِمَ تُريد أن تظلمه؟!!، لا يكون المؤمن صادق الإيمان حتى يقول الحق ولو كان على نفسه، ويقول الحق ولو كان مُراً، ولا يخش من أحد من قول: سامحني أنا أخطأت، سامحني أنا أسأت، وماذا فيها؟! لو مشينا مع بعضنا بهذا الخُلُق الجميل، فهل يكون بيننا مشكلات؟ لا، فكلنا قابلين للخطأ:

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ }[٢٠٣]

لكن المصيبة الكبرى أن كثيراً منا يتكبر أن يعتذر عن الخطأ !!!

لماذا لا تعتذر؟!

الاعتذار يسل الغضب من الصدور، فأنت أغضبت إنسان، وأصبح في داخله شيء ما نحوك، فما الذي يُخرج هذا الشيء؟ عندما تقول له: سامحني أنا أخطأت، أعذرني أنا لم أقصد، فعلى الفور يهدأ، وما في صدره يذهب.

فإذا الإنسان عصته نفسه أن يعتذر عما حدث منه مع وضوح الحجة أنه على خطأ، وأن أخاه على الصواب، فهذه مصيبة كبرى تحجبه عن طريق الله، والرقي فيه إلى ماشاء الله، فلا بد أن نوطِّن أنفسنا، بأنه لا مانع أبداً أن أعترف بخطأي، إن كان هذا الخطأ مع زوجتي، فما المانع أن أريح نفسها، وأريح صدرها وأجعلها تحبني أكثر، عندما أقول لها بيني وبينها يا أم فلان أنا أخطأت في حقك عندما قلت كذا وكذا.

هل هذه تنقص من قدري أم تُعلي من قدري عندها؟

تُعلي من قدري عندها !!

لأنها ترى رجلاً يعترف بخطأه ويطلب السماح منها، وهذا ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في كل أحوالهم، ... ولذلك ارتفعوا وصعدوا إلى أرقى المقامات ... في معية سيد السادات ﷺ.

---

٢٠٣ سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس ﷺ

أهل الفلاح

ولذلك وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من يتحاكم إلى الله ورسوله ويرضى بحكم الرسول أو وارثه: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالفلاح في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

ثم جاء الإعجاز القرآني في آية من كتاب الله يُعتبر فيها إجمال لكل ما في كتاب الله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان ذات يوم في مسجد رسول الله ﷺ، وإذا برجل من أكابر الروم يدخل عليه ويقول: أشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فبارك عمر له الإسلام وقال له: هل من سبب لإسلامك؟ قال: نعم، لقد قرأتُ التوراة والإنجيل والزبور، فوجدت آية من كتاب الله تحوي كل ما في التوراة والإنجيل والزبور، سمعتها من أسير عندنا، فانشرح صدري للإسلام، وآمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا، قال: وما هذه الآية؟

قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

من يُطع الله والرسول في ما جاء به شرعه، ويخش الله فيما مضى من الذنوب والعيوب، ويتقه فيما بقي له من العمر في طاعة علام الغيوب، ويعمل بما أمر الله، وينتهي عما نهى عنه الله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

هذه الآية جمعت كل ما في القرآن، فمن يطع الله ورسوله فيما نزل به من التشريعات الإلهية والأحكام الربانية، كأحكام العبادات، وأحكام الزواج، وأحكام الميراث، وأحكام البيع والشراء، وطبَّقها كلها وأطاع الله فيها، ويخش الله فيما تقدم له من الذنوب والعيوب، وحتى لو كان الإنسان لا يعلم لنفسه ذنوباً، فإنه يقول لنفسه: ربما ارتكبت ذنباً ولا أعلم وربي يعلم، وكانوا يقولون: أستغفر الله مما أعلم، ومما لا أعلم، لأنه ربما يكون في نظرك شيء عادي، وهو عند الله ذنبٌ عظيم، ويتقه في الأيام المتبقية له في الدنيا، فيراقبه ويُحسن مراقبته حتى يفعل ما يرضيه: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا للعمل بهذه الآيات البينات، وأن يرزقنا دائماً وأبداً طاعة الرحمن، والاستجابة للنبي العدنان، وأن يغفر لنا ما مضى من الذنوب والآثام، وأن يوفقنا فيما بقي لنا من الأيام في العمل الصالح الذي يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

طاعة المؤمنين لله ولرسول الله ﷺ[٢٠٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ (النور)

موقف المنافقين في غزوة بدر	موقف المنافقين في غزوة أُحد	علامة صدق الإيمان
سر الهداية	وعد الله للمؤمنين	الإستخلاف في الأرض
الأمن	العبادة الخالصة لله	زينة الصلاة
إخراج الزكاة	مصير الكافرين	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين أنزل لنا في الذكر الحكيم والقرآن المبين كل ما نحتاج إليه لصلاح أحوالنا في الدنيا، ولنيل السعادة العُظمى يوم الدين؛ يوم لقاء رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول المرسلين، ونبي النبيين، والقرآن الناطق الذي يقتدي به في كل أحواله المسلمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

٢٠٤ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ١٣ من رجب ١٤٤٢هـ ٢٠٢١/٢/٢٤م

ما زلنا نفصِّل على قدرنا في آيات سورة النور، لأنها تنير لكل مؤمن كل ما يحتاج إليه في دنياه، ليكون في الدنيا يمشي بنور الله، ويكون في الآخرة على منبر من نور قدام عرش الله ﷻ، ولمَّا كان الإنسان لا يرتقي إلى مقام الإسلام إلا إذا تخلص من أوصاف المنافقين، ومقام الإسلام هو أول مقامات القرب من الله، فالمقامات أربع، مقام الإسلام، ثم يرتقي إلى مقام الإيمان، ثم يرتقي إلى مقام الإحسان، ثم يرتقي إلى مقام الإيقان، ولا يدخل أي مسلم إلى مقام الإسلام إلا إذا تخلص بالكلية من أوصاف المنافقين التي ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتفصيل في القرآن، وبيَّنها بياناً شافياً في أحاديثه ووقائعه سيدنا رسول الله ﷺ.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحدثنا في الآيات التي معنا عن قوم من المنافقين، وهذا العجب العجاب، يكون في وسط هذا النور الذي عمَّ الأكوان، وعمَّ قلوب أهل الإيمان، خفافيش لا تستطيع أن تعيش إلا في الظلام، وهم هؤلاء المنافقون.

فكانوا يدَّعون الإسلام، ويدخلون المسجد يصلون مع رسول الله ﷺ والمسلمين، ويدَّعون صيام شهر رمضان، وقد يخرجون أحياناً إلى الجهاد، لا بنية الجهاد في سبيل الله، ولكن والعياذ بالله بنية تسبيط وتفتيت وتفريق شمل المؤمنين.

حتى نعلم علم اليقين أن هذا الأمر إن كان مع خير النبيين، فهل يخلو منه زمان إلى يوم الدين؟! أبداً، وغاية ما في الأمر أن المؤمن يستنير بآيات الله، وببيانات أحاديث رسول الله في الكشف على أي إنسان يراه، وكل مؤمن والحمد لله معه بصيرة نورانية، ولكننا أحيانا نترك البصيرة ونستخدم الأهواء حتى نُفسر ما على هوانا، فالبصيرة أحياناً تكون ليس على هوانا، وليست موافقة لنا في الرأي، فنرجع إلى الهوى، ونرجع إلى النفس.

أو إذا كان الإنسان من العلماء في علوم الحياة الدنيا فيلجأ إلى العقل، وكل ذلك يجعله لا يرى بنور البصيرة الإلهية التي جعلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه أحوال من حوله، فهناك مسلمين صادقين، وهناك أدعياء، وفرقٌ كبيرٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

هذه الآيات كان سبب نزولها أن طائفة من المنافقين، ولكنهم من الأكابر في النفاق الذين يحسنون التمثيل، حتى يُخيَّل إلى المؤمنين الطيبين أنهم من كبار الصادقين، وهؤلاء أيضاً في كل زمان ومكان، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: والله يا رسول الله ما سرت مسيراً إلا وسرنا معك، ولا جاهدت في معركة إلا وجاهدنا معك، ولذلك ربنا يصفهم

فيقول: ... ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ القَسَم هو اليمين، وهم حلفوا بالله، والمؤمن دائماً وأبداً يعتقد تمام الإعتقاد أنه لا يُوجد من يقسم بالله ﷻ كذباً، وهؤلاء المنافقون يحلفون بالله جهد أيمانهم، يعني يجتهدوا في حلفهم جهد طاقتهم ليؤكدوا الإيمان، ويكرروه ويُعيدوه ليمثلوا الدور كما يريدون ... ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالحرب والجهاد في سبيل الله ﴿ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ يخرجون معك.

فرد عليهم الله بذاته وقال ﷻ لهم مباشرة: ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ﴾ يعني لا تحلفون، فإن طاعتكم ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ هي طاعة نعرفها وجربناها ورأيناها قبل ذلك مراراً وتكراراً، وهل تخرج عما مضى؟! لا، وهل التوبة ستنزل عليكم في طرفة عين؟! لا فأهل الهداية تكون معهم من البداية العناية، وهي واضحة وليس فيها فصال، فطاعة معروفة يعني نحن نعرف طاعتكم هذه، والتي تعودنا عليها منكم كل مرة.

موقف المنافقين في غزوة بدر

ومن الأمثلة التاريخية على ذلك:

لما خرج حضـــرة النبي ﷺ بأحبابه لغزوة بدر، فجمعوا أنفســـهم وقالوا: نحن قد عاهدناه أن نحارب معه إذا جاء العدو إلى المدينة، ولكن إذا جاء العدو خارج المدينة فلن نخرج معه!.

وكانت هذه أساليبهم، وجاءوا بحجة تخيل على بعض المؤمنين الطيبين، لأن كلامهم صحيح، ومعهم الحجج المنطقية، يقول فيهم الله: ﴿ يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون) معهم الحجة والبرهان والبلاغة والفصاحة، فكيف هم يا رب؟ قال: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (المنافقون) ولِمَ وصفهم الله بالخُشب؟ لأن الخشب هو الشيء الوحيد العازل عن الحرارة والكهرباء، فهم أيضاً معزولون عن كهرباء الإيمان، .. وعن نور حضرة الرحمن ﷻ، وإن تظاهروا، لكن لا يغيب ذلك عن النبي وخاصة المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا معهم أجمعين، ثم أخبرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خبراً لو أن عندهم بعض ذرة من الإيمان لتنبهوا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لم يقل عليم، ولكن (خبير) أي يرى كل صغيرة وكبيرة لحركاتكم وسكناتكم، ... فلو أن الواحد منهم عنده ذرة من الإيمان ... لانتبه لأن الله يراهم ومطلع عليهم.

موقف المنافقين في غزوة أحد

مثال آخر:

عندما ذهب الكفار لملاقاة النبي ﷺ في غزوة أُحد، وشاور من حوله من المؤمنين، والمنافقون مندسون في صفوف المؤمنين، وهذه الطامة الكبرى في أي زمان ومكان، وكان زعيمهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فلما جلس النبي يتشاور مع أصحابه ماذا يفعلون؟

قالوا: نخرج نقاتلهم، وكان رأي النبي أن لا يخرج من المدينة ليسهل اصطيادهم، ولكنه كان ﷺ كما خاطبه ربه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران) كان يعمل بالرأي الذي اتفقوا عليه بعد التشاور، واتفقوا أن يقاتلوا الكفار من خارج المدينة.

فدخل النبي ﷺ بيته، ولبس ملابس القتال، فراجعوا أنفسهم وقالوا: كيف نعارض رسول الله ونقول رأياً يخالف رأيه، فلما خرج قالوا: يا رسول الله نحن عند رأيك أنت، فقال:

{ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لَامَةَ الْحَرْبِ ، وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ }[٢٠٥]

ما دام لبس ملابس القتال فلا بد أن ينفذ، ومشوا.

وكان من رأي عبد الله بن سلول وحزبه أن لا يخرجوا من المدينة، فلما خرج الجيش الإسلامي من المدينة، وكان عددهم حوالي ألف مقاتل، فقال عبد الله بن سلول لمن معه: ما داموا لم يطيعوا رأينا نرجع ولا نذهب معهم، فتخلف ومعه ثلاثمائة من الجيش، يعني حوالي ثلث الجيش تقريباً، ولذلك قال الله في شأنهم: ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾.

طاعتكم طاعة معروفة لأنها لعلل خفية !!

فطاعة المؤمن لربه طمعاً في مرضاة الله، ورغبة في الاقتداء برسول الله، وطمعاً فيما عند الله، إن كان يريد النعيم وهو الجنة، أو يريد التكريم في يوم المنة، أو يريد مشاهدة وجه الله ﷻ، على حسب نيته التي في صدره وفي قلبه.

لكن هؤلاء ما نيتهم؟

---

٢٠٥ السنن الكبرى

تخذيل المؤمنين، وتثبيط المؤمنين، وتفريق المؤمنين، وغاية منيتهم – والعياذ بالله – أن تلحق الهزيمة بالمؤمنين، فهذا يوم الفرح الشديد عندهم، مع أنهم مع النبي وأصحاب النبي، ولهم نصيبٌ في كل الخيرات وفي كل العطاءات، بل إن نصيبهم ربما يكون أكبر من نصيب أهل الجهاد من المؤمنين الصادقين الذين لا يرجون من الله ورسوله إلا رضاء الله وطاعة حبيبه ومصطفاه ﷺ.

علامة صدق الإيمان

ثم بيَّن الله ﷻ ما ينبغي على الإنسان ليُظهر صدق إيمانه ..

ما الدليل على صدق الإيمان؟

دليلٌ واحد:

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾

نلحظ في هذه الآية أن الله لم يقُل أطيعوا الله والرسول !! ...

بل قال:﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ لماذا؟

لأنه قال:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء).

فما الدليل على صدق الإيمان؟

طاعة الله، وطاعة رسول الله فيما جاءنا به من عند الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (٧الحشر).

فمن يبعد عن هذه الطاعة !! ..، ويحسب نفسه أنه من أهل هذه البضاعة ..!! فهذا المنافق الكاذب في دعواه !! وليس له حجة ولا برهان يوم لقاء الله:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾

فبأي شيء حُمِّل؟ ... بالرسالة التي يبلغها للخلق !! ..

ونحن بماذا حُمِّلنا؟ ... بطاعة رسول الله ﷺ في كل ما جاءنا به من عند الله ﷻ.

سر الهداية

ثم قال الله ﷻ للمسلمين في كل زمان ومكان من عهده ﷺ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها كلمتين فيهما سعادة الدارين:

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾

فيهما كل شيء هاتان الكلمتان:

إذا أطعتموه تكونوا قد اهتديتم إلى كل أمر تحبونه إن كان في الدنيا لأنفسكم أو لزوجاتكم أو لأولادكم أو لإخوانكم أو لأهل وطنكم أو للمسلمين أجمعين، وكذلك تهتدوا إلى الطريق القويم الموصل إلى جنة النعيم، والطريق الأقوم الموصل لرضوان رب العالمين، والطريق الأزكى الموصل لرؤية وجه الله ﷻ يوم الدين.

كل هذا ما سببه؟

الطاعة، فالطاعة هي سر كل خير للإنسان في دنياه وأُخراه، ولذلك سباق الصالحين في طاعة رسول الله ﷺ، فكل واحد يطيعه على قدره، وكلما زادت الطاعة كلما زاد في التُقى، وكلما زاد في الإرتقا، وكلم زاد في رفعة المقام، وعُلو الهمة وصدق الإرادة التي توصله إلى ما يبغي عند الملك العلام ﷻ.

ولذلك الصالحون لا يستهينون بأي طاعة ولو كانت صغيرة، قال قائلهم:

((لا تحقِّرن من المعروف شيئاً، فعسى أن يكون رضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه، ولا تستصغرن من الذنوب شيئاً فعسى أن يكون سخط الله وغضبه فيه)).

امرأةٌ كانت قد نذرت نفسها لتقمُّ – يعني تكنس وتنظف – مسجد رسول الله ﷺ، وفي رواية أخرى أنه كان رجل، وهو عملٌ هيّنٌ وسهلٌ ويسير وخاصة في زماننا الذي نحن فيه، فلن يمسك بالمقشة ولكن يمسك المكنسة الكهربائية ويمشي بها ذهاباً وإياباً، لكن متى يمسك؟ عندما تخضع النفس وتسلم! فماتت هذه المرأة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ أشد الناس أدباً مع الله ورسوله، فكان عندما يموت واحد منهم لا يبلغوا رسول الله حتى لا يخرج أو يستعد لذلك، فيذهبوا على الفور ويغسلوا الميت ويكفنوه، وكانت الصلاة على الجنائز في مدافن المسلمين بالبقيع.

فتفقدها رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جعل له الله ﷻ الدنيا في كفه، فيرى كل شيء، فسأل عن هذه المرأة؟ فقالوا: ماتت ودفناها، قال:

{ أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ، دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ أَوْ قَالَ قَبْرِهَا، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا }[٢٠٦]

لماذا؟ ليبين لنا عُلو شأن العامل لهذا العمل، ولكن إذا كانت نيته خالصة لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والشاهد هنا أن أي عمل من أعمال البر ولو قليل إياك أن تستقل به.

ومعظمنا يستقل بعمل سهل ويسير من أعمال البر، ولن يكلفنا تعباً ولا إرهاقاً ولا فكراً ولا مالاً ولا غيره، فما هذا العمل؟ قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }[٢٠٧]

وقال: { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[٢٠٨]

تبسمك في وجه أخيك صدقة، والكلمة الطيبة صدقة!! فماذا يكلفني ذلك؟! ... والإنسان لو عوَّد نفسه على مثل هذا العمل اليسير سيدخل في قول العلي الكبير:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

ولذلك عندما يكون بعض الناس ينادي بالصدقة، فيقول له أحدهم: الدنيا غلاء والأجور بسيطة فكيف نتصدق؟! فقل له: الكلمة الطيبة صدقة، أفلا تستطيع أن تتصدق بالكلمة الطيبة!؟

والكلمة الطيبة صدقة عندما تقولها لأي إنسان من المسلمين، ولو كانت زوجتك أو ابنك، حتى ولو كان زميلك .. لأي إنسان.

فما الذي يجعل المسلم يقول ما لا يُرضي الله لخلق الله؟!

فهذه طاعة ميسورة وبسيطة، لكن لها من الفضل عند الله، والأجر الكريم عند الله ما لا يعلمه إلا الأكابر الذين علَّمهم على عينه سيدنا رسول الله ﷺ.

---

٢٠٦ البخاري ومسلم ومسند عن أبي هريرة ﷺ
٢٠٧ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ
٢٠٨ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

فطاعة الرسول ﷺ هي أساس كل فضل، ومصدر كل خير، وسبب كل بر.

ولذلك علينا بهذه الطاعة ابتغاء وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ..

لا رغبة في الظهور، ولا حباً في الشُهرة، ولا طمعاً في رياسة، وإنما طمعاً في فضل الله، وإكرام حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾

كل ما على الرسول أن يبلغنا ويعرفنا ويحذرنا وينذرنا بكلام مبين، يعني بيّن وواضح، لكن أصل الهداية من أين؟ ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ (الكهف).

فعندما نرى في أنفسنا الهداية نفرح بهذه العناية، أن الله اجتبانا واصطفانا وجعلنا أهلاً لهذا الإيمان، فنسارع إلى طاعة النبي العدنان ﷺ.

وعد الله للمؤمنين

إذا أطعنا الله ورسوله في أي زمان، وعد الله ﷻ للمؤمنين في الدنيا كلها، من مطلع الرسالة إلى يوم الدين، بأن الذي يطيع منهم الله ورسوله الطاعة التي يحبها الله، ويرتضيها رسول الله، بأن لهم عند الله وفي دنيا الخلق من عند الله ما يُبهج القلب وما يسر الخاطر إن شاء الله، ما هذا الوعد؟ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ما الشرط؟ الإيمان والعمل الصالح فقط.

وما الوعد؟ عدة أمور: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ يحقق لهم الإستخلاف والخلافة في الأرض، ويمكّن لهم الدين فيعيشون آمنين مطمئنين، ويبدل خوفهم من الفقر أو من الأعداء أو من غير ذلك إلى أمن، ويجعلهم يعبدون الله العبادة الخالصة التي لا رياء فيها ولا سمعة، ... وإنما خالصة لوجه الله.

إلى من هذا الوعد؟ لأي مؤمن في أي زمان وفي أي مكان، فإذا لم يتحقق ما وعد الله، فعلى هؤلاء المؤمنين أن يراجعوا أنفسهم فيما قصَّروا فيه في طاعة الله، ومتابعة حبيب الله ومصطفاه.

لأنه وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، فالله ﷻ قد يُخلف الوعيد من فضـــله ومن كرمه ومن بره بنا، فالوعيد الشديد يبدله، لكن الوعد لا يُخلفه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (٩آل عمران).

ولتنفيذ وعده ماذا يريد منا الله؟

الإيمان والعمل الصالح، وماذا يعني العمل الصالح؟

يعني العمل بما أمرنا به الله في كتاب الله من شـــرع الله، مقتدين في هذا العمل ومتبعين لسيدنا رسول الله، وهذا كل ما في الأمر.

الإستخلاف في الأرض

﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾:

أي يجعلهم خلفاء في الأرض، وأنتم تعلمون أنه لما خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آدم وجمع الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون وقال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ (٣٠البقرة) اعترضت الملائكة وقالوا: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ (٣٠البقرة) يعني نحن أولى بهذا المنصب العظيم، والكل يتمنى أن يكون خليفة عن الله، فقال لهم الله: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٣٠البقرة).

فكون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اختارنا في هذا الكون لخلافته لنُظهر أنوار حضـــرته، لأن الإنسان إذا تحرك على مراد الرحمن يُظهر حقيقة الأسماء الحُسنى التي خلعها عليه الرحمن ﷻ، فيستحق الخلافة من هذا الباب العظيم ومن هذا الفضل الكريم.

مثلاً:

الله حكمٌ عدل، فيكون الإنسان الذي استخلفه الله عدلٌ في كل قول يقوله، وفي كل فعل يفعله، وفي كل حكم يحكمه، وفي كل قضية ينظر فيها، وفي كل أمر يحدث بين الأحبة ويفصل فيها، لأنه يمثل الحكم العدل اللطيف الخبير ﷻ.

إذا اتبع الهوى ولم يعدل، فلا يستحق الخلافة عن حضرة الله طرفة عينٍ ولا أقل.

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾:

وهذا حدث أيام رسول الله، والمفترض أن يحدث في كل زمان ومكان إلى يوم الدين، ففي عصر حضرة النبي ﷺ بسط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له دولته حتى عمَّ الإيمان والنور كل أرجاء الجزيرة العربية، وذهب رسله إلى من حولهم من البلاد الأجنبية ليبلغوهم رسالات الله، وبشرهم النبي ﷺ بما يحدث لهم إذا مشوا على ذلك من النصر والتمكين، وقد حدث ما بشر به أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ومن الغرائب في هذا الباب عندما كان سيدنا رسول الله ﷺ خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدينة، فمشى من طريق غير مطروق – يعني لا أحد يمشي فيه – حتى لا يلحقه من يتبعوه من أعدائه، ولكن قدَّر الله ﷻ أن رجلاً من بني مُدلِّج اسمه سُراقة بن مالك سمع بالجائزة التي أعدها كفار مكة لمن يأتي بالرسول حياً أو ميتاً، وهي مائة جمل، ومائة جمل جائزة كبيرة في جزيرتهم وفي أيامهم.

فجهز سيفه ورمحه وقوسه وفرسه وخرج حتى لحق بحضرة النبي، وقبل أن يصل إلى النبي ﷺ بخطوات التفت إليه النبي ودعا الأرض أن تأخذه، ونحن نعرف أن رسول الله وأنبياء الله يُسخِّر الله لهم كل ما في السماوات وما في الأرض:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٦٤النساء).

فانشقت الأرض وابتلعت أقدامه وأرجل فرسه، فيقول: تبت وأرجع، فيأمر رسول الله الأرض أن تتركه، فتتركه الأرض لأنها تأتمر بأمر سيدنا رسول الله ﷺ، يقول للقمر انشق، فانشق على الفور، وعن ابن عمر رضي الله عنهما يقول:

{ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلَمَةُ، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ،

ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا }[٢٠٩]

والوقائع في هذا الباب كثيرة .

المهم أن سراقة حاول مرة ثانية وثالثة لأنه كان يراجع نفسه، وإبليس يُصوِّر له المائة جمل كيف تتركهم وقد وصلت للمطلوب، وبعد المرة الثالثة قال لرسول الله:

اتركني وسأرجع أرد الناس عنك، يعني كل من يقابلني أقول له: أنا مشيت من هذا الطريق ولم أجده.

وعرف الرجل بفطرته أن النبي سيظهر دينه، فقال له: اكتب لي كتاباً حتى إذا ظهر الدين آتيك به، فأمر سيدنا أبو بكر أن يكتب له كتاباً، ثم نظر إلى ذراعيه وقال:

{ كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى }[٢١٠]

يعني عندما تلبس أساور كسرى وهي من أغلى أنواع الذهب.

ولذلك سيدنا عمر ﷺ لما فُتحت المدائن عاصمة بلاد الفرس وجاءوا بكنوزها، وكان من بينها سواري كسرى، فركب ناقته وذهب إلى مكة، ووصل مكة في حر الظهيرة، فسأل: أين سُراقة بن مالك؟ فأتوا له به، فقال له: حتى تلبس سواري كسرى كما أخبرك النبي ﷺ، وكان سيدنا عمر صاحب فكاهة، فقال: حتى يعلم الناس أن أكبر صعلوك في العرب لبس سواري كسرى بن شروان ملك بلاد الفرس.

فكان سيدنا رسول الله قد بشرهم بمثل هذه الآيات حتى يطمئنوا ويديموا على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.

كانوا يحفرون الخندق، وأثناء حفر الخندق قابلتهم صخرة في الأرض استعصت عليهم، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَقَالَ:

{ بِسْمِ اللَّهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً، فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، وقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ،

---

٢٠٩ سنن الدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٢١٠ السنن الكبرى

أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنَ الأَبْيَضَ الآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَالِثَةً، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، وقال: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ }[٢١١]

يعني هل هذه الضربة كشفت له فتح هذه البلاد؟!

لا !.. هو يعلم ذلك .. ولكنه يريد أن يُبشر أصحابه لأنهم في الخندق والأعداء محيطون بهم؛ أن لا يخافوا من هؤلاء الفئة، فأنتم ستغلبوهم وغيرهم وغيرهم، ويفتح الله عليكم بلاد اليمن، .. وبلاد فارس، وبلاد الشام.

رجلٌ من المؤمنين وهو عديُّ بن حاتم الطائي، وكان أبوه من الملوك وهو حاتم الطائي صاحب الكرم والجود ... يقول عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ:

{ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ }[٢١٢]

الحيرة كانت بلد جنوب العراق الآن وكانت مقر حكم جماعة اسمهم المناذرة، والمنذر كان الحاكم الأصلي لهم، والظعينة يعني المرأة التي تمشي بمفردها.

وهذا الأمر الذي أخذ به الإمام الشافعي في فقهه.

فالمتشددون قالوا: المرأة لا تسافر إلى الحج إلا ومعها محرم، لكن الإمام الشافعي قال: لا، لأن الرسول أخبر أن المرأة سترتحل من الحيرة إلى بيت الله الحرام وتطوف بالبيت وليس معها مرافق ولا أحد، فمن أين أتيتم بشرطكم؟!. لكن من باب الإحتراز نقول: ما دام معها رُفقة صالحة من النساء فليس شرطاً أن يذهب معها أبوها ولا أخوها ولا عمها ولا أي رجل من أهلها.

ثم قال له ﷺ:

{ وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، قَالَ: قُلْتُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟

---

٢١١ سنن النسائي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ
٢١٢ صحيح البخاري ومسند أحمد

قَالَ: نَعَمْ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ الْحِيرَةِ فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَهَا }[٢١٣]

هذا الحديث يذكرنا بما بشرنا به النبي ﷺ، لأن البعض سيقول أن هذا الكلام كان للصحابة، وماذا لمن بعدهم؟! فقال:

{ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ }[٢١٤]

وفي رواية أخرى: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ }[٢١٥]

وفي رواية ثالثة: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ }[٢١٦]

وفي رواية رابعة: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ }[٢١٧]

فأنبأنا النبي ﷺ أن هناك طائفة قائمة على الحق ومستمسكين به، وجماعة تحارب المسيخ الدجال في آخر الزمان، وجماعة يكونوا مع سيدنا عيسى بن مريم في آخر الزمان، وجماعة إلى قيام الساعة، فيكون هذا الخير والتمكين إلى قيام الساعة ...

ولكن لمن؟

للذين آمنوا وعملوا الصالحات ..

وهذا شرط هذا التمكين.

---

٢١٣ صحيح البخاري ومسند أحمد
٢١٤ صحيح مسلم والترمذي عن ثوبان ﷺ
٢١٥ سنن أبي داود عن عمران بن حصين ﷺ
٢١٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ
٢١٧ سنن الترمذي وابن ماجة عن معاوية بن قرة ﷺ

الأمن

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾:

وهذا تطمين أيضاً للمسلمين أيام سيدنا رسول الله، لأنهم عاشوا في مكة عشر سنين خائفين من إيذاء الكافرين.

وذهبوا للمدينة وكانوا يبيتون بالسلاح، لأنهم خائفين أن يُغير عليهم أحدٌ في الليل، أو يهجم عليهم في الصباح، لأن الأعداء مترصدون من كل جانب، فطمأنهم الله ﷻ، وطمأن المسلمين أجمعين.

أيضاً الذين آمنوا وعملوا الصالحات في أي زمان لا يخافون من عدو مهما كانت قوته، ولا من جيش مهما كانت صولته، ولا من أي جهة مهما كان كيدها ودهاؤها ومكرها، لأن الله ﷻ قال في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٥١غافر)

ليس الرسل فقط، ولكن أيضاً الذين آمنوا بالرسل.

ولذلك استبشروا بفضل الله، وبإكرام الله، ولكن إذا رجعت الأمة إن شاء الله إلى الإيمان الصادق والعمل الصالح متابعين فيه سيدنا رسول الله ﷺ.

العبادة الخالصة لله

هؤلاء الذين سيؤمنون ويعملوا الأعمال الصالحة ما شرطهم؟ أن تكون أعمالهم الصالحة خالصة لله: ﴿ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ ...

الذي يعبد الله ما شأنه وشأن الشرك؟!

أظن أننا وضحنا هذا الأمر سابقاً، فالشرك الجلي ليس له شأنٌ به، ولكن الشرك الخفي هو الذي يخاف منه.

والشرك الخفي أن الإنسان يعبد الله ﷻ رغبة في تحقيق أمل فان، كالرغبة في الشُهرة بين الناس، أو رغبة في حب الظهور، أو رغبة في الوصول إلى منزلة كريمة عندهم، وهذه العبادة يقول فيها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[٢١٨]

فشرط الذين يؤمنون ويعملون الأعمال الصالحة أن تكون أعمالهم عملاً بقول الله: ﴿ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة) تكون أعمالهم بالإخلاص، ولو نزلت في زماننا الفتن كقطع الليل المظلم وكما بيَّن الحبيب، فمن الذي ينجو؟... اسمعوا البشرى وصلوا على حبيب الله ومصطفاه ﷺ، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ }[٢١٩]

وقال ﷺ: **{ إِنَّ لِلَّهِ ضَنَائِنَ مِنْ خَلْقِهِ يُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَإِذَا تَوَفَّاهُمْ تَوَفَّاهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَهُمْ فِيهَا فِي عَافِيَةٍ }**[٢٢٠]

نسأل الله أن نكون أجمعين من هؤلاء إن شاء الله، لأن هذا الحديث لنا نحن إن شاء الله، لأنه في آخر الزمان الذي نحن فيه، فالفتن تنزل كالمطر كل يوم، والله حفظنا منها بفضل الله الذي لا يُعد ولا يُحد، فليس بمهارتنا ولا بعبادتنا، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فضل الله علينا جماعة المؤمنين.

ففي الدنيا الناس منهم الشاكي، ومنهم الباكي، لكن المخلصون في عافية من ذلك، وهذا والحمد لله، وعند الموت سيموتون في عافية لأن الله سيتوفاهم مسلمين، ويُلحقهم بالصالحين، وسيأتي لاستقبالهم إمام الأولين والآخرين ويصلي عليهم ﷺ، لأن الله قال له في القرآن: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ ﴾ (التوبة).

على من يُصلي؟

هل على الذين في زمانه فقط؟

لو كان كذلك فلا داعي لهذه الآية في القرآن الآن، لكن هذه الآية إلى يوم الدين، أحد أصحابه الكرام مات، ولم يؤذنوا النبي للصلاة عليه، فلما علم قال:

---

٢١٨ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٢١٩ شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان ﷺ
٢٢٠ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟! إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ }[٢٢١]

صلاتي عليهم هي التي تنور لهم هذه القبور، فعلى من يُصلي؟ على كل المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، وهذا فضل الله الذي لا يُعد ولا يُحد.

﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ والكفر هنا ليس الكفر الأكبر كما وضحنا، ولكن كفر هنا يعني جحد بالأوامر الإلهية والتعليمات الربانية ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الذي يجحد بهذه الأوامر هم المنافقون، وهم ليسوا بكفار، ولكنهم ليسوا مؤمنين أيضاً بهذا، فلم يحصِّلوا (يصلوا) هنا ولم يحصِّلوا (يصلوا) هنا.

زينة الصلاة

ثم أوصانا الله ﷻ بعد ذلك بما به تحيا القلوب، وتحيا النفوس، وتمتلئ البيوت والبلاد بالخيرات والبركات، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أهم شيء تحافظوا عليه في طاعة الله إقامة الصلاة، وإقامة الصلاة يعني أداءها بخشوع وحضور وإخلاص بين يدي من يقول للشيء كن فيكون.

عندما أذهب للمسجد ألبس الملابس الطاهرة، وأُلبس قلبي كما قال الله في القرآن: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٣١الأعراف) وماذا تعني الزينة هنا؟ ليس أن ألبس جلباب صوف مثلاً،ولكن الزينة هنا في القلوب:

﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٧الحجرات) .. خذ معك الخشوع والحضور والإخلاص والصدق وتُزيّن بهم القلب حتى تكون قد أقمت الصلاة لله ﷻ، لكن يُصلي بين يدي الله بجسمه والقلب غائب، فهذا ليس له نصيب عند الله ﷻ، فبماذا يحظى؟ لا شيء لأنه غائب، والنبي قال لمثل هذا:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ }[٢٢٢]

من الذي يأخذ الأجر؟ ....

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون).

٢٢١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٢٢٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

إخراج الزكاة

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾:

أنا أرى في زماننا هذا والحمد لله نفراً كثيراً من المسلمين يؤدون الزكاة.

والشيء الغريب أن النساء خاصة حريصات على إخراج الزكاة ..

وكم من رجل لا يُخرج الزكاة إلا مضطراً تحت إلحاح زوجته، وتظل تُلح عليه حتى يُخرج الزكاة، مع قول الله تعالى:

﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (فصلت)

وصفهم بأنهم مشركين، لأنهم لا يُخرجون الزكاة.

والزكاة لا بد لها من حسابات دقيقة إلهية !!

فمن عنده ما يستوجب الزكاة لا بد أن يكون معه أجندة يُسجل فيها الشهر الذي اختاره للزكاة ويكون شهر عربي، وليس لنا شأنٌ بالأشهر الميلادية، ويحسب بدقة ما عليه من الزكاة ويكتبها، ويُخرج الأنصبة ويسجلها حتى لا يتبقى عليه دينٌ لله، جزءٌ لم يُخرجه من حساب الزكاة لقوله ﷺ:

{ فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ }[٢٢٣]

البعض يقول: أنا أخرجها وأزيد !!!

نقول له: يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ (البقرة)

فماذا نفعل؟

نكتب ..

حتى أن ذلك يساعدك أيضاً على أن تحصر ما يستحق الزكاة عندك في شهرك.

---

٢٢٣ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

مثلاً أنا عندي في هذا البنك كذا، وعندي في المكان الفلاني كذا، وعندي في المكان الفلاني كذا، فأجمعهم كلهم وأحسبهم على نصابهم، وعلى حسب النسبة المحددة لهم في شرع الله، وأوزعها عملاً بقول الله:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة).

وفشت فاشيةٌ في هذا الزمان وتمادى فيها كثيرٌ من الناس، أنه يخص بالزكاة أولاده!

والأولاد صنفان، رجال ونساء:

- والرجل لا تجوز الزكاة لأصوله، إن كان الأب أو الجد أو جد الجد، ولا لفروعه وهو الابن وابن الابن لأنه متكفل بهم.
- ولا يجوز عليه أن يُخرج الزكاة لابنته، فإذا كان زوجها فقير ومحتاج، يُخرج الزكاة لزوجها ليعينه ولكن بقدر!.

لأني رأيت أناس الآن تكون زكاته مبلغاً كبيراً ويتعلَّل بهذا الأمر فيقول: أريد أن أُعطيها كلها لابنتي !!، ولكن ابنتك غير محتاجة، وهذه أمانة استودعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عندنا، لا يجوز أن نعطيها إلا لمستحقيها.

وقد قيل في الأثر عن الله:

((الأغنياء وكلائي والفقراء عيالي،
فإذا بخل وكلائي على عيالي أذقتهم نكالي ولا أبالي)).

فيجب أن تخرجها للمحتاج وبقدر الحاجة.

- فلا يجوز أن أُخرج الزكاة لمن يشتري بها كماليات، بل الضروريات.
- ولا يجوز إخراج الزكاة لمن يعلِّم أبناءه في المدارس أو الجامعات الخاصة، ويقول الأولاد يرهقوني وأنفق عليهم كثيراً وأنا أعلمهم في المدارس الخاصة، نقول له: علمهم في المدارس الحكومية حتى تستحق الزكاة.

- ولا يجوز إخراج الزكاة لرجل يريد الزواج أو بنت تريد الزواج من أجل إقامة العرس في قاعة، فهذه ليست ضروريات، ونحن نريد الضروريات التي لا غنى لهم عنها.
- يريدون أن يشتروا ثلاجة اثنين وعشرون قدم، فهل يجوز هذا من مال الزكاة؟ لا، يكفي ثلاجة عشرة قدم أو إذا كثرت تكون اثني عشر قدم من مال الزكاة !!
- ولا يجوز من مال الزكاة شراء تلفزيون، أو جهاز كمبيوتر إلا إذا كانت طالبة أو طالب في الجامعة وفقير وأصبح من الضرورة له هذا الجهاز، فأصبحت هنا في موضعها.

الزكاة أصبحت حالياً مالاً مهدراً بين المسلمين !!!

ولو أُنفقت كما ينبغي لأغنت مجتمع المسلمين أجمعين عن كل حاجة إلى غيرنا من غير المسلمين، نسأل الله أن يوفقنا لذلك.

ثم كرر الله مرة أُخرى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

مصير الكافرين

الكافرون يهددوننا ويروعونا، فقال لنا حتى لا نخاف:

﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾

لن يعجزوا الله ﷻ في أرضه، والله من ورائهم محيط، وبعد ذلك في الآخرة:

﴿ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

إذاً المؤمن لا يخش إلا الله، ولا يخاف إلا من مولاه ولا يراقب إلا حضرة الله.

نسأل الله ﷻ أن يجمّلنا جميعاً بجمال طاعته ورضاه، وأن يجعلنا من أهل إحسان الاقتداء بسيدنا رسول الله، وأن يوفقنا للعمل بما سمعناه، وأن يحقق لنا البشريات التي بشَّرنا بها الله.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(١٩)

أدب المؤمنين مع حضرة النبي ﷺ[٢٢٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

(النور)

أدب الحبيب مع ربه القريب	الأدب مع النبي	إيمان أهل اليقين
الإستئذان من النبي	غزوة الأحزاب	صفات أهل الأدب
دعاء الرسول	أحوال المنافقين مع النبي	عاقبة المخالفة للرسول

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منَّ علينا بالمشاهد العلية في إسراء ومعراج خير البرية، ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الآداب النبوية في سيرنا وسلوكنا إلى رب البرية.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي:

فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علم ولا كرم

صلى الله عليه وعلى آله الذين أحسنوا اتِّباعه ...

---

٢٢٤ المقطم – مجمع الفائزين ٢٧ من رجب ١٤٤٢هـ ٢٠٢١/٣/١١م

وأهله الذين حملوا بأدبهم الجمّ لواءه .. وكل من مشـى على عهده إلى يوم الدين، ومعنا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

الحقيقة أن كنوز الإسراء، وخزن الأنوار الإلهية في المعراج، لا يستطيع أحدٌ حصرها ولا عدها ولا بلوغ شأوها ....

ولكن نقتطف منها ما يفتح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به علينا منها.

وبعد ذلك ترقى حادثة الإسراء والمعراج؛ لا يدري أسرارها ولا ينكشف على علومها إلا من اختصه الله بفضله ورحمته:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة)

ونحن نحاول قدر جهدنا أن نستنكه منها بعض الدروس التي تنفعنا في سيرنا وسلوكنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أدب الحبيب مع ربه القريب

ومن أعظم الدروس التي لفتت كُمَّل العارفين، وأكابر الصالحين ...

الأدب الجم الذي كان عليه أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ ...

فقد عُرض عليه كل الجمالات الأرضـية ..!!، وكل أنواع الجمالات الملكوتية ..!! وكل الأزاهير والأنوار الجنانية ..!!، وكل العلوم العرشية ..!! وكل الألواح القلمية ..!!..

ومع ذلك قال لهم فيه رب البرية:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم).

لم يلتفت لكنوز الأرض ..، ولا لأنوار الملكوت ..، ولا لعجائب عالم الجبروت ..، ولا لمباهج الجنة ..!!

وإنما كان وجهه وكله نحو مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا ما يحتاج أن يوطن عليه السـالك في طريق الله ... إن أراد أن يبلغ مناه عند مولاه ...، ولكن يلزمه قبل ذلك أن يُحسن الأدب مع حبيب الله ومصطفاه.

الأدب مع النبي

ولما كنا جميعاً من قبل ومن بعد لا نعرف الآداب الواجبة نحو حضـرته، فقد تكفَّل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذكر الأدب الذي ينبغي أن يكون معه منا في آياته القرآنية[٢٢٥]، حتى تكون لله الحجة البالغة.

سيدنا الإمام مالك ﷺ وأرضاه – وانظروا إلى أحوال العلماء الأجلاء الكوامل – كان أستاذه الذي تعلَّم على يديه الفقه والحديث اسمه ربيعة الرأي، فقال: **((صحبتُ الربيعة عشرين عاماً، ثماني عشرة منها في العلم، وسنتان في الأدب، ويا ليتها كانت كلها في الأدب))** ليبين لنا قيمة الأدب، والصالحون لهم حِكَمٌ يتفقون عليها أجمعون، من ذلك: **((الزم الأدب وإلا فانتظر العطب))**، من لا ينتبه للأدب ينتظر العطب، كيف ينتظر العطب؟

كما قال الله في القرآن ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ (التوبة)

كثير من الناس يظن أن من يسيئ الأدب مع الصالحين يُهذَب ويؤدَب بأمر حياتي دنيوي، يمشي فيحدث له كسر، أو يأتيه مرض، لكن لو أصيب بكسر أو أصيب بمرض، أو أُصيب بشيء في ماله فهذه كلها تكون كفارات للسيئات كما قال ﷺ.

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ }[٢٢٦]

فهل هذا يكون عقاباً؟ لا، لكن العقاب أن يسلب الله من قلبه الصدق والإخلاص، ويّصفُّه ويتركه في أحوال المنافقين والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وربما يشعر، وربما لا يشعر، فهذه هي العقوبات التي تصيب من أساء الأدب على أهل الله، وأنبياء الله، ورسل الله صلوات وسلامه عليهم أجمعين، والآيات التي معنا من سورة النور يوضح الله فيها الآداب التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون في طريق الله تعالى مع حبيب الله ومصطفاه، أو مع من ينوب عنه من رجالات الله، لكي نتهذب بها ونتأدب بها.

وزادنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ايضاحاً، فوضَّح تصرفات المنافقين وأحوالهم حتى نحذر منها ونتجنبها بالكلية، ... حتى لا يكون لنا كلنا بعد ذلك عذرٌ أبداً.

---

٢٢٥ لتفاصيل هذا الموضوع اقرأ كتاب الشيخ فوزى محمد أبوزيد (الآداب القرآنية مع خير البرية).
٢٢٦ مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ

إيمان أهل اليقين

وبدأ بالمؤمنين:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾:

آمنوا يعني صدقوا، وارتقوا في درجات الإيمان، من الإيمان بالقول إلى الإيمان بالدليل والبرهان، إلى الإيمان الأعظم وهو الإيمان عن شهود وعيان، وهذا الذي رغبنَّا الله به في كل أحوالنا في النطق بالشهادتين، من الذي يقول فينا: أعلم أن لا إله إلا الله وأعلم أن محمداً رسول الله؟ لا أحد، لكن لا بد أن يقول: أشهد، من الشهود، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

ولذلك أمرنا الله ﷻ على لسان المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى أن نُسلِّم عليه سلام حضور في الصلاة، فلا نقول: السلام على النبي، وإنما نقول بكاف الخطاب: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته).

سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ له كتابٌ عظيمٌ ضخم سماه (المنن الكبرى) ذكر فيه بعض المنن التي منَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها عليه تحفيزاً لنا وللمريدين والسالكين لاقتفاء آثار الصالحين، يقول فيه:

((ومما منَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به عليَّ أني ما جلستُ مرةً للتشهد في الصلاة، وقلت السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلا وشهدته أمامي وسمعته وهو يقول: وعليك السلام يا عبد الوهاب)).

السلام في الشريعة سُنَّة، لكن رد السلام فرض، وهل يليق بصاحب الشريعة أن لا يرد السلام؟! لا، لأنه هو الذي يعلمنا ذلك، فلِمَ لانسمعه؟ لأن بطارية القلب ربما تكون فارغة، أو التوصيلات بها صدأ، ولو عالجنا هذه الأمور كلها فسنصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الصالحين، وليس ذلك بعزيز ولا غريب، لأن فضل الله واسع، ولا حرج على فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يعني حتى من يُنكر أنه يمكن أن يحدث ذلك، فليس له نصيب في ذلك، لأن النصيب يأتي للمُسَلِّمين، وليس للمنكرين، نسأل الله الحفظ والسلامة.

الإستئذان من النبي

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ما أدبهم مع رسول الله؟

﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ ﴾ وجائز أن البعض يفهم أن هؤلاء هم الذين كانوا في زمانه فقط، ولو كان كذلك لرفعنا هذه الآية من القرآن لأن مهمتها انتهت!، لكنهم في كل زمان ومكان في جمعهم لا بد أن يتوسطهم ويكون بينهم روح النبي العدنان ﷺ ... منهم من يراه عياناً، ومنهم من يشعر به بالكيان، ومنهم من يأتيه مدده بالقلب والجنان، ولكن الكل يستشعر أن حضرة النبي في هذا الموضع وهذا المكان، مع أنه ﷺ نوره يعم جميع الأكوان.

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ على لسانه ﷺ في إحدى قصائده:

فـروحي لـم تـغـب والـروح نـورٌ تـواجـه مـن أُحـبُّ بـنـور نـوري

نور الشمس تُحجب عن الأعمى والكفيف، أو الذي عينيه فيهما رمد، لكن الذي عين قلبه سـليمة، وأنوار قلبه متصـلةٌ بالحضـرة النبوية الكريمة، يراه ﷺ أينما ولَّى وأينما ذهب، والقصص في هذا المجال والأحوال عن الصالحين كثيرة.

غزوة الأحزاب

وإن كان سـبب نزول الآية لإحدى الغزوات في عصـره، ولكن ليس معنى هذا أن الآية وقفت عند هذا السبب وانتهى أمرها، لكنها ممتدة.

أهل قريش لما يئسوا من مصادمة حضرة النبي، طافوا على قبائل عدة، وجمعوهم وقالوا: نذهب للمدينة في جيش كبير نستأصل محمد ومن معه، فأتوا من كل قبيلة بحزب كبير، ولذلك سماهم الله الأحزاب لأنهم تحزبوا وتجمعوا على حضـــرة النبي، وجاءوا إلى المدينة وأحاطوا بها من كل جانب، فسيدنا رسول الله ﷺ – كما كانت عادته التي علَّمه إياها ربه – جمع أصحابه وشاورهم.

وأنا دائماً أذكر هـذا الأمر مراراً وتكراراً، وأفعله مع الأحبة على الدوام، وهو المشاورة في كل الأمور، تأسياً بحضرة النبي ﷺ، لأن الكثير يصر على رأيه فقط ويتعصَّب له ولا يريد كلاماً ضده أبداً!.

لكن النبي ﷺ كان في كل أحواله يسمع أصحابه ويستشيرهم، فجمع أصحابه وشاورهم، فقال سيدنا سلمان الفارسي ﷺ: نصنع خندقاً عميقاً حول المدينة فلا يستطيعوا أن يعبروه ولا يصلوا إلى المدينة، ونحن نجلس في المدينة على حافة الخندق متأهبين، وكل من يعبر الخندق نضربه بالسهام، فإذا نزل فيه ضربناه بالحراب، فإذا جاء عندنا ضربناه بالسيوف وينتهي الأمر.

والعرب كانت حروبهم مع بعضهم كراً وفراً فقط، ... ولم يعرفوا أساليب الحرب النظامية التي يعرفها الجيوش، والذي كان يعرفها سيدنا سلمان الفارسي، لأن الدولة الفارسية كانت دولة كبيرة، ودائماً كانت حروب بينها وبين الدولة الرومانية، ... وهذه إشارة أيضاً من رسول الله لنا، أن نأخذ بأحدث التكنولوجيا العصرية في حياتنا في كل دروبها، لا نقول أننا لسنا في حاجة لما عند أمريكا وعند روسيا، لا، ... فقد نقل النبي التجربة من بلاد فارس.

وأمرهم النبي أن يحفروا الخندق، ودائماً يُوجد الله علامات تبين الصادقين من المنافقين، فالمؤمنون يعملون بصدق وبإخلاص في حفر الخندق، وإذا حدث لواحد منهم ضرورة يذهب لرسول الله ويستأذن، ويقول: أنا أستأذن لكذا وكذا، فيأذن له رسول الله ﷺ!! لكن المنافقون كانوا يبدأون معه في الصباح، ثم يتسللون واحداً تلو الآخر ويختفوا عن الأعين، وهذا فرق بين الصادقين والمنافقين.

فقال الله: ﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ ﴾ وأمر جامع يعني فيه مصلحة للجميع، كحرب أو قتال، أو بناء يحتاجه الجميع، أو صلاة جمعة، أو نداء من حضرة النبي للناس لحاجته إليهم، وكان إذا إحتاج إليهم يأمر أن يُنادَى: الصلاة جامعة، فيأتي الناس كلهم ليروا رسول الله ﷺ ماذا يحتاج.

هؤلاء المنافقون أيضاً عندما كان سيدنا رسول الله يصعد المنبر، فيجلسوا في المسجد حتى يروه وهو داخل أو وهو واقف على المنبر، وبمجرد أن يبدأ في الكلام يتسللون واحداً خلف الثاني، بحجة أنه ذاهب لقضاء الحاجة أو غير ذلك، لأن الإيمان لم تدخل بشاشته القلوب، وهم في عماء تام عن النور الذي منحه الله للحبيب المحبوب فلا يروه:.. ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف) يرون الجسم، لكن لا يرون النور الإلهي الذي جمَّل الله به هذا الهيكل النوراني المحمدي.

وحكم الله بحكمه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ ﴾ يعني الذين يطلبون الإذن منك بالأدب، وبحُسن الطلب، وبغير تسلل ولا هروب من المسئولية، ولكن يستأذنوا لأمر ضروري وقع لهم، ولا بد أن يستأذنوه. ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ – فعلامة تمام الإيمان الإستئذان من رسول الله ﷺ في كل أمر جامع.

الكُمَّل من الصالحين لا يعمل أي عمل لآخرته، أو لله، أو لدنياه، إلا ويستأذن من رسول الله ﷺ، فمثلاً نحن نصلي عندما يُقيم المؤذن للصلاة، لكنهم يصلون إذا أذن لهم حبيب الله ومصطفاه، وقال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٢٢٧]

وهذه أحوال عليه، لكنها موجودة ومشهودة لكُمَّل العارفين والصالحين، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُنظمنا في عقدهم أجمعين.

﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ الذي يستأذن من رسول الله جعل الله للنبي الخيار في قبول الإذن أم لا.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ الذين تأذن لهم استغفر لهم الله، بسبب الخير العظيم الذي فاتهم من الجلوس بين يدي رسول الله ﷺ، لأن هذه خسارة، فلا يستأذنون إلا في الضرورة، ومع ذلك لو أذن لهم يستغفر لهم لأنهم قد فاتهم نصيبٌ عظيم من الفضل الإلهي، والنور الرباني، والعطاء المحمدي.

الإنسان لو أحصى ما يُصيبه ظاهراً وباطناً من العطاء إذا جلس بين يدي رسول الله ﷺ، أو بين كُمَّل الورثة من الصالحين، لا يستطيع أحدٌ أن يُوفي ببعض ما يحدث له من هذا العطاء من عند الله.

أحد الصالحين قال على قدره عندما سأله أحد: كيف أصل إلى الله؟ قال له: لئن تجلس بين يدي وليٍّ من أولياء الله قدر شيِّ بيضة أو سلخ شاة، خيرٌ لك من أن تتقطع إرباً في سبيل الله تعالى.

---

٢٢٧ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

البعض يرويه على أنه حديث، لكنه كلام رجل من الصالحين، وكلام الصالحين إذا كان من إمداد حضرة النبوة يكون فيه شبه من كلام سيد الأولين والآخرين ﷺ، ... لأنه إمداد من رسول الله ﷺ.

﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ فهذا أول أدب أمرنا به الله في هذه الآيات، أن الإنسان يستأذن رسول الله ﷺ في الأحوال الجامعة.

نفرض أننا في مجلس علم، وأحد الجالسين حدث عنده أمر ضروري ويريد أن يستأذن، ... فيستأذن من بعيد بيده أو بالإشارة، لكن لا يصل عندي ليقول: .. بعد إذنك، لأن هذا هو الأدب، حتى يتم المجلس على ما هو عليه، لأنك عندما تتحرك بين الجالسين تشوّش قلوبهم، فيسألون فلان أين يذهب؟ ولِمَ يستأذن؟ لكن إذا أردت أن تستأذن فقم بالإشارة وأنت في مكانك أو وأنت قريب من الباب، فهذا الذي رباهم عليه سيدنا رسول الله ﷺ.

دعاء الرسول

الأدب الثاني:

﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ :

هذا الأدب فيه مفاهيم كثيرة جداً، وسنأخذ منه شذرات على قدرنا ..

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، يعني لا تنادوا على حضرة النبي كما تنادون على بعضكم، فأنتم تنادون على بعضكم بالاسم مجرد فتقول: يا فلان، لكن حضرة النبي عظَّمه الله في القرآن.

وانظر إلى أدب الحق ﷻ في معاملته مع حبيبه، فقد نادى الله على الأنبياء بأسمائهم مجردة: يا آدم، يا إبراهيم، يا موسى، وينادي على حضرة النبي ويقول له:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (الأحزاب) .. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ (المائدة) ..
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ (المدثر) .. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل) ..

خطاب تعظيم، فهل الله يخاطبه خطاب تعظيم وتكريم، ونحن بعد ذلك نخاطبه بخطاب عقيم ونساويه ويكون مثله مثلنا؟! لا يجوز ذلك أبداً، وهذا معنى.

وهناك معنى آخر ...

عندما ينادي الرسول على واحد منا، ماذا نفعل؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال) لابد أن تستجيب فوراً، لا يكون كما ينادي عليك أحد إخوانك، فالفارق كبير.

نادى سيدنا رسول الله ﷺ على أحد صحابته وكان يُصلي، فانتظر الرجل حتى أتم الصلاة، ثم ذهب إلى حضرته ﷺ، فقال: كنت أصلي، فقال ﷺ:

{ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ" }[٢٢٨]

يعني كان يجب أن تسلم وتخرج من الصلاة، وتجيب رسول الله، لأن الصلاة التي كان يصليها سُنَّة، وإجابة النبي فرض، والفرض مقدم على السُنَّة.

والأئمة الكرام زيادة في الأدب لأهل الإسلام ألحقوا بذلك الأب والأم:

فالأب أو الأم لو نادى على الإنسان وهو في صلاة النافلة يُسلم ويذهب إليهم، لأن نداء الأب والأم فرض، والعقاب الذي يحدث فوراً للعبد في دنياه قبل أُخراه لغضب الأب، أو لغضب الأم، أو لتغير قلب الأب، أو لتغير قلب الأم.

وساق لنا الحبيب ﷺ في ذلك مثلاً في بني إسرائيل، فقال:

{ كَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ

٢٢٨ صحيح البخاري وسنن أبي داود عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ

مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي }[٢٢٩]

الشاهد هنا أن أمَّه قالت: .. اللهم لا تمته حتى يرى وجوه المومسات!!

وقد حدث !

ولو قالت شيئاً آخر لحدث أيضاً، لنعرف أن رضا الأب ورضا الأم، وغضب الأب وغضب الأم من الأمور التي يُعجل الله بها العقاب في الحياة الدنيا قبل الممات.

فعندما ينادى حضرة النبي على الإنسان، أو عندما ينادي من ينوب عنه من ورثته على الإنسان، فلِمَ ينادي عليك؟

لمصلحتك ومنفعتك ورفعة قدرك وإعلاء شأنك وبلوغك مرادك، وهو لا يريد منك شيئاً فكلها مصلحة لك !!

فلِمَ تتلكأ؟! ولم تتلكَّع؟! وتقدم بعد ذلك الحجج والبراهين والدلائل أنك كنت كذا أو كذا، لكن على الفور يجب على الإنسان أن يقول كما أخبر الله:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (﴿٢٨٥﴾البقرة).

فما بال من ينادي عليه وحاول أن يهرب هنا ويذهب هناك؟! هذا يكون من الصنف الذي ذكرناه، وهم المنافقين والعياذ بالله.

وهناك معنى ثالث للآية، فهل دعاء الرسول ﷺ لربه في أي أمر مثل دعائنا؟ لا، ولا بد أن نعرف هذا جيداً: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾ فنحن أحياناً نطلب من فلان أو غيره أن يدعو لنا، هل دعوة هؤلاء مثل دعوة الرسول ﷺ؟ لا، فلابد أن نعرف أن هناك فارق بين هذا وذاك.

---

٢٢٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

أحوال المنافقين مع النبي

ثم بيَّن الله ﷻ أحوال المنافقين مع أمير الأنبياء والمرسلين حتى لا نتخلق بها ولا نتشبه بها، وننزه أنفسنا عنها أجمعين ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ ﴾

الله ﷻ يرى من يهرب منكم إذا طُلب لمهمة، أو طُلب لمساعدة، أو طُلب لمعاونة، أو طُلب لأمر من الأمور، فالله ﷻ يراه ومطلع عليه، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، إذا دعا الله ﷻ ورسوله عبداً للمشاركة في أي أمر من أمور دعوة الله، إنما يكون ذلك تشريفاً له وتكريماً له من مولاه، والله ﷻ يُسخر لهم الأرض بمن فيها.

الإمام أبو العزائم ﷺ كان ينتابه الحال النبوي فيُملي القصائد، ويُهيئ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له في نفس الوقت كُتَّاباً يكتبون عنه، وذات مرة من المرات جاءه الحال ولم يكن موجوداً معه إلا رجل أمِّي، فقال له: أُكتب، فكتب في الحال!، لأن هؤلاء يُسخر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم الكائنات كلها:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٦٤النساء).

وكان هناك جماعة من الصادقين يعرفون أن الإمام أبو العزائم يأتيه هذا الحال كثيراً في الليل، فكانوا يذهبون ويختبئون تحت سريره ، وكان سريره من الأسرة العالية، وأعمدته مصنوعة من النحاس، فيختبئون تحته، حتى إذا جاءه الإلهام الإلهي كتبوا، وكما يقول:

أغيب عني وأملي لمن بسري تحلَّى
إن كان ما قلت نوراً فالسِّرُّ أعلى وأغلى
لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

فكانوا جالسين تحت السرير ليكتبوا، ويظنون أن الشيخ لا يعرف أنهم موجودون، فذات مرة قال لهم:

أنا لو أُغنِّي في الخفا لتكلَّمت أحجار هذا البيت عن كلماتي

سيأمر الله هذه الأحجار لتُبلغ عني، لماذا؟ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٦٤النساء)، فالخائب الذي يتأخر عن إجابة دعوة الله، ودعوة رسول الله، ودعوة الصالحين من عباد الله، لأنه يحرم نفسه، ودعوة الله قائمة بأمر الله، ولا تنقطع ولا تقف على مدى الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

عاقبة المخالفة للرسول

إذا انسحبت من الميدان فهل ستقف الدعوة؟ لا !!، لن تتوقف عليك!! ولذلك قال لهم الله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ... تحذير شديد!، نسأل الله الحفظ والسلامة! .. والفتنة هي الوقوع في شيء يجعل الإنسان في بُعدٍ عن حضرة الله ! ..أو يجعل الإنسان في قلبه صدودٌ عن ذكر مولاه وطاعة الله!، أو يجعل على قلبه حجابٌ يمنع أن يغشاه أنوار الله ومعاني كلام الله ﷻ! .. وهذه الأمور التي يخاف منها الصالحون في كل زمان ومكان .. فهم يخافون من البعد!، ويخافون من الصدود ..، ويخافون من الإعراض! أي أن يُعرِض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم، كما قال للحبيب:

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٩النجم)

اعرض عن هذا، ومن يعرض عنه رسول الله فيا خيبته لأنه خسر دنياه وأُخراه ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾: والعذاب عند المؤمنين الأتقياء هو ما ذكرناه، وليس العذاب أن تنزل به مصيبة أو كارثة، فقلنا هذه كلها عبارة عن كفارات أو درجات، إما كفارات للذنوب، فإن لم يكن عليه ذنوب تكون درجات عند علام الغيوب.

بعد ذلك ختم الله الآيات وأعلمنا ألا ننشغل بالدنيا عن الله، وعن رسوله طرفة عين ولا أقل: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إن كنتم تريدون الدنيا فسيغنيكم، ولكن من حلال لا تحاسبون عليه، وإن كنتم تريدون الدين فسيعطيكم، وإن كنتم تريدون المقامات فسيرضيكم، ولكن تجعلون نيتكم كلها في كل الأمور خالصة لله، وتمشون على قدم الصدق دائماً مع حُسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه ..

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ ... يرى كل ما أنتم فيه.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الأدب مع نبينا الرؤوف الرحيم، وأن يرزقنا الأدب مع عباده الصـــالحين وحزبه المفلحين، وأن يرزقنا الأدب مع المؤمنين أجمعين، وأن يجعلنا من خيار عباده المقبلين على حضـرته، وأن يُجمِّل قلوبنا بتقواه وخشـيته، وأن يتنزل فيها بسكينته وطمأنينته، وأن يجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٢٠)

ميثاق النبيين[٢٣٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨ ﴾ (الأحزاب)

أسلحة نصر المؤمنين	مشورة النبي لصحبه	مشاركة النبي لصحبه
المؤمن كيِّس فطن	نصر الله للمؤمنين	ولاية النبى للمؤمنين
فعل المعروف	الأنبياء والمرسلون	ميثاق النبيين
	سؤال الصادقين	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الأرض كلها تشـــهد لنا يوم القيامة عند الله إن شـــاء الله، والشـــكر لله أن جعل الأرض تشـــهد لنا بمجالس الخير، ومجالس القرآن، ومجالس البر، ومجالس المعروف، ومجالس ذكر الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والصـــلاة والســـلام على الحبيب الأعظم والمصـــطفى الأكرم، ســـيدنا محمد الذي بفضـــله وبكماله جعل لنا في الأرض – ونحن فيها – جنات نرتع فيها، صـلى الله عليه وعلى آله وصـحبه، وكل من مشـى على دربه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم الدين، آمين آمين يا رب العالمين.

مجلسنا هذا المبارك يقول فيه ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ

٢٣٠ الإسماعيلية – سرابيوم ٢ من صفر ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/٩/٩م

بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[٢٣١]

وقال في الحديث الآخر: { وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا }[٢٣٢]

فالأرض كلها مسجد للمؤمنين، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله كما استمعنا الآن، ويتدارسونه فيما بينهم بحسب الفتح من ربهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة بأجنحتها من الأرض إلى عنان السماء، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده.

فهنيئاً لنا ولكم هذه المجالس المباركة، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يديمها علينا إلى يوم أن نلقاه أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

أسلحة نصر المؤمنين

والآيات التي معنا تُذكِّرنا بحال المؤمنين والمسلمين في هذه الأيام، وهي آيات من سورة الأحزاب، لما وجد اليهود الذين يسكنون المدينة مع حضرة النبي ﷺ، وقريش التي تحاربه، أنهم عاجزون عن محاربته ﷺ والتغلب عليه، وظنوا أن الأمر أمر عَدَد وعُدَد ورجال وعتاد، ونسوا أن الحبيب ينصره الله بنصره، وبملائكة من عنده، وبأسلحة ذكرها في كتاب الله، لا توجد إلا للمتقين من عباد الله.

من الذي يملك سلاح الرعب في هذه الأيام وما قبلها وما بعدها؟ لا يوجد إلا رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (٢٦الأحزاب).

من الذي يملك سلاح النصر بالملائكة الكرام؟

لا أحد إلا الذين استعانوا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الدوام.

وكأن الله يُذكِّرنا في هذه الآيات أن نرجع إلى ما كان عليه الحبيب ﷺ وصحبه الكرام، لعل الله ينصرنا على القوم اللئام كما نصرهم، فقد تحزَّب الكفر والشرك بأجمعه على المسلمين الآن، وأنتم ترون ذلك.

---

٢٣١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٢٣٢ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ

من الذين تركوا بلادهم وتشـتتوا في كل بقاع الأرض؟ لا أحد غير المسـلمين، إن كان في أوروبا أو أفريقيا أو آسيا، سواء من العرب المسلمين، أو المسلمين غير العرب.

من الذين تُجرَّب فيهم كل الأسـلحة العصـرية الحديثة الآن في الكون كله؟ لا أحد غير الضعفاء والمساكين من المسلمين، تألَّبوا علينا، وصدق فينا قول الرسول ﷺ:

{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا }[٢٣٣]

تتداعى يعني يشدوا بعض ويجلبوا بعض كما تتداعى الأكلة على قصعتها أي كما يجلس جماعة للأكل ويقولون: هيا يا فلان تعال معنا، هيا فلان تعال لتأكل، فهم يدعون أنفسهم ليأكلوا خيرات المسلمين التي خصَّنا الله بها في بلاد المسلمين، لأن خيرات الأرض كلها موجودة في بلاد الإسلام: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴾ (البقرة) كل ما تريدونه في مصر، وقال سيدنا يوسف: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (يوسف) خزائن الأرض كلها في بلدنا مصر، فلم يقُل خزائن مصر، بل قال: (خزائن الأرض).

خزائن الأرض كلها من كل الأنواع والأصناف، موجودة في بلادنا وبلاد الإسلام، وهم لا يجدون شـيئاً من ذلك في بلادهم، فتهافتوا وتجمعوا ليأكلوا ثروات المسـلمين، ويحرموننا من الخيرات التي جعلها لنا رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ }[٢٣٤]

غثاء السـيل يعني الرغاوي التي على سـطح ماء البحر، ليس فيها منفعة، ولا يسـتطيع إنسـان أن يسـتخدمها في أي أمر، فسـألوا عن السـبب فقال ﷺ: قُذف في قلوبكم الوهن، وهو حب الدنيا وكراهية الموت.

هذه هي الآفات التي عرَّضت المسلمين لما نحن فيه الآن، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن

---

٢٣٣ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه
٢٣٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه

يرفع عنا وعن المسلمين أجمعين كل عناء وبلاء، وأن ينصرنا بفضله ومنِّه وكرمه على جميع الأعداء، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب الدعاء.

فالأحزاب هم الأحزاب، ونحن في هذه الأيام نرى الأحزاب كلهم، منهم من يريد أن يقطع عنا المياه، ومنهم من يريد أن يقطع بلادنا ويسلموها لليهود ومن شاكلهم وعاونهم، ومنهم من يُريد أن يأخذ ثرواتنا بدون أن يدفعوا فيها شيء، ومنهم من عنده رغبة صليبية ويريد أن يذل المسلمين ويجعلهم مستضعفين، وهذه النعرة موجودة في الصليبيين لعنة الله عليهم أجمعين، ويريدون أن يستأصلونا من الأرض.

فيذكِّرنا ربنا بذلك في سورة الأحزاب، لما وجد اليهود وأهل مكة أنهم عاجزون عن حرب حضرة النبي، طافوا على القبائل العربية المجاورة كغطفان وأسد وغيرها، وجمعوا عشرة آلاف جندي غير اليهود، والذين كانوا مع حضرة النبي في المدينة المنورة ثلاثة آلاف جندي.

هؤلاء الأحزاب حاصروا المدينة، وكان كل همُّهم أن يستأصلوا شأفة المسلمين، ويعني ذلك أنهم يريدون أن يُنهوا على الإسلام والمسلمين بالكلية فلا يكون في الأرض مسلم.

ونفس الأمر هو الذي يحدث مع الأحزاب المعاصرين الذين يحيطون بنا من كل فجٍّ، حتى يقضوا على أصحاب هذا الدين.

مشورة النبي لصحبه

ما الذي حدث؟ سيدنا رسول الله ﷺ كما علَّمه مولاه، ومع أنه على بصيرة من ربه ونور الوحي يأتيه دوماً من عند الله، إلا أنه كان يُعلِّم أصحابه فلا يفعل شيئاً إلا بعد الاستشارة: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران) فكان يشاورهم في هذه الأمور.

فاجتمعوا، وبعد المشاورة، قالوا: إن جهات المدينة المختلفة فيها جهة بها جبل لا يستطيعون أن يأتونا من جهته، وهناك جهات فيها بساتين وأشجار لن يستطيعوا أن يأتونا من بينها، وهناك جهة واحدة من جهة جبل أُحد فهذه جهةٌ مفتوحة، ويستطيعوا أن يدخلوا منها إلى المدينة، فماذا نفعل؟

فأشار سيدنا سلمان الفارسي ﷺ وقال:

نصنع خندقاً حول هذا المكان الذي يمكنهم الدخول منه.

وخندق يعني حفرة كبيرة ولكن ليس فيها ماء.

وقال: نبقى حولها نحرسها، ومعنا النبال ومعنا السهام ومعنا السيوف والرماح، وكل من يحاول أن يمر نضربه بالسهام أو بالرماح، وإن مر نضربه بالسيوف.

مشاركة النبي لصحبه

فقسَّموا أنفسهم في حفر هذا الخندق ...

وأعطانا النبي ﷺ اللمحة التي ينبغي أن يعيَها الصالحون والأبرار، فقد كان يشاركهم في كل عمل يقومون به، يحفر معهم، ويحمل التراب معهم، وكلما وجدوا صخرة شديدة عجزوا عن تحطيمها استغاثوا به، فيأتي ﷺ فيضربها بمعوله ﷺ فتتفتَّت، لأنه كان أقواهم وأشدهم بمدد من عند مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقاسمهم الجوع، فلم يكن معهم مئونة، وكانوا كلهم يعانون من مرارة الجوع مع شدة الحفر وعناء العمل، وكان من بينهم ﷺ.

فلما انتهوا من حفر الخندق حاول الأعداء أن يخترقوه ...

فكان كلما أراد فئة منهم أن يعبروه ضربوهم بالسهام وردوهم بالرماح، إلا أن بعضهم نظر إلى موضع في الخندق غير كبير، فعبروه، فقابلهم المسلمون، وكان من ضمن هؤلاء الكفار فارس الجزيرة العربية كلها ويُسمى عمرو بن وُد، فمرَّ بفرسه وطاف حول المسلمين وقال: من يبارزني؟ والمبارزة يعني واحد لواحد كما في المصارعة الحرة الآن، فلم يقُم أحد، فقام عليٌّ وكان شاباً فتياً صغيراً في السن، لم يبلغ الثامنة عشرة بعد، فقال: أنا يا رسول الله، فيقول ﷺ: اجلس فأنت صغير السن، يريد واحد من الشباب الفرسان الأشداء يقوم.

وكرر عمرو بن ودّ الأمر ثلاث مرات، وكل مرة يقول الإمام علي أنا يا رسول الله، فقال له: قم له يا عليّ، فاشتبك الفارسان وضربه عليٌّ ضربة قاتلة قضت عليه، فكبَّر رسول الله وكبَّر المسلمون.

المؤمن كيِّس فطن

وعلَّم الله ﷻ كيف يكون المؤمن الفطن الكيِّس خدوماً لدينه، فليس شرط الخدمة بحمل السلاح أو القتال، بل كما قال ﷺ:

{ الْحَرْبُ خَدْعَةٌ }[٢٣٥]

قد تكون الحرب خداع، فجاء رجلٌ اسمه نعيم بن مسعود وكان من قبيلة غطفان، وهي قبيلة عربية كبيرة من القبائل المشتركة في القتال، وقال: يا رسول الله إني أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي بعد، فما الذي تأمرني به؟ يعني كلفني بعمل يناسبني، قال: خذِّل القوم عنا.

وكان صديقاً لليهود، وصديقاً لقريش، فذهب إلى اليهود الذين انقلبوا على رسول الله رغم العهد الذي تعاهدوا عليه مع رسول الله ﷺ، فقال: يا معشر اليهود ما تعرفونني؟ قالوا: نعرف أنك لنا ناصحٌ أمين، قال: إن قريشاً وغطفان وأسد وغيرهم ملُّوا من طول الإنتظار، ويريدون الرجوع إلى بلادهم ويتركوكم لمحمد وصحبه، ولا تستطيعون قتالهم، قالوا: فماذا نصنع؟ قال: اطلبوا منهم أن يعطوكم عشرة من زعمائهم، يكونون رهائن عندكم، فإن تركوكم ومشوا سلمتموهم إلى محمد يقتلهم، وبذلك تحموا أنفسكم من غضبه.

وذهب إلى قريش وذهب إلى غطفان وقال لهم قولة واحدة: ماذا تعلمون عن أمري فيكم؟ قالوا: إنك خيرنا وإنك وفيٌّ لنا، قال: إن معشر اليهود ندموا على ما فعلوا، وذهبوا إلى محمد واتفقوا معه على أن يأخذوا عشرة من زعمائكم ويسلموهم إليه ليقتلهم حتى يعفو عنهم.

فأرسلت قريش ومن معها من القبائل إلى اليهود: إلى متى هذا الإنتظار؟ نريد أن نهجم على المسلمين مرة واحدة، لأننا قد مللنا الإنتظار، فقالوا لهم: تذهبون وتتركوننا؟! أعطونا عشرة من زعمائكم يكونون رهينة عندنا حتى لا تتركونا إلى محمد يفترسنا.

فقالت قريش ومن معها: صدق نعيم بن مسعود، والله لن نعطيكم رجلاً واحداً، فقالت اليهود: صدق نعيم بن مسعود، أرادوا أن يمشوا ويتركونا فريسة لمحمد.

---

٢٣٥ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

فالإنسان عندما يريد أن يفعل أمراً من أمور الله، يعينه الله وهذه إعانة الله، فالخدعة تعمل أكثر مما تعمله الجيوش، هل يوجد جيش يستطيع أن يفعل ما فعله نعيم وحده؟! لا، حتى يعرفنا رسول الله ﷺ أن أي مؤمن يستطيع أن يقدم للإسلام خدمة أكثر من خدمات الجيوش لنفع الإسلام والمسلمين.

نصر الله للمؤمنين

وأكمل الله ﷻ النصر عندما خرج النبي ﷺ في يوم الأربعاء، وصلى بهم صلاة العصر في مسجد الفتح، ومسجد الفتح كان من المساجد السبعة التي كنا نزورها عندما نذهب للمدينة، وتم هدمه الآن، مع أنه أثر من آثار الإسلام، فكان لكل مجموعة من الصحابة مسجد وهم في الخندق وحول الخندق يصلون فيه، فمسجد الفتح صلى حضرة النبي العصر فيه ودعا الله، وقال:

{ اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ }[٢٣٦]

فاستجاب الله تعالى له، ولذلك نجد كثيراً من الصالحين يلتمسون الدعاء بعد صلاة العصر يوم الأربعاء، ويقولون:

إنه وقتٌ مجابٌ فيه الدعاء لأن الله استجاب فيه لخاتم الأنبياء ﷺ.

وأرسل الله عليهم ريحاً في ليلة شديدة الظلام، فقلعت الخيام، وجعلت الإبل والخيول تتحرك بشدة حتى قطعت حبالها، وأخذت تمشي وتدوس على كل من قابلها، فظنوا أن المسلمين هجموا عليهم، فلا يرون شيئاً، والظلام دامس، والريح شديدة، وهذا من نصر الله ﷻ.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش لا بقاء لنا أنا ذاهبٌ إلى مكة، وتبعه قومه، وقالت غطفان كذلك، وقالت بقية القبائل العربية كذلك، فهُزموا بأمر الله، وكانت نهايتهم بهذه الريح الشديدة التي أرسلها عليهم الله ﷻ.

حتى قيل في وصفهم أنهم لما ظنوا أن المسلمين هجموا عليهم حملوا سيوفهم وكانوا

٢٣٦ سنن النسائي والبخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ

يقتلون بعضهم، لأنه لا يرى من يهجم عليه، وظن من يهجم عليه مسلم فيضربه بسيفه، والآخر يظن أن من يهجم عليه كذلك مسلم فيضربه بسيفه.

فجاءنا الله ﷻ بسورة الأحزاب لتكون عبرة لأولي الألباب، فمهما تجمع علينا الأحزاب ومهما كثُر عددهم، ومهما تحدَّثت وقويت أسلحتهم، ومهما كان تآلفهم واجتماعهم وشأنهم، فلنعلم علم اليقين أن النصر لله، ولدين الله الذي جاء به سيدنا رسول الله ﷺ، فنثق في ذلك ولا نتحول عن ذلك.

ولاية النبي للمؤمنين

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ كان النبي ﷺ إذا أراد الخروج إلى الجهاد، يأتي له بعض أصحابه ويقولون: اتركنا حتى نستأذن من آبائنا وأمهاتنا! لكن إذا أمرك الرسول بأمر فهل تستأذن من أبيك وأمك؟ لا، لذلك عاتبهم الله وقال لهم الله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾.

فكيف لك أن تترك أمر النبي وتريد أن تذهب لأبيك وأمك تستأذن منهم لأمرٍ آخر غير أمر النبي؟! ما دام كان الأمر من النبي، فإن الله ﷻ أمرنا أن نكون جميعاً طوع أمر النبي، وخاضعين لشريعة وسُنَّة النبي ﷺ في كل وقت وحين.

وبالنسبة لنا قال ﷺ لنا وللمسلمين أجمعين:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ، وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٢٣٧]

وفي رواية أخرى: **{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }**[٢٣٨]

إذا كان أحد من هؤلاء أغلى عندك من رسول الله، فأنت لست على درجة الإيمان الحق الذي يطالبنا به الله ﷻ.

لا بد أن يكون حضرة النبي أولى بنا من أنفسنا ومن أزواجنا ومن أولادنا ومن

---

٢٣٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٢٣٨ سنن النسائي عن أنس ﷺ

آبائنا وأمهاتنا ومن أموالنا، ومن كل شـــيء نحوزه ونملكه في هذه الحياة الدنيا، لأنه هو المنقذ لنا من الظلمات إلى النور ﷺ.

قال سيدنا عبد الله بن عباس، وسيدنا عبد الله بن مسعود، وسيدنا أبيّ بن كعب، وهؤلاء أصحاب قراءات، والقرآن نزل على سبع قراءات، قال ﷺ:

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ }[٢٣٩]

قالوا في هذه الآية: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفســهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبوهم) وهذا بنص كلام الله، فقد قال الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات) فنحن كلنا إخوة، وأبونا كلنا هو سيدنا رسـول الله ﷺ في الدين والشـرع والروحانية والحياة الإيمانية التي ارتضاها لنا رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ أزواج النبي أمهات لنا، وهذا يعني أنه لا يجوز لمؤمن أن يتزوج إحدى زوجات الرســول بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولا يجوز له أن يعاملها إلا على أنها كأمه، لكن لا ترثه ولا يرثها، فهذا الأمر خاص بالنكاح فقط حتى يحرم علينا أن نتزوج زوجات النبي لأنهن أمهاتنا رضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهن أجمعين.

النبي ﷺ عندما هاجر بأصـــحابه من مكة ومن حولها إلى المدينة كان يؤاخي بينهم وبين الأنصـار، فكان كل رجل من الأنصـار يأخذ واحداً ويكونا أخوه، ويقتسـم معه داره وماله وأرضه وتجارته، وإذا مات أحدهما كان يرثه الآخر، وهذا الأمر كان في بداية الهجرة إلى المدينة المنورة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٧١التوبة).

وبعد أن ثبت الإسلام واستقرت الأمور للمصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، نسخ الله تعالى هذا الحكم وقال:

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾

يعني انتهى توريث الأخ في الله الميراث الشرعي ..

وإنما التوريث يكون عن طريق الرحم التي بينهم، إن كان ابن أو ابنة أو أخ أو أخت أو غيره على حسب درجته في أولي الأرحام.

---

٢٣٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فعل المعروف

﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾:

كان الله يعلم أن المؤمنين يحبون عمل الخير، وكل واحد يريد قبل أن يخرج من الدنيا يكون له عمل صالح ينفعه عند لقاء الله، ولأنهم يريدون أن يكون لهم عمل صالح يبقى لهم بعد لقاء الله.

قال الله تعالى:

﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾

إذا كنت تريد أن تُعطي لإنسان صدقة، أو وصية، بشرط أن لا تزيد عن الثُلث، إلا إذا وافق الورثة على الوصية التي تجاوزت الثُلث فلا مانع.

لكن كل إنسان عند موته له أن يتصدق بثُلث تركته في أي وجه من وجوه الخير لتبقى له صدقة جارية عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس معنى عند موته أي عندما تأتيه سكرات الموت، لأن عند سكرات الموت لا تنفع هذه الأمور، ولكن قبل أن يموت بفترة، فيُوصي بوصية لمعهد ديني، أو وصية لمكتب تحفيظ قرآن، أو وصية لصبية أيتام، أو وصية لبنات ليس لهم من يزوجهم فيزوجهم بهذا المال، وينال به رضا الملك العلام، وهذه الوصية موجودة في الإسلام:

﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ (١١النساء).

- والوصية تخرج من التركة قبل الدَين، فالإنسان عندما يموت فإن المُورثين أو الورثة يُخرجوا من أمواله أولاً الكفن والغُسل والدفن، لأن الأفضل للإنسان المؤمن أن يُكفَّن من ماله، لا من مال ابنه ولا ابنته ولا وريثه، لكن بالنسبة للعزاء فتختلف أموره، إذا كان الأولاد كبار وأغنياء هم يعملون العزاء من مالهم، وإذا كان الأولاد صغار ولم يبلغوا السن، فحرامٌ أن نأخذ من نصيبهم ما نصنع به عزاء، لأنهم صغار السن وهم أولى بهذا المال، وليس لهم شأنٌ بأمر العزاء.
- بعد الكفن والغُسل والدفن وما شابه ذلك نُخرج الوصية التي أوصى بها.

- وبعد ذلك ننظر في الدَيْن الذي عليه لخلق الله.
- وبعد ذلك نورث باقي التركة للورثة الشـــرعيين كما بيَّن الله في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ ﴾ :

هذا الكلام موجود في الكتاب:

يعني في اللوح المحفوظ، أو في الكتاب يعني في علم الله، أو في الكتاب يعني في شـرع الله الذي أنزله الله على حبيبه الله ومصـطفاه، ومسـطوراً يعني مكتوباً، فالله كتب ذلك ولا يجوز تغيير ما كتبه العزيز الحميد ﷻ.

الأنبياء والمرسلون

بعد ذلك تحدث الله ﷻ عن الأنبياء والمرسلين المقربين والمسمون بأولي العزم.

فالأنبياء والمرسـلين هؤلاء طبقات، منهم الأنبياء والمرسـلين بصـفة عامة، وهؤلاء كما سأل عنهم سيدنا أبو ذر رسول الله فقال: كَم عدد الأنبياء؟ فقال ﷺ:

{ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ }[٢٤٠]

لكن الأنبياء أهل الخصـوصـية المذكورون في القرآن عددهم خمسـة وعشـرون ,, والله قال:

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾ (غافر ۝٧٨).

والأنبياء المبجلون والمكرمون سماهم الله أُولي العزم، وقال الله للنبي ﷺ:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف ۝٣٥)

أُولو العزم من الرسل هم الذين عدَّهم الله في هذه الآية التي عندنا:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾

والميثاق هو العهد.

---

٢٤٠ الحاكم في المستدرك والطبري

ميثاق النبيين

والله أخذ على النبيين العهد في يوم ميثاق النبيين:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (آل عمران).

وعاد وأخذ عليهم العهد مرة ثانية، وهو العهد الذي كان مع كل بني آدم:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف).

وأخذ العهد قبل ذلك على أُولي العزم من النبيين والمرسلين:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾.

وأراد الله ﷻ أن يبين لنا وللأمة أجمعين مكانة خير النبيين، فأتى به في الترتيب أولاً، وبعده أتى بهم بترتيب الزمن، وعلى حسب خروجهم في الزمن: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ أُولو العزم هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وإمامهم وقائدهم سيدنا رسول الله ﷺ، وأتى به الله أولاً لنعرف مكانته ونحافظ عليها، ونعرف درجته ونُحيطه بها، ونعرف تشريف وتكريم الله له فنسأل الله له زيادة تشريف وزيادة تكريم صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ يعني ميثاق شديد، والميثاق على أنهم يحبون الله ولا يحبون أحداً سواه، ولا يكون في قلوبهم غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك كان أي نبيٍّ يميل ميلة ولو صغيرة إلى غير الله، فوراً يحاسبه مولاه، فأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عاش ثمانين عاماً لم يُنجب، ورزقه الله بإسماعيل، فلما رُزق بإسماعيل مالت شُعبة صغيرة في قلبه إلى ولده، فماذا كانت محاسبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له؟

أمره أن يأخُذه وأُمه إلى موضع البيت الحرام، وكان مكان لا مأوى فيه، ولا طعام فيه، ولا ماء فيه، ولا بشر فيه، ولا أنيس فيه، لماذا؟ لأن الله يريد من قلبه أن لا يميل إلى سواه طرفة عين ولا أقل.

وكان يذهب إليه ليزوره، وكان يزوره راكباً ظهر البراق مركب الأنبياء، فلا يسافر هذا السفر الطويل في الصحراء، ولكن في طرفة عين يكون هناك، فرآه شاباً فتياً فأُعجب به، فأمره الله بذبحه، وأراه في المنام أنه يذبحه: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (١٠٢الصافات) فقال الغلام المعلَّم الذي يعلم أن رؤيا الأنبياء وحيٌ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣ ﴾ (الصافات) يعني أصبحت قلوبهما سليمة لله ليس فيها سواه، وبعد أن أنامه وأوشك أن يذبحه: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥ ﴾ (الصافات).

كل ما نريده أن لا يكون في قلبك غيرنا، فالله يغار أن يرى في قلوب أنبيائه شيئاً سواه، لأن الله ﷻ يعلم أنهم يعرفونه، والذي يعرف لا يكون كالذي لا يعرف، فالذي يعرف الله لا يميل إلى غير الله طرفة عين ولا أقل.

وأخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا رسالات الله التي كلَّفهم بها الله، لأن كل منهم له رسالة، فلا بد أن يُبلغ هذه الرسالة، فأخذ عليهم العهد الشديد أن يبلغوا رسالات الله إلى أقوامهم .. سيجدون في إبلاغ رسالاتهم معاناة شديدة، وصعوبات جمَّة، وأنتم تعلمون ما تعرض له الأنبياء وسيد الرسل والأنبياء من الصعوبات في سبيل دعوة الله، ولكنهم لم يتغيروا ولم يتبدلوا، حتى قال النبي ﷺ لعمه عندما حدَّثه في ذلك الأمر:

{ يا عماه، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ }[٢٤١]

وكل الأنبياء والمرسلين كانوا على هذه الشاكلة، لأن من يتعرض لدعوة الله حتى من أولياء الله ومن العلماء بالله، لا بد أن يتعرض لصعوبات لا تُعد ومشاكل لا تُحد، إذا استصغر نفسه وسلَّم نفسه لهذه المشاكل انتهت الدعوة وماتت الرسالة التي أُمر بإبلاغها، والرسل أُمروا بإبلاغ رسالات الله، والعلماء العاملين والأولياء الصالحين يقول فيهم الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب) هم خلفاء وورثة عن رسول الله ﷺ.

---

٢٤١ تاريخ الطبري ودلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما

سؤال الصادقين

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ﴾:

يسأل الأنبياء وهم الصادقين عن إبلاغ دعوتهم للخلق، ويسأل الصادقين من أممهم عن إبلاغ رسلهم لهم، قال ﷺ:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) }[٢٤٢]

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾:

جعل الله ﷻ للكافرين والجاحدين والمشركين عذاباً أليماً في الدنيا، ... وعذاباً أليماً في الآخرة ...، العذاب الأليم في الدنيا من الأمراض والأسقام والبلاءات التي لا عد لها ولا حد لها، والتي لا يستطيعون دفعها ...، والعذاب الشديد في الآخرة في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

نسأل الله ﷻ أن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، وأن ينصرنا على جميع أعدائنا وأعداء الإسلام، وأن يُهلك الكافرين بالكافرين والظالمين بالظالمين، وأن يُخرج المسلمين من بينهم سالمين غانمين، وأن يجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السُفلى، وأن يجعل المجد والعظمة والنصر في النهاية للإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٤٢ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

(٢١)

الأُسوة الحسنة[٢٤٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأحزاب)

الرسول المثل الأعلى	بركة النبوة	القدوة الحسنة
أصناف المقتدين	الذكر الكثير	التصوف الصحيح
البلاء والاجتباء	إشارة سلوكية	جهاد السالكين
سر البلاء	رجال الصدق	حقيقة الصدق
	المشيئة الإلهية	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، هذه الآيات الكريمة التي معنا من سورة الأحزاب تفصِّل جانباً من غزوة الأحزاب التي تعرَّض لها النبي ﷺ وصحبه الكرام في المدينة المنورة، وكالمعتاد نبين أولاً أسباب نزول الآية، ثم نأخذ منها إشراقات وأنوار بينات نهتدي بها في سيرنا وسلوكنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

تجمَّع الأحزاب حول المدينة المنورة، وكانت المدينة يحيط بها من ثلاث جهات جبالٌ وزروعات، وجموع الكافرين من قريش كان معهم قبيلة غطفان وقبائل أخرى كُثر بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف مقاتل، وكان يستحيل عليهم دخول المدينة من هذه الجهات، فلم يكن لهم مجالٌ يدخلون منه إلى المدينة المنورة إلا مجال واحد من جهة جبل أُحد.

٢٤٣ المقطم – مجمع الفائزين ١٦ من صفر ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/٩/٢٣م

الرسول المثل الأعلى

والنبي ﷺ هو المثل الأعلى لنا جماعة المؤمنين في كل شأن ذي بال، فكان من دأبه ﷺ أن يستشير أصحابه في أي أمر يخص الجميع، ويستشير خاصة أصحابه في الأمور التي تخصه في نفسه.

فالأمور العامة التي تهم جموع المسلمين يستشير فيها جمٌّ كثير من زعماء المسلمين، وكانوا يُسَمَّون أهل الحِلُّ والعقد، وفي العصر الحديث ما نسميه مجلس الشورى، أو مجلس النواب، أو مجلس الأمة، وما شاكله من هذه الأسماء.

وإذا كان أمراً خاصاً بنفسه في حياته الشخصية أيضاً لا يستقل به، بل كان يستشير خاصة أصحابه، فمثلاً عند خروجه لغزوة بدر، جمع أصحابه وطلب رأيهم، فأدلى المهاجرون برأيهم، والتفت إلى الأنصار وكانوا أغلب الجموع الحاضرة، وطلب منهم أن يشيروا عليه، يعني لا بد أن يعرف رأيهم هم الآخرون، فاستشار الجموع كلهم.

وكذلك فيما نحن فيه في غزوة الخندق استشار الجموع، فأشار سيدنا سلمان الفارسي ﷺ أن يحفر ﷺ وصحبه الكرام جهة جبل أُحد – لأنه المنفذ الوحيد للأعداء – خندقاً كبيراً لا يستيطع الأعداء عبوره ولا الدخول منه إلى المدينة المنورة.

وكانت حيلة جديدة لا يعرفها العرب، لأن العرب كانت حروبهم سريعة – خطف – فكانوا يحاربون للرعي وأماكن الإقامة، وكانت الحرب تستمر ساعة من الصباح أو ساعة من المساء، فلا تأخذ أكثر من ذلك بين قبيلتين، وليس فيها هذه الحروب الطويلة التي يعرفها الفرس، والفرس دولة كبيرة بينها وبين الروم وغيرهم حروبٌ لا تنتهي، لكن النبي ﷺ في أموره الخاصة كان يشاور خاصة الخاصة، فعندما حدثت حادثة السيدة عائشة ﷺ، وأخذ المنافقون يلوكون بألسنتهم في عِرضها، أخذ يسأل خاصة أصحابه واحداً تلو الآخر، ولم يجمعهم، فسأل عليّ، وسأل زوجات النبي الأخريات، وسأل عمر، وسأل خاصة أصحابه، حتى في أموره الخاصة فكان يستشير أقرب الناس إليه، لأن الله ﷻ قال له:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (١٥٩آل عمران)

فكان يشاور في كل أمر صلوات ربي وتسليماته عليه حتى في أموره الخاصة.

أيضاً لما أمره مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة الأحزاب بالزواج من السيدة زينب بنت جحش، أخذ يستشير أصحابه الملاصقين له، ويسمونهم الخاصة، واحداً تلو الآخر، وهكذا علَّمنا ﷺ أن نجعل الشورى هي أساس حياتنا في كل أمورنا كلها، ما صغُر منها وما كبُر.

ونعلم صغارنا المشورة ونشركهم معنا ليتعلموا هذا النهج النبوي، ويمشوا على هذا التقليد الرباني، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يكن في حاجة إلى أن يستشير ملائكته، لكنه علمنا وقال لنا: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ يعني ما رأيكم؟ ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ كسكَّان الأرض الذين كانوا يسكنون عليها قبل آدم، وزكُّوا أنفسهم فقالوا:

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠ البقرة).

فعلموا أنهم أخطأوا وما كان ينبغي أن يراجعوا الله في أمر قضاه، وأنه إنما استشارهم لحكمة يعلمها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليس ليأخذ برأيهم، فإنه أحكم الحاكمين ورب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فذهبوا إلى البيت المعمور فوق السماء السابعة، وأخذوا يطوفون حوله تائبين منيبين ضارعين إلى الله ﷻ أن يتوب عليهم من هذا الموقف الذي اتخذوه، وما كان ينبغي لهم إساءة الأدب بهذه الطريقة في مواجهة رب العالمين القادر المقتدر ﷻ.

كان ينبغي لهم أن يقولوا كما قالوا بعد ذلك:

﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣٢ البقرة).

فالرسول ﷺ كان يشاور أصحابه، وعندما أشار عليهم سلمان بحفر الخندق ووافقوا، بدأ الحفر، فجمعهم ووزَّع عليهم أماكن الحفر في هذا الخندق، قبيلة كذا عليها من هنا إلى هنا، وقبيلة كذا عليها من هنا إلى هنا، والمفترض في مثل هذه الأمور أن القائد العام يجلس في خيمة ويستريح، ويأتيه ما يبغيه من الطعام والشراب، وهناك مستشارون يأتونه بالخبر في كل وقت وحين، لكن القائد العام لجميع الأنام في الدنيا ويوم الزحام ﷺ ضرب لنا مثلاً فذَّاً، فشاركهم في الحفر بذاته الشريفه.

وأرض المدينة أرضٌ صخرية، فكانت الصخرة التي تستعصي عليهم ولا يستطيعون إزاحتها أو قطعها يستدعون لها حضرة النبي، فيمسك ﷺ الآلة بيده الشريفة ويضرب بها

الضربة فتتفتَّت إلى أجزاء صغيرة، لأنه يُعلِّمهم أنه يستعين بمولاه، ومن استعان بالله أعانه وقواه.

بل إنه ﷺ في وسط هذا الهم الذي هم فيه، والغم الذي انتابهم، وجدوا صخرة عجزوا جميعاً عن تفتيتها فاستدعوه لها ﷺ، فضرب الصخرة بيمناه فظهر شعاع كالبرق، فقال:

{ بِسْمِ اللَّهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً، فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، وقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنَ الأَبْيَضَ الآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَالِثَةً، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، وقال: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ }[٢٤٤]

أين هم وأين بلاد فارس؟!

هم يريدون أن ينجوا من هذه الكارثة التي هم فيها، لكن النبي يبشرهم بفتح بلاد فارس، وفي الضربة الثانية يبشرهم بفتح بلاد الشام!!.

سبحان الله!، استبشر بما بشره به مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكأنه ﷺ في هذه الضربات كشف الله ﷻ له الأحداث المستقبلية، ورأى جيوش المسلمين وهي تدخل بلاد الفرس فاتحة، وهي تدخل بلاد الشام فاتحة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأعلمنا بذلك أن سلاح البُشريات التي يُبشر بها الله المؤمن في كل الأوقات، هذا ما يجعله يستبشر دائماً بنعمة من الله وفضل:

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ (آل عمران ١٧١)

فلا يقنط ولايحزن ولا ييأس ولا يتملك منه همٌّ ولا غم، لأن الله بشَّره، والنبي ﷺ بُشِّر في اليقظة، والمؤمنون الصادقون يبشرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في المنام ... قال ﷺ:

{ لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ }[٢٤٥]

---

٢٤٤ سنن النسائي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ
٢٤٥ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

إما أن يراها بنفســـه، وإما أن يراها له رجلٌ من المقربين، أو محبوبٌ من المحبوبين ليكون على يقين أن هذه بشرى من رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكن البشرى لن تأتي للغافلين ولا للجاهلين، ولكن تأتي لأهل اليقين، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نكون منهم أجمعين.

فكان يشاركهم ﷺ في حفر الخندق بذاته الشريفة، وكان يشاركهم في حمل التراب على كتفه ليخرجه خارج الخندق، وكان يشـــاركهم في الجوع، لأن هذا الوقت لم يكن فيه أقواتٌ كافية لأهل المدينة، فلم يُخزنوا أقواتاً لهذه الحرب.

بركة النبوة

ولذلك سيدنا جابر رضي الله عنه وأرضاه نظر إلى رسول الله ﷺ فرأى على وجه حضرته أثر السِـــقم والجوع والضَـــنى، فذهب إلى امرأته وقال: يا أم فلان رأيت رســـول الله ﷺ ويظهر عليه أثر السقم والجوع والضنى، فهل عندنا من شيء نضيِّفه؟ قالت: ليس عندنا إلا عناق – ماعز صغير – قال: اذبحيها وسأدعوه، قالت: اذهب إليه وادعوه، وأطلب منه أن لا يزيد عدد من معه عن عشرة، لأن الطعام الذي عندنا لا يكفي إلا عشرة.

فذهب إليه، وكانوا من لطفهم وقربهم من ربهم كلهم غاية في الذوق واللطف، فكلما قرُب الإنسان من مولاه، كلما زاد في الذوق السديد، واللطف الرشيد، وكان من المُلهمين بما يحبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من عباده المخلصين في كل وقت وحين.

فقرب من أذن رسول الله وأسرَّ إليه – يعني كلمه في أذنه حتى لا يسمع أحدٌ – وقال: يا رسول الله ندعوك لطعام الغذاء على أن لا تُحضر معك أكثر من عشرة، فأمره ﷺ أن يسبقه إلى المنزل، وبمجرد أن مشى الرجل استدعى النبي ﷺ المنادي، والمنادي رجل صوته عال ينبِّه على الناس بما يريده سيد الناس ﷺ، وكان أيضاً في الصلاة يُردد وراءه ما يقوله، والذي نسميه المبلغ، ولم يعد موجود الآن لوجود مكبرات الصوت.

فبمجرد أن مشـــى الرجل أمر النبي المنادي أن ينادي على أهل الخندق، ويقول لهم: أخوكم جابر يدعوكم إلى طعام الغداء!!

فكل من بيده فأس أو آلة ألقاها لأنهم جائعون، وخرجوا وراء رســـول الله ﷺ، وقيل أن عددهم كان يزيد على الألف.

فلما رأت زوجة جابر الجموع الآتية، قالت له: ما صـــنعت بنا؟ ألم أقُل لك قُل لرسول الله ﷺ لا يزيد عدد من معه عن عشرة؟

قال: والله لقد بلغته، وقلت له ذلك في أُذنه، فقالت: إذاً رسـول الله ﷺ أعلم بما يفعل، ولم تعترض لأن معه التصريف من حضرة المصرف ﷻ.

والرجل عندما وصـل إليه ﷺ، قال: يا رسـول الله ماذا فعلت بنا؟! فطمأنه النبي وأمره أن يدعو الناس عشرة عشرة، حتى يأكلوا ويشبعوا، وذهب النبي على الإناء الذي فيه اللحم وأمسـك بالمغرفة وأخذ يقلب فيه ويسـمِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأمر زوجة جابر أن تضع على العجين غطاء – ومن لحظتها ونحن نغطي العجين – وأمرها أن تستدعي نساءًا من جيرانها، وتوقد نار الفرن، وتأخذ من تحت الغطاء ولا تكشفه، فطعم الجميع، وشبعوا عشرة عشرة، وبقي اللحم كأنه هو لم ينقص منه قطعة، .. والعجين كأنه هو لم ينقص منه قـدر رغيف، ... فـأمره النبي ﷺ أن يطعم زوجـه وأولاده، ثم يطعم بالبـاقي جيرانـه من هاهنا، ومن هاهنا.

وهذه البركة التي علَّمنا رسول الله أن نستمسك بها، فهي المخرج الوحيد لنا من كل الأزمات الاقتصادية التي نواجهها في هذه الحياة سواء كانت فردية أو جماعية، فالمخرج كله في البركة: ... ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف)

لم يقُل الله فتحنا عليهم خيرات، فالخيرات كما هي، ولكن دخلت فيها البركة.

وهذا ما شاهدناه ونحن صغار ..

كانت أمهاتنا تُخزن القمح والذرة في صـــومعة فوق البيت، وتضـــع فوقها غطاء وتسـدها، وتأخذ من فتحة في الأسـفل، والصـومعة تأخذ منها ما شـاء الله، إلا لو حدثتها نفسها أن الصومعة لا زال فيها، فتفتح من فوق فترتفع البركة.

هـذه البركـة هي التي نحتـاج إليهـا أجمعون، وهي التي يتعـايش بهـا الصـــالحون والمخلصـــزن في كل وقت وحين ....، ومن حولهم يتعجب منهم، مع أن الله قال لإبراهيم عندما كان يحفر البيت الحرام، ووجد في أسفله حجراً مكتوبٌ عليه كما ورد بالأثر:

((أنا الله رب البيت أرزق الضعيف من القوي حتى يتعجب القوي)).

يقول قائل:

أنا آخذ مبلغ كبير ولا يكفي !! ورجل آخر يعيش ومبلغه البسيط لا يكفي ما فيه أنا يوماً واحداً!!

الذي أنت فيه ليس فيه البركة، لكن هذا عنده البركة من الله ﷻ.

فكان ﷺ معهم، ويحمل التراب معهم على ظهره وعلى كتفه، ويجوع معهم ..!

وينشد معهم الأهازيج، ... فعلَّمهم وهم يعملون عملاً شاقاً أن يغنوا، ... فالأغاني تخفف العناء، وكانوا يقولون مثلاً:

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضلل

كيف نقعد والرسول يعمل؟! فيقول ﷺ:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وهذا نموذج من النماذج التي كان يغنيها رسول الله ﷺ مع هؤلاء القوم، يشاركهم إن كان في حروبهم أو سفرهم أو في كل أمورهم.

كما ذكر الطبري في (خلاصة سير سيد البشر):

أن النبي ﷺ كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر عليَّ طبخها ....

فقال ﷺ: وعليَّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ...

وقام ﷺ وجمع الحطب.

وكانت هذه أشقُّ مهنة من المهن، لأنه سيبحث في الصحراء ليجمع الحطب من هنا وهناك، لكنه يعطينا المثال الأعلى ﷺ.

القدوة الحسنة

وهذا كان سبب نزول هذه الآيات، لكن رسول الله هو القدوة والأُسوة الحسنة لجميع المؤمنين إلى يوم الميقات:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

وأُسوة يعني قدوة، وحسنة يعني طيبة، وكلمة (لكم) تعني الأولين والمعاصرين والآخرين إلى يوم الدين، يعني لكم جميعاً.

بمن نقتدي؟ بسيدنا رسول الله ﷺ، وبماذا نقتدي؟ قال البعض: نقتدي بظاهره، فنطلق اللحية كما كان يطلقها، ونلبس عمامة ونجعل لها عدبه كما كان يفعل، ونقصِّر الثياب كما أمر، ونمسك السواك بصفة دائمة ذهاباً وإياباً، ونقتدي به في هذه المظاهر.

وليس هذا عين الاقتداء، لكن نقتدي به في كل أحواله، أقتدي به ﷺ في آداء العبادات ظاهراً، لقوله ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٢٤٦]

فنركع كما كان يركع، ونقف كما كان يقف، ونسجد كما كان يسجد، ونجلس كما كان يجلس، ونتلوا كما كان يتلو، وندعوا كما كان يدعو، وهذا كان في الظاهر، لكن نحتاج إلى أن نتابعه أيضاً في تقلب قلبه بين يدي مقلبه وهو في الصلاة، وهو في الصلاة، ماذا كان في قلبه؟.

هل مثلنا عندما نقف في الصلاة تأتينا الغائبة والتائهة من مشاغل الدنيا ومشاكلها؟ والحوارات الساخنة التي دارت بيني وبين فلان؟ هل هذه التي تحضر في الصلاة؟ لا، إذا كان الله قد قال عن المؤمنين الصادقين:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ (المؤمنون) ...

والخشوع ليس في الظاهر، ولكن الخشوع في الباطن وفي القلب.

فنتابعه ﷺ في إخلاص عمله لله، وفي توحيد قصوده نحو مولاه، وفي خشوع قلبه

---

٢٤٦ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

لحضـرة الله، وفي حضـوره بالكلية مع مولاه، ولذلك كان في الصـلاة في حال المناجاة مع حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنتابعه ظاهراً وباطناً في العبادات كلها.

ونتابعه في أخلاقه الشـريفة التي مدحه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأثنى عليه من أجلها وقال له في شأنها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم) لم يقُل له: وإنك لذو خُلُق، ولكن قـال: (على) يعني إنـك أعلى من الخُلُق العظيم، وفي قراءة أخرى: (وَإِنَّـكَ لَعَلى خُلُقِ عَظِيمٍ) خُلُقِ مضـاف، وعظيم مضـاف إليه، والعظيم هو الله، يعني أنت على خُلُق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فنتابعه في أخلاقه ﷺ في كل أحواله، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ }[٢٤٧]

لم يقل أكثركم صـلاة، أو أكثركم ذكراً لله، ولكن أحاسـنكم أخلاقاً، فنتابعه ﷺ ونتأسى به في تعامله مع الحق، وفي تعامله مع الخلق، وفي تعامله مع أهل بيته؛ زوجاته وأولاده، وفي تعامله مع جيرانه، وفي تعامله مع المسلمين أجمعين على اختلاف طبقاتهم وأصنافهم.

نتابعه في تعامله مع حتى أعدائه، وهذا باب لو مكثنا في موقفنا هذا إلى شـهور، لن ننتهي من تعداد المواقف التي ينبغي أن نقتدي فيها بسيدنا رسول الله ﷺ.

أصناف المقتدين

من الذي يقتدي برسوله الله؟

صنفان.

المقربون وأهل اليمين ... المقربون ذكرهم الله:

﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ ﴾ يطمع في القرب من مولاه، ويطمع في الحُظوة بالتجليات التي يتجلى بها الله لأحباب الله والصالحين من عباد الله، ويطمع أن يكون يوم القيامة، أو إذا قامت قيامته حتى وهو في الدنيا أن يكون من الذين يقول فيهم الله:

---

٢٤٧ جامع الترمذي والبيهقي عن جابر ﷺ

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة).

يطمع أن يدخل في القوم الكرام الذين أمر الله حبيبه أن يُصبِّر نفسه على الدوام معهم:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الكهف)

لا يريدون جنة ولا يخافون من نار، الإمام أبو العزائم ﷺ يقول في ذلك، ... وهو رجلٌ من هؤلاء الرجال:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغي الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتي ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

وهذه نار المقربين ... وهذه جنة العارفين ..

فجنة العارفين القرب من أكرم الأكرمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والقرب معنى وليس القرب بالجسم، ولكن القرب بالحقائق الباطنية وهي القلب والروح والسر والفؤاد، فهي التي خلقها الله ﷻ ليحظى بها العبد بالقرب والوداد من رب العباد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال لنا في شأنها حبيبنا:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٢٤٨]

لا يهتم بجمال صوركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

وفي بغض الأثر: ((وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم)) المهم النية التي في القلب نحو الله، وهذا مقام المقربين.

ولم ينس الله أهل اليمين:

﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ الذين يريدون النجاة يوم القيامة، ويريدون الفوز بالنعيم المقيم، ويريدون النجاة من الجحيم، ويريدون أن يستظلوا بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويريدون أن يُحاسبوا حساباً يسيرا، كل هؤلاء طلاب الآخرة.

فجمعت الآية بين المقربين وأهل اليمين ...

ولا بد لهم جميعاً من الاقتداء بسيد الرسل والأنبياء ﷺ.

---

٢٤٨ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

الذكر الكثير

ما الذي يبلغهم هذا ويعينهم على ذلك؟

﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

ما البضاعة التي تبلغ كلا الطائفتين المقام الذي يطلبونه من الملك العلام وغيرهم؟

ذكر الله ..!!

وذكر الله بابٌ واسع:

فتلاوة القرآن ذكرٌ لله، والتسبيح والتحميد والتقديس ذكرٌ لله، والاستغفار ذكرٌ لله، والصلاة على النبي ﷺ ذكرٌ لله.

وكل عمل صالح تسبقه نيةٌ طيبة حتى ولو كان هذا العمل في ظاهره دنيوي فهو ذكرٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كأن يخرج الإنسان ليسعى إلى معاشه ليكُفَّ نفسه وأولاده عن سؤال الناس بنية طيبة، فعمله هذا كله ذكرٌ لله، أو يداعب أولاده ليشعروا بالعطف والحنان والشفقة والمحبة والمودة فهو ذكر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والأطفال في هذا الجيل رغم وفرة الخيرات، إلا أنهم في أمسِّ الحاجة إلى حنان الأبوين، والشفقة والعطف والرحمة من الأبوين، والرفق واللطف من الأبوين، والذي هم محرومون منها الآن، ولا يجدون أحداً يعطيها لهم، فالأم ترسل ابنها أو ابنتها إلى الحضانة وتذهب للعمل، فمَن في الحضانة يعطيه الحنان أو العطف أو الرحمة أو الشفقة أو المودة؟!!.

أو تستأجر خادمة، هل الخادمة تكون مثل الأم في الحنان والعطف والشفقة والمودة؟ أبداً، وهو هذا الذي يريده.

أنا أخرج وأسعى وأذهب وأكتسب في اليوم مليون جنيه مثلاً، لكن كثرة المشاغل لا تجعل لي وقتاً أداعبه فيه قليلاً، أو أربّت عليه قليلاً، أو أضع يدي على رأسه وأرقيه، فهو في حاجة لهذا الحنان مني أنا، أكثر من الفلوس التي أجلبها له.

وهذا أمر افتقده أطفالنا في هذا العصر، ولذلك يوسعوا لأنفسهم من المضرات كالشيبس وغيره وغيره، وكلها أضرار وأمراض، لماذا؟ لأنهم يحتاجون إلى نظرة العطف والحنان.

التصوف الصحيح

الإمام أبو العزائم ﷺ يعلِّمنا في قصة حقيقية هذا الأمر ...

والإمام أبو العزائم يعلِّمنا التصوف الصحيح، فيقول:

((تزوج أجمل النساء، وافرش أفخر المفروشات، وكل أشهى الطعام، واشرب أروى الشراب، على أن يكون ذلك من حلال، ثم تشكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه بعد ذلك))

فما بال هؤلاء الذين يمنعون أنفسهم عن الطيبات؟ من الذي قال لهم افعلوا ذلك؟!

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (الأعراف ٣٢)

وليست الطيبات فقط، بل والزينة أيضاً، من الذي حرمها؟!.

فكان الإمام أبو العزائم من أوائل الذين اقتنوا السيارة حين اختراعها، لماذا؟ قال:

لتساعدني في دعوة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فبدلاً أن أذهب للبلاد البعيدة ماشياً أو راكب ركوبة، أذهب بالسيارة فتختصر الوقت، وتحمل معي أيضاً مجموعة، وتحمل معي أيضاً أغراضي وأثاثي، فكان له سائق، هذا السائق كان نصرانياً، فهداه الله علي يديه وأسلم، وسماه صُهيب الرومي، على اسم سيدنا صُهيب الرومي رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه.

فذات يوم قال له: يا بني زُر أمك التي أرضعتك لبن الإسلام، فذهب لأمه وهي نصرانية وقال لها: سأسألك ولكن أُصدقيني، هل أرضعني أحدٌ غيرك؟ قالت له: نعم، كنا نسكن بجوار عائلة مسلمة، وأنا بعد ولادتك تعبت، ومنعني الأطباء من إرضاعك، فكانت جارتنا المسلمة هي التي أرضعتك، وكان هذا اللبن الذي رضعه سر إسلامه.

سيدنا الإمام الحسن البصري ﷺ :

كان أول الزاهدين الورعين، وأول من أسَّس طريق التصوف في ديننا القويم، من أين أتى له ذلك؟

أمه كانت خادمة عند السيدة أم سلمة زوجة حضرة النبي ﷺ، والسيدة أم سلمة بلغ عمرها إلى ما يزيد عن الثمانين عاماً، فلما ولدته أمه كانت أحياناً تذهب لقضاء حاجة للسيدة أم سلمة وتتركه عندها، فيجوع الطفل ويبكي، فماذا تفعل السيدة أم سلمة؟

ذات مرة أمسكته ثديها لكي تُسكته، فكانت إرادة الله أن نزل لبنٌ من ثديها في فمه، وكانت لا تُرضع لأنها قد بلغت الثمانين!، قالوا: بسر هذا الرضاع كان أذكى الناس وأعبد الناس وأورع الناس رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه.

مع الرضاع ماذا تفعل الأم؟

تُهدهد على الطفل، وتنظر له، وهذه النظرات تُنزل له عطف وحنان وشفقة ومودة، فتملأ جوانح قلبه بهذه العواطف الإلهية، وهذا لا يتأتى إلا بذلك !!!

لكن المُرضعة الأخرى المستأجرة من أين تأتي له بهذا؟ لا يوجد، فهي تريد أن تُؤدي رسالتها لتأخذ أجرها فقط.

فأي عمل يعمله المرء لله يتقدمه نيةٌ خالصةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو ذِكر الله ﷻ، كأن أزور مريض، أو أشارك في جنازة، أو آخذ بيد أعمى ليعبر الطريق، أو أعمل أي عمل وتسبقه نية صالحة، فهذا العمل ذكر لله ﷻ.

فالذكر ليس حركة اللسان، وإنما حركة الأبدان في طاعة الرحمن ﷻ.

البلاء والاجتباء

سيدنا رسول الله ﷺ كان قد قال لأصحابه – وهذا سبب نزول هذه الآية – أن الأحزاب سيأتوكم بعد تاسع أو عاشر يوم، ولذلك عندما رأوا الأحزاب:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ هذا الذي وعدنا به الرسول: ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ وهذه حقيقة، وفي الوقت الذي حدده: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ التسليم لله ورسوله.

وهذا كذلك يحدث مع أتباع الصالحين.

فإن الله ﷻ من حكمته العلية تطهير قلوب الصالحين، والله لا يطهر القلوب إلا بما يتوالى عليها من المحن والكروب، وهي التي توحد الهمم، عندما ينزل بالإنسان همٌ أو غمٌ أو كرب أو شدة، يكون كله مجموع في هذا الأمر، وهذا المطلوب حتى يتوجه إلى الله ﷻ.

ولذلك قال رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُو اللَّهَ ﷻ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ، وأَخِّرْهَا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو اللَّهَ ﷻ وهُوَ يُبْغِضُهُ، فَيَقُولُ: اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ بِإِخْلاصِهِ، وعَجِّلْهَا، فَإِنِّي أُبْغِضُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ }[٢٤٩]

قال ﷺ:

{ مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ }[٢٥٠]

إذاً ما الذي يُطهر القلب والفؤاد؟ ... البلاء! !!

ولكن للإنسان الذي لا يتسخَّط فيه على قضاء الله، .. ولا يشكو الله إلى خلق الله، ... وإنما يرضى ويسلم بما أمره به مولاه، ... ويعمل ويصنع كما يصنع رسول الله، فيتأسى به في هذا المقام.

ونزول البلاء ليس معناه أن أرضى بالبلاء وأقول: إذا كان الله يريد أن يرفعه فيرفعه، لكن أنا أسعى وُسع طاقتي، وأستعين بالدعاء، وأحاول أن أستغيث بكل ما أملك لتحقيق الرجاء، ولكن آخذ بالأمرين كما كان ﷺ يفعل في كل أموره.

فهذا يزيد الإنسان في درجات الإيمان، ... ويزيد الإنسان في الرقي والقرب إلى حضرة الرحمن ﷻ.

فالمؤمن مُصاب ولا بد أن يأتيه بلاء، وهل يعيش في الدنيا بغير عناء؟!

امرأة من السلف الصالح في عصر التابعين تزوجت رجلاً صالحاً، وعاشت معه فترة ولم تجده يشكو من ألم أبداً، فتنتظر أن يأتيه زكام أو صداع أو غيره فلا يأتيه شيء.

وفي النهاية قالت له: هيا نذهب للمأذون، فقال لها: لِمْ؟ قالت لمصلحة، وهي تنوي أن تطلب الطلاق، وأثناء مسيرهما تعثَّر، فقالت له: نرجع، فتعجب وقال لها: لِمْ؟ قالت له: في الفترة الماضية كلها لم يُصبك أي أذى، فقلت إن الله نَسيك:

---

٢٤٩ معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه، والترغيب في الدعاء للمقدسي عن أنس ﷺ
٢٥٠ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ (١٩الحشر) ... فلما ذكرك بهذا الأذى، ... قلت لا يزال الله يذكرك.

لأن المؤمن دائماً حياته بهذه الشـــاكلة، حتى لا يركن إلى غير مولاه طرفة عين ولا أقل، ودائماً يلجأ إلى الله ... لو الإنسان وُسع عليه في الدنيا قليلاً:

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ (العلق)

سيتكاسل عن الطاعات ويتكاسل عن الأوراد، ويتكاسل عن العبادات لأنه يرى الخيرات عنده متدفقة ....

ولذلك ورد في الأثر: **((فرعون موسى عاش أربعمائة ســـنة لم يشـــكو مرة واحدة من وجع في رأســـه، قيل: حتى لا يقول يا رب))** ... الله لا يريده أن يقول: يا رب، فجعل له الحياة كما نرى الكافرين والجاحدين والمشـــركين، نســـأل الله وتعالى الحفظ والسلامة أجمعين.

إشارة سلوكية

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ ﴾

في هذه الآيات إشارة سلوكية عالية وغالية:

فنحن عندما نقرأ القرآن علمونا مشايخنا أن أقرأ القرآن على نفسي !!!

يعني الخطاب لي، وأنا أُمَّةٌ، وفيَّ كل شيء، فيَّ السماء، وفيَّ الأرض، وفيَّ الجبال، وفيَّ البحار، وفيَّ كل شيء.

فالأحزاب عندي بداخلي:

حزب النفوس الذين يريدون أن يضـــيعوني، وحزب النفس الإبليســـية، والنفس الجمادية، والنفس النباتية، والنفس الحيوانية، هؤلاء كلهم ماذا يريدون؟

- النفس الجمادية تريد أن تجمد الإنســـان، يعني تجعله يكســـل لعمل طاعة من الطاعات، وتحتاج لجهاد.

- والنفس النباتية تجعل كلَّ همه في الأكل، حتى تنمو.
- والنفس الحيوانية التي تجعل الإنسان كل همه والعياذ بالله النكاح وما شابه ذلك.
- والنفس الإبليسية هي النفس التي تفرح، والتي ليس لها عندنا مطرح، تفرح في أن توقع بين الأحباب، وتجعلهم يختلفون مع بعضهم، وتفرح في التفرقة بين المسلمين، وتفرح في إلقاء العداوة بين المتآخين في الله ﷻ، وهذا الشخص يكون ماشياً على نهج إبليس، ولذلك نسميها النفس الإبليسية.

وهذه النفس وغيرها موجودة في أي إنسان، وهذه هي الأحزاب التي تريد أن تهجم على النفس الملكوتية التي تريد أن تأخذ الإنسان إلى الملكوت الأعلى، وإلى الطاعات والقربات، وإلى الاقتداء بسيد السادات، وتُثبِّط همتها، وتخذل عزيمتها.

عندما يرى الإنسان السالك إلى الله الأحزاب، فيتذكر الأحزاب في نفسه، والمفروض أن تبدأ بهم وتحاربهم، وتحاول أن تقضي عليهم، قال ﷺ:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }[٢٥١]

وهذه كانت غزوة بين الرسول والرومان، والرومان كان عددهم مائتي ألف، وجيش المسلمين كان عددهم ثلاثون ألفاً ....

فهل مائتا ألف في مواجهة ثلاثين ألفاً يكون جهاد أصغر؟!! نعم ...!!! ....

لأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى.

فالنفس والهوى هما المصيبة الكبرى,

والعقبة العُظمى أمام أي إنسان يريد أن يكون قريباً من حضرة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والنفس تحتها سلسلة نفوس وقد أشرنا إلى بعضها، ومن يُرد شرحاً مستوفياً فعندنا كتاب (النفس وصفها وتزكيتها)[٢٥٢]، ولكن يحتاج لقراءة بتأني وتدبر، لأنه فيه وصف كامل لهذه النفوس، وكيفية القضاء على نزعاتها التي لا ترضي المليك القدوس ﷻ.

---

٢٥١ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر ﷺ

٢٥٢ طبع الكتاب أكثر من مرة ويمكن قراءته بموقع الشيخ وهو من الكتب النفيسة التى جلت الفرق بين أنواع النفوس ومقاماتها وهو ما اختلط على الكثير من المفكرين والباحثين باسلوب سهل ميسر.

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ كلما التقى الإنسان المسلم في حياته جماعة من أهل الشر يجتمعون عليه، أو جماعة من الذين يدَّعون المشيخة يشنِّعون عليه، أو جماعة من الذين يدَّعون العلم ينهشون في لحمه وأعراضه، يأخذوا الخبيث ويظهروه، والطيب يخفوه، فهذه كلها أحزاب، عندما يرى هذه الأمور ماذا يفعل؟ يعلم أنه مخصوص ومطلوب للحضرة العلية، ولذلك تكالبت عليه قوى الشر الظاهرة والخفية، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ على لسان الحضرة القدسية:

تريد أن ترى حسني وترقى ... بلا حربٍ شديدٍ لا يكون
فمن رام الوصال إلى جنابي ... أصفِّيه وفي هذا فتون
تمسك إن أردت القرب مني ... بسنة أحمدٍ فهو الحصن الحصين

تمسك فقط بسُنَّة رسول الله في وسط هذه المعامع والجهات، لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن كثير من الأحباب يذكِّروني بما فعل بعض الأصحاب مع رسول الله ﷺ، يظن أنه عندما يدخل طريق الله وينتمي إلى الصالحين من عباد الله، فسوف يعيش في الدنيا وهو في الجنة، لا تأتيه مشاكل، ولا ينتابه هموم، ولا غموم، بل ويعيش في الدنيا وكأنه في الجنة، فالرسول ﷺ قال:

{ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }[٢٥٣]

الدنيا سجن المؤمن لماذا؟

لأنه يسجن حواسه الظاهرة في أحكام الشريعة المطهرة، فلا يجعل عينيه تنظر يميناً وشمالاً كما تريد: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ (٣٠النور).

ولا يجعل فمه يأكل كل ما لذَّ وطاب ولا يسأل أحلال أم حرام، وهكذا كل الأعضاء، فأصبحت حواسه مسجونة في قيود الشريعة المطهرة.

هم يرونها سجن، لكنها جنة لمن يصبر مع الله، ويجلو الله له بصيرته، ويرى بنور الله ما خصَّه به مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢٥٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

ذهبوا لحضـــرة النبي في بداية الدعوة الإســـلامية عندما كان الكفار يُؤذوهم، ويضربوهم، وقالوا له:

{ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ }[٢٥٤]

يأتون بمشـــطٍ حديد من جبروتهم ويمشـــطوا اللحم – وهو حي – من العظم، من منكم يتحمل هذا الكلام؟! هم كانوا يتحملون هذا الكلام وذلك ليُغير عقيدته، فلا يغير عقيدته أبداً.

وبشرهم – وكان لا بد أن يُبشر – أن الله سيتم هذا الأمر حتى يمشي الراكب من صـنعاء إلى حضـرموت لا يخشـى إلا الله، وفي رواية أخرى قال رسـول الله ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه:

{ يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ }[٢٥٥]

تمشـــي وحدها لا تخاف أحداً أبداً، والعلماء الفقهاء كانوا يأخذون من الأحاديث خلاصـتها، فالمتشـددون يقولون: المرأة لا تسـافر أي سـفر إلا إذا كان معها محرم، لكن الإمام الشـافعي رضي الله عنه، قال: لا، واستشـهد بهذا الحديث الصـحيح، فالرسول لم يقُل معها محرم ولا غيره، ولكن من باب الإحتياط وطالما ذهبت لحج البيت الحرام، يكون معها نسوة مؤمنات قانتات، وتكون رفقة صالحة تمشي معها تؤنسها في هذا السفر.

فانظر كيف كانوا يأخذون الأدلة؟!

٢٥٤صحيح البخاري والنسائي عن خباب بن الأرت رضي الله عنه
٢٥٥ صحيح البخاري ومسند أحمد

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (٨٣النساء)

فهل يصح لأحدٍ منا أن يستنبط من كتاب الله ومن سنة رسول الله؟ لا !! لا بد أن يكون قد أخذ الدورة:

﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾ نفرٌ من الأجسام والنفوس بالقلوب والأرواح إلى حضرة المليك القدوس: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ من ربِّ العالمين

﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ (١٢٢التوبة) ...

هؤلاء الأئمة أخذهم الله بالكلية، وعلَّمهم العلوم الوهبية والقرآنية، وأمرهم أن يرجعوا فيُعلِّموا غيرهم من عطاء الله ﷻ الذي اختصهم به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

سر البلاء

لكن هل يوجد أحدٌ في الدنيا يطمع أن يكون مؤمناً ويعيش في الدنيا بدون بلاء؟ لا ، سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟، قَالَ:

{ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ }[٢٥٦]

ولذلك خصَّ الله كل نبي ببلاء غير الآخرين، لماذا؟ حتى يكونوا جميعاً حجة لله على خلق الله، فمن يقول: لماذا أعطاني الله بنات ولم يُعطيني أولاداً ذكور؟ نقول له: انظر إلى إمام الرسل والأنبياء ﷺ، وإلى سيدنا لوط.

يقول: لماذا أخرني الله في الإنجاب ولم يجعل لي ذرية طيبة من البداية؟ نقول له: انظر إلى سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء لم يُنجب إلا في الثمانين، وسيدنا زكريا.

يقول: أنا في عملي مسئول ومشغول ولا أستطيع أن أُؤدي الطاعات كما يحب الله ويرضى، فهل أنت مشغول أكثر من شغل سليمان بن داود؟! آتاه الله ملكاً عظيماً فكان ملك للجن والإنس والطيور والحيوانات، ومع كل هذا لم يغفل عن الله ﷻ في ذلك كله طرفة عين ولا أقل.

وهكذا عندما تبحث في القرآن في قصص رسل الله، ستجد أن كل واحد منهم

٢٥٦ مسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

اختصه الله ببلاء، حتى يكون قدوة للأتقياء والأنقياء.

الشيخ فلان يقولون عليه شيخ عظيم ولكن زوجته لا تمشي على نهجه وتعاكسه على الدوام، فعندنا امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ (التحريم) والخيانة أنها كانت تنقل أسراره، لكن مُحرمٌ على نساء الأنبياء الخيانة الزوجية، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حفظهم من ذلك.

فلان رجلٌ صالح ولكن له ابن لا نعرف كيف أتى؟! مع أن أبوه لا يأكل حرام ولا شيء من ذلك، فهل نسيت ابن نوح؟ ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ (هود) وأخذ يحاول أن يقنعه لكنه رفض، حتى قال: ﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ (هود) يعني كله على بعضه عملٌ غير صالح، وفي قراءة أخرى: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِح) يعني عمله غير صالح وأنت غير مسئول عنه، حتى لا نعاير أحداً في الدنيا بقضاء الله وقدر الله، قال ﷺ:

{ لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ }[٢٥٧]

يعني لا تعيروا أحداً بذنب، فعسى الله أن يشفيه ويبتليك بنفس الذنب الذي عايرته به، وماذا نفعل؟ نشكر ونفعل كما علَّمنا رسول الله:

{ مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ }[٢٥٨]

سيدنا رسول الله يوجهنا ماذا نقول، لكن هل نعيب عليه؟ لا أو هل نعايره؟ لا، فهذا ليس من أخلاق المؤمنين الصادقين، إذاً البلاء من الله، ولكن فيه سرٌّ لعباد الله الصالحين، قبل أن ينزل عليهم البلاء، ينزل عليهم اللطف، فينزل على قلوبهم جُند اللُطف ومدد اللُطف من عند الله، فيجعله ساعة البلاء يرضى، ولا يسخط ولا يتبرم ولا يشكو الله إلى خلق الله، لماذا؟ لأن الله أهله وجهزه بجند اللطف الذي أنزله المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على قلبه ... فهذا مما يزيد الإنسان في الإيمان، ويزيد الإنسان في التسليم للنبي العدنان ﷺ، ليدخل في قول الله تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء).

---

٢٥٧ جامع الترمذي والطبراني عن وائله بن الأسقع ﷺ
٢٥٨ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

رجال الصدق

ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأشار إلى بعض الرجال من المؤمنين السابقين في غزوة الأحزاب وغزوة بدر وغزوة أُحد وغيرهم، وأشار في الآية إلى رجال الله الصالحين بعدهم إلى يوم الدين فقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ ليس كل المؤمنين رجال، المؤمنين كلهم ذكور، ذكرٌ وأُنثى، لكن الرجولية صفة قرآنية لا بد أن يتصف الإنسان بها، على سبيل المثال في القرآن: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (﴿٣٧﴾النور).

هؤلاء رجال، وعندنا هنا رجال، من هم؟ ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ صدقوا، ولذلك الصدق أساس الطريق إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ (﴿٤٦﴾الأعراف) هؤلاء معهم علم السيميا، وهو علم الكشف الباطني، يعرف الإنسان عندما ينظر إلى حقائقه الباطنة بنور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (﴿١٠٨﴾التوبة) والتطهر هنا ظاهراً وباطناً، فهذه مواصفات الرجال الموجودة في القرآن.

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ (﴿٢٧﴾الحج) والحج هنا يعني القصد إلى بيت الله الحرام، وهذا قصد، لكن القصد الأعلى هو القصد إلى وجه الله، من الذي يأتيه هنا؟ الرجال في طريق الله، قال: (يأتوك) يعني يأتوك أنت، ولم يقُل يأتون إلى البيت الحرام، ولكن يأتوك أنت: ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ يعني على جسم نحيف من الصيام والجوع في طلب مرضاة الله: ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (﴿٢٧﴾الحج).

هؤلاء هم الرجال، وقال هؤلاء الرجال من المؤمنين، وليس المؤمنين كلهم، ولكن جزء من المؤمنين: ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وسبب نزول هذه الآية أن أحد أصحاب رسول الله واسمه أنس بن النضر وهو عم سيدنا أنس بن مالك الصحابي الجليل، وسُمي أنس باسمه، فكان قد فاتته غزوة بدر، فقال: لئن أحياني الله إلى مثلها، لأُرِيَنَّ الله ورسوله ماذا أفعل، فلما كانت غزوة أُحد، قاتل فيها قتالاً شرساً، فقابله أحد الصحابه وسأله: ماذا بك؟ ولماذا تشدُّ على نفسك؟ قال: إني أشُم رائحة الجنة، يعني هذه رائحة الجنة وأريد أن أدخلها، بعد المعركة وجدوا فيه بضعاً وثمانين ضربة، بين طعنة بالسيف، وطعنة

بالرمح، وضربة بسهم، ولم يعرفوه، إلا أخته عرفته من بنان أصابعه، فكان كل جسمه لا يظهر منه شيء من شدة الطعنات، فنزل فيه قول الله:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

حقيقة الصدق

بعض الصحابة الأجلاء سألوا رسول الله ﷺ ذات يوم وكان على منبره الشريف في المدينة المنورة: يا رسول الله من الذي قضى نحبه؟ ... وقضى نحبه لها معنيان، فالنحب إما النذر وإما الموت، فقضى نحبه يعني وفَّى بنذره، كالرجل الذي ذكرناه الآن، نذر أنه يعمل في هذه الغزوة كذا ووفَّى بالنذر، أو قضى نحبه يعني مات، وسيدنا طلحة بن عُبيد عندما هجم الكفار على رسول الله وقف أمام رسول الله ليحميه بنفسه، فكل سهم قادم يتلقاه نيابة عن رسول الله، وكل ضربة سيف يتلقاها عن رسول الله، حتى جاءته ضربة قطعت يده، وأيضاً لم يتحرك من مكانه وأخذ يدافع عن رسول الله ﷺ، إلى أن جاء سهمٌ بين أسنان رسول الله وحاول بعض الصحابة الأجلاء أن يشدوه، فقال لهم: لا دعوني أفعل ذلك، والسهم لم يخرج حتى خرجت معه أسنان سيدنا طلحة ﷺ، فنظر إليه ﷺ وقال:

{ طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ }[٢٥٩]

هذا من الذين وفُّوا نذرهم، وأخذوا أجورهم موفورة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومرة أُخرى يقول:

{ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ }[٢٦٠]

وفي الأثر:

((من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر))

مات عن هواه ومات عن حظه ومات عن شهواته في حب الله ورسوله ﷺ مع أنه يمشي على الأرض: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

---

٢٥٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ
٢٦٠ معجم الطبراني عن طلحة بن عبيد الله ﷺ

وبالنسبة لهؤلاء الرجال بعد انتقال أئمة الرجال الذين ذكرناهم وأشرنا إليهم، يوجد مؤمنين موجودين في كل زمان ومكان، ما علامتهم؟ الصدق في الأقوال، والصدق في الأعمال، والصدق في الأحوال، والصدق في كل أمر يتعلق بالواحد المتعال ﷻ.

- والصدق في الأقوال يعني لا يكذب أبداً، حتى ولو كان في ذلك قطع رقبته، قال الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: **((إذا كان الكذب يُنجي، فالصدق أنجى))**.
- والصدق في الأعمال أن يتابع رسول الله ﷺ وشريعته، ولا يبتدع شيئاً في دين الله غير وارد في عمل رسول الله وفي شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.
- والصدق في الأحوال أن يستحضر حال رسول الله الباطني، وحاله القلبي وهو يؤدي كل عمل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن يمشي على هذا المنوال يكون من هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والعهد إما العهد الذي كان في يوم ألستُ بربكم، وكلنا حضرناه ونوفي به في الدنيا، وإما العهد الذي حضرت فيه أرواحنا تحت بيعة الرضوان، وبايعت رسول الله ﷺ، وهذا أيضاً عهد، ونوفي بهذا العهد، وإما العهد الذي عاهدنا به أنفسنا أن نعمل لإرضاء الله، حتى نكون من الثُلة المقربة الذين يحبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ ﴾ منهم من قضى نحبه ووفَّى نذره، وصار من العارفين والصالحين، ومنهم ينتظر يعني لا يزال يمشي في الطريق، وهذا من السالكين، أو المريدين، ولكنه يمشي على هذا العهد المبين ليلحق بالصالحين.

﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ يعني الشرط هنا لا تبديل، يعني لا تبديل لكلمات الله، ولا تبديل لشرع الله، ولا تبديل لما جاءنا به حبيب الله ومصطفاه، ولا تبديل لما اختاره لنا الأئمة من الآداب والتربية في طريق الله، فلا نبدل شيئاً أبداً، فنحن متبعين لا مبتدعين.

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ منهم من يبلغه الله: ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٥القمر) لأنهم في مقعد الصدق، ومنهم من يجعله الله: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٦٩النساء) ومنهم من يُدخله الله في: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) كل واحد منهم يُنزله الله درجة من درجات المقربين، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

المشيئة الإلهية

وانظر إلى رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العُظمى في قوله: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ لم يُغلق لهم الباب، حتى المنافقين فتح الله لهم باب التوبة، (ويُعذب المنافقين إن شاء) أدخلهم في المشيئة، فلا يجوز لأحد منا مهما كان شأنه أن يحكم على فلان بالنفاق، أو على فلان بجهنم، أو على فلان بالكفر لعمل أو شيء قام به أو قدمه، لأن الحكم هنا لله.

ما دام دخلوا في المشيئة الإلهية، فهل يجوز لنا أن نتدخل في مشيئة رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ لا، لأنه ما دام فيه عينٌ تطرف فباب التوبة مفتوح، ولذلك قال: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ هو حرّ، إياك أن تقول: لماذا تاب الله على فلان؟ لا شأن لك بذلك، يحكي لنا حضرة النبي في القوم السابقين،

{ قَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ }[٢٦١]

لا شأن لك بهذا الأمر، فلماذا تضع نفسك في هذا الموقف؟

إن الله يغفر لمن يشاء ويُعذب من يشاء ... وباب التوبة مفتوح، لنعرف رحمة الله بالعباد، وشفقة الله حتى بالمنافقين، ورحمته حتى بالكافرين، يفتح لهم باب التوبة كما قال سيد الأولين والآخرين:

{ إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا }[٢٦٢]

يعني حتى تخرج الروح ويموت ..

فإلى خروج الروح باب التوبة مفتوحٌ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولعلكم تعلمون أن موسى نبي الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لما اعترض ابن خالته قارون، وقارون آتاه الله من الخزائن ما يعجز عن حمل مفاتحه الرجال أولو القوة من كثرة هذه الخزائن، فاغترَّ، وظن أنه لا يوجد له شبيهٌ ولا مثيل حتى ولو كان موسى نبي الله !!!

---

٢٦١ صحيح مسلم والطبراني عن جندب ﷺ
٢٦٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي موسى ﷺ

ففكَّر في مصيبة يُلصقها بموسى لينفرد بالشرف والعُلو في الأرض بغير الحق بين بني إسرائيل، فاتفق مع امرأةٍ مومس أن يأت بها في يوم العيد وبنو اسرائيل جميعاً حاضرون، وتقول أن موسى فعل معها الفاحشة، ومقابل ذلك وعدها بما لا يُعد ولا يُحصى من الأموال والخيرات.

وكان قارون قد صنع لنفسه كرسيًا من الذهب يجلس عليه في يوم العيد ليبين غناه وثراؤه الفاحش، ومهَّد لذلك وقال لبني إسرائيل ستسمعون خبراً طيباً عن موسى اليوم، فتجمَّع الناس ليشاهدوا ماذا سيحدث؟.

والله ﷻ يُعلِمنا أن قلوب العباد بيد رب العباد، هو الذي يُجري فيها الخواطر التي تخطر عليها، فالمرأة وهي ذاهبة للحفل قالت في نفسها، أنا لم أفعل في حياتي خيراً قط، وسأعمل اليوم خيراً لعل الله يتوب عليَّ، فقارون مهَّد التمهيد، وقال هذه ستقول لكم خبراً عن موسى، وتقول: إن موسى فعل بها الفاحشة، قالت له: لا، أنت من قال لي قولي: كذا وكذا، وموسى لم يصنع معي شيئاً، فظهرت البراءة:

﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ (٦٩الأحزاب).

سيدنا موسى كان فيه حِدَّة، وكان سريع الغضب، وهذه يعرفها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، فقال: يا رب أيبلغ الأمر أن يتهمني بالزنا، وأخذ يشكو إلى الله ويضرع إلى الله، فقال: يا موسى الأرض طوع أمرك فمُرها بما شئت، فقال: يا أرض خذيه، فتنشق الأرض، وقارون يقول له: تُبتُ يا ابن الخالة، فتعود الأرض مرة ثانية، فيقول: يا أرض خذيه، فتنشق الأرض، فيقول: تُبت يا ابن الخالة، فتعود الأرض مرة ثانية، وتكرر هذا الأمر سبعين مرة، كلما قال: يا أرض خذيه تنشق الأرض، والآخر يقول: تبت يا ابن الخالة، فترجع مرة ثانية وتتجمع، وبعد المرة السبعين ابتلعته، فعاتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقال كما ورد بالأثر:

((يا موسى يستغيث بك سبعين مرة فلا تُغثه!،
وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته)).

يعني لو قال: تُبتُ يا رب، كان فوراً سيقبله الله، ما هذا؟

هي الرحمة الربانية، والشفقة والعطف الإلهي الذي جعله الله ﷻ لكل البشر مع اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وألوانهم، ولأجل ذلك سمَّى نفسه الرحمن الرحيم الغفور

التواب الرؤوف، وهكذا من صـفات الله الجمالية والكمالية التي يفتح بها الله المجال لكل الناس، حتى لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

فعندما يكون ربنا على هذه الشاكلة ... فهل يجوز لي ولك أن نقنط إنساناً مهما فعل من رحمة الله؟! ... هل يجوز لي ولك أن نصـد أي إنسـانٍ مهما كانت معصـيته عن الرجوع إلى مولاه؟! بل بالعكس نحن نطمع في أي إنسـان مهما كان وزره وذنبه أن يرجع إلى الله ويتوب إلى الله ﷻ.

فقد ورد في بعض الآثار:

((إذا تاب العبد قال الله لملائكته: لقد تاب عبدي فلان، افتحوا أبواب السـماء لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته، فلَنَفَسُ العبد التائب عندي يا ملائكتي أعزُّ من السماوات والأراضين وما فيهن))

ماذا بعد هذه الرحمة الإلهية؟!! عندما يقول الله:

{ يَا دَاوُدُ أُنِينُ المُذْنِبِين أَحَبُّ إِلَيَّ مِن زَجِلِ المُسَبِّحِين }[٢٦٣]

أنا أحب الذين يئنُّوا من الذنوب التي فعلوها ليتوبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في عُلاه.

ولذلك قال الله بعدها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أتى بأسماء من الأسماء الحُسنى التي تقتضي المغفرة، غفوراً ورحيماً، وهي كلها من صفات الجمال الإلهية التي يشمل الله بها عباده.

قولوا جميعاً:

نسـتغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الا هو الحي القيوم ونتوب إليه، تُبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا، وعلى ما قلنا، وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً، وبرئنا من شـرور أنفسـنا، وسـيئات أقوالنا، وقبائح أفعالنا، وكل شـيء يخالف دين الإسلام، ونشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشـهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٦٣ كشف الخفا للعجلوني

خاتم النبيين[٢٦٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ (الأحزاب)

أسباب نزول الآيات	قصة زيد بن حارثة	تغيير عادات الجاهلية
إبطال التبني	الذين يبلغون رسالات الله	أبوة النبي لأمته
خاتم الأنبياء	بقاء رسالته	صلاة النبي على المؤمنين
إشارة لطيفة في آية: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ ﴾	خطاب الله في الآية للمؤمنين	واجب المسلمين نحو الرسول ﷺ

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على فضـــله الذي اختصـــنا به، ونوره الذي هدى قلوبنا به، وحبيبه ومصـطفاه ﷺ الذي نجاتنا بسـببه، وكتابه الكريم الذي جعله صـيدلية شـفاء لنا في كل ما نحتاج إليه في كل أمورنا في دنيانا وأخرانا، والصـلاة والسـلام على الحبيب الأعظم، والنبي الأكرم، صاحب النور الأفخم سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الآيات التي معنا تتحدث عن بعض التفضـلات الإلهية التي تفضـل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها على الحضرة المحمدية، وهي له خصوصية ....

ولذلك نحن نتابعه في الشـريعة العامة، أما في خصـوصـياته الخاصـة فليس لنا شـأنٌ بها، وإنما نعلم قدره ونعرف مكانته عند ربه بذكرها.

---

٢٦٤ المقطم – مجمع الفائزين ١٩ من ربيع الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١١/٢٥م

خصـــوصـــيات الحبيب ﷺ ألمعنا إلى كثير منها في كتابنا (خصـــائص النبي الخاتم) فجئنا بخصائصه في الأولية، وخصائصة التشريعية، وخصائصه في حياته الدنيوية، وأحطنا قدر الإستطاعة بما ألهمنا به الله من خصائصه التي خصه بها رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

من جملة هذه الخصائص، أنه ﷺ كان – كما يُحكى عن حضرته – أشد حياءًا من العذراء في خدرها، يعني أشد في الحياء من البنت البكر المستورة في بيتها على قدر زمانه وما بعد زمانه إلى عصر قريب، فكانت البنت البكر كأنما لدغتها عقرب إذا رآها إنسانٌ لا يحل لها من شـــدة حيائها، ويحصـــل لها دهشٌ ربما تقع من طولها، وربما لا تســـتطيع السيطرة على أعصابها، تتلعثم الكلمات في فمها من شدة حيائها.

ومع ذلك كان النبي ﷺ بما خصَّـــه به مولاه أشـــد الناس حياءًا من بدء الدنيا إلى نهاية النهايات، فكان عندما يأمره ربه بخصيصة من الخصائص يستحي أن يأمر بها، أو يطالب من حوله بفعلها، والله وصفه بذلك في سورة الأحزاب فقال له: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُـــنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

تستوقفنا أولاً كلمة (فرض الله له) أي أن خصوصياته فرض وليست نافلة، وما دامت فرضاً فلا بد من تنفيذ أمر الله مهما كانت العواقب، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يأمر إلا بخير.

أسباب نزول الآيات

وسبب نزول هذه الآيات والتي توضح سبب هذا القول، أن العرب قبل الإسلام كان في شـــرعتهم وعرفهم وتقاليدهم، أن المرء قد يتبنَّى طفلاً وينســـبه إليه، حتى يُصـــبح رجلاً منسوباً إليه، وهذا الطفل إذا كبر وإذا صار رجلاً يصير كالابن الصُلب تماماً بتمام، له حقٌ في ميراث أبيه، ولا يجوز لأبيه أن يتزوج مطلقته.

والرســـول ﷺ كان من فضـــل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه أن كل الكون بما فيه كان يحبه للجمال الذي جمَّله به خالقه وباريه، حتى الجبال، فقد قال ﷺ: { أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }[٢٦٥]، نحن نظن أن الجبال لا تعقل، ولكنه قال (يُحبنا ونُحبه) يعني حتى الجبل يحب رسول الله ﷺ.

---

٢٦٥ معجم الطبراني ومسند أحمد عن سويد الجهني ﷺ

وعندما كان ﷺ يخطب الجمعة في المدينة المنورة كان يسند ظهره على جذع نخلة، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قال: { أَنّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى جِذْعٍ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ فَيَخْطُبُ النَّاسَ، فَجَاءَهُ رُومِيٌّ، فَقَالَ: أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ؟ فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّالِثَةِ، فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ، خَارَ الْجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمِنْبَرِ، فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ، فَلَمَّا الْتَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ، لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدُفِنَ }[٢٦٦]، وفي رواية أخرى:

{ فَلَمَّا فَارَقَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِذْعَ وَعَمَدَ إِلَى هَذِهِ الَّتِي صُنِعَتْ لَهُ، جَزِعَ الْجِذْعُ فَحَنَّ كَمَا تَحِنُّ النَّاقَةُ حِينَ فَارَقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فرَجَعَ إِلَيْهِ النبي فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اخْتَرْ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، فَتَكُونَ كَمَا كُنْتَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا فَيَحْسُنُ نَبْتُكَ، وَتُثْمِرُ فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَخْلِكَ فَعَلْتُ، فَسُأَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: اخْتَارَ أَنْ أَغْرِسَهُ فِي الْجَنَّةِ }[٢٦٧]

لو لم يحتضنه النبي لظل يبكي إلى يوم القيامة، لماذا؟ حنيناً لرسول الله ﷺ، وأنه سيُحرم من اتكاء الحبيب ﷺ عليه عند حديثه، ولذلك سيدنا عمر ﷺ خاطب رسول الله ﷺ ذات مرة فقال: يا رسول الله إذا كان جزعٌ حنَّ إليك، فأمتك أولى بهذا الحنين، يعني أولى بنا نحن أن يكون عندنا شيء من هذا الحنين إلى حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

وكان ﷺ من حب الجمادات له – والحديث في هذا ليس له نهاية – إذا مشى على الرمل يتماسك الرمل حتى لا تغرز قدمه فيه فيكون سهلاً في المشي عليه، فلا يظهر لقدمه أثر، وإذا مشى على الصخر يلين تحت قدمه ﷺ حتى يظهر أثره فيه، وذلك حتى لا يُجهد في المشي عليه صلوات ربي وتسليماته عليه، فكان كل من رآه ﷺ أحبه، وكل من أحاط به من الكائنات حنَّ واشتاق إليه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٢٦٦ سنن الدارمي وابن خزيمة عن أنس ﷺ

٢٦٧ سنن الدارمي عن بريدة بن الحصيب ﷺ

قصة زيد بن حارثة

فعندما تزوج النبي ﷺ من السـيدة خديجة بنت خُويلد ﵂ وهبت له عبداً كان عندها اسمه زيد بن حارثة، وزيد هذا عاش مع النبي، فرأى من أحوال النبي وأخلاق النبي ما جعله لا يسـتطيع أن يفارق النبي لحظة ولا طرفة عين – وفي هذا الوقت كان قطاع الطريق يخرجون على المسـافرين فيقتادون واحداً منهم ويأخذونه ويبيعونه على أنه عبد، أو في الحروب التي تحدث بين فريقين أو قبيلتين – فزيد أمه كانت قد أخذته معها لزيارة أخواله، فأخذوه منها وباعوه، فأخذ يبحث عنه أبوه وأعمامه وأخواته ليردُّوه إليهم، وبعد بحث جهيد عرفوا أنه بمكة، فجاءوا وسـألوا فعرفوا أنه عند محمد بن عبد الله، وكان هذا الكلام قبل نزول الوحي بالرسالة، فذهبوا إلى النبي ﷺ وقالوا كما ورد:

{ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا ابْنَ هَاشِمٍ، يَا ابْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، وَجِيرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ تَفُكُّونَ الْعَانِيَ، وَتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَهَلا غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: مَا ذاك؟، قَالَ: أَدْعُوهُ فَأُخَيِّرُهُ، فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا، قَالا: قَدْ زِدْتَنَا النَّصَفَ، وَأَحْسَنْتَ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، قَالَ: فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الأَبِ وَالْعَمِّ، فَقَالا: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، عَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ: يَا مَنْ حَضَرَ اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي، يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ أَنْفُسُهُمَا فَانْصَرَفَا، فَدُعِيَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ}[٢٦٨]

فتبناه رسول الله، ... وأصبح ابناً له كعادة العرب، .... فاستراح أهله لأن ابنهم لم يعد عبداً وأصبح حراً.

---

٢٦٨ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار عن ابن عباس رضي الله عنهما

تغيير عادات الجاهلية

هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وكان الرسول ﷺ يحطم كل عادات الجاهلية بالتشـــريعات الربانية القرآنية التي يا ليتنا نطبقها الآن في حياتنا على ما رجع إلى مجتمعنا من أشباه صفات الجاهلية.

فكان أهل الجاهلية في موضوع الزواج يعتزون بالحسب والنسب والمال، وأظن في هذه الأيام أصبحنا نفس الشيء، وما فعله سيدنا رسول الله تركناه ورجعنا إلى أحوال الجاهلية.

نريد الولد الحسيب، والولد النسيب، والذي وظيفته كذا، أو عنده كذا، والرجل الذي يعرف دينه لا ينظروا إليه، ونذكرهم بكلام حضرة النبي:

{ إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ }[٢٦٩]

وتكرره عشرات المرات، فلا أحد يسمع لأنهم يريدون ما في نفوسهم.

لكن ســـيدنا رســـول الله ألان الله له القلوب، فكان يحطم هذه العادات، ويبدأ بالأقرب فالأقرب، يعني يطبقها مع أقاربه أولاً، مثلاً نهى عن الربا في خطبة الوداع فقال:

{ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ،
وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَانَا رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ }[٢٧٠]

يعني ربا عمه، لأن الناس تريد ذلك، أي يبدأ بنفسه وبالأقرب فالأقرب.

فكان عنده بنت عمته السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها، وكانت جميلة وذات حسب ونسب، وأراد أن يزوجها من زيد ليكسر القاعدة، أن ذات الحسب والنسب لا تتزوج إلا بحسيب ونسيب، وهم كان لا يزال في مفهومهم حتى ولو كان زيد قد صار ابناً للنبي، إلا أنه ما زال في نظرهم عبداً، لأنها مفاهيم صعبة التغيير.

فخطبها ﷺ لزيد، وهي لم تجد في نفسها قبول وتريد أن تقول: لا، ولكنها لا تستطيع أن تعصى حضرة الرسول، فنزل قول الله:

---

٢٦٩ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ
٢٧٠ سنن ابن ماجة ومسند أحمد

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (٣٦الأحزاب) من لا يسمع أمر النبي يكون عاصياً.

فوافقت وتزوجت زيد بن حارثة، لكنها من البداية لم يكن عندها قبول، فكانت تتعالى عليه بحسبها ونسبها، وكان دائماً بينهما عدم وفاق واتفاق، وهي لا تعرف أن هذا الزواج كان بأمر الله لإبطال هذه العادات التي تمسك بها الكفار وشريعة الله تُنهي عليها.

فأول عادة هي أن الناس لا يتزوجون إلا صاحب الحسب والنسب فانتهت هذه العادة.

وزيد كان يشتكي لرسول الله من معاملة زينب ويريد أن يطلقها، فيقول له كما أخبر الله: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (٣٧الأحزاب) اصبر عليها، وهذه يحتاجها شبابنا في هذا العصر، فالطلاق كثر، نتيجة التسرع وعدم الروية والتفكير السديد.

تحدث أي مشكلة صغيرة فعلى الفور هي نفسها تقول له: طلقني، ولذلك زادت نسبة الطلاق عن الحد !!

لكن لو أن الشباب سمعوا قول الله كلما حدثت مشكلة:

﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (٣٧الأحزاب) ...

وابحث عن سبب المشكلة بالرفق واللين وحلها، واجعل القياس الإلهي بينكم:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴾ (٢١الروم).

كيف تكون المودة والرحمة؟

بالرفق واللين والمحبة والمودة والإيثار والأخلاق الطيبة والكلمات الحسنة، أي زوجة وأي بنت ما كل ما يعنيها؟

الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة ....

أنت رجعت من عملك متعب أو أحد ضايقك، فما ذنبها؟! أنت تحكي لها التفاصيل باللطف، وقد تسمع الحل منها، فحضرة النبي كان يسمع من زوجاته ويجد عندهم الحل للمعضلات الكبرى، فما المانع أن نعمل نفس الأمر؟!.

إبطال التبني

فالله ﷻ يريد أن يُبطل عادة الجاهلية في أن الابن بالتبني يرث الأب، والأب لا يجوز له أن يتزوج طليقته، وطبعاً لم يعد للتبني وجود في الإسلام كما تعلمون، فالإسلام نهى عن التبني.

ولذلك من المشكلات العصرية أن كثير من الأسر التي لا تنجب يذهبون لبعض الملاجئ ويأتون بطفل ويكتبوه باسمهم ويكون مثل ابنهم، فهذا لا يجوز شرعاً.

لا يجوز أن يرث أباه بالتبني، وإذا كبر لا يجوز له أن ينظر إلى زوجة أبيه وهي حاسرة، وإن كانت بنتاً وكبرت لا يجوز للزوج أن ينظر إليها وهي حاسرة، لأنها ليست ابنته.

نريد أن نأتي به ونربيه ولكن يحتفظ باسمه واسم أبيه فلا مانع، ولكن إذا كتبناه باسمنا نحن فأصبح له حق الميراث، وأصبح لنا حق الإطلاع عليه وله حق الإطلاع علينا، وهذا أمرٌ يحرمه شرع الله ودين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلا يوجد تبني في الإسلام، ولكن توجد كفالة، آخذه وأكفله كفالة يتيم مثلاً، وكفالة اليتيم أيضاً في عصرنا تحتاج إلى الشروط الشرعية، الأفضل أن تقوم بها هيئة، حتى لا يحدث شيء بين الأفراد، كأن يكفل يتيم لأنه يطمع في أمه، وفي سبيل أن يتردد عليهم كل شهر ليعطيهم المال قد يمتد الحوار مع أمه، ويزيد الحوار، وينشأ ما لا يحمد عقباه، لكن لو هيئة تتولى هذا الأمر وهي التي تسلمهم المعونة، فينتهي هذا الأمر.

واليتيم ليس في حاجة إلى المال كحاجته إلى العطف والحنان والشفقة والمحبة والمودة التي يأخذها الابن من أبيه.

فلما أصر زيد على أن يطلق زينب، تركه ﷺ يطلقها، وبعد أن طلقها أمر الله ﷻ النبي ﷺ أن يتزوجها، وهذه التي قال فيها الله تعالى:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يعني أنت لا تستحي في تنفيذ أمر الله ...

وهذا شرع يضعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لجميع الأنام إلى يوم الزحام:

﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ (٣٧الأحزاب).

حتى أن الله ﷻ لما أبطأ ﷺ في تنفيذ الأمر، قال له:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ (٣٧الأحزاب)

لا مفر فأنا الذي سأزوجك، من الذي زوجه؟

الله، ولذلك تزوجت بدون مهر ولا شهود ولا عقد، ...

لأن الذي زوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لماذا؟ ... بيَّن الحكمة:

﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ (٣٧الأحزاب)

حتى نبطل هذه القاعدة الجاهلية التي كانت موجودة.

وكانت السيدة زينب ﵂ تفتخر على زوجات النبي فتقول لهم:

{ زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ }[٢٧١]

فلما نزلت الآية أخذها النبي ودخل على الفور، فلم تحتاج إلى عقد ولا شهود ولا شيء، لأن الله هو الذي زوجه ...

ولذلك قال له:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾.

وفريضة الله التي يفرضها عليك، فرضها على من كان قبلك من المرسلين والنبيين في بعض التشريعات التي شرَّعها لهم رب العالمين:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ من الأنبياء والمرسلين فلابد أن ينفذ ما أمره به مولاه وخاصة إذا كانت فريضة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾

لأن أمر الله قدَر لا مفر منه، ولا مهرب منه، ولا حذر منه، لا بد أن يحدث وإن طال وقته، فما دام الأمر كذلك فلا بد للرضوخ والسكون لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٢٧١ صحيح البخاري والترمذي عن أنس ﵁

الذين يبلغون رسالات الله

مَن هم الذين أمرهم الله ونفذوا أمر الله؟ الأنبياء والمرسلون، فوصفهم الله ﷻ بصفات طيبة، قرَّب إليها العلماء الوارثين والصادقين من المؤمنين في أمة محمد أجمعين، فقال الله ﷻ في وصف الفريقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ من الذي كان يبلغ رسالات الله؟ قبل بعثة النبي أنبياء الله ورسل الله، وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، من الذي يبلغ رسالات الله؟ العلماء الورثة، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ }[٢٧٢]

وكما ورد ببعض الأثر: **(عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ)** في الوصف والمنزلة والقدر والمكانة.

ما صفاتهم حتى نعرفهم؟ ﴿ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ العلماء العاملين الذين نالوا ميراث خير النبيين هم أهل خشية الله، والذين لا يخشون في الحق أحداً غير الله، ولا يمالئون في الباطل ولا يداهنون ولا ينافقون ولا يتلونون، فإذا وجدت رجلاً من هذا الصنف اعلم أنه من ورثة الأنبياء.

ولذلك كان سيدنا عمر ﷺ وأرضاه يقول: (سل الذي رأيته يخشى الله) إذا كنت تريد أن تسأل في مسألة دينية فهذا هو الذي تسأله.

لأنه يوجد آخر يبيع ضميره من أجل المال، يقول لك الفتوى التي تريدها مقابل المال، وهؤلاء ما أكثرهم الآن والعياذ بالله، فهل هذا يُؤتمن على فتوى شرعية؟ لا، فمن الذي أئتمنه وأسأله؟ الذي يخشى الله، ولا يخشى أحداً إلا الله، والإمام ابو العزائم ﷺ وأرضاه قال:

العلم يجعلني أخشى من الرب	أراقب الله بالأعضاء والقلب
إن لم أكن أخشى من ربي فمن جهلي	وإن علمت علوم الكشف والغيب
وإن تحصلتُ من علم ومن فقه	مثل الجبال الرواسي لم يزل حجبي

حتى ولو قرأ كتب الأولين والآخرين وليس عنده خشية لله، سيروي الحكم الشرعي

---

٢٧٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ

على حسب هواه، ويفصله على حسب ما يحتاج إليه السائلين من عباد الله، فهل هذا يصح أن يذهب إليه المسلمون ليسألوه في أحوالهم وفي تشريعاتهم؟ لا، بل نحتاج للعالِم الذي يخشى الله ولا يخشى أحداً إلا الله.

وإذا كان هو على هذه الصفة الطيبة النورانية القرآنية، حتى ولو تخلى عنه الخلق جميعاً لا يبالي، لماذا؟

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ يكفيه أن الله معه، وأنه يمشي على حسب مراد الله ولا يغير شيئاً من شرع الله على هواه، لأن آفة العلماء الهوى، وآفة الناس جميعاً الهوى، نسأل الله أن يحفظنا من الهوى أجمعين.

ثم قال الله ﷻ كما ذكر في أول السورة:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٥الأحزاب) لا تقولوا أن زيد بن محمد، ولكن انظروا من أبوه، وقولوا زيد بن حارثة.

أُبوة النبي لأمته

فقال الله:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ليس أباً لأحدٍ من الرجال، بل أب لنا كلنا، أب المسلمين: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ (٦الأحزاب) وفي قراءة: (وهو أبوهم) فهو أبونا كلنا ﷺ، وليس أبٌ لأحد منا فقط.

وهذه اسمها أبوة الروح.

فنحن كلنا أبناءٌ لحبيب الله ومصطفاه في عالم الروح، لكن أحكام عالم الروح غير أحكام عالم الشريعة، فأحكام عالم الروح أيضاً فيها ميراث، ولكن ليس ميراثاً حسياً، فالميراث الصلبي من عالم المادة إن كان عقارات أو عمارات أو أموال أو سيارات أو طائرات، كله ميراث حسي، لكن ميراث الأرواح التقية النقية قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[٢٧٣]

٢٧٣ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ

الأنبياء يورثوا العلم والنور، فالعلماء منهم من يرث العلم، ولن يرث العلم كله، ولكن يرث باباً من أبواب العلم، فمنهم من يرث علم الفقه، ومنهم من يرث علم الحديث، ومنهم من يكون له ميراث في علم التفسير، ومنهم من يكون له ميراث في علم المواريث والفرائض، ومنهم من له ميراث في علم السير وقصص الأنبياء والصالحين ... كل واحد يكون له ميراث.

ولا يوجد أحدٌ من الأولين أو الآخرين يستطيع أن يحيط بعلم من هذه العلوم، ولكن له نصيب من الميراث في هذه العلوم.

ومنهم من له نصيبٌ من نور الإيمان، أو النور في مقام الإحسان، أو النور في مقام الإيقان، فهذا ميراث الأمة الذي نسأل الله جميعاً أن يكون لنا نصيب فيه.

خاتم الأنبياء

وسبحان الله! أيضاً حضرة النبي ﷺ – تصديقاً للآية – كل أولاده الذكور ماتوا صغاراً، فقد أنجب من السيدة خديجة أبو القاسم الذي تسمَّى به، والطيب والطاهر، وماتا صغاراً، وأنجب من السيدة مارية القبطية إبراهيم ومات بعد ستة أشهر، لماذا؟ لأنه إذا كان إبراهيم أبو الأنبياء كل رجل تركه أعطاه الله النبوة، فما بالك بختام الأنبياء، إذا ترك رجلاً فلا بد أن يكون نبياً، ولا يوجد نبي بعده، فلم يعش واحدٌ منهم، لأنه ختام الأنبياء، قال ﷺ:

{ أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي }[٢٧٤]

فلا نبي بعده، ولذلك لم يكبر أحد من أولاده حتى بلغ درجة الرجولية وإلا فيكون نبياً، ولا نبوة بعد خاتم الأنبياء ﷺ.

قد يقول قائل أن سيدنا عيسى سينزل في آخر الزمان، نعم صحيح، فسيدنا عيسى نبي، لكنه كان نبياً في أمته، وعندما ينزل في آخر الزمان سيكون من أتباع حضرة النبي، ويكون من أتباع هذه الأمة، ولذلك الأحاديث التي تتكلم عنه عندما ينزل – والحقيقة هذه الأحداث قربت، فنحن على وشك أحداث هذه الساعة الكبرى – فبعض

---

٢٧٤ جامع الترمذي عن ثوبان ﷺ

الناس وخاصة المعتزلة ينكرون نزول سيدنا عيسى، ويقولون: عندما رفعه الله إلى السماء، لو كان حيٌّ فيها، هل السماء هل فيها دورة مياه ليقضي حاجته فيها أو ما شابه ذلك؟!! وللأسف حتى بعض مشايخ الأزهر المعاصرين ذكر هذه الحقيقة وأيدها، لكن هو عندما رُفع إلى السماء نام كنومة أهل الكهف، وأهل الكهف ناموا ثلاث مائة سنة ميلادية، أو ثلاثة مائة سنة وتسعة قمرية، أما هو فنام مدة طويلة، وهو نائم لا يحتاج إلى قضاء حاجة ولا طعام ولا شراب إلى أن ينزل.

ولماذا ينزل؟ حتى يُكمَّل قول الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (٣٨الرعد) فهو لم يتزوج، فينزل ليتزوج ويُنجب، فيكتمل حسب ما ذكرت الآية.

والله قال في القرآن: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ (٤٦آل عمران) لم يقُل ورجلاً بل قال: (وكهلاً) يعني رجلاً كبيراً في السن، وهو رُفع وعنده ثلاثة وثلاثين سنة، فلا بد أن ينزل ليكمل الآية ويكون كهلاً.

سينزل بعد أحداث الساعة الكبرى بعد الحرب الثالثة ليمارس مهمته التي اختص بها، فيعالج المنكوبين بنكبات كبرى من أثر الحروب الذرية والهيدروجينية وهذه الأمور بأمر الله وبإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وسينزل على المنارة في الجامع الأموي في دمشق، ويكون المسلمين قد فتح الله عليهم ودخلوا بيت المقدس، ويصلون الظهر أو العصر على اختلاف الروايات فيه.

من الذي يعرفه؟ لن يعرفه أيضاً إلا الورثة الأكابر لرسول الله، فكل فترة يخرج أحد المجانين إن كان في أمريكا ويقول: أنا عيسى بن مريم، أو في الهند ويقول: أنا عيسى بن مريم، فهل يصدقهم أحد؟ لا، لكن من الذي يعرفه؟ المؤيدين بإلهامات الله، فيأتيه إلهام بأن عيسى سينزل في المكان الفلاني ويوم كذا وساعة كذا، وهذه صورته لتعرفه، سيقدموه للصلاة – وهذا سر هذا الكلام الذي جئتُ به – فيقول عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: { إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ }[٢٧٥]

إمامكم منكم، وأنا سأُصلي خلفه، يعني أنا تابع لكم، فلا نبوة بعد رسول الله ﷺ

٢٧٥ مسند أحمد وشرح السنة عن أبي هريرة ﷺ

حتى ولو لعيسى بن مريم لأنه سينزل متمم لشريعة الله التي جاء بها سيدنا رسول الله ﷺ، وليقيم الحجة على الذين عبدوه وزعموا أنهم صلبوه أو قتلوه، قال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ }[٢٧٦]، ليعرفهم أنهم كانوا على خطأ، ولذلك قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ (النساء) يؤمنون به، ولكن بعد لأيٍ من الزمان، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ... قال ﷺ: **{ إِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلبِه، وإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلبِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب}**[٢٧٧]

ذرية النبي من أولاد الإمام علي والسيدة فاطمة، سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، فكلامه حق لا مرية فيه، لكن ليسوا في شريعة الله كالأولاد الصلب، هل يرثوا؟ لا، لكن يرثوا في الميراث الروحاني مثلنا، ولكنهم ربما يكون استعدادهم أقوى، وطهارتهم أقرب، فعندما يستقيموا فإن الميراث يأتيهم سريعاً وبسهولة، لكن الميراث الحسي هل لهم فيه شيء؟ لا، لأن ابنته السيدة فاطمة لم تأخذ ميراث، ذهبت تطالب سيدنا أبو بكر بميراثها، فقال لها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

{ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ }[٢٧٨]

فحزنت بعض الشيء، ولكنها عرفت بعد ذلك أن هذا هو الحق، فسلمت واستسلمت رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنها، فأولادها ماذا يرثون؟ في الميراث المعنوي، والميراث المعنوي شرطه الاستقامة على طريق الله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام) لم يقُل فامشوا عليه، ولكن قال: (فاتبعوه) فمن هو الصراط الذي نتبعه؟ سيدنا رسول الله هو الصراط الذي نمشي عليه في الشريعة، والصراط الذي نتبعه في العمل بالشريعة، لأنه هو أول من طبق الشريعة كما ينبغي لإرضاء الله.

فإذا طبقنا الشريعة بحسب هوانا فنكون قد بعدنا، لكننا لا بد أن نطبقها على حسب ما كان يعمل به ويطبقه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٢٧٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٢٧٧ معجم الطبراني والسيوطي عن جابر بن عبد الله ﷺ
٢٧٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

بقاء رسالته

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وهذا الأمر الآخر الذي نأخذه من الآية، أنه ﷺ حيٌّ بروحه الشـــريفة وذاته المنيفة إلى يوم الدين، فلو كان كما يقول الجاهلون: قد مات، فنحتاج إلى نبي، ومن يأتي بعدنا يحتاجون إلى نبي، ولكن هو حيٌّ وموجود فيقول:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٢٧٩]

والله يقول: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ ﴾ (التوبة) هل هذه الآية لمن كان في عصره فقط؟ لا، لو كانت لمن كان في عصره فقط فلنرفعها من القرآن، لكن هي لنا نحن أيضاً، وكلمة (فسيرى) في المستقبل، يعني سيرى الله عملكم ورسوله وكذلك المؤمنون.

هل توجد لحظة في الأربع وعشرين ساعة تخلو من مسلِّم عليه، إن كان في الصلاة أو خارج الصلاة؟ لا، وهو ﷺ يقول:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ }[٢٨٠]

أيضـــاً بعض الجهال يقولون: أن روحه غير موجودة، لا، فهو في جمع الجمع على ربه على الدوام، لشدة شوقه إلى حضرته لا يريد أن يفارقه طرفة عين ولا أقل، فيرده الله إلى حالة الفرق حتى يرد على هذا، ويرد على هذا، ويرد على هذا، لأن رد الســـلام منه له شيء كبير عند الله ﷻ.

كما ورد في بعض الأثر أن النبي ﷺ كان ذاهباً لبيت من بيوت الأنصـــار فقال: الســـلام عليكم، فلم يردوا، وكرر الســـلام ثلاث مرات، وبعد الثالثة ردوا، فقال: لِمَ لم تردوا علي من أول مرة؟ قالوا: يا رسول الله أردنا أن نستكثر من سلامك علينا.

ما هذه الأذواق الرفيعة؟! نريد أن نكثِّر السلام علينا منك أنت.

---

٢٧٩ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٢٨٠ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

صلاة النبي على المؤمنين

وذكَّرنا الله بشيء غريب وعجيب:

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (التوبة)

وما ذنبنا أنه لا يصلي علينا ما دامت الصلاة سكن لنا؟!

الأنصار ذوي الذوق الرفيع، كان عندما يموت أحدٌ منهم في الليل لا يبلغوا حضرة النبي حتى لا يوقظوه، فكانوا يصلوا عليه بعد أن يجهزوه ثم يدفنوه، فسأل ذات مرة عن أحدهم، فقالوا: قد مات يا رسول الله ودفناه، فقال:

{ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟! ثم قال: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ }[٢٨١]

ما الذي ينور القبور؟

صلاة حضرة النبي، وكذلك الأعمال الصالحة، ولكن الأعمال الصالحة هل نضمن أنها مقبولة أم لا؟!، لكن صلاة النبي ﷺ علينا دائماً هي التي تنور القبور.

وهل سيُصلي علينا نحن أيضاً؟

نعم، ففي عصر سيدنا عثمان بن عفان ﷺ مات الربيع بن خراش ﷺ، وكان إخوته كلهم صالحين، فأخوه ربعي بن خراش الذي أُرسل إلى ملك الفرس ليبلغه رسالة الإسلام ... فلما مات الربيع وغطوه، وذهب إخوته ليجهزوا المكان الذي سيُدفن فيه، ويجهزوا الغسل والكفن، وجاءوا، فإذا به يرفع الغطاء ويجلس ويقول:

{ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ، أَبْعَدَ الْمَوْتِ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقِيتُ رَبِّي ﷻ بَعْدَكُمْ، فَلَقِيتُ رَبًّا غَيْرَ غَضْبَانَ، وَاسْتَقْبَلَنِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانَ وَإِسْتَبْرَقٍ، أَلا وَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَعَجِّلُونِي وَلا تُؤَخِّرُونِي }[٢٨٢]

---

٢٨١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢٨٢ حلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

فتعجبوا وذهبوا للسيدة عائشة ﷺ وقصوا عليها الخبر ...

فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ }[٢٨٣]

فهذا هو الرجل الذي تكلم بعد موته، وعندما مات سيدي ذو النون المصري ﷺ وأرضاه، وكان من أخميم ولكنه عاش في آخر حياته في الجيزة، وهو أول من تحدث في علوم الولاية في مصر.

لما مات لم يكن موجوداً تلغرافات ولا تليفونات ولا وسيلة اتصال، فماذا كانت وسائل الإتصال؟ الرؤيا المنامية، فرأى مائة رجل من الصالحين في كل أسقاع مصر سيدنا رسول الله في المنام آتيا، وقال لكل واحد منهم: إن حبيب الله ذا النون يزمع المجيئ إلينا وقد جئتُ لاستقباله.

فلما سمعوا هذا من رسول الله لم ينتظروا حتى الصباح، فأخذ كل واحد منهم أتباعه وذهب لحضور الجنازة، ولذلك كان في جنازته مع قلة العدد في القاهرة وضواحيها أكثر من مليون شخص، فمن أسعده الله يحضر جنازة رجل صالح، قال ﷺ:

{ أَوَّلُ مَا يُجَازَى بِهِ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُغْفَرَ لِجَمِيعِ مَنْ شَيَّعَ جِنَازَتَهُ }[٢٨٤]

فهذا لمن يمشي، والذي يُصلي على الميت ما أجره؟ قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، وَلَمْ يَتْبَعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ }[٢٨٥]

وفي الأثر: **(من صلى على ميتٍ فله مثل أجره)** ومن منا يستطيع أن يعمل عمل الصالحين؟! لكن ستكبر أربع تكبيرات تنال أجره كله تماماً بتمام، ولذلك الناس كانوا يتنافسون على حضور جنازات الصالحين لهذه الأمور.

فكان أكثر من مليون شخص قد جاءوا إلى الجيزة لحضور جنازة ذو النون

---

٢٨٣ دلائل النبوة للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها
٢٨٤ سير أعلام النبلاء ومسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٨٥ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

المصري، وهو أوصى أن يُدفن في المقطم، كوصية الصالحين، فكلهم في المقطم، فخلف الإمام الشافعي ضريح سيدنا ذا النون، وسيدي محمد بن الحنفية، وسيدنا عقبة بن عامر.

سيدنا عمرو بن العاص عندما دخل مصر طلب الأقباط منه أن يترك لهم المقطم، فشاور سيدنا عمر وأرسل له، فقال له: سلهم لِمَ يريدون الإحتفاظ بالمقطم؟ قالوا: نجد في كتبنا أنه على ترعة من ترع الجنة، فقال عمر ﷺ: نحن أولى به منهم، اجعله مقبرة للمسلمين.

ومن وقتها والصالحون يقطنونه ...!!

ولذلك تجد خلوات كثيرة جداً موجودة في جبل المقطم للصالحين، ويوصون أن يدفنوا فيها بعد الوفاة، فسيدنا ذا النون أيضاً أوصى بأنه يُدفن في المقطم.

وأثناء سيرهم في الجنازة وكان ذلك بعد صلاة الظهر، وكان اليوم شديد الحرارة، أرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طيوراً سدَّت الأُفق فوق المشيِّعين، وترفرف بأجنحتها، فظللتهم وجاءتهم بالهواء، لماذا؟ لأنهم حاضرون جنازة رجل من أهل الجنة.

فسيدنا رسول الله ﷺ لا يخلو منه زمانٌ ولا مكان إلى أن يرث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأرض ومن عليها ... وإياكم أن أحداً منكم يجهل قدره ويحصره في المكان الذي هو فيه في المدينة، لأنه إذا ذُكر في أي مكانٍ حضر ﷺ، ومن استغاث به في أي مكان أو زمان أغاثه الله، لأنه مُعظَّمٌ عند مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس هو فقط في المدينة ففيها الجسم، لكن الروح تملأ الكون كله.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

وهذه تقطع كل أقوال الجاحدين والجاهلين ....

لأن علم الله ﷻ لا يصل إليه واصل، ولا يستطيع أحدٌ أن يحصله بعقله ولا بفكره، ولكن علم الله لا يصل إلينا إلا عن طريق الوحي المقدس عن سيدنا رسول الله ﷺ، أو على قدرنا عن طريق إلهامات العارفين.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يفتح علينا فتحاً مبينا، وأن يهدينا صراطاً مستقيما، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً.

إشارة لطيفة في آية: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾

إشـــارات القرآن تحتاج إلى أهل العيان، وليس أهل البيان، لكننا نحاول أن نلطفها ونذيقها للأحباب بفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الحقيقة أن أرقى علوم الذوق لمن يريد أن يتعلم علوم الذوق الرفيع في كلام الله تعالى لحضـــرة النبي ﷺ، فنســـمع من يقول أن هناك بروتوكولات يتعلمونها في الســـلك الدبلوماســـي، وبروتوكولات لرئاســـة الجمهورية، وبروتوكولات لغيره وغيره، لكن لا يوجد أرقى في الأذواق من كلام الخلاق ﷻ عندما يكلم حضرة النبي ﷺ ويقول له:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة).

ما هذا الجمال؟! ... لم يقُل له: لِمَ لم تأذن لهم؟ أو لماذا أذنت لهم؟ لكن في البداية يقول له: (عفا الله عنك) يعني لا تحمل هم نهائياً، ولكن لِمَ أذنت لهم؟.

وفي الآية التي معنا سر غريب، هل قال: ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله عليه؟ لا، ولكن قال: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ أرأيتم الأدب العالي والذوق الراقي من رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!.

لو قال: فرض الله عليه، فيكون أمراً مُحَّتماً لا بد أن ينفذه، لكن (فيما فرض الله له) يعني أنت لك الخيار، وعلى كلتا الحالتين أنت عندنا خيار الأخيار، لأنه لم يصـــل إلى ذوقك أحدٌ بأي قدر ومقدار.

الذي فرضه عليه تدرج فيه وتركه، فمثلاً قال له: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء) وكلمة (عسى) دائماً في القرآن بمعنى اللام وليس للترجي، يعني (ليبعثك ربك مقاماً محموداً) على الفور.

وبعد ذلك قال له:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ (المزمل)

وهذا على حسب إرادتك، يعني حتى الفريضة ترك له حرية آدائها.

خطاب الله في الآية للمؤمنين

بعض السادة الصالحين قالوا: نحن أيضاً بالقرآن مخاطبين، وعندما يقول لنا ربنا: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ ما الذي فرضه الله له علينا؟ هذا الذي نبحث عنه، الذي فرضه الله عليه هو حرٌ فيه، لكننا نبحث عما فرضه له علينا نحن، وهو لن يقول من شدة ذوقه الرفيع لا.

مثلاً سيدنا رسول الله صنع وليمة في زواجه من السيدة زينب بنت جحش، وبيت الزواج كان حجرة واحدة لم يكن غيرها، والطعام كان في حجرة العروس، والعروس دخلت، فماذا تفعل؟ وقفت في ركن من أركان الحجرة وظهرها لهم، حتى ينتهوا من الطعام، وكانوا جماعة يأكلون ويمشون ويأتي غيرهم، حتى جاءت جماعة جلسوا وأخذوا يتكلمون، فسيدنا رسول الله انتظر حتى يقوموا فلم يقوموا.

فقام سيدنا رسول الله وطاف على نسائه الأخريات، وعاد فوجدهم كما هم، فاستحى أن يقول لهم قوموا، مع أن هذا حقه، لكن الله ﷻ تولى هذا الأمر بالنيابة عن حضرته فأنزل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (٥٣الأحزاب).

يعني إذا دعيتم إلى طعام لا تقولوا ماذا سنأكل، فالموجود كله خير وبركة، وإذا انتهيتم من الطعام فامشوا على الفور، ولا تنتظروا للحديث.

ولذلك السادة الصالحون ومنهم الإمام أبو العزائم عمل لنا كتاب اسمه: (مذكرة المرشدين والمستشدين) يقول فيه:

(إذا دُعيت إلى وليمة فلا تذهب قبلها، ولا تمكث بعدها).

لأنك إذا ذهبت قبلها فإنهم يكونون مشغولون بتجهيز الوليمة، وأنت تشغلهم وتعطلهم، وبعد الوليمة يكونوا قد تعبوا ويريدون أن يستريحوا، فكيف تقعد معهم؟!.

هذا كله الأدب العالي والذوق القرآني الذي علَّمه لنا الله في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

واجب المسلمين نحو الرسول ﷺ

ما الذي فرضه الله علينا لرسول الله ﷺ؟

أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا وأموالنا وأهلينا والناس أجمعين، وتوقيره: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٩الفتح) وتوقيره يعني احترامه وتبجيله: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٦٣النور).

ننادي على بعضنا يا علي، يا موسى، يا فلان، لكن هل ننادي على رسول الله بنفس النداء؟! لا، بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا ذكرنا اسمه لا بد أن نتقدمه بالسيادة، والله أمره أن يكلِّفنا بالسيادة، فقال ﷺ:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ }[٢٨٦]

ومعناها أن الفخر ليس بالسيادة، ولكن الفخر بالعبودية لذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وإذا كان النبي أمر الأنصار بأن يقوموا لسعد بن معاذ ﷺ وقال لهم: { قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ }[٢٨٧]، فالمجادل يقول هو (ﷺ) قال: { لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا }[٢٨٨]

لكن الحديث واضح، فالأعاجم كانوا يقومون للملوك خوفاً منهم ورهبة منهم، وهو لا يريد أن نقوم له خوفاً منه ورهبة، ولكن يريد أن نقوم له ﷺ محبة، فهو كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٦الأحزاب) وقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

يجب أن نصلي عليه ﷺ كلما سمعنا اسمه، حتى ولو كان في الصلاة، والإمام الشافعي ﷺ وأرضاه، قال فيه ﷺ: {لا تَسُبُّوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلأُ الأَرْضَ عِلْمًا}[٢٨٩]، وكان حكيماً فكان يُوجب التسييد في الأذان وفي التشهد، ولذلك كنا عندما نسمع الأذان في بلادنا ولا زلنا نقول: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وفي التشهد لا بد كذلك.

---

٢٨٦ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٨٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٨٨ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ
٢٨٩ سير أعلام النبلاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فيقول ﷺ معلماً:

البعض يقول هناك حديث: (لا تسيدوني في الصلاة) فيقول: هذا ليس بحديث، لأن كلام النبي لا يخالف قواعد اللغة العربية، ولو أن هذا الحديث صحيح لكان: (لا تسودوني)، فقالوا له: فما حال من لا يسيِّد؟

قال لا شيء عليه، من ترك السيادة فقد جاء بالفرض.

ومن أدَّى السيادة فقد جاء بالفرض وزاد الأدب ....

فلِمَ نترك الأدب؟!

وإذا كان الله يقول عن أحد أنبيائه، وهو أقل في الدرجة والمقام من سيدنا رسول الله: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣٩آل عمران) !!

فماذا يكون حال نبينا؟!.

فلا بد لمن يُريد أن يكون من أهل الأدب التام مع الله ورسوله:

- أن لا ينطق اسم حضرة النبي من غير لفظ السيادة، إن كان في الأذان أو في الإقامة أو في التشهد.
  - وجائز أنه يترك التسييد في الأذان وفي الإقامة حتى يسلم من المنتقدين والمتشددين وهم كثيرون.

والسُنَّة في الأذان:

أن المؤذن بعد أن يقول: الله أكبر الله أكبر، يقول في سرِّه: أشهد أن لا إله الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وبعدها يجهر بالشهادتين، فما المانع أن تسيَّد رسول الله في سرك، فتكون قد عملت ما عليك وأخذت بالأدب الوافر مع رسول الله الكامل ﷺ.

ستصلي عليه:

فلا بد أن لا تترك لفظ السيادة أبداً!!

لأن الله قال في شأنه:

﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ ﴾ (٩الفتح).

وقال في الآية الأُخرى:

﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضَاۚ ﴾ (٦٣النور).

من يصـــاحبك أو يلعب معك لعبة أو غيره قد تقول له يا فلان، وقد تســـتحي وتقول له يا سيد فلان، أو يا فلان بك، فما بالكم برسول الله ﷺ؟!

فرضٌ علينا أن نوقر سيدنا رسول الله ﷺ.

ومن توقيره ﷺ :

- أن لا نُعرِّض الصلاة عليه أو ذكر اسمه الشريف ﷺ للإهانة:
- وهذا ما يحدث كثيراً، كيف؟
  - يتكلم شـخص مع آخر ويحتد النقاش بينهما، فيقول شـخص لأحدهما: صلِّ على النبي، وهل هذا موضعٌ يقال فيه ذلك؟ لا.
  - أو جماعة يتشـاجرون مع بعضـهم، وأنا تدخلت لأمنعهم هل يصـح أن أقول لهم: صـلوا على النبي يا جماعة؟ لا، لأن هؤلاء في هذا الوقت في حالة توتر وغضـب شـديد، فما شـأنهم والصـلاة على النبي وهم في هذه الحالة؟!!.

فمن يُريد أن يصلي على النبي :

يكون في حالة استحضار وحضور مع الله.

ويؤدي الصلاة وكأنه يرى حضرة النبي أمامه ويراه.

والأقسى من ذلك الحلف بالنبي كذباً:

وهذه مصيبة تحدث بين أولادنا الصغار، مثلاً يسأله المدرس: لِمَ لم تعمل الواجب؟ يقول له: والنبي أنا عملته ولكني نسـيته في البيت، وهو لم يعمله، ما الذي جعلنا نربيه على هذه الخُصلة الذميمة؟!.

الذي حلف بحضرة النبي هو رب العزة:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٢الحجر) .. يعني وحياتك، فكيف أحلف بحضرة النبي كذباً؟

لا يجوز ولا يليق!!

الوهابية والمتشددون يقولون: أن الإنسان لا يحلف إلا بالله للحديث الذي يقول:

{ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ }[٢٩٠]

لكن الله حلف بالنبي كما قلت: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٢الحجر) من الذي يقسم؟ رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهناك قَسَم آخر ولكن عند بعض أهل الإشارات فيقول الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (١النجم) والنجم هو سيدنا رسول الله ﷺ، وهوى يعني نزل بعد رحلة المعراج.

وفي آية أخرى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ (٧٥الواقعة) القرآن نزل منجماً، أين؟ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ ﴾ (الشعراء) فمواقع النجوم هنا في الإشارة هي مواضع تنزل القرآن على سيدنا رسول الله الرؤوف الرحيم، ولذلك قال الله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٦-٧٧ الواقعة) (إنه) ﷻ: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ (الواقعة) باطن القرآن ولب القرآن وحقيقة القرآن، لكن المصحف كل واحد يمسه ويلمسه ويبيعه، فأحيانا من يبيعه لا يكونوا مسلمين، فقوله (لا يمسه) يعني لا يمس معانيه وأسراره إلا المطهرون الذين طهرهم الله.

فالآيات كثيرة في كتاب الله لمن أراد أن يفقه حقيقة الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الأدب مع حضرته ...

وأن يجعلنا خاشعين خاضعين لكلام ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ...

وأن يرزقنا دائماً وأبداً النظر إلى وجهه الكريم، ورفقته يوم القيامة تحت لواء شفاعته، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٩٠ صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما

وظائف النبوة في القرآن الكريم[٢٩١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب)

النبي الشاهد	التبشير والإنذار	الداعي إلى الله
السراج المنير	بشائر المؤمنين	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي وفق وأعان، وقوانا على طاعته، وأعاننا على شكره وحُسن عبادته، وجعلنا بفضله ومنته مرافقين وموافقين لخيرته من بريته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب كل كنوز الكرم والجود، والذي أعطاه مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من عنده ومن لدنه عطاءًا بغير حدود، والذي كان سخياً وكريماً مع جميع أهل أمته حتى من حاد منهم ولو قليلاً عن الطريق المستقيم، فقد كان بالكل رؤوف رحيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا بفضلك منهم ومعهم في الدنيا ويوم الدين يا أكرم الأكرمين.

الآيات التي معنا من سورة الأحزاب فسرناها كثيراً مرات ومرات في أماكن مختلفات، ولكن من فضل الله كل مكان له عطاؤه، وكل حضور لهم رزقهم من الله ﷻ، ولذلك يأتي هذا غير هذا غير هذا، وكله من فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

كل الذي أنا فيه فضل محمدٍ ... منه بدا وإليه كان وصولي
وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذي ... لولا عنايته هلكتُ بحالي

وسنوضحها الآن بتوضيح ربما الكثير لم يسمعوه من قبل، فإن كل نبي من أنبياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السابقين على أمير الأنبياء والمرسلين هو نبي أو رسول لقومه الذين أرسل إليهم،

٢٩١ المقطم – مجمع الفائزين ٢٦ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/٣٠م

وليس هناك فارق بين النبوة والرسالة إلا فارق وحيد أن النبوة يتلقى فيها من الله، والرسالة يبلغ عباد الله الذين حوله ما تلقاه من الله، والإثنان مع بعضهما لقوم مخصوصين ...

إلا نبينا ﷺ .. فله وظائف للنبوة – وهي التي سنتحدث عنها – ووظائف للرسالة.

وظائف الرسالة خصَّ بها أهل أمته منذ بعثته إلى يوم الدين:

لأنه رسولنا نحن أجمعين، ووظائف النبوة هي وظائفه للخلق أجمعين من آدم إلى يوم الدين، بما فيهم الأنبياء والمرسلين وأممهم أجمعين، ولذلك كانت الرسالة بدايتها في سن الأربعين عندما نزل عليه الوحي في غار حراء.

أما النبوة فكما قال ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٢٩٢]

فالنبوة منذ متى؟

من قبل خلق هيكل آدم، وعندما سأله الصحابي العظيم ميسرة الضبي ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى جُعِلْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ }[٢٩٣]

وهل يوجد إنسان ليس هو روح ولا جسد؟ الإنسان إما روحٌ فقط، أو جسد فقط، أو روحٌ في هذا الجسد، لكن ما بين الروح والجسد لا شيء، يعني يريد أن يقول: كنت نبياً قبل آدم ولا آدم بإيقان، فنبوته ﷺ ثابتة قبل خلق الخلق للنبيين وأممهم أجمعين.

ما وظائف هذه النبوة؟

ذكرها الله في هذه الآيات، ولذلك هذه الآيات كانت تكليفاً من رب العالمين لحبيبه ﷺ قبل خلق جسد آدم من الطين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ ﴾:

ليس لأمتك فقط، ولكن لأمة الإجابة، فهناك أمة الإجابة، وهناك أمة الدعوة.

أما أمة الإجابة والاستجابة فهم نحن.

---

٢٩٢ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية ﷺ
٢٩٣ مسند أحمد والحاكم في المستدرك

وأما أمة الدعوة فهم جميع أمم الأنبياء السـابقين ونحن معهم ....، يعني من بدء البدء إلى يوم الدين.

فأرسله الله نبياً لكل هؤلاء.

ولذلك القرآن العظيم يثبت أن الله جمع أرواح الأنبياء، وأخذ عليهم العهد والميثاق لحضرته، أن يؤمنوا به – وهذا دليل على أنهم أتباع له – وبرسالته، وأن يأمروا أتباعهم أن من يحضر منهم زمانه أن يُسلِّم برسالته ونبوته ﷺ.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (٨١آل عمران) لم يقُل المرسلين، لأنهم كانوا لايزالون أرواح، ولم يكلفوا برسالة في عالم الأشباح: ... ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (٨١آل عمران) ومن عظيم كلام الله وإشاراته أن الله لم يخاطبهم بلسان الإستقبال، ولكن بلسان الماضي (لما آتيتكم) يعني هم أخذوا النبوة قبل ذلك، وسيدنا عيسى لما تكلم في المهد قال: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (٣٠مريم) فما النبوة التي كانت معه وهو لا يزال في المهد؟ أخذها من هناك، ولكنه يُعرِّف هؤلاء بأن الله أعطاه الكتاب وأعطاه النبوة، لكنه لم يكن قد كُلِّف بالرسالة لمن كان حوله، لأنه كان لا يزال في المهد صبياً، فهم قد أوتوا الرسالات من قبل القبل، ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١آل عمران) لم يقُل نبي، فهو وحده رسول المرسلين، وهو وحده المرسل لخلق الله أجمعين، وأمرهم الله ﷻ على التعيين: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ (٨١آل عمران) فكل رسول مكلف بالإيمان برسول الله ﷺ: ﴿ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (٨١آل عمران) كيف ينصروه؟ يبينوا أوصافه وصفاته لأممهم حتى يعرفوه، وإذا حضروا زمانه ﷺ سلموا له وآمنوا به واتبعوه صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ ﴾ (٨١آل عمران) :

أي عهدي، وهذا عهدٌ غليظ: ﴿ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ ﴾ (٨١آل عمران) وكشـف لهم الجمال، وأماط اللثام، ورفع الأسـتار، فرأوا الحبيب المختار مجملاً بأنوار الواحد القهار ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٨١آل عمران).

فوظائف النبي في هذه الآيات ليست لنا نحن فقط !!!

بل لكل الأنبياء والمرسلين وأممهم.

النبي الشاهد

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ يشهد على جميع النبيين وأممهم: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (٤١النساء).

شهيد على جميع النبيين، وشهيد علينا كذلك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (١٤٣البقرة) وهذا تشريفٌ لنا؛ فقد جعلنا الله في مقام النبيين في هذه الآية.

فالرسول شهيد على الخلق أجمعين من آدم إلى يوم الدين، فهل هذه وظيفة نبوة أم وظيفة رسالة؟ هذه وظيفة نبوة، لأن الرسالة كُلِّف بها منذ نزول الوحي عليه في سن الأربعين، إلى أن بلغ سن ستين سنة ميلادية، أو ثلاثة وستين سنة هجرية، فهذه مدة الرسالة.

لكن مدة النبوة من قبل القبل إلى بعد البعد، فيشهد على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين وأممهم، ويشهد على أمته من بعده إلى يوم الدين، ولذلك قال ﷺ:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ }[٢٩٤]

ستشهد أمة محمد ﷺ على الأمم السابقة: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (٦الأعراف) لا يوجد أحد لن يُسأل في السابقين ولا اللاحقين إلا الصادقين من أمة خير الخلق أجمعين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ (١٠١الأنبياء) ليس لهم شأن، لكنهم يشهدوا على السابقين، قال ﷺ:

{ فَيُؤْتَى بِكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ }[٢٩٥]

---

٢٩٤ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٩٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

يُؤتى بالعدول من أمة محمد وهم الرجال الذين يقول فيهم الله:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (المائدة).

هؤلاء لا يعرفون شـــيئاً إلا الحق، لا يميلون عن الحق طرفة عين ولا أقل، ولذلك سماهم عدول، حتى ولو كان ابنه، حتى ولو كانت ابنته، لا مجاملات عندهم، يحقون الحق كما يجب الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهؤلاء رجال الأمة العظام، فيسألهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

{ هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) }[٢٩٦]

والشهادات ستكون بعد أن نكون قد انتهينا من الحساب، كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٩٧]

نحن آخر أناس في البعث في الدنيا في الخلق !!

لكن أول الناس في الحساب، فضلاً من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ !!

وبعد أن ننتهي من الحساب ونذهب إلى مواطننا في الجنة، ونجلس:..

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ (المطففين)

يبدأ الحساب بعد ذلك للأمم الأخرى ...

لماذا؟

لأن الله سيحاسبنا بالفضل، ويحاسب الباقي بالعدل، ويحاسبنا تحت ستره وغطائه، ويحاسب الآخرين ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

---

٢٩٦ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٢٩٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وهذه ميزات كبيرة سنذكرها في هذه الآيات: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولذلك لو عرفنا بعضها لسجدنا لله سجدة لا نقوم منها إلى يوم الدين، حتى نكون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الشاكرين .. فيشهد النبي ﷺ على الأمم السابقة ويشهد علينا، ولذلك قال ﷺ لنا:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٢٩٨]

وهذه من رحمة الله علينا؛ أن أعمالنا تعرض أولاً على حضرة الرؤوف الرحيم، فلذلك سيشهد علينا ﷺ، وهذا معنى.

وهناك معنى أعظم وأكرم وأعلى وهو أنه شاهد لجمال الله، ولكمال الله، ولحضرة بهاء وضياء مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ليُعلمنا لبعض الأوصاف التي تليق بحضرة الله، ولذلك فإن أمته هي الأمة الوحيدة التي لم تختلف في حضرة الله، فمن كان قبلنا منهم من كان يقول عن بشر أنه ابن الله، ومن يقول عن امرأة أنها زوجة الله، لكن هل حدث هذا مع أمة النبي ﷺ؟ أبداً:

دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت فيه واحتكم

ماذا علَّمنا؟ علَّمنا أن نقول: أشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بدلاً من أشهد أن محمداً رسول الله، هل يوجد أحدٌ في الأمة شطَّ في الألوهية؟ لا، الكل على التنزيه الكامل الذي علَّمنا إياه خير البرية ﷺ.

ولذلك يروي السيد محي الدين بن العربي ﷺ في كتابه (شجرة الكون) وما أورده القسطلاني في (المواهب اللدنية): **((أن الله ﷻ قال لحبيبه في ليلة المعراج: يا محمد قد أعطيتك نوراً تنظر به جمالي، وسمعاً تسمع به كلامي، يا محمد إني أعرِّفك بلسان الحال معني عروجك إليَّ، يا محمد أرسلتك إلى الناس شاهداً ومبشراً ونذيراً، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به، فأريك جنَّتي لتشاهد ما أعددت فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائي، ثم أشهدك جلالي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير**

---

٢٩٨ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

والمشير، فرآه ﷺ بالنور الذي قواه من غير إدراك ولا إحاطة، إلهاً واحداً أحداً فرداً صـــمداً، لا في شيء، ولا من شيء، ولا قائماً بشيـــء، ولا علي شيء، ولا مفتقراً إلى شئ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)).

فكان ﷺ شاهداً على الجميع، وشاهداً لجميع الكائنات التي خلقها الله ليصفها لنا بما أراه مولاه: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (١٠٥النساء) ما رأيته، ولذلك كان ﷺ يقول بعد الصلاة لمن خلفه:

{ يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟! أَلَا تَرَى كَيْفَ تُصَلِّي؟، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا تَصْنَعُونَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ }[٢٩٩]

أرى مَن ورائي كما أرى مَن أمامي، فكان بعد الصلاة يوجه بعض أصحابه: أنت أخطأت في كذا، وكان يجب أن تفعل كذا، وأنت أخطأت في كذا، وكان يجب أن تفعل كذا.

وإن كان المعنى الأشمل والأعظم أنه يرى مَن خلفه إلى قبل القبل، ومَن بعده إلى فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

فكيف حكى عن الأنبياء السابقين والمرسلين؟

وهل حضرهم؟ وهل كان يقرأ؟ أو هل قرأ تاريخهم؟

أبداً !! ... لكن كما وضح الله:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ (الفيل) ألم تشاهد؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ (٤٥الفرقان) الظل هو الجسم، الخلق والتكوين ...

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (٨٢يوسف) اسأل القرية الفلانية وشاهد أحوالها أخبارها ..

فكان يرى الأشياء بنور مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في غيبته عن هواه وحظه ونفسه ...

ولذلك قال فيه الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم) ... كل كلامه وحي.

---

٢٩٩ مسند احمد وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ

التبشير والإنذار

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾:

للأولين والآخرين بالجنة والنعيم الذي أعده الله لهم، وبالنار والجحيم الذي جهَّزه الله للكافرين والعصاة والمذنبين، ومبشراً لأهل الخصوصية بفضل الله، وإكرام الله، والنظر إلى وجه الله، والعطايا الخاصة التي ذكرها الله في حنايا كتاب الله.

﴿ وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ :

نذيراً لأهل الحجاب من البعد عن الله، والحجب والقطع عن الوصل لحضرة الله.

- يعني يبشر أهل اليمين بالجنة.
- ويبشـــر أهل الإحســـان بالنعيم المقيم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنهم لا يريدون جنة، بل يريدون ما عند الله.
- وينذر أهل الكفر والطغيان بالجحيم.
- وينذر المتقلقلين في سيرهم وسلوكهم إلى الله بعذاب الحجاب، أو عذاب البعد من الله ﷻ، وهؤلاء القوم يرون أن لحظة في البعد عن الله أشـــد عليهم من دخول جهنم لألف عام، لأنهم ذاقوا القرب، فعندما يُحرم يعرف هذا الأمر، فهذا أمر رسول الله ﷺ.

الداعي إلى الله

ثم ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا فيصلاً آخر بين نبينا وباقي الأنبياء والمرسلين:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾:

بإذنه يعني بتيسيره ﷻ، فلما ننظر إلى أنبياء الله تعالى السابقين كانوا يدعون إلى الجنة، ويحذرون الناس من النار، لكن مَن الوحيد الذي يدعو إلى الله؟ لا يوجد غير سيدنا رسول الله ﷺ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (﴿١٠٨﴾يوسف).

فماذا كان يدعو الرسل السابقين؟

كانوا يدعون قومهم إلى دخول إلى الجنة، والنجاة من النار.

ولما نزلت هذه الآيات على سيدنا رسول الله ﷺ استدعى الإمام علي وسيدنا معاذ بن جبل، وأرسلهما وكلفهما بالذهاب إلى اليمن للدعوة إلى الله، وقال لهما:

{ يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا }[٣٠٠]

وهذه علامة الداعي إلى الله، لا يقنت الناس من رحمة الله، ولا يؤمِّن الناس جانب الله، يعني يعمل بالجناحين: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الأنبياء) فيطير على جناح الرهبة والرغبة إلى المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهو وحده ﷺ الذي كلَّفه مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والدعوة هنا تشمل كل الأمم السابقة، وكل أعضاء أمته اللاحقين.

ولذلك اسمع معي لقول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (الأعراف)

من الذي يأمرهم ومن الذي ينهاهم؟

سيدنا رسول الله، وماذا يكون هؤلاء الأنبياء؟ هؤلاء نواب عن حضرته:

الرسل من قبل الحبيب محمد ... نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم ... يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمدٍ ... وبفضله فازوا بكل مراد
وبمحكم القرآن عاهدهم له ... أن يؤمنوا بسراجه الوقاد

أليس هذا كلام الله المفسر؟!

وهذا تفسير كلام الله الذي ذكره في بداية آية الميثاق مع أنبياء الله ورسل الله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فهو وحده ﷺ الداعي إلى الله.

---

٣٠٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

وأقام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورثته مقامه ...

ولذلك كان ﷺ عندما رأى الأنبياء في رحلة المعراج يقول: رأيت أخي موسى، رأيت أخي عيسى، وغيرهما، وقال فيهم ﷺ:

{ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ }[٣٠١]

يعني أقارب وشجرة نسب واحدة، وقال في نفر من بيننا:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٣٠٢]

نفس الدرجة ونفس المقام، وقال فيهم:

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانَاً وَلَاَ يَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانَاً }[٣٠٣]

الشاهد عندي في الحديث أن هؤلاء إخوانه، يعني في مقام الأنبياء ..

وقال في الحديث الآخر:

{ عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ }[٣٠٤]

ولِمَ أنبياء بني إسرائيل؟

لأن أنبياء بني إسرائيل لم يُكلفوا برسالة خاصة بهم، ولكنهم جاءوا لينبهوا الناس لتنفيذ الرسالة التي جاء بها موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهي نفس الأمر فالعلماء ورثوا الأنبياء، يعني يجددوا ما نزل به سيد الرسل والأنبياء صلوات ربي وتسليماته عليه

---

٣٠١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٣٠٢ مسند أحمد عن أنس ﷺ
٣٠٣ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ
٣٠٤ الفوائد المجموعة للشوكاني

﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾:

لم يقُل الله: ومصباحاً منيراً، لأن المصباح يضيئ لنفسه فقط، ولا يمكن أخذ الضوء منه، لكن السراج هو المصباح الذي له فتيلة وتستطيع أخذ شعلة منه وتضيئ بها غيره، فسيدنا رسول الله ﷺ كل الوجود عُلواً وسُفلاً كان يستنير بنور حضرته، ولذلك سماه الله (سراجاً منيراً) لأنه هو وحده الذي ينير ظلمات القلوب، ويجعلها في ضياء وبهاء ورقيٍّ وارتقاء، وهو وحده الذي ينير ظلمات المجتمعات، ويحولها إلى نور القرآن، ونور اتّباع النبي العدنان، ونور حضرة الرحمن ﷻ.

أينما حلَّ أضاء، وأينما حلَّ أشرق نوره، وأينما حلَّ ظهر ضوؤه، فهو الذي ينير الصدور، وينير القلوب، وينير الأرواح، وينير الأشباح بشريعة الكريم الفتاح ﷻ، وينير البلاد إذا مشوا على هدي سيد العباد، وهو النور التام الذي يمحو الله به كل ظلام، ولذلك يقول سيدي الإمام البوصيري ﷺ وأرضاه:

فإنه شمسُ فضل هم كواكبُها ... يُظْهِرنَ أنوارَها للناس فى الظُلمِ

أنت كالشمس والأنبياء كواكب، والكواكب نورها ليس من ذاتها، فمن أين يكون نورها؟ من نور الشمس، وقال سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ:

أفلت شموس الأولين وشمسنا ... أبداً على فلك العلا لا تغرب

لن تغرب إلى آخر الزمان، والإمام أبو العزائم قال لنا:

لا يغيب النور عن أهل اليقين ... كيف ذا والنور في الأفق المبين
نُوَّرتنا الشمس أصبح نورها ... مشرقاً في كل فردٍ في أمين

فهي التي تنير الأفراد الذين يذكرون جمال الحضرة المحمدية:

من يقُل غابت فذاك لحجبه ... كيف يخفى نور خير المرسلين

فنور رسول الله ﷺ ساطعٌ في القلوب، وساطعٌ في المجتمعات، وساطعٌ في كل الأماكن على اختلاف الأزمنة والجهات، لأنه نور الله ﷻ:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة ﴿١٥﴾).

بشائر المؤمنين

آخر صفة من الصفات التي عندنا:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

لو جلسنا في مجلسنا هذا إلى الصباح، لا نستطيع أن نعد البشائر التي توالت علينا من رسول الله ﷺ ببركته وبفضل الله علينا وبسببه ﷺ.

وقد ألمحنا إلى أمور منها، لكن أريد أن أبين شيء آخر غير الذي ذكرناه، لأن البُشريات كثيرة وتحتاج إلى كتب وليس كتاباً واحداً:

﴿ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾:

لم يقُل بأن لهم من الله أجراً كبيراً، ولكن لهم فضل، وما هذا الفضل؟

هو النظر إلى وجه الله، والتمتع بالدرجات العلا في الجنة بجوار حبيب الله ومصطفاه.

وأن يمتعهم الله ﷻ ويعطي لكل فرد منهم عدداً يشفع فيهم ويفرح بنجاتهم من النار بسببه ويُدخلهم الجنة بإذن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأن يرفع الله عن قلبه ويكشف له عن أنوار الملكوت أو أنوار الحي الذي لا يموت، فيكون كما قال الله في هذا الفضل الكبير:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (٢٢الشورى).

هل عرفنا قدر الفضل الكبير؟

نتمتع بالجنات والروضات، من روضة إلى روضة، ومن جنة إلى جنة، وليست جنة واحدة، وكل ما يريده يتمناه: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ (٢٢ الشورى).

وانتبه معي، فالبعض هداهم الله يقولون: الجنات يعني يعطيهم الله ما يريدون في الدنيا، إن كان يريد دعوة صالحة، أو شفاء مريض، لكنه هنا يقول:

(في روضات الجنات) .... ففي الجنات ماذا يريدون؟

لا يوجد أرقى ولا ألذُّ ولا أبهى ولا أنعم من جوار رسول الله، ... والنظر إلى كمال وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ... وهذا هو الفضل الكبير.

سيدنا رسول الله ﷺ كالعادة مع بني البشر، وقد كانت له بشرية، فكان يأتيه بعض الكافرين على أنهم له من الناصحين، ويقولون له: ننصحك بكذا ننصحك بكذا، وأحيانا يأتيه بعض المنافقين فكانوا معه يصلون، ويجلسون معه ويريدون أن يكونوا له ناصحين فقال له الله وخاطبه وخاطبنا فيه حتى ننتبه وقال لنا:

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ .. إذا نصحك كافر بنصيحة فلا تأخذها على المحامل الصحيحة: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (٧٣آل عمران) افحصها جيداً ولا تأمن له، وأيضاً إذا كان منافق وأنا أعمل مشروع أو أؤدي مصلحة يتدخل ويساهم ويعمل كل شيء ليغشني في صورة نصيحة، ويقول لي: أنا أرى أن تفعل كذا وكذا، ويحاول أن يقنعني، فالمؤمن كما قلنا يشغل المصباح النوراني الذي في قلبه الذي استضاء بنور رسول الله ليعرف هذا من ذاك، ويميز هذا من ذاك:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢٩الأنفال).

والفرقان حتى عند أولادنا الصغار، فلو أنك كلمت ابنك في موضوع وأنت غير صادق يقول لك: أنت تكذب علي يا أبي، لأن عنده المصباح أيضاً، وكثير من الكبار مصباحهم انطفأ لكن الأولاد الصغار مصابيحهم تعمل تمام التمام، فلا بد للمؤمن أن يكون معه هذا المصباح ويستخدمه مع الكافرين ومع المنافقين.

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

فيقول: أنا أتقي شرهم لأنهم سيسبوني ويشتموني ويلعنوني ويقولون لم يأخذ رأينا في هذا المشروع، ومشروعه هذا لن يصلح وفيه كذا وكذا، فقال لي: هؤلاء لا تخشاهم ودع أذاهم، وتوكل على الله، وما دمت أنت متوكلاً على الله، فلا تخاف من هذا أو من هذا:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧البقرة).

فطالما توكلت على الله واعتمدت على الله فسيكفيك شر كل ذي شر، ونفاق كل منافق، وخداع كل ذئب ماكر من الآدميين !!

فالآدميون يراهم أهل الكشف كما في الغابة، الأجسام الظاهرة أجسام آدمية، ولكن الحقيقة التي بداخلهم يرى هذا ذئب، وهذا ثعلب، وهذا أسد، وهذا كذا، لماذا؟

﴿ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ (٦٧يس)

فيريهم الله الحقيقة التي بداخلهم والتي هم عليها في الأصل، فيعرفونهم ويحذروا منهم، ولذلك قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ }[٣٠٥]

وكيِّس يعني عاقل ويتروى في كل الأمور.

وفطن يعني ذكاؤه المدد من نور رسول الله يجعله لا يستطيع أحدٌ أن يضحك عليه أو يخدعه، لأن الله يكشف له عن حقيقة أمره، فلا ينخدع ولا يُغرر

كان سيدنا عمر ﷺ يقول:

((لست بغرٍّ ولا الغر يخدعني))

والغر يعني المخادع المكار.

يعني أنا لست ماكراً ولكن الآخر لا يستطيع أن يضحك عليَّ، وهذه أحوال الصالحين وأحوال أصحاب النبي.

فلا بد لنا أن نعيش في هذا الأمر حتى نعيش في الدنيا في حياة المتقين، ويحسن للإنسان التوكل على الله، والتوكل على الله يعني كمال الاعتماد على الله بعد انقطاع عالم الأسباب، وأخذه بالأسباب على قدر طاقته ووسعه، فيعتمد على الله:

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يهب لنا من عنده نوراً به يرفعنا، وأن يجعلنا من أهل الحيطة والحذر حتى لا يكون هناك عدوٌ يخدعنا، وأن يجعلنا في حرز الله وكفالته وعنايته أجمعين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣٠٥ مسند الشهاب عن أنس ﷺ

(٢٤)

مهام النبوة (حلقة تلفزيونية)[٣٠٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨ ﴾ (الأحزاب)

المذيعة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهلا بكم مشاهدينا الكرام وحلقة جديدة وبرنامج جدد حياتك، نجدد حياتنا مع حضراتكم ونجدد روحنا ونجدد إيماننا بسيرة رسول الله ﷺ، ورسول الله حبيب الله ورسول الله الشافع المشفع، ورسول الله سيد ولد آدم، ورسول الله ﷺ الذي إذا بدأنا في ذكر فضائله وصفاته ﷺ ومكانته عند الله لن تكفنا حلقات.

اليوم نتحدث عن رسول الله ﷺ ومهام الرسالة، تلك المهام التي ذُكرت في أربع آيات من سورة الأحزاب والتي اشتملت على الإشارة لمهام رسالته ﷺ، نتحدث عنها مع الداعية الإسلامي فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد.

المذيعة:

يقول الله أحياناً ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ وأحياناً أُخرى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ ما المعنى لكل منهما؟ وما الفرق بينهما؟

الله ﷻ لم ينادي الرسول ﷺ باسمه، بينما نادى الأنبياء جميعاً بأسمائهم: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ (٧٦هود) ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ (١٤٤الأعراف) ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ (٣٣البقرة) وهكذا، لكن لرفعة قدر النبي عنده لم يناديه إلا بأسلوب التفخيم والتعظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ أسلوب تفخيم وتعظيم وكأنه ﷻ يعلّمنا الأدب في خطاب هذا النبي الرءوف الرحيم ﷺ.

---

٣٠٦ القناة السادسة (الدلتا) – برنامج جدد حياتك ٥ من ربيع الآخر ١٤٤١هـ ٢٠١٩/١١/٢م

(يا أيها النبي) غير (يا أيها الرسول)، النبوة غير الرسالة، فالنبوة ثبتت لرسول الله ﷺ قبل خلق الخلق، قال ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٣٠٧]

يعني قبل خلق آدم، سبق في علم الله النبوة لرسول الله، وأنه خاتم الأنبياء والرسل، بل الله ذكر في كتاب الله أنه خلق الأرواح جميعاً مع روح نبينا، وأخذ عليهم العهد والميثاق له: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١آل عمران) ما الواجب عليهم؟ ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٨١آل عمران).

المذيعة:

الواجب على الأنبياء الإيمان به وأن يصدقوه، كيف يكون ذلك وهم سينتهي عصرهم قبل بعثته ﷺ؟

حقق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك في ليلة الإسراء، فأحياهم جميعاً بعد مماتهم، وجمعهم له في بيت المقدس، وجددوا العهد على حضرته، وصلى بهم إماماً، فكان هو إمامهم في الدنيا، وإمامهم في الآخرة، فهو نبي الأنبياء ورسول المرسلين، كما هو نبينا ورسولنا بفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أما الرسالة فتبدأ منذ التكليف بإبلاغ رسالة الله بنزول الوحي، والوحي نزل على الرسول ﷺ أول ما نزل في غار حراء وهو في سن الأربعين، فتبدأ من سن الأربعين الرسالة التي أرسلها الله، وأمره بأن يبلّغها لنا، وهي رسالة وخطاب أعطاها له الله ليبلّغها للعالم أجمع، لأن الله أرسله إلى كل الخلق: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢٨سبأ).

المذيعة:

لكنه قبل الرسالة كان نبياً، فهل كانت له تصرفات الأنبياء؟

نعم، كان له مع الأنبياء السابقين بصورته النورانية تصرفاتٌ إلهية كلَّفه بها الله مع الأنبياء والمرسلين، وهذا ما نجده في شرح الآيات التي معنا.

---

٣٠٧ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية ﷺ

المذيعة:

فضيلتكم شوقتنا عن هذه الآيات، وهم أربع آيات من سورة الأحزاب، وهي تلخص مهام رسول الله ﷺ في كلمات موجزة تدل على إعجاز القرآن الكريم، بداية وأولها: شهادته ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَٰهِدًا ﴾ وهذه أول مهمة من مهام النبوة، وليست من مهام الرسالة، لأنها مهمة ممتدَّة من بدء البدء إلى نهاية النهايات، فهو أولاً شاهدٌ على جميع الأنبياء السابقين وأممهم يوم القيامة: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (٤١النساء).

وبعد ذلك هو شاهدٌ على أمَّته، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَـٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (١٤٣البقرة) فهو شهيدٌ على الأمَّة كلها وليس على أهل زمانه فقط، ولكن الشهادة إلى أن ينقضي الزمان وينتهي المكان.

والشهادة لكي تكون شهادةٌ صادقة لا بد أن يكون الشاهد قد رأى وسمع.

المذيعة:

وكيف تكون الشهادة هنا بعد انتقال رسول الله ﷺ؟

وضحها الله تعالى وقال: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (١٠٥التوبة) إذاً يجعل الله لرسوله كيفية يطَّلع بها على أعمالنا كلنا، والعلة في ذلك لأنه شفيعنا، والشفيع يعني بلغة العصر (المحامي) وهل يدافع المحامي عن قضية لم يطَّلع على ملفها ويقرأه؟! إذاً لا بد أن يطَّلع على ملفاتنا ويقرأها، ومن هنا قال ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٣٠٨]

لأن الله أمره وقال له: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِۗ ﴾ (١٩محمد) وليس الاستغفار للمؤمنين وللمؤمنات في زمانه فقط، بل استغفاره شاملاً إلى يوم القيامة، لأننا نحن من جملة المؤمنين والمؤمنات.

---

٣٠٨ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وكيف يكون ذلك؟ إذا كان الشهداء أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، فما بالك بسيد الشهداء وإمام الشهداء ﷺ، وهو الذي قال:

{ ما زالَتْ أَكلَةُ خَيْبرَ تُعاودُني في كلِّ عامٍ، فهذا أَوانُ انقطَعَتْ أَبْهَري }[٣٠٩]

عندما سمَّته المرأة اليهودية، فهو قد مات شهيداً، والشهداء عند ربهم يُرزقون، يعني حياةٌ مستمرة، صحيح أنها ليست أرزاق حسية من أكل وشُرب، ولكنها أرزاق إلهية.

فالنبي ﷺ قدَّر له الله الحياة المستمرة، وأعطاه ما تفضَّل به في حديثه القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[٣١٠]

فكان ﷺ ينظر بعين الله إلى الخلق جميعاً بكيفية لا نستطيع وصفها، لأنها كيفية غيبية، المهم أنه يشهد أعمالنا، ويشهد أعمال من سبقنا من الأنبياء مع أممهم، لأنه شاهدٌ على ذلك كله يوم القيامة، وهذا معنى من معاني (شاهداً).

وهناك معنى آخر من معاني (شاهداً):

أنه ﷺ هو وحده الذي أشهده الله جمالات الجنة ليشوِّقنا إليها، وأشهده ما في النار ليخوِّفنا ويحذِّرنا منها، وأشهده الملكوت الأعلى ليصفه لنا، وذلك عندما أخذه الله في رحلة الإسراء والمعراج: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم ١٨) فكان هذا معنى من معاني الشهادة.

المعنى الثالث أن الله ﷻ أشهده خصائص الأشياء، فكل نباتٍ في الوجود، وكل كائنٍ في الوجود، وكل شيء في الوجود له خصائص ميَّزه بها الله بها، كشفها الله لرسول الله ليُنبئنا بها، ولذلك يقول سيدنا أبو ذر ﷺ:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا }[٣١١]

ولذلك من جملة الإعجاز النبوي الأحاديث التي تحدثت عن الكائنات، وعن الإنسان، وعن ما حولنا، وكلها تطابق العلم الصحيح الذي ثبتت نظرياته وقوانينه، فقد

---

٣٠٩ صحيح الجامع عن عائشة رضي الله عنها
٣١٠ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
٣١١ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر ﷺ

أشهده الله ﷻ بذلك، ليُعلِّمنا بذلك صلوات ربي وتسليماته عليه، ونكتفي بهذا القدر في (شاهداً) ففيها معاني كثيرة.

المذيعة:

نأخذ الصفة الأُخرى أو المهمة الأُخرى التي ذكرها الله ﷻ: ﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

أرسله الله ﷻ يُبشِّر الذين يؤمنون به وبالله وبرسالته وبكتابه بأن لهم عند الله أجراً عظيماً ونعيماً مقيماً في الجنة التي أعدَّها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمتقين.

ويُنذر – يعني يُحذر ويخوف – الكافرين والجاحدين والمشركين الذين لم ينصاعوا له ولم يؤمنوا برسالته، بأن لهم عند الله عذابٌ أليمٌ، وخزيٌ في الموقف العظيم يوم القيامة.

فكان هذا هو التبشير والإنذار لكل من كان في زمانه صلوات ربي وتسليماته عليه، وهذا يدلنا على أمر؛ أن النبي ﷺ كما قال له الله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ (٧الرعد) وقال: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (٤٨الشورى) فالهداية الحقَّة من الله ﷻ، لكن الرسول له هداية البلاغ وهداية البيان.

أما الهداية التي تُحدث مفعولها في القلب والجنان، فهذه عناية من الله ﷻ، وفضلٌ من الله ﷻ، ولذلك يقول فيها الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (٥٦القصص) وهذه الهداية نسميها هداية الإحسان، وقال له في آية أُخرى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢الشورى) وهذه هداية البيان، أي يوضح ويبين ويُنذر ويُبلِّغ، لكن الباقي على الله ﷻ، فهو وحده الذي بيده الهداية: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ (١٧الكهف).

المذيعة:

النبي ﷺ كان مشفقاً على أمَّته، وكان يحزن عندما يموت أحد لم يدخل في الإسلام، لدرجة أنه يجذب الناس بعيداً عن النار، والله ﷻ يقول له: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣الشعراء) وفي آية أُخرى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٨٠التوبة) والنبي يقول: سأستغفر لهم أكثر من ذلك، وضح لنا حضرتك مدى حب رسول الله ﷺ لأمته، وأنه لا يُبلغ فحسب، ولكن قلبه يتفطَّر على أمته.

الرسول ﷺ كما بيَّن الله مكانته فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (﴿الأنبياء) فكان مفطوراً ظاهراً وباطناً على الرحمة، فإن شئت قلت أنه كان رحمة تمشي على وجه الأرض، فكان من فرط رحمته يود أن يُسلم الخلق أجمعين، حتى لا يتبقى للنار أحد، ولذلك كان يجدُّ في دعوته، ويكرر الدعوة، ويُكرر الطرق التي يصل بها إلى قلوب الخلق، لأنه يريد نجاة الخلق أجمعين من النار، ومن الشرك بالله ﷻ، ومن فرط رحمته قال الله في شأنه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (﴿التوبة) فكان يحزن إذا أفلت من يده رجلٌ إلى النار، لأنه يريد أن يسوقهم جميعاً إلى زُمرة أهل الجنة.

المذيعة:

وهذا عكس الرسل السابقين، فقد كانوا يؤدون ما عليهم فيبشرون وينذرون، ولكن في وقت معين يدعون على أممهم كسيدنا نوح وغيره.

هنا يتضح الفارق، فالأنبياء السابقين كان الذي ييأس من قومه يدعو عليهم، قال نوح: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (﴿نوح) أما النبي ﷺ فقد كانوا يؤذوه حتى ينزل الدم من فمه، فيقولون له: يا رسول الله ادعو عليهم، فيقول:

{ أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ اللَّهَ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا }[٣١٢]

المذيعة:

الذي يحب رسول الله ﷺ يتبع هديه وسنته، ومن فقه دعوة رسول الله يعرف أن الذي لا يكون على هدي الله، ولا هدي رسوله، لا أكرهه ولا أعاديه ولا أقتله.

وضَّح الله شرط الذي يتعرض للدعوة فيما ساقه لرسول الله فقال: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (﴿آل عمران).

وليس شرط الذي يدعو أن يتحدث فقط، فإن سيدنا عمر كان يقول: (ادعوا إلى الله بأخلاقكم قبل أقوالكم) كل مسلم مفترضٌ فيه أن يكون داعياً إلى الله بأخلاقه ومعاملاته، ببشاشة في وجهه، وبالكلمة الطيبة، فشرط هذا الداعي أن يكون ليناً هيناً شفوقاً عطوفاً رحيماً بكل من حوله من خلق الله، حتى الكائنات غير الآدمية.

عمرو بن العاص كان من هؤلاء الدعاة، فعندما دخل مصر فاتحاً ونصب خيمته،

---

٣١٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

وكانت الخيمة تُسمَّى الفسطاط فسُمي هذا الموقع بالفسطاط، وأراد أن يرحل إلى الإسكندرية، فنظر إلى الخيمة فوجد يمامة قد صنعت عُشاً فوقها وباضت فيه، فكره أن يؤذيها أو أن يكسر بيضها أو يهُد عشها، وقال: دعوا الفسطاط كما هو حتى نذهب إلى الإسكندرية ونعود!، وهذه رحمة الدعاة الأولين بكل خلق الله ﷻ.

فإذا كان الداعي فظاً أو غليظاً أو خشناً في المعاملة، أو يتكلم بالألفاظ التي لا تليق، أو بالألفاظ التي تترك أثراً سيئاً عند غيره، يكون غير ناهجاً على نهج النبي، أو على النهج الذي اختاره الله للنبي، لأن نهج النبي كما وصفه الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (١٥٩آل عمران).

المذيعة:

فضيلة الشيخ نأخذ مهمة أُخرى وهي: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾.

قسَّم الله ﷻ دعوة النبي ﷺ على حسب همم الخلق، وبُغية أرواحهم وقلوبهم، فمن الناس من كل مقصده من الإيمان بالله والعمل بأحكام دين الله؛ النجاة يوم القيامة من أهوال الموقف ومن النار وأن يدخل الجنة، وهؤلاء سماهم الله ﷻ لنبيه في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ (١٢٥النحل) وسبيل يعني طريق، والدعوة هنا بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي التي تناسب هؤلاء.

وهناك ثلة خاصة من الأمَّة يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شأنهم: ﴿ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون الجنة، ولكن يريدون النظر إلى وجه الله، وهؤلاء غير الذين يدعون ربهم رغباً ورهباً، فهؤلاء في درجة وهؤلاء في درجة أُخرى، فهؤلاء مقصدهم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة) جعلنا الله منهم أجمعين.

هؤلاء الذين يريدون هذا المشهد الجليّ العليّ لهم جانبٌ في وظيفة النبي، فهو السراج المنير الذي ينير قلوب هؤلاء، ويواليهم في قلوبهم بأنوارٍ إلهية، وعلوم إلهامية، وأحوال نبوية تؤهلهم لنيل هذه المزية عند رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهؤلاء بداياتهم أن يرى الرجل منهم الرؤيا الصادقة في المنام، ثم بعد ذلك يرقى فيرى الحبيب ﷺ في المنام، وقد قال:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }[٣١٣]

ثم يرتقي فيحادث النبي ويحادثه في المنام، ويوجهه النبي إلى ما فيه الخير له ولغيره في المنام، فيكون على صلة مباشرة بنور النبي ﷺ، فيمحو الله بهذا النور كل الظلمات الموجودة في قلبه، ويجعله صادقاً في طلبه لله ﷻ.

المذيعة:

نحن كلنا نحب رسول الله ﷺ مهما اختلفت درجات إيماننا، ومهما اختلفت درجات طاعاتنا، نريد أن نزيد هذا النور، فماذا نفعل؟

الذي يُزيد هذا النور ويُزيد هذه الحالة مزيد من الحب لرسول الله ﷺ، فكلنا نُحب رسول الله ﷺ، لكن هناك من يحب رسول الله وتضحك عليه نفسه فيمشي على هواه فيقع في معصية تُغضب الله، صحيح أنه يندم بعدها لكنه لا يستطيع إمساك نفسه، ومنا من يطيع رسول الله بحبه ويقتدي به في العبادات.

لكن القمة أن يقتدي به في كل أحواله، في أخلاقه، وفي عاداته، وفي عباداته، وفي مشيه، وفي نومه، وفي معاملته لزوجاته، وفي مداعبته لأولاده، وفي معاملته حتى مع أعدائه، فالذي يتشبه بهذا التشبه الأعظم هو الذي يصل إلى هذه الدرجة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ ﴾ (٣١آل عمران).

المذيعة:

لِمَ قال الله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ ولم يقل (وداعياً إلى الله) فقط؟

لا بد أن تكون الدعوة إلى الله بإذن من الله ﷻ، لأن الإنسان يحتاج إلى توفيق الله ومعونة الله، ولن ينال توفيق ومعونة الله إلا إذا استأذن من حضرة الله، والإنسان لو عمل بنفسه أي عمل بدون معونة الله وبتوفيق الله، حبط هذا العمل.

المذيعة:

﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ هنا تكريم لرسول الله كمن جاءه خطاب بتوقيع المحافظ مثلاً، ولله المثل الأعلى.

نعم، وأضرب مثال لهذا الخطاب على قدر العصر، هو كخطاب التكليف الذي

---

٣١٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

يُصـــدره رئيس الجمهورية لرئيس الوزراء، يقول فيه: كلَّفنا رئيس الوزراء فلان الفلاني بتشـــكيل الوزارة من أجل المهام الآتية، ويذكرها له، كذلك كلَّف الله رســـوله بالنبوة من أجل هذه المهام التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات القرآنية.

المذيعة:

بعد لك قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

من فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا أن نبينا أُرسل لنا بشيراً: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ ولذلك قال ﷺ لأصحابه الكرام:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا }[٣١٤]

فكان كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا }[٣١٥]

فبشَّر الأمَّة بفضل الله علينا الذي جعل أفراد هذه الأُمة يكادون يصلون إلى مقام الأنبياء السابقين، فإن الله ﷻ كان يقول لكل نبي من الأنبياء السابقين: افعل ولا حرج، وقال لنا: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج) يعني لا مشقة في أي عمل طالبنا به الله، فيسَّر لنا بالرخص، فإذا لم أستطع أن أُصلي قائماً، أُصلي قاعداً، وإذا لم أستطع أن أُصلي قاعداً أُصلي نائماً، وإذا لم أستطع أن أتوضأ أتيمَّم، وإن لم أستطع أن أصوم أُفطر وأُعيد، وإذا عجزت طبياً عن الإعادة أُخرج الفدية، ومن ليس معه مال غير مُكلَّف بأداء فريضة الحج، وليس مكلَّف بفريضة الزكاة.

إذاً ليس هناك أي مشقة في اتباع هذا الدين الشريف والتفصيل يحتاج إلى وقت طويل.

المذيعة:

وماذا نقول لمن يرى هذا الدين تكاليفه ثقيلة، وتُقيد الإنسان عن مُتع الحياة؟

نقول لهم أن هذه أهواء نفسية، فالدين لم يحرّم شيئاً وإنما قنَّن، فمثلاً لم يُحرّم الدين على أي إنسان شهوة الجنس، ولكنه قنَّنها ونظمَّها بحيث لا يحدث اختلاط في الأنساب، ويظل الناس كما أراد الله ﷻ يتعارفون فيما بينهم.

---

٣١٤ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٣١٥ البخاري ومسلم

ولم يختر الله لنا ما نراه في عصـــرنا من كثرة المهور والتكاليف الغالية في الزواج، فكلها أهواء، وكما ورد بالأثر أن من بركة المرأة يُسـر مهرها وسـرعة إنجابها، وقال لرجل أراد أن يتزوج وليس معه شيء:

{ الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَلَمْ يَجِدْ، فَقَالَ: أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ سَمَّاهَا، فَقَالَ: قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ }[٣١٦]

فلم يجعل الدين علينا في أي أمر من دروب الحياة أو العبادات أو المعاملات مشقة بالغة، وإنما يسَّر ذلك الأمر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (البقرة).

فالذي يستكبر الطاعات ويظن أنها شديدة يكون يقينه في الدار الآخرة ضعيف، وإيمانه بالله غير قويم، ويظن أن الحياة الدنيا هي غاية المنتهى، ولذلك يريد أن يُشـــبع رغباته فيها بحلال أو بحرام، لكن الله ﷻ يُشبع رغبات المؤمن كلها بما يريد من حلال إذا اتَّبع شرع الله، وكتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ.

المذيعة:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ فما الفضل الكبير؟ من جملة هذا الفضل لكثرته:

الفضـــل الأول: أننا آخر الخلق في البعث، وأول الخلق يوم القيامة في الحســـاب، وأول أمَّة تدخل الجنة.

الفضل الثاني: يحاسب الأنبياء وأممهم جميعاً علانية، وهذا خزيٌ وفضيحة، أما أمَّة النبي ﷺ فقال لهم رب النبي: ﴿ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ (التحريم ٨) وكيف يكون الحساب؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ

---

٣١٦ صحيح البخاري والنسائي عن سهل بن سعد ﷺ

الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }[٣١٧]

إذاً نحن الأمَّة الوحيدة التي تحاسب بالفضل، أما الباقون يحاسبون بالعدل أمام الخلق، والكل يراهم ويرى خزاياهم.

الفضل الثالث: من جملة الفضل العظيم أن الله قال لنا في كتاب الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (١٦الأحقاف) سيتقبل الله ﷻ منا أحسن الأعمال الصالحة، ويتجاوز عن الباقي لأننا أمة مختارة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١١٠آل عمران).

المذيعة: نحن لم نختر هذا بإرادتنا، فقد وُلدنا مسلمين من آباء وأجداد مسلمين، اللهم اغفر لهم أجمعين.

لم يقُل الله (ستكونون خير أمة) وإنما قال: ((كُنتُمْ)) يعني من قبل خلق الخلق عند الله كنتم خير أمَّة أُخرجت للناس.

الفضل الرابع: جعل الله ﷻ الأنبياء شهداء على أممهم، وجعلنا شهداء عليهم، فسنشهد على جميع الأنبياء والأُمم السابقة.

المذيعة:

هل سنشهد على الإيمان بهم أم على ماذا؟

قال ﷺ موضحاً ذلك:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرجل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" }[٣١٨]

---

٣١٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٣١٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

يعني نحن الذين سنشهد عليهم يوم يجمع الله الرسل يوم القيامة:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء) فهو شهيد على الأنبياء.

وقال لنا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة) فنحن لنا منزلة الشهادة وهي منزلة الأنبياء، فكأننا جميعاً في مقام الأنبياء في نظر الله ﷻ، وهي بشرى من الله على لسان رسول الله ﷺ.

المذيعة:

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ هذا أمر آخر، فلِمَ أمره هنا بأن لايطيع الكافرين والمنافقين؟

المنافقون كانوا مندسين في وسط المسلمين، يصلون معهم، ويصومون معهم، ويقومون للجهاد معهم، وكانوا يدخلون في المشورة، ويقصدون بها أذى النبي وخذلان النبي ومن معه، فحذَّره الله من ذلك بأن لا يتبع مشورتهم.

والكافرون في بداية الدعوة ذهبوا إلى رسول الله، فوجدوا حوله الفقراء والمساكين، فقالوا: يا محمد نريد أن نجالسك ونستمع إليك، لكن لا نحب أن نجلس مع هؤلاء حتى لا يقول العرب أننا نجلس مع صعاليك العرب، ولكن اجعل لهم يوماً ولنا يوماً، أو لهم وقتاً ولنا وقتاً، فالنبي ﷺ أراد أن يستميلهم، ويحقق لهم رجاءهم، فقال له الله ﷻ:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف) فهذا في التفصيل.

ولكن في الأمر الإلهي المجمل ذكر من جملة تكليف النبي هذين الأمرين معاً، بأن لا يطيع أو يأخذ بما هو ظاهر بأنه نصيحة من المنافقين، بل يتوجَّس منهم خيفة، وأن لا يُطع الكافرين، وإن تظاهروا بمظهر أنهم يريدون أن يتعلموا الإسلام، إلا بما يريد الله ويريد أهل الإيمان من الله ﷻ.

المذيعة:

أي أمر لرسول الله ﷺ هو بالتبعية منسحبٌ على أمَّته، فكيف لنا كأمَّة رسول الله ﷺ أن لا نطع الكافرين ولا المنافقين؟

الله ﷻ أعطانا أمراً عاماً يجب أن ينتبه إليه جميع المسلمين، فقال ﷻ:

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ (آل عمران ٧٣) ما نراه من فُرقة وحروبٍ بين الأُمة الإسلامية والعربية، المسلم يضرب المسلم ولا يضرب يهودي أو كافر، من الذي وراء هذه الفتنة؟

الأمم الكافرة، هم الذين دبَّروها، وهم الذين أوقدوا هذه الحروب ليبيعوا أسلحتهم، وليُضعفوا المسلمين ويجعلوا المسلمين يقضون على بعضهم وهم يشاهدون ذلك.

- إذاً لا نأخذ أي مشورة منهم على أنها مشورة صادقة.
- وإنما نفكر فيها، ونتدبر فيها، وننظر فيها.
- ونقدِّمها للمختصين ليروا هل هي نصيحة صحيحة، أم تكون نصيحة بعدها فضيحة.
- وهذا الأمر الذي أمرنا به الله ﷻ، وأمر به رسوله ﷺ.
- كذلك ما نرى من واردات تأتي لنا من شتَّى الجهات، فنستورد أحياناً تقاوي لمحصول ما من جهة معينة، ويكون حاملاً لمرض يدمر حياة هذا المحصول عندنا، وهذا ظهر كثيراً.
- فلا بد أن نأخذ حذرنا عند أي أمر يأتي من أعدائنا، سواءٌ مستوردات، أو آراء، أو نصائح، أو توجيهات.
- كذلك ما كتبه المستشرقون عن الإسلام وعن نبي الإسلام ﷺ، فلا نأخذه على أنهم قومٌ صادقون ويتمتعون بالعلم أكثر منا.
- بل ننظر إلى ما فيها من دهاء، وأنهم يضعون السم في العسل، ونحن لا نكشفه ولا نراه:
  - وما أكثر هذه الدعاوي الآن بين طلاب جامعاتنا التي يروجونها وينشرونها باسم العلمانية أحياناً، وباسم الحرية أحياناً، ويقصدوا أن يصلوا بهم إلى مرحلة الإلحاد حتى يخرجوا من دين الله ﷻ

- إذاً هذه الأمور تحتاج إلى وقفة من مختصين مؤمنين صادقين يفحصونها جيداً قبل أن تدخل إلى أفكارنا، أو إلى أجسامنا، أو إلى بلادنا، حتى نكون على وعي كامل بما ينفعنا في هذه الحياة الدنيا.

- استجابة لقول الله ﷻ.

المذيعة: ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

أمر الله ﷻ رسول الله ﷺ – وهو الذي يُحسن التوكل على مولاه – أن لا يخشى أذى سواءٌ من الجن أو من الإنس أو من أي كائنٍ من الكائنات، لأن الله ﷻ تولَّى حمايته وقال له في شأن هؤلاء جميعاً:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة)، والذي يتولى مولاه حمايته لا يخشى أحداً إلا الله، ويعتمد على الله في كل أمر، ويُفوِّض ذلك إلى الله، ولا يشغل باله بهذا الأمر مطلقاً، لأنه ما دام مشغولاً بدعوة الله فيعلم علم اليقين أن الله مطَّلعٌ عليه ويراه، وأن الله يتكفَّل به في كل أمر.

المذيعة:

هل كان رسول الله محتاجاً لهذا التوجيه:

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ وعنده هذا التوكل؟

هذا زيادة اليقين، وزيادة تأكيد طمأنة رسول الله، لأن كم الأذى الذي كان يتعرض له النبي لا يتحمله بشـــر، فأراد الله أن يزيد التأكيد عنده واليقين عنده ليعلم أنه دائماً وأبداً مشمول برعايته وعنايته على الدوام.

المذيعة:

وهل نحن أيضاً أمَّة رسول الله تحت هذه المظلة، مظلة التوكل على الله؟

نعم:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر)

كما نصر الله رسله، فإنه ينصر أحباب رسله ما داموا قد تمسكوا بهدي الله، وعملوا بشريعة الله ﷻ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الصلاة على النبي ﷺ[٣١٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَٰخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ ﴾ (الأحزاب)

صلاة الله على المؤمنين	كلام أهل الإشارة	صلاة الله والملائكة على النبي
رأي الإمام القرطبي	حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة	صلاة المؤمنين على النبي
مراتب صلوات العارفين	الصلوات العددية	الصلوات الإلهامية
الصلوات الشهودية	حكم الصلاة على النبي	مواضع الصلاة على النبي
هيئة المُصلي على النبي	الصلاة على النبي ورد الصالحين	السلام على النبي
فوائد الصلاة على النبي	صلاة المقربين على النبي	إيذاء الله ورسوله
إيذاء المؤمنين والمؤمنات	لين الكلام	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي دلَّنا على أمر عظيم، وأنبأنا أنه تبارك اسمه وتعالى جدُّه وملائكته أجمعين يقومون بهذا الأمر تبجيلاً وتوقيراً واحتراماً لسيد المرسلين وإمام النبيين سيدنا محمد ﷺ.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جمَّلته بآدابك الرحمانية، وقويته بأرزاقك وألطافك الخفية، حتى جعلته نموذجاً قويماً لكل نفس تقية زكية تريد الوصال إلى رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، صلى الله عليه وعلى آله السعداء، وأصحابه الأصفياء، وكل من مشى على نهجه إلى يوم العرض واللقاء، وعلينا معهم أجمعين.

آمين آمين يا رب العالمين.

---

٣١٩ المقطم – مجمع الفائزين ٢٣ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١٢/٢٧م

آيات الصلاة على حضرة النبي ﷺ تحدَّث فيها مَن قبلنا، وأفاضوا في شرحها وتفسيرها، والإشارة إلى الإشارات العلية التي جعلها الله فيها لحضرته، وسيتحدث فيها المعاصرين ومَن بعدنا، ولن يستطيع أحدٌ من الأولين ولا المعاصرين ولا الآخرين أن يشرح هذه الآيات كما ساقها رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن كل واحد يشرح على قدره بما يشرح الله صدره، وكل مجلس له رزقه وله خيره وله بركته من الله، ربما يشرح الشارح الآية بأكثر من وجه، في كل مجلس وجه، فما هذا؟ أرزاق الحاضرين، فهي أرزاقكم تتنزَّل إليكم من ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

صلاة الله على المؤمنين

في البداية هناك آية غير هذه الآيات تتحدث عن صلاة الله وملائكته على المؤمنين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ (٤٣الأحزاب) لم يقُل إن الله صلَّى، بل قال: (يُصلي) بالمضارع المستمر، يعني يُصلي من قبل القبل إلى نهاية النهايات، صلاة مستمرة، وأشرك ملائكته معه ﷻ لتشريفهم.

فكما صلَّى الله ويُصلي على حبيبه ومصطفاه يُصلي علينا أيضاً، وذلك تشريفٌ لنا من الله، وشرَّف الله ملائكته بأن أشركهم معه في الخطاب، وهذا لا يجوز منا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لكن الله يفعل ما يشاء، يعني لا يجوز أن تُشرك أحداً مع حضرة الله.

ولذلك رُوي عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ:

{ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ }[٣٢٠]

لأن هذا ليس من شأنه، لكن الله أشرك معه ملائكته لتشريفهم ولتكريمهم ولتعظيمهم، قل ما شئت في ذلك لأنه ﷻ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

فكما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾ شرَّفنا وعظَّمنا وقال في شأننا:... ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ (٤٣الأحزاب).

---

٣٢٠ صحيح مسلم وأبي داود عن عدي بن حاتم ﷺ

كلام أهل الإشارة

إلى هنا الكلام ظاهره يوهم بأن الصلاة على المؤمنين كالصلاة على النبي الأمين، لكن أهل الإشارة قالوا: العبارة تبين الفارق بين المقامين، فإن الذي يصلي على المؤمنين هو الله بلفظ الهُوية (هو)، وهذا لفظٌ من ألفاظ الحضرة الإلهية، فهناك حضرة من الحضرات العلية اسمها حضرة الهُوية.

لكن الذي يُصلي على النبي هو (الله) بكل جمالاته وكمالاته وأسمائه وصفاته، يُصلي باسم الجلالة (الله) وهذا الاسم الأعظم الذي فيه كل الجمالات والكمالات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهو اسمٌ مخصوص، لنعرف أنه يوجد فارق بين المقامين، فارقٌ بين مقام من يُصلي عليه الله باسم ذاته القدسية، وبين من يُصلي الله ﷻ عليه بكنز الهُوية، وكنز الهُوية لو أُذن لنا أن نتحدث عن غيوبه الخفية لطارت العقول، لأن فيه معاني غريبة وعجيبة.

يعني مثلاً: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ (٣الحديد) فإذا كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا أولية له، فمَن الأول؟!!، والله ﷻ لا آخرية له، فمَن الآخر؟!! وظهوره عين بطونه، وبطونه عين ظهوره، فالوصف هنا لا يعلمه يقيناً إلا أهل التمكين، نسأل الله أن يكرمنا وأن نكون منهم أجمعين.

صلاة الله والملائكة على النبي

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾

ما دام الله ﷻ يُصلي على حضرة النبي، فهل يحتاج بعد ذلك إلى صلاة الملائكة أو المؤمنين أو غيرهم؟ أبداً ... إذاً صلاة الملائكة لمنفعتهم، فلا تعود المنفعة على حضرته، وإنما تعود عليهم، وصلاتنا على النبي من باب أولى لنا نحن، وفوائد الصلاة على حضرة النبي التي تعود علينا لو جلسنا في مجلسنا هذا إلى مطلع الصبح لا نستطيع حصرها ولا عدها.

حاول بعض العلماء الأجلاء وبعض الصالحين ذكر بعضها، ... لكن لا منتهى لحصرها ولا لعدها، ... حتى نعلم أن هذا فضلٌ عظيم من المولى الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا . ببركة الرؤوف الرحيم ﷺ.

رأي الإمام القرطبي

ولكن لا بد أن نذكر بعض أقوالهم إشادة بهم لأنهم مجتهدين، ولهم منزلةٌ كريمةٌ عند رب العالمين، أشار بعض السادة المفسرين الموفقين كالإمام القرطبي ﷺ فقال: إن الله ذكر الأدب مع حبيبه في بيته قبل هذه الآيات، والتي فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (٥٣الأحزاب) ففيها ذكر الآداب مع حضرة النبي، وذكر إعلاء شأن الربوبية وتكريم الحضرة العلية للحبيب ﷺ لقوله: (إن الله) وذكر أدب الملائكة في الملأ الأعلى مع حضرة النبي فذكر الملائكة، ثم ذكَّرنا بالأدب الواجب مع حضرة النبي في الملأ الأدنى في الأرض فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾.

فالأمر كله أدب راق وذوق عال من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لخاصة المؤمنين.

كيف يصلي الله على النبي؟ وكيف تصلي الملائكة عليه؟ كثير من السادة المفسرين والمؤولين شغلوا أنفسهم بهذا الأمر، مع أن هذا أمر غيبي لا يعلمه الإنسان إلا إذا علَّمه العليُّ، سيجتهد بفكره فلن يصل إلى شيء، سيجتهد بذكائه فلن يصل إلى شيء في هذه الأمور، لأنها أمورٌ غيبية:

هو العلم لا يُجلى بغير الحقائق وعلمٌ بكشفٍ فيه قربٌ لخالقي

هو من علوم المكاشفات، فكيف تأتي به في علوم الرسوم والجسوم؟

وما العلم إلا ما يعلمه العلي وآيُ يعلمكم دليل لصادق

وآيُ يعلمكم يقصد بها آية: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (٢٨٢البقرة).

فالذي يُريد معرفة كنه هذه الصلاة يحتاج أن يُرقق أُفق قلبه ويصغى بفؤاده إلى إلهامات ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حتى يعرف من علوم الإلهام ما ينبغي أن يعرفه في حق الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ولذلك – كما ذكرت – كثيرٌ من المفسرين القدامى والمحدثين، قالوا:
إن صلاة الله على رسول الله هي رحمته.
وقالوا إن صلاة الملائكة هي الدعاء له:

فهل هو الذي يدعو لهم، أم هم الذين يدعون له؟! ورحمته قد أخذها كلها:... ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء).

حتى إن بعض السادة الأكابر من العارفين عندما يحكي عن حادثة شق الصدر، وقال: أنهم أخذوا من قلبه قطعة وقالوا: هذا حظُّ الشيطان منك، فقالوا: يعني حظ الشيطان من رحمتك، لأن الشيطان يطمع في الرحمة التي جعلها الله فيك، لأنك لو رحمته وشفعت له سيرحمه الله:

لو نظرة منه لإبليس انمحت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

ولذلك كان الشيطان في ليلة الإسراء واقف في طريق النبي، ويقول: انظرنا يا محمد، فيقول: من هذا يا أخي يا جبريل؟ فيقول: هذا إبليس يريد نظرة منك لتمحوا شقاوته، فهو ﷺ الرحمة العُظمى لجميع العوالم الظاهرة والباطنة.

وقالوا عن صلاة المؤمنين أنها استغفار للنبي، لكن من الذي يستغفر للآخر؟! قال الله له: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ (١٩محمد) هل قال لنا نحن نستغفر له؟ لا، وهل فعل شيئاً ليحتاج للمغفرة؟ لا، هو أخذ من البداية:

﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح).

حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة

لكن أنا أقول بما فتح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به علينا: الصلاة سُميت صلاة لُغوياً لأنها صلة بين العبد ومولاه، يصل العبد مولاه ببعض التسبيحات والتحميدات والتلاوات التي سنَّها لنا رسول الله، ويصله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعطاياه على قدر صفائه ونقائه وهو واقفٌ بين يدي مولاه.

فإذا كانت الصلاة هي الصلة، فإن الله وملائكته يصلون على النبي، كيف يُصلي الله على النبي؟ يَصِله بصِلات لا تنتهي أبد الآبدين، في كل نَفَس له صِلات من حضرة الله، وله عطايا من خبايا كنوز فضل الله، وله اتحافات تأتيه جلية واضحة من مولاه.

وهو ﷺ – لأنه كريمٌ– طلب الله من الملائكة أن يحضروا هذه الصلاة، ليأخذوا نصيبهم من رسول الله؛ من العطاءات التي خصَّه بها مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنهم كلهم طامعين،

كما ورد ببعض الأثر أن سيدنا جبريل عندما وقف عند سدرة المنتهى قال له ﷺ: ألك حاجة عند الله؟ قال: بلى، أن يؤمنني، فمنذ خلقني الله وأنا أرتعد من رهبته وأخاف من جلاله وقهره وعظمته، فنزل قول الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (١٩٣الشعراء) والروح هو جبريل، وأخذ الأمان ببركة رسول الله ﷺ.

فالصـــلاة الإلهية والعطايا الربانية هي التي يتولى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الدوام إنزالها في كل نَفَس على خير البرية.

والله ينزل على قلوب الصالحين وأفئدة المتمكنين في كل نَفَس من الأنوار والأسرار والأفكار الإلهية ما لا يُعد ولا يُحد، يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

والعـارف الفرد محبوبٌ لخـالقـه فـات المقـامـات تحقيقـاً وتمكينـا
في كـل نَـفَـسٍ لـه نـورٌ يـواجـهـه من حضـــــرة الحق ترويحاً وتيقينا

وإذا كان ينزل في كل نَفَس للعارفين، فكيف بسيدنا رسول الله ﷺ؟! وما قدر عطاياه؟! ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (١الكوثر) والكوثر هو الخير الكثير الذي ليس له حدٌّ ولا عدٌّ، وهذا في البداية، وبعد ذلك:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

يعني أعطاك قبلاً، ويعطيك بَعداً حتى ترضـــى، ولذلك قال ســـيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

((ولا يرضى ﷺ وواحدٌ من أمته في النار))

وهذه هي الشفاعة، قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٣٢١]

أهل الكبائر من أمته يشفع فيهم حتى يُخفف عنهم الأحكام، ويأخذ فيهم ولهم عفواً من الملك العلام، ويُخرجهم من النار ويُدخلهم الجنة بسلام:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

٣٢١ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

صلاة المؤمنين على النبي

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ وهل يوجد أحدٌ في المسلمين أجمعين يعرف كيف يُصلي على حضرة النبي؟! ولذلك أصحابه المبجلين رضوان الله عليهم أجمعين – كما جاء في الروايات الصحيحة – ذهبوا إليه وقالوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }[٣٢٢]

أنتم لن تعرفوا كيف تصلوا، ولكن اعملوا توكيلاً لله وهو يُصلي بالنيابة عنكم، فقولوا: (اللهم صلِّ) هل نحن الذين نصلي أم هو الذي يُصلي؟

هو، يا رب نحن لا نعرف كيف نُصلي عليه، فصلِّ أنت عليه بالنيابة عنا.

وانظر إلى وفاء حضرة النبي، أدخل معه آله السابقين وآله اللاحقين: (كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم) هم آله الأولين، لأن نسبه يصل إلى إبراهيم، وإسماعيل بن إبراهيم، وذكر الآل الذين سيأتوا من بعده، إلى يوم القيامة، لماذا؟ لأنه كان ﷺ أرأف الناس بأهله، وأرحم الناس بذوي قرباه، وكلنا معشر المؤمنين من ذوي قرباه، لأنه عندما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ، قَالَ:

{ كُلُّ تَقِيٍّ }[٣٢٣]

وفي الأثر: **((أنا جَدُّ كل تقي))** كل تقي يكون له أبٌ شيخ، لكن جده لا بد أن يكون رسول الله ﷺ، أو إن شئت: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (﴿٣٥﴾فصلت):

كل تقي يكون له حظ عظيم عند الله، وأكبر حظ للتقي هو سيدنا رسول الله ﷺ، حظه الأكبر والأعظم أن يتمتع بمشاهدة رسول الله، وأن يحظى برؤياه، وأن يكون بينه وبينه مواجهاتٌ ومراسلاتٌ وأحاديث كما كان الصالحين من عباد الله.

---

٣٢٢ البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة ﷺ
٣٢٣ سنن البيهقي والطبراني عن انس ﷺ

ونسمع بعض المتشددين يقول: لا تصح إلا الصلاة الواردة عن الرسول في الحديث الذي ذكرناه، مع أنها واردة بروايات كثيرة، لكن عندما ننظر إلى أصحاب حضرة النبي نجد أن سيدنا علي كان له صيغة يُصلي بها على رسول الله، وسيدنا عبد الله بن مسعود كان له صيغة يُصلي بها على رسول الله، ويقول لهم:

((إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة))

يعني حسِّنوها وجوِّدوها، حتى تليق بحضرته ﷺ.

فليس شرطاً أن نلتزم بالصيغة الإبراهيمية إلا في الصلاة ...

ولكن خارج الصلاة صلِّ كما ألهمك الله بما شئت وكيف شئت.

مراتب صلوات العارفين

ولذلك العارفيو تنقسم صلواتهم تقريباً إلى ثلاثة أقسام:

- صلوات عددية.
- وصلوات إلهامية.
- وصلاة شهودية.

الصلوات العددية

الصلاة العددية:

كالمذكورة في (دلائل الخيرات) للشيخ الجازولي ﷺ وأرضاه.

والشيخ الجازولي كان رجلاً من أهل فاس في بلاد المغرب، وذات يوم كان ماشياً عطشان فذهب إلى بئر ليشرب منه فوجد المياه عميقة ولا يستطيع الوصول إليها ليشرب منها، وإذا بفتاة تنظر من شرفة من منزل، وإذا بالماء يفور ويصعد حتى يصل إليها فتشرب وهي في مكانها، فتعجب، فسألها: كيف وصلت إلى هذه الحالة؟ قالت: بالصلاة على النبي.

فاجتهد الرجل في الصلاة على حضرة النبي وألَّف (دلائل الخيرات) وهي اجتهاد ولكن مبنية على العدد، فيقول مثلا: اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد قطرات البحار، وعدد ذرات الرمال، وعدد أوراق الأشجار، وعدد كذا، وعدد كذا.

فكلها مبنية على العدد لأنها فكرية ...

ولذلك كان الرجل حكيماً فسماها (دلائل الخيرات) لأنها تدل فقط.

وفتح الله عليه بها حتى وصل إلى التمتع برؤية الحبيب المصطفى كرات ومرات.

ولذلك يُذكر أنه بعد مماته بحوالي كذا وثمانين عاماً نُقل من قبره إلى ضريحه فوجدوه طرياً كأنه مات الآن ببركة الصلاة على رسول الله ﷺ.

واشتهرت الدلائل في كل الأصقاع الإسلامية ...

واشتهار الكتاب يكون دليلاً على صدق صاحبه وصفاء صاحبه مع مولاه.

الصلوات الإلهامية

هناك صلوات إلهامية أو مددية: إن شئت هذه وإن شئت هذه.

فهي مددٌ وهي إلهام.

فإن الصالحين كل واحد منهم له صيغة أو عدة صيغ خاصة به، كيف تأتيه؟

إلهام من رسول الله ﷺ.

ولذلك نسميها صلواتٌ إلهامية، غير الصلوات العددية.

رجل من أهل بيروت في القرن العشرين اسمه الشيخ يوسف النبهاني ﷺ وأرضاه:

وكان قاضياً شرعياً، وكان شديد التعلق بالحضرة المحمدية، فجمع صلوات العارفين منذ الصحابة الأولين إلى عصره في كتاب كبير سماه (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين) وهو كتاب كبير حوالي سبعمائة صفحة وهو موجود لمن يريد أن يقرأ هذه الصلوات ولو مرة، لتعرف تجارة العارفين وبضاعة العارفين التي ألهمهم بها سيد الأولين والآخرين ﷺ.

صيغة واحدة منها لسيدي عبد السلام بن مشيش ﷺ:

(اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار) احتار الشُرَّاح في شرحها، ولها عددٌ من الشروح لا يُعد، فما بالك بهؤلاء الأولين رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم أجمعين.

الصلوات الشهودية

وهناك صلاة شهودية، فبعض الصالحين يكونون في حالة تجلي جمالي لسيد الأولين والآخرين، وهم لا يشاهدون جمالاته الجسمانية التي يُغنِّي بها المداحين، بل يشاهدون جمالاته النورانية، وجمالاته الروحانية، وجمالاته الربانية التي انفرد بها عن الأولين والآخرين.

ففي هذه اللحظات يُعبر بصلوات عما يشاهده من الحضرة المحمدية، وهذه اسمها صلواتٌ عينية، أو صلواتٌ شهودية، وسمِّها كما شئت، الإمام أبو العزائم ﷺ يحكي عن واقعة من واقعاته العينية فيقول:

حبيبي قد شرح صدري وآنسني إلى الفجر
ورقَّاني إلى أعلى مقام القرب والسير

واسترسل إلى أن قال:

فقم للدين يا ماضي فإني قد صدر أمري
تملَّى بي وشاهدني ومل عندي عن الغير
وأنبئ من يُرد قربي بحُسني حيث لا يدري

فهذه صلوات شهودية.

ومنها (الفتوحات الربانية) للإمام أبو العزائم ﷺ [٣٢٤]:

وهي حوالي خمسمائة فتح أو يزيد، وكلها فتوحات في الصلوات على حضرة النبي ﷺ، وما طُبع منها حوالي سبعة وسبعون فتحاً، والباقي موجود في عالم البرزخ لمن وصل إلى هذا المقام يراه بنور البصيرة، وبتوفيق الملك العلام ﷻ.

الصلوات على حضرة النبي بابها مفتوح:..

صلاة بعدد .. وصلاة بمدد .. وصلاة بفتح ومشاهدة ..

هذه موجودة وهذه موجودة وهذه موجودة.

---

٣٢٤ وقد أكرمنا الله بطباعة فتوحات الصلوات المشهورة، وهى الفتوحات الأربعة الأولى ويسبقها الدعاء القرآنى ويليها استغاثة التوجه الروحانى عدة مرات ؛ كما حققنا شرحها لشيخى العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة وطبعناها طباعة حديثة فاخرة ليكون عونا للمحبين والتالين لها على فهمها والتملى والاستزادة من أنوارها وبركاتها رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

حكم الصلاة على النبي

متى نُصلي على حضرة النبي؟

بالنسبة لأهل التشريع جميعاً يأخذوا تشريعهم من الأئمة العظماء الأربعة، وهؤلاء قالوا: ينبغي أن نُصلي على حضرة النبي في كل فريضة نؤديها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الإمام الشافعي قال:

هي فريضة لو تركها الإنسان فلا تصح صلاته.

لكن الأئمة الآخرين كأبو حنيفة وغيره قالوا:

الصلاة على حضرة النبي ﷺ في الصلاة مستحبة.

لكن متى تكون الصلاة على حضرة النبي ﷺ فريضة؟

أيضاً اختلفوا – واختلافهم رحمة – الإمام مالك قال:

هي فرض علي كل مسلم مرة واحدة في العمر، يعني لا بد من تنفيذ هذا الأمر ولو مرة في العمر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾.

الإمام الشافعي قال: فريضة في كل صلاة.

وإجماع الأئمة قالوا:

أن الصلاة على النبي فرضٌ كلما ذُكر اسمه ﷺ، لأنه قال:

{ الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ }[٣٢٥]

وهذا الذي نأخذ به.

فلا يجوز أن يُذكر اسم حضرة النبي على لساني أو لسان أحد في مجلس، ولا أُصلي على حضرته.

بل إن المجلس الذي لا يُصلَّى فيه على حضرة النبي من بدايته إلى نهايته يقوم أهله على أنتن من جيفة حمار، فلا بد أن نُصلِّ عليه ﷺ كلما ذُكر اسمه.

---

٣٢٥ مسند أحمد والطبراني

مواضع الصلاة على النبي

وأضاف السادة العلماء الأجلاء أبواباً كثيرة لتدريب المؤمنين والمسلمين والصادقين على الصلاة على النبي، وأخذوها من سنته:

- فإذا دخلت المسجد، فلا بد أن أبدأ بالصلاة على النبي وبعدها أقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك.
- وإذا خرجت من المسجد أبدأ بالصلاة على النبي، وبعدها أقول: اللهم هب لي من فضلك.
  - فإذا دخلت منزلي، أو دخلت حجرتي، أو أستعد للنوم، أو أستعد للطعام، أو أستعد للشراب، أو أستعد لأي عمل من الأعمال، فلا بد أن أُصلي على رسول الله ﷺ حتى يكون على بالي على الدوام.
- وأُذكِّر نفسي لأنه لا يجب أن يغيب النبي ﷺ عن بالي طرفة عين، كلما عملت أي عمل لا بد أن أُصلي على حضرة النبي ﷺ قبل العمل وبعد العمل.

أريد أن أدعو الله، ولكي يكون الدعاء مقبولاً فيكون قبل الدعاء، الصلاة على حضرة النبي، وفي آخر الدعاء الصلاة على حضرة النبي، وهذا بالنسبة للناس أجمعين.

وبالنسبة لأهل الخصوصية:

فقد مثَّلهم سيدنا أُبي بن كعب ﷺ، عندما قال لرسول الله ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ مِن صَلاتِي؟ قال: مَا شِئْتَ، قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالثلثَينِ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قَالَ: إذاً تُكْفي هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ }[٣٢٦]

يعني ضمنت النجاح في الدنيا، والفوز في الآخرة، لأنك جعلت وقتك كله في الصلاة على حضرة النبي.

---

٣٢٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أُبيّ بن كعب ﷺ

هيئة المُصلي على النبي

بعض المتشدقين يقول: هل أُصلي على حضرة النبي أم أذكر الله؟

الصلاة على حضرة النبي هي نفسها ذكرٌ لله، لأننا في أولها نقول: (اللهم) يعني يا الله، أليس هذا ذكر؟ هو ذكرٌ قريب، لأني أقول يا الله صلِّ على رسول الله ﷺ.

وهي اسمها صلاة ولكنها لا تحتاج إلى وضوء، ولا تحتاج إلى اتجاه للقبلة، ولا تحتاج إلى مسجد، ولا تحتاج إلى هيئات وأركان الصلوات التي نصليها لله، فلعُلوِّ قدرها ورفعة شأنها خفف الله عنا في هيئاتها، فتُصلي كما شئت، نائم صلِّ، على وضوء صلِّ، وعلى غير وضوء صلِّ، حتى ولو كنت على جنابه لست ممنوعاً من الصلاة على حضرة النبي ﷺ، لكن ممنوع من الصلاة لله، وممنوع من قراءة القرآن، أو مس المصحف، لكن لست ممنوعاً من الصلاة على النبي أو الاستغفار أو ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ...

فما الذي يمنع الإنسان أن يديم الصلاة على رسول الله ﷺ؟!!.

الصلاة على النبي ورد الصالحين

ولذلك نسمع أو نقرأ عن سلفنا الصالح المباركين، ونجد أن الورد الأعظم لهم في طريقهم إلى الله هو الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ.

سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ ك

كان له شيوخ كثيرون، ويأخذ من كل شيخ خصيصته.

فكان شيخه في الصلاة على النبي اسمه الشيخ نور الدين الشوني، وكان صاحب مجالس الصلاة على النبي في الجامع الأزهر، وكان يحضر مجلس الصلاة على النبي معه أكثر من عشرة آلاف فرد، وكان يُصلي على النبي ﷺ في اليوم والليلة أربعين ألف مرة.

قد تتعجب وعقلك قد لا يقبل ...

لكن من رام الوصول فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يلاطفه ويُسهل له الحصول على كل مأمول، فيطوي لهم الزمان ..، ويطوي لهم المكان ...، ويطوي لهم الوقت ...

عناية من الله ﷻ.

هذا القرآن نقرأه في كم من الوقت؟

القراءة التي حددها حضرة النبي لنا ثلاثة أيام ...

لكن سيدنا الإمام الشافعي ﷺ كان يقول:

((يمر القرآن كله على فؤادي؛
ما بين وضع قدمي في سرج دابتي إلى أن أمتطي دابتي))

لحظات !!

فلا تقل كيف؟

فهي لا تصلح هنا !! لأنها حقائق غيبية تحتاج إلى ذُق تشهد، ولا تتقبلها بعقلك الكاسد البالي ..!!!

لأن العقل يحتاج للمحسوسات، وهذه من الغيبيات من عالم الملكوت الأعلى.

وبعضهم كان يطوي لهم الأرض:

فيقطع ما بين المشرق والمغرب في خُطوات!!

وبعضـــهم كان يطوي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له الوقت ..، فيقرأ الكتاب الكبير الذي يحتاج إلى شهور في ليلة.

الشـيخ عبد الوهاب الشـعراني ﷺ حكى في كتابه (المنن الكبرى) وهي المنن التي منَّ الله بها عليه، فيقول:

((ومما منَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به عليَّ،
أني قرأتُ كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي؛
عندما كنت أضع كتاباً عن علوم الشيخ الأكبر في ليلة واحدٍة .. عدة مرات!!!))

وهذا الكتاب حوالي سبعة آلاف صفحة !! وكان يحتاج إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخرة حتى يأخذ ما يريده ..!!

كيف هذا؟!

هذه أحوال الصالحين، وأحوال المتقين التي يُكرمهم بها رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

السلام على النبي

﴿ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ :

والسلام هو الأمان، فالله ﷻ يعد من يُصلي على حضرة النبي بأنه سيحصل على الأمان في الدنيا ويوم الزحام.

فالصلاة على رسول الله ﷺ هي المفتاح الذي يفتح الله به على كُمَّل العارفين، وعلى أئمة الوارثين، وعلى الصادقين من المريدين:

فأقبلوا بالصلاة على رسول الله ....

واجعلوها وردكم الذي لا ينقطع ليل ولا نهار.

وما أخفها على اللسان، وما أثقلها في الميزان، وما أحبها إلى الرحمن ...

وما يُكشف للإنسان من براقع تمنعه من رؤية النبي العدنان، كل هذا موجود في الصلاة على رسول الله، ولذلك هي عُمدة السالكين في بداية حياتهم.

أكبر تعظيم لرسول الله صلاة الله عليه، وأكبر أدب من الملائكة الكرام صلاتهم على رسول الله ﷺ، وأكبر أدب من المؤمنين مع نبيهم إكثار الصلاة والسلام على حبيبهم ﷺ.

مع أنها أعظم أبواب القرب إلى الله، لكن لا تصل إلى ما ذكره بعض القوم الذين قالوا أن الصلاة على النبي تُغني عن الشيخ، لكن الصلاة على النبي تعين على الوصول إلى الشيخ في حالة فقد الشيخ، والدعاء الوارد عن العارفين:

((اللهم دلني على من يدلني عليك)).

فإذا وصلت للعارف أمشي على المنهج الذي يريده مني ...

فهو المشرف على رسالة معرفتي ...

لأننا كلنا متقدمين لنيل درجة الدكتوراة في معرفة الله، فلا بد لها من مشرف، والمشرف يكون قد سبق في معرفة الله وحصل على درجة الدكتوراة، وأذنت له الجامعة المحمدية بأن يُشرف على غيره ليوصلهم إلى هذه الدرجة العالية في معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فوائد الصلاة على النبي

لكننا نصلي على حضرة النبي ﷺ صِلةً به، والعوام يصلون على حضرة النبي ﷺ طمعاً في الفوائد التي ذُكرت في الصـــلاة عليه، وكلها فوائد عظيمة، وأعظمها وأعلاها شأناً قوله ﷺ:

{مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا }[٣٢٧]

وكما قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ:

((لو صلَّى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على رجل مرة واحدة تُغنيه في كل ما يحتاجه في دنياه وأُخراه، فما بالك لو صلى عليه عشراً؟!)).

وهذا في الصيغة الواحدة في الصلاة على حضرة النبي، ناهيك أنها تُكفيك همك ويُغفر لك ذنبك، ناهيك عما قيل في تفريج الكروب، فأعظم مُفرج للكروب هو الصلاة على الحبيب المحبوب ﷺ، حتى للعصاة والمذنبين والناهجين على غير الطريق المستقيم.

الإمام سفيان الثوري ﷺ، وهو من أئمة التابعين، وكان صاحب مذهب كالإمام الشافعي والإمام مالك، والمذاهب الفقهية أكثر من ثلاثين مذهب، لكن الذي أشيع ونال حب الناس المذاهب الأربعة.

فكان ماشياً يطوف بالبيت الحرام فوجد رجلاً لا يرفع قدماً إلا ويُصلي على النبي، ولا يضعها إلا ويُصلي على النبي، فأراد أن يرشده، فقال: يا هذا، هذا ليس وقت الصلاة على النبي، ولكنه وقت الدعاء والتسبيح والتهليل والتكبير، فقال: من أنت؟ قال: سفيان الثوري، قال: عالم العراق؟ قال: نعم، قال: لولا أنك عالم العراق ما أخبرتك، ولكن تعال في جانب بعيداً عن الطائفين وأحدثك بذلك، قال: عزمتُ على الحج هذا العام ومعي أبي، وكان مسرفاً على نفسه – يعني غير محافظ على الطاعات والعبادات والفرائض – وجاءه الموت ونحن بالقرب من مِنى، فلما مات رأيت وجهه قد اسوَّد، فغطيته بملاءة ثم انتابني همٌّ وحزن، ومن شدة الهم والحُزن ألقى الله عليَّ النوم، فرأيتُ رجلاً جاء إليَّ وكشف الغطاء عن وجه أبي، ومسح بيده على وجهه فابيضَّ، فقلت له: من أنت؟ قال: أوما تعرفني؟ أنا نبيك، وإن أباك كان مسرفاً على نفسه، لكنه

---

٣٢٧ معجم الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ

كان قبل أن ينام يُصـــلي عليَّ، فلما حضـــره من أمر الله ما رأيت اســـتغاث بي فجئت لإغاثته، جاءه ﷺ لإغاثته وحوَّل أمره من الظلمات إلى النور، ومن حياة الجحيم إلى حياة النعيم، والقصص في هذا المجال كثيرة وكثيرة لا تُعد ولا تُحد.

منها أن يأتي النبي ﷺ لإنسـان يشـكو شـكوى شـديدة في تقطير رزقه ويبشـره بسـعة الرزق، وما من معركة حربية إسلامية إلا وجاء لبعض الأفراد وبشَّرهم بالنصر في هذه المعارك، كل هذه أمور تحدث للصالحين وعامة المؤمنين بشرى من رسول الله ﷺ لهم أجمعين.

صلاة المقربين على النبي

لكننا عندما نصلي عليه نصلي عليه تزلفاً وتوداداً وتقرباً إليه، طمعاً في أن يتفضل علينا ببعض ما وهبه الله، أو يُسبغ علينا بعض العطايا التي وهبها له مولاه، أو يشفع لنا عند الله في منزلة كريمة نتمناها وعَمَلنا لا يوصل إليها في هذه الحياة، طامعين فيما عند رسول الله، وخاصة وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال عنه: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير) ليس ببخيل، بل كريم يجود بكل ما في يده، حتى قالوا عنه في وصف الأشياء الحسية:

تعوَّد بســـط الكف حتى لو أنـه طواهـا لقبض لم تطعـه أنـاملـه

لأنه تعوَّد على ذلك ...

وفي المجال الروحاني والنوراني أكبر وأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه.

إيذاء الله ورسوله

بعد أن أعلن الله ﷻ عُلو مكانته عند المؤمنين وعند الملائكة المقربين وعند رب العالمين، حذَّر تحذيراً شديداً من ايذائه ﷺ بالنسبة للمنافقين والكافرين والجاحدين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ الذي يؤذي الله هو الذي يجعل له شريك، والذي يجعل له زوجة، والذي يجعل له ولد، والذي يجعل له صفات سلبية وليس له صفاتٌ وهبية، وهي طائفة أيضاً من المسلمين، ينسبوا إلى الله الصفات السلبية فقط، لكن الصفات الإيجابية من الكرم والعطاء، لا، لماذا؟ يقولون: لأن كل شيء في اللوح المحفوظ، لكن اللوح المحفوظ من الذي عمله؟ الله ﷻ، وقال فيه: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(﴿٣١﴾الرعد) يعني ليس ثابتاً على الدوام، ولكنه يغير ويبدل كما يريد، يُغير ولا يتغير، ويُبدل ولا يتبدل، ويُصرف ولا يتصرَّف، فهو ﷻ له الملك يفعل فيه ما يشاء: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (﴿٢٣﴾الأنبياء).

فهؤلاء كلهم الذين يحاولون الدخول على صفات الألوهية كالمعتزلة والخوارج، وهؤلاء ليس لنا شأنٌ بهم، ولذلك عقيدتنا عقيدة السلف الصالح أصحاب النبي ﷺ.

فلا أحدٌ منهم جادل مع أحد في علم الكلام، ولم يكن هناك شيء اسمه علم الكلام، ولا في صفات الله، فصفات الله كما هي موجودة في كتاب الله، لا يعلم كُنهها ولا قدرها ولا غيبها إلا الله ﷻ.

فعلى سبيل المثال الخطأ الذي وقع فيه بعض الطوائف من المسلمين في عصرنا هذا، يزعمون أن لله أعضاءًا كأعضائنا، فعندما يسمعون كلمة (يد الله) يقولون هذه يد كيدنا، حتى أن زعيماً لهم صعد المنبر يوماً وقال يقول ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا }[٣٢٨]

ونزل الرجل درجة من على المنبر وقال: كنزولي هذا!!. وطبعاً نحن نقول: يتنزَّل بعطائه، ويتنزل بخيره، ويتنزل ببره، ويتنزل بمغفرته، ويتنزل بمكافآته ... يتنزل بكل الخيرات والعطايا والنفحات التي يهبها لعباده، لكن ذات الله ﷻ في عماً العماً، جلَّت عن أن تُرى بالأحداق، أو تسعها العقول بالمنطق والأفكار، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلاف ذلك.

فهؤلاء ومن دار في فلكهم من الآخرين أهل الأديان الأخرى الذين يقولون: أن لله زوجه وله ولد، ويقولون ثالث ثلاثة ... كل هؤلاء يقول فيهم الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾.

﴿ وَرَسُولَهُۥ ﴾ إيذاء الرسول كثير جداً، منهم من آذاه إيذاءًا جسمانياً في مكة عندما ألقوا على ظهره كروش الحيوانات، وغيرها من الأشياء التي لا نستطيع حصرها، وفي الطائف عندما سلطوا عليه الصبيان الذين يقذفونه بالحجارة.

ومنهم من كان يؤذيه بلسانه، فيسبه ويشتمه، ومنهم من كان يؤذيه في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، ولذلك ورد في الأثر: **((لا تؤذوني في أهلي))**، ومن كان يؤذيه

---

٣٢٨ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

في زوجته صفية، يقولون: تزوج اليهودية بدون رضاها مع أنها كانت متزوجة قبل ذلك، ونسوا أنها أصبحت سبيَّة، وأنها كان لها رؤيا، فقد رأت أن قمراً وقع في حجرها قبل قتل زوجها، وبُشِّرت بأن هذه الرؤيا زواجها برسول الله ﷺ.

ومنهم في عصرنا من يؤذيه ﷺ فيغض الطرف عن شأنه ويقول: لا تسيدوه، ومنهم من يقول اتركوا السُنَّة وليس لنا شأن إلا بالقرآن، فما كان في القرآن عملنا به، وليس لنا شأنٌ بالسُنَّة، وحضرة النبي تنبأ بهم أنهم يأتون في آخر الزمان، أنواع كثيرة من الإيذاء.

هؤلاء كلهم: ﴿ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ واللعن يعني الخروج من رحمة الله، ومن فضل الله، ومن كرم الله، ومن رعاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ يعني عذاب فيه إهانة، وهذا معناه أن هذا العذاب يكون في الموقف العظيم، بحيث يفضحهم ويُخذلوا ويُهانوا أمام الخلق أجمعين، عقاباً لهم لوقوعهم في الله وفي رسوله ﷺ.

وكوْن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ويضم رسوله إليه، دليلٌ على تعظيم هذه الذات المحمدية، وعلى عُلو شأنها ورفعة قدرها عند رب البرية، لأنه أدخله معه في نفس القرار ونفس القانون.

إيذاء المؤمنين والمؤمنات

ثم انتقل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى المؤمنين والمؤمنات، ليعلّمنا أنه ينبغي أن يكون بيننا رحمٌ إيمانية، أبونا رسول الله ﷺ، وأزواجه أمهاتنا: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ (٦الأحزاب) وفي قراءة أخرى (وهو أبوهم) لا بد أن نراعي هذه الرحم فيمن يقع فيما نهى عنه الله في الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ يعني بغير جُرم فعلوه أو ذنب ارتكبوه، لماذا؟ قال ﷺ:

{ لَيْسَ لِفَاسِقٍ غِيبَةٌ }[٣٢٩]

الفاسق الذي يُعلن بالمعاصي ليس له غيبة، بل قيل: اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس، وهذه تحتاج إلى حكمة بالغة، ربما يكون الفاسق فاجراً وأنا أذكره بسوء فيؤذيني ولا أستطيع التعرض له، كقُطَّاع الطرق، فتحتاج هنا للتنبيه بحكمة وبلطف.

---

٣٢٩ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن حجر

فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات إن كان بغيبة أو بنميمة أو بسبٍّ أو بفسق أو بتعريض يُعرض به أن فلان كذا وكذا، فيقول له آخر: إن فلان هذا رجل طيب، فيقول له: أنت لا تعرفه وهذا سبٌّ بطريق التورية، لا تعرفه يعني هو غير ذلك، وإن كان لم يُفصح ولكن اسمه تعريض، فهؤلاء قال فيهم الله: ﴿ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ بهتان يعني ذنب عظيم، وإثم مبين يعني إثم واضح وليس خفياً.

ولذلك ينبغي على المؤمن أن يحرص على الدوام أن لا يخرج من لسانه إلا ما فيه مدحٌ وثناءٌ وتعظيمٌ وإكرامٌ لإخوانه المؤمنين ...

والكلمة التي تسيئ له ولو من بعيد لا يقولها، قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[٣٣٠]

لين الكلام

أول شرط هو لين الكلام:

سيدنا عمر ﷺ وأرضاه يحكي عن أصحاب رسول الله أمراً عجباً، يقول ﷺ:

((كنا نجلس نتحدث، فكنا ننتقي أطايب الكلام، كما تنتقون أطايب الطعام))

وليس هو وحده، بل كل واحد منهم ينتقي الكلام الذي يقوله قبل أن ينطق به.

وهذا حال المؤمن، فالمؤمن دائماً الكلام الذي يخطر على باله قبل أن ينطق به اللسان يتروَّى، ويعرضه على عقله، إن كان في ميزان حسناته أخرجه، وإن كان ليس له لا يُخرجه.

فالذي يُريد أن يعيش سعيداً في الدنيا، ويعيش في مقام الرضا والولاية العُظمى عند الله يوم القيامة عليه بذلك، لأنه لن يخرج من فمه كلمة يعتذر عنها، فما الذي يجعلني أعتذر؟ أقول الكلمة وأحتار كيف أُرضي الذي قيلت فيه، حتى ولو كانت الزوجة، عندما يقول لها الزوج كلمة غير مُنضبطة فيحتار كيف يُرضيها، لأنه خجل، ولِمَ أضع نفسي في هذا الموقف؟!.

---

٣٣٠ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فالإنسان لا يكون عجولاً ...

لأن أهم شيء الأناة في الحديث الذي يخرج من اللسان بعد عرضه على العقل، حتى يسلم الناس منه ويسلم هو من محاسبة الله، ومن الندم ومن الخجل سواءٌ أمام الخلق أو أمام الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذه بداية الحكمة.

الإنسان الحكيم هو الذي يخرج من لسانه ألفاظاً لا تؤذي غيره ولا تؤذيه أمام الخلق أو أمام الحق، وهذا هو الإنسان المؤمن الكيّس الفطن، الذي قال فيه الله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج) الصراط الحميد يعني سيحمده الله، ويشكر صاحبه على المنهج الذي مشى عليه في هذه الحياة الدنيا.

فالمؤمن لا بد في البداية لكي يدخل على حضرة القرب من القريب سبحانه، ويدخل معية رسول الله، أن لا يكون عليه أثقال ولا أحمال، وهذه الأحمال كلها من اللسان، قال ﷺ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[٣٣١]

وقال: **{ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ؛ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟! }**[٣٣٢]

ولو تدبرنا في كل مشاكل الدنيا تقريباً نجدها من اللسان، حتى القضايا في المحاكم وغيرها، والبغضاء التي تأتي في الصدور، والشحناء التي تأتي في القلوب، كل هذه سببها من اللسان، يسمع الإنسان كلمة من آخر فيحملها في نفسه، أو واحد يقول له فلان قال عنك كذا، فيحملها في نفسه.

فأنا حتى أمسك لساني لا أتلقَّى الكلام من هذا ولا من هذا، وإذا حضرت مجلس نقوم من المجلس كأننا لم نجلس.

نسأل الله ﷻ أن يجعل نطقنا ذكراً، ونظرنا عبراً، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا اللسان القويم، والقلب المستقيم، والقرب من نبينا الرؤوف الرحيم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣٣١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عقبة بن عامر ﷺ
٣٣٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن جبل ﷺ

(٢٦)

قدر حضرة النبي في سورة يس[٣٣٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ ﴾ (يس)

فضل قراءة سورة يس	قلب القرآن	الأدب مع العلماء
تفسير كلمة (يس)	الدعوة بالرفق واللين	التذكرة

فضل قراءة سورة يس

الآيات التي معنا من بداية سورة (يس)، وسورة يس ورد فيها أحاديث كثيرةٌ جداً رغَّبت فيها الصالحين والسالكين والمريدين.

ولذلك نحن جعلنا لمن يلتزم معنا الورد القرآني؛ أن الإنسان يقرأ كل ليلة سورة يس وسورة الملك، وهذا غير التلاوة المرتبة لآيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقد اخترت لكم مجموعة من هذه الأحاديث حتى نعطر آذان قلوبنا وأسماعنا بسماع أحاديث نبينا.

وحديث حضرة النبي ﷺ مهما كانت درجة حفظ الإنسان له الأفضل أن يتلوه قراءة حتى لا يُغير ولا يُبدل، لأن الحرف الواحد في أحاديث حضرة النبي قد يُغير المعنى تماماً، وفيما بين ذلك إن كان في خطب جمعة أو دروس أو غيره دائماً ننوي بالنية– وليست نية ظاهرية – أن كل ما نحدثه عن حضرة النبي بالمعنى، يعني كل ما نقوله عن حضرة النبي: ما معناه، لأنني لا أستطيع أبداً أن آتي باللفظ الدقيق.

واللفظ يفترق، فسيدنا رسول الله ﷺ كان يُعلِّم أحد أصحابه دعاء ما قبل النوم،

---

٣٣٣ المقطم – مجمع الفائزين ٢٣ من رجب ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٢/٢٤م

فقال ﷺ:

{ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ }[٣٣٤]

الرجل قال: ورسولك الذي أرسلت، فقال له: **(ونبيك الذي أرسلت).**

نحن قد لا نلاحظ الفرق ونقول النبي كالرسول، لكن حضرة النبي يُعلِّمنا الدقة في ذكر أحاديث رسول الله ﷺ.

من هذه الأحاديث، والتي ذات المعنى النفيس، والتي نتمنى أجمعين أن يجهز الله لنا من يقرأها لنا عند الحين قوله ﷺ:

{ اقْرَءُوا يس عَلَى مَوْتَاكُمْ }[٣٣٥]

وهذه تحتمل معان كثيرة:

- تحتمل القراءة عند خروج النزع إذا كان الإنسان يعالج سكرات الموت، ويجد معاناة في ذلك، فمن كان حوله يرحموه ويقرأوا له يس، لماذا؟ لأنها تُسهل خروج الروح.
- ويجوز أيضاً قراءتها بعد الموت عند غسل الميت أو تكفينه، فالمفروض أن يكون أحد واقف، أو تسجيل، أو شيء من هذا القبيل يقرأ يس حتى تنزل الرحمات بتلاوة هذه الآيات المباركات.
- ولا مانع أن نقرأها عند المقابر بعد الدفن لأهل المقابر أجمعين، لأن هناك رواية عن رسول الله ﷺ:

---

٣٣٤ صحيح البخاري والترمذي عن البراء بن عازب ﷺ
٣٣٥ سنن أبي داود وابن حبان عن معقل بن يسار ﷺ

{ مَنْ دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَقَرَأَ سُورَةَ يس خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ فِيهَا حَسَنَاتٌ }[٣٣٦]

والحديث الآخر الذي يحدد بالضبط قال فيه ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيُقْرَأُ عِنْدَهُ يس، إِلَّا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ }[٣٣٧]

- وهذه التي أمسك بها سلفنا الصالح، فعندما يأتوننا ويقولون: فلان هذا يعاني من النزع، نقول لهم: اقرأوا يس، وهذه حدثت مراراً وتكراراً، فيذهبون ويقولون: بمجرد أن قرأنا (يس) ولم ننته منها بعد، يأتي أجل الله ﷻ، لماذا؟ ببركة سورة يس.

ونحن، ما أكبر ما يرجوه الإنسان في الدنيا؟

أن يغفر الله تعالى له ...

وما أسهل طريقة لنيل المغفرة؟ قال ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ غُفِرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ }[٣٣٨]

فلِمَ نتركها؟!!

لذلك كان ولا يزال الصالحون في كل زمان ومكان يقرأون في الليالي الفاضلة سورة يس، ولعل بعضكم رأى في بعض القرى في ليلة النصف من شعبان بين المغرب والعشاء يقرأ الناس سورة يس ثلاث مرات، ولم التثليث؟

لأن التثليث سُنَّة عن رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ إذا دعا بدعاء كرره ثلاثاً.

والذي يُريد الأجر ولكنه ضعيف في العمل، فمثلاً يريد أن يقرأ القرآن كل ليلة عشر مرات !!!

فهل يستطيع أحدٌ أن يقرأ القرآن عشر مرات؟ نعم ..

قال حضرة النبي ﷺ:

---

٣٣٦ تحفة الأحوذي عن أنس بن مالك ﷺ
٣٣٧ التلخيص الحبير لابن حجر عن أبي ذر ﷺ
٣٣٨ سنن الدارمي والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس، وَمَنْ قَرَأَ يس كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ }[٣٣٩]

فكأنني إذا قرأت يس في ليلة يُكتب لي قراءة القرآن عشر مرات، فهل نترك ذلك؟ وكم تأخذ من الوقت؟ قليل.

ما عهدنا عليه الصالحين والذي كنا نمشي عليه في الزمن الأول – ويا ليت الشباب يعود إلى ذلك – كنا دائماً حريصين كما علمنا مشايخنا على ساعتين، من الفجر إلى شروق الشمس، ومن المغرب إلى العشاء، ولم يكن أحدٌ من الصالحين يترك هذه الساعات أبداً.

تلهو طوال النهار، ولكن عندما تصلي المغرب ابحث عن مكان في المسجد أو في البيت واجلس فيه مع الله حتى صلاة العشاء، لماذا؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حديثه القدسي:

{ ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا }[٣٤٠]

وهل نحن لا نحتاج أن يكفينا الله كل هم، وكل غم، وكل المشاكل؟!

ولذلك كان نادراً لو وجدنا رجلاً من أتباع الصالحين يخرج من المسجد ما بين المغرب والعشاء، بل يبقى في المسجد ويقرأ القرآن، أو يُصلي على حضرة النبي، أو يسبح، أو يستغفر، وليس كالناس الذين يجلسون في المساجد في هذه الأيام على الكراسي يذكرون الناس، فلان وعلان والثاني والثالث، وطبعاً يكون الوزر هنا أعظم لأنه في بيت الله، وبين يدي مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن كان هؤلاء القوم ما بين المغرب والعشاء الكل مشغول بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا طريق الوصول الذي رسمه لنا الإمام أبو العزائم.

فلو ذهبت إلى كتابه (الفرقة الناجية) نسأل الله أن نكون منهم أجمعين، كان منهجاً، والإمام أبو العزائم عنده مناهج كثيرة، لكنه عمل منهج الفرقة الناجية في الفترة من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس مع الله، وختم صلاة الصبح من جملتها، ثم

---

٣٣٩ جامع الترمذي عن أنس ﷺ

٣٤٠ الزهد لابن حنبل وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

تلاوة القرآن، أو التسبيح، أو الصلاة على حضرة النبي ﷺ، أو درس علم نافع.

وكان كثير من الصالحين يعملون درس العلم بعد الفجر مباشرة، لماذا؟ لأن القلوب لا تزال صافية، وهذه الساعة التي كنا نجتهد أن نحفظ فيها ما نريد حفظه، لأن الإنسان لا يزال مستيقظ من النوم والقلب صاح ومنتبه، وما يحفظه في هذه اللحظة لا ينساه إلى ما شاء الله.

زاد سيدنا رسول الله ﷺ في فضل هذه السورة، وذكر لها منقبة تساوي منقبة القرآن كله وقال في القرآن:

{ الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٣٤١]

وعاد فقال:

{ إِنَّ فِي الْقُرْآنِ لَسُورَةً تَشْفَعُ لِقَارِئِهَا وَيُغْفَرُ لِمُسْتَمِعِهَا، أَلَا وَهِيَ سُورَةُ يس، تُدْعَى فِي التَّوْرَاةِ الْمُعِمَّة، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُعِمَّةُ؟ قَالَ: تَعُمُّ صَاحِبَهَا بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنْهُ أَهَاوِيلَ الْآخِرَةِ، وَتُدْعَى الدَّافِعَةَ وَالْقَاضِيَةَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا كُلَّ سُوءٍ، وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ }[٣٤٢]

نكتفي بهذا القدر لأن هناك أحاديث كثيرة لعلنا نوصي أنفسنا ونلزمها أن نقرأها كل ليلة مرة على الأقل، ونحافظ على ذلك إلى أن نلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن الذي يحافظ على ذلك على الدوام حتى يلقى الله، وحتى بعد أن ينتقل إلى الدار الآخرة، يكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له في كل ليلة ثواب يس إلى يوم القيامة.

وقيل أن الله يرسل مَلَكاً على صورة هذا الشخص وعلى هيئته ويقرأ بصوته سورة يس، لأن كل واحد منا له نغمة صوت مميزة في الملأ الأعلى، فيسمعونها فيعرفوا أنه صوت فلان، ويقولون: صوتٌ قريبٌ من عبد حبيب.

فسورة يس نرى عناية الصالحين بها في كل زمان ومكان، ونحن ندعوا الأحباب للعمل، لأننا نحتاج أن نكون علماء عاملين ببعض ما جاءنا من هذا الدين، ولو بنص الحديث الذي قال فيه سيد الأولين والآخرين لأصحابه:

---

٣٤١ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٣٤٢ ذكره الثعلبي من حديث عائشة، والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث بي بكر الصديق ﷺ

{ إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا }[٣٤٣]

يعني نحن مطالبون أن نعمل بعُشر ما نسمعه !!

لكن أن لا نعمل نهائياً فهذه الطامة الكبرى:

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف).

قلب القرآن

ولِمَ سمَّاها حضرة النبي ﷺ قلب القرآن؟

وهل القرآن له قلب؟ ... نعم !!

الإمام الغزالي رضي الله عنه وأرضاه قال في هذا الشأن:

سماها سيدنا رسول الله قلب القرآن لأن قارئها لو عاش في معانيها فإنه لا يستطيع أن يفعل ذنباً أو شيئاً يُغضب الله.

فهي تُركز على ذكر الحشر والنشر، فيتذكر الإنسان الحشر والنشر والآخرة فلا يفعل ذنب، فكأنها بمثابة القلب للإنسان الذي يحرك الإنسان، وهذه السورة بمعانيها الحسان هي القلب الذي يمنع الإنسان من المعاصي التي تغضب حضرة الرحمن ﷻ.

وهذه علامة البداية الصحيحة لأي مريد، تريد أن تعرف أن هذا الرجل صادق في إرادته، انظر إلى مراقبته لله، إذا كان يراقب الله ويخشاه في الخلوات والجلوات، فاعلم علم اليقين أن الله اجتباه وأخذه ليربيه لحضرته ويجعله من المصطفين الأخيار.

لكن يحضر مجالس علم، ويقرأ كتب علم، لكنه لا يرعوي ولا يخشى الله ولا يخاف من معصية الله، فهذا لبس رداء الشيطان والعياذ بالله.

فنحن مطالبون أن نعمل على قدر ما في وسعنا ولو بعُشر ما جاءنا به الدين الحنيف ونبينا الشريف صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٣٤٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

الأدب مع العلماء والصالحين

﴿ يسٓ ۝١ ﴾ :

هنا مسألة في الحرف الأول والثاني وهما الياء والسين، تُذكرني بالأدب الواجب من المريدين مع العلماء والصالحين، كيف؟ بعضنا قد يُحصِّل شيء من عالِم أو من كِتاب، فإذا سمع عالِم يتكلم يقول في نفسه: المفروض أن يقول كذا، والأفضل أن يقول كذا، وتأتيه الخاطرة التي قرأها، أو الخاطرة التي سمعها، لكن هل تجلس لتعي أم لتنتقد؟ فمن ينتقد لن ينتفع بالعلم، ولكنك جالس لتسمع وتعي، ونحن كنا هكذا في البداية، ولكن جاهدنا أنفسنا وأعاننا الله عليها.

بعض الأحباب درس بعض مبادئ مثلاً في علم النحو، فيقول: أنا أستاذ في علم النحو، هنيئاً لك ولكنك لست متبحراً فيه، فيقرأ في كتاب فيجد خطأ في نَظَره نحوي، فيقول: كيف يخطأ الكاتب هذا الخطأ؟! فهذه الكلمة مثلاً فاعل والفاعل لا بد أن يكون مرفوعاً، ونسي أنهم علمونا في الجامعة وقالوا لنا: إذا تبحَّر الإنسان في علم النحو لم يُخطئ أبداً.

ماذا يعني ذلك؟ كل شيء يأتي له بمخرج، ومثال على ذلك، كلمة (يس) كيف تُنطق؟ لها خمس طرق في القراءة، إما أن تنضغم السين مع الواو وتقرأ: (يس وَالْقُرْآنِ) مع بعضها، ويصح أن تقف على السكون، ويصح أن تقف بالفتح، ويصح أن تقف بالضم، ويصح أن تقف بالكسر، وهذه كل الحركات، فمن يقرأ الآن هل يُخطئ؟ لا.

ومثال آخر: (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)، وفي قراءة أخرى (تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فيسمع الشيخ على المنبر يقرأ بقراءة، فتأخذه نفسه ويقول لقد أخطأ الشيخ وهو على المنبر، فهل أنت مُلم بعلم القراءات؟ أنت غير ملم بعلم القراءات فاسكت، سلِّم لمن هو فوقك، ولمن هو أعلى منك في هذا الميدان.

كنا نقرأ مثلاً الصلوات للإمام أبو العزائم وبعض الكلمات كنا نسمعها من إخواننا السابقين بقراءة، فمثلاً: (ولا تَشغَلن قلبي بغيرك سيدي) لما عاصرنا رجل من أهل المكاشفة والمعاينة، قال: (ولا تُشغِلن قلبي بغيرك سيدي) فهذه مثل هذه في نظرنا، لكن في نظر أهل المشاهدات لا، فلا يجوز لواحد يدرس نحو في المرحلة الإبتدائية ويقول: الشيخ هنا

مخالف النحو في هذه الجزئية، لا شأن لك لأنك مبتدئ ولم تتبحر في هذا العلم، فتسلم لقول الله: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦يوسف).

كمثل الناس الذين هم أنصـــاف المتعلمين، ويســـمع حديث من الأحاديث التي ذكرناها مثلاً، فيقول: هذا الحديث لم يرد، وما أدراك؟ هل قرأت كل الأحاديث التي وردت عن سيدنا رسول الله؟! لكن قُل: لم أطلع عليه، أو لم أره، أو لم أقرأه، لكن كلمة لم يرد معناها أنك قد أحطت بالأحاديث كلها، وحتى الحفاظ الكبار لم يفعلوا ذلك، وكلمة حافظ كانت لقب يعطوه لمن يحفظ مائة ألف حديث بأســـانيدهم فلان عن فلان عن فلان.

الإمام البخاري ﷺ أرادوا أن يختبروه في بغداد، فأتوا له بعشـــرة أحاديث وغيروا الأسانيد، فقال لهم: هل انتهيتم؟ فقالوا: نعم – وانظر إلى الذكاء الإلهي فقد حفظ الخطأ الذي وضـــعوه – قال: الأحاديث التي أتيتم بها رواه فلان عن فلان عن فلان عن فلان وذكر العشرة أحاديث، فانظر إلى الدقة البالغة عند علماء الحديث.

الإمام جلال الدين السيوطي ﷺ كان يرى حضرة النبي ﷺ في المنام مراراً وتكراراً، فقال له ذات مرة: اقرأ عليَّ يا شيخ الحديث، أعطاه سيدنا رسول الله ﷺ لقب شيخ الحديث، ولذلك عمل أكبر كتاب جامع للأحاديث واسمه (جمع الجوامع) جمع فيه أربعين من جوامع كتب الحديث.

ماذا يقول هذا الرجل؟ يقول: جمعت عن رسـول الله ﷺ أكثر من مائتي ألف حديث، وما أظن أني أحطتُ بكل ما رُوي عنه، فانظر إلى العلماء الذين يعرفون أنفسهم.

يعني أنا لم أُحط بكل مارواه، لأن أحاديث رسول الله تفرقت مع أصحاب رسول الله، فسيدنا جابر المشهور من الرواة الكبار، جاء خصيصاً من المدينة إلى القاهرة – الفسطاط – حتى يسمع حديث من سيدنا عُقبة بن عامر، فسأله: لم جئت؟ قال: أنا جئتُ لأني سمعت أنك تروي حديث كذا، فروى له الحديث، وقال له: انتظر الضـــيافة، فقال: لا أنا جئت من أجل الحديث، ورجع مرة ثانية.

جاء إلى مصر ليسمع الحديث من الراوي الذي سمعه من رسول الله ﷺ.

ولذلك أهم ما يحرص عليه المريد الذي يريد أن يكون سالكاً ومحبوباً للحميد المجيد

الأدب، عليك بالأدب ولو عُليت إلى أعلى الرتب.

ومن أهم أبواب الأدب إياك أن تعتقد في نفسك أنك أعلم الناس في فن كذا، أو أحفظ الناس في كذا، لأنك لا تمتلك مفاتيح الذاكرة، فهي ليست معك لكنها مع الله.

الخطيب الذي قال خطبة عصماء، والناس أخذوا يكبرون له طوال الخطبة، ونفسه فرحت بذلك ولم ينظر إلى فضل الله، فنزل يصلي بالناس وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ووقف، ونسي الفاتحة، وأخذوا يفتحون عليه ولم يتذكر!!، حتى نعلم أن الإنسان محتاج في كل أنفاسه لتوفيق الموفق ﷻ.

فمن يحظى بالتوفيق يكون نعم الرفيق، وهذا سيرتقي إلى أن يبلغ مقام الصديق رضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه، قال ﷺ:

{ قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ }[٣٤٤]

وفي رواية أخرى: (خيرٌ من كثير من العمل) فإذا حصَّل أطنان من العمل ولم يوفق للعمل به، فقد أصبح عليه لا له، وأنا أريدها لي إن شاء الله.

تفسير كلمة (يس)

السادة المفسرين لهم أقوالٌ كثيرة في تفسير كلمة (يس)، بعضهم قال أن مثلها مثل الحروف التي في أوائل السُوَر مثل (ألم) (حم) (طس) وغير ذلك، فقالوا: نحن نعتبرها شفرة بين الله وحبيبه ﷺ، ولا يُطلع الله على هذه الشفرة إلا كُمَّل المقربين.

والبعض أتى بمعنى تقريبي لأن الإنسان فضولي ويريد أن يعرف معنى لهذه الكلمة.

فسيدنا عبد الله بن عباس ﷺ له أقوال فيها كثيرة لأنه ترجمان القرآن، قال: يس معناها يعني يا إنسان، وهذا خطاب لحضرة النبي، يعني أنت وحدك الإنسان الكامل صلوات ربي وتسليماته عليه.

الإمام مالك كان يعتقد أنها اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ...

ولذلك كان ينهَى عن التسمية بـ (يس) بهذه الطريقة في الكتابة، ويريد أن تكون

---

٣٤٤ أورده الغزالي في الإحياء، وذكره صاحب الفردوس

(ياسين)، حتى لا تتشابه مع اسم الله، وهذا كان رأي الإمام مالك، وكل واحد له رأي وكلهم مجتهدون رضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم أجمعين.

واحد من الصوفية الذين مشربهم عال قال: الياء إشارة إلى يوم الميثاق الذي جمع الله فيه الخلق وأخذ عليهم فيه الميثاق:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

والسين: إشارة إلى أسرار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه وفي كونه، فكأن الله يقول: أُقسم بيوم الميثاق وأسراري في خلقي وقولي والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين.

الإمام أبو العزائم، وهذا سمعته من أحد المعاصرين للإمام، والعهدة عليه، حكى لي أنه سمعه من الإمام أبو العزائم ﷺ، وكان رجلاً من كفر الشيخ، وكان أيضاً دعا له الإمام أبو العزائم كما دعا حضرة النبي لابن عباس، قال: **(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).**

فكان الرجل يجلس معنا ثم تجده يفتح النوتة ويكتب خواطر جاءته، ويكتب خواطر من غير حساب، خواطر في تفسيرات لا يعلمها إلا الله ﷻ، وكنت نائماً بجواره ذات يوم عندنا في البيت فرأيت منظراً غير طبيعي، فبعد أن استيقظ قلت له: ما هذا الذي رأيته منك؟ قال: هؤلاء جماعة من كوكب الثُريا جاءوني يسألوني عن معنى آية في القرآن فكنت أجيبهم:

إن الرجال كنوز ليس يدريها ... إلا مرادٌ تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع للمصطفى وهمُ ... سفينة الوصل بسم الله مجريها

فيقول الإمام أبو العزائم:

(يس) نداء من الله لرسوله يقول له: يا سر أسمائي وصفاتي وسر القرآن الحكيم النازل من سماء ذاتي إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم.

يعني هو سر الأسماء والصفات وهذه حقيقة.

طبعاً أنا ذكرت بعض هذه المعاني ويوجد غيرها كثير ..

ولكن أرجو من الأحباب أن لا يشتغلوا بالكلام أو الجدال مع أحد أو غيرهم في هذا الشأن، أنت تتقي الله ويعلمك الله، فسيأتيك معاني أعظم وأرقى مما سمعناه، وكل واحد له علم خاص به عند مولاه، ولا يوجد أحد علومه تشابه علوم الأولين ولا الآخرين.

كل واحد له خصوصيات عند ربه، فأصغر مسلم من المسلمين ينطق بالشهادتين له خصوصية خاصة عند ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا نستطيع أن نوفيه قدره لشرحها أو توضيحها، خصوصيات عظيمة، ولكننا لا ننتبه بما خصنا به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وعندما يعطيك هذه العطاءات ويعطيك إذن على الفور ستعمل بقول الله:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى) من أعظم النعم، ومتى تتحدث؟

عندما تأخذ الإذن !!

وليس من نفسك، ولا للظهور ولا للشهرة ولا للرياء ولا للسمعة.

﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾:

أقسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذلك إن كان هذا اسم من أسماء الله، أو كان أي تفسير مما ذكرناه.

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ أقسم بالقرآن وسماه (الحكيم)، لماذا؟ لأنه: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (الكهف) من أراد أن يكون حكيماً فليلتزم بما أمره به مولاه في كتاب الله، سيجد الحكمة البالغة.

وكتاب الله لم يترك شاردة ولا واردة في حياتنا إلا ووضحها:

كيف نمشي؟ بيَّن، كيف نتكلم؟ بيَّن، كيف ننام؟ بيَّن، كيف نتعامل مع الخلق؟ بيَّن، لا يوجد شيء لم يبينه الله في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكن يحتاج أنك تكون صورة عملية فعلية يرى الخلق فيك ما يريده الله من الخلق في كتاب الله.

أضرب مثلاً، لو أننا الآن أرسلنا مليار مصحف إلى إحدى الدول غير المسلمة، هذه المصاحف هل تهدي أحد؟ لا، لكن لو أرسلت رجلاً تخلَّق بأخلاق كتاب الله، وذهب إلى أي بيئة ناشراً لدين الله، سيجمع الخلق جميعاً في طرفة عين على حضرة الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مما يرونه فيه.

وهذا كان حال المسلمين الأوائل، بم نشروا الدين؟

كما قال سيدنا عمر ﷺ وأرضاه:

(لا تقرأ آية بل كن في نفسك أنت آية)

أُدعو إلى الله بأخلاقكم قبل أقوالكم.

عندما يرى الناس هذه الأخلاق تنجذب إلى دين الله أفواجاً، لماذا؟ لأن القرآن سماه الله القرآن الحكيم، فالمطلوب ممن يريد الحكمة ويكون حكيماً، أن يعمل بما أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الرؤوف الرحيم ﷺ.

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ ﴾:

هذه الآية كانت دفاعاً عن حضرة النبي ﷺ أمام تكذيب المكذبين، وضلال الضالين والكافرين الذين كانوا يكذبون ببعثه ورسالته ونبوته صلوات ربي وتسليماته عليه، فأقسم الله بأغلظ الأقسام أنه رسولٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لجميع الأنام:

ثم الركن الأعظم:

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ ﴾:

فهل يوجد ثناء أو مدح أبلغ من هذا؟!

يقول له: أنت تسير على الصراط المستقيم، أي على المنهج القويم الذي يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منك ظاهراً وباطناً في كل وقت وحين.

ولذلك مدحه الله وأثنى عليه في كتاب الله مراراً وتكراراً:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم)

مع أنه: ... ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (١٨النجم)

رغم ما رآه من الجنة والعرش وسدرة المنتهى والملائكة وغيرهم !!!

لم يلتفت إلى هؤلاء !!! لأنه لا يريد إلا وجه مولاه.

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ هذا الصراط المستقيم أكَّد الله أنه ما نزل به الله ﷻ، ووصف ذاته بأنه عزيز ورحيم، عزيز لأنه ﷻ يُعز كل من انتمى إليه، ويُعز كل من وقف بين يديه، ولا يسمح لأحد من الكائنات كلها أن يُسلَّط عليه، ورحيم لأنه يعرف أننا خُلقنا من ضعف، وهو يريد أن يظهر فينا باسمه الغفور، واسمه العفو، قال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ }[٣٤٥]

وهذا معناه: إياك ثم إياك أن تحتقر رجلاً لذنب رأيته يفعله، سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ في إحدى تفسيراته يسألونه عن معنى قول الله في أصحاب رسول الله: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح) فقال: **(كان الصالح منهم إذا رأى الطالح يقول: اللهم تب عليه واهده إليك، وكان الطالح منهم إذا رأى الصالح يقول: اللهم زده هدى وألحقني به).**

هذا لا يسخر من هذا ولا يستهزئ به، وهذا لا يحتقر هذا لذنب يفعله، لأننا كلنا عبيد، ومادام فينا النفوس فمعرضين لغفوة أو غفلة أو لهو أو لشيء يجعلنا نسهوا أو نغفوا عن مراقبة الله ﷻ، فنرتكب ذنباً ما، ماذا نفعل؟ كأصحاب رسول الله ﷺ.

سيدنا أبو الدرداء ﷺ قالوا له: أخوك فلان ذهب إلى الشام في جند المسلمين وشرب الخمر، فماذا تفعل؟ قال لهم: أرأيتم لو أن أحدكم وقع في بئر، ماذا كنتم فاعلين؟ هل ستتركوه أم تأخذوا بيديه؟ قالوا نمد أيدينا إليه لنأخذ بيده، قال: كذلك أخاك إذا وقع في الذنب.

لا تكون عوناً لإبليس على أخيك، لأن إبليس أوقعه وأنت تساعده على ذلك، لكن كما قالوا: كن أقرب إلى أخيك عندما يكون قريباً من إبليس لتنجيه من شره، وتنجيه من ضره ويكون مع الله.

لو أن المسلمين في هذا الزمان عملوا بهذا الأمر وكلنا أخذنا بأيدينا سينصلح حال المجتمع، لكن معظم المجتمع أصبحوا ناقدين، هذا ينقد هذا، وهذا ينقد هذا، فمن نظر

٣٤٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

إلى عيوب الناس غفل عن عيوب نفسه، فأنت لا ترى عيوبك، والأولى كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }[٣٤٦]

فهل انتهيت من عيوبي حتى أنظر إلى عيوب غيري؟!! فعندما نعرف أن الله ﷻ رحيم، ورحمته وسعت كل شيء، فلا نستكثر على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن لو قطرة من فيض جوده نظر بها إلى كافر لصار تقياً، ولو نظر بها إلى شقي لصار في الوقت والحال ولياً.

فعندما ننظر في أحوال الصاحين نجدها كلها بهذه الكيفية، أين كانوا وكيف صاروا؟ نظرة حنان ولطف من الله تغير الحال إلى أحسن الأحوال، لكننا نعمل كالذين يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، ويحق لنا أن ننتقد هذا ونسخر من هذا ونستهزئ من هذا، فهذا ليس في الإسلام ولكن في اليهودية والعياذ بالله.

لكن الإسلام نحن نذهب إلى أهل المعاصي ونأخذ بأيديهم إلى طريق الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونجعلها تقف خاشعة بين يدي حضرة الله ﷻ.

التذكرة

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ ﴾ :

هذه تذكرة!!

يقول الله لحضرة النبي هؤلاء القوم آباؤهم كانوا مسلمين، وهم أهل مكة، فجدهم سيدنا إسماعيل، وسيدنا إسماعيل كان نبياً، وأولاده أنبياء، ولكن مع الغفلة، ومع طول الزمان سهوا ولغوا ونسوا، فبعث الله لهم المذكِّر، فهذه سُنَّة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الخلق.

نفس الأمر لنا نحن المسلمون فإننا نحتاج دوماً التذكير من العلماء العاملين، حتى يردونا إلى الله رداً جميلاً، وينتشلوننا من أوحال الدنيا ومن رجس النفس ومن أهواء الهوى ومن وساوس الشيطان، ويردونا إلى الله ﷻ رداً جميلاً.

وعلى هذا الأساس يلغي الإسلام كل العصبيات الموجودة الآن في كل الجهات بين المسلمين، يقولون: شيخنا أحسن من شيخكم، طريقتنا أحسن من طريقتكم، العلوم

---

٣٤٦ مسند البزار ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

التي عندنا أفضل من العلوم التي عندكم، فهل الإسلام فيه هذا الأمر؟ لا.

المهم في العلم والطريقة والشـــيخ والعلماء كم واحداً جذبوه لله؟ كم واحداً هدوا إلى طريق الله؟.

الإمام أبو العزائم ﷺ كان يزور دمياط وجاءه جماعة من الطريقة الرفاعية، وهؤلاء الرفاعية يعملون الأشياء التي تغوي الناس، فيمسكون بالحيات والثعابين والسيوف وغيرها، مع أن هذا ليس منهج ســـيدي أحمد الرفاعي ولم يحدث في زمانه، ولكن حدث أيام غزو المغول، وفعلها بعض الصـــالحين حتى يهدوا المغول للإســـلام وقد حدث، فدخل المغول في الإسلام أفواجاً، لكن من جاء بعدهم جعلوها حرفة وصنعة للشهرة ولجلب الأموال.

فذهبوا إلى الإمام أبو العزائم وقالوا: نحن نمســـك الحيات ونضـــرب بالســـيوف والخنجر يدخل من هنا ويخرج من هنا ولا ينزل الدم، فماذا تفعل أنت؟ فقال لهم: أنتم تعملون هذا، فكم واحد هديتم لله؟! أنا أنظر إلى حيات الحقد التي في القلوب وأرفعها، وعقارب الحسد التي في النفوس وأنزعها.

فالهداية هي شـغل الصـالحين، لأن الإسـلام لا يريد فُرقة، بل يريد جمع الشـمل، فنتجمع على العصاة ونردهم لنظهر جمال هذا الدين للآخرين.

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ ﴾ يعرفنا الله أن لا نيأس إذا وجدنا أكثر من على الأرض كفاراً، لأنها حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، المسلمين كم عددهم الآن؟ مليار ونصف تقريباً أو أكثر، هم قدر ما في الصين وقدر ما في الهند، فما بالك بالآخرين؟! ومنهم من يعبد البقر، ومن يعبد الخنزير، ومن يعبد الفئران وغير ذلك، فهل نقول: أن هؤلاء على خير؟ لا.

فنحن لا نيأس لأن الله ﷻ يهدي برحمته من يشاء من عباده إلى الدين القويم وإلى الطريق المستقيم.

نســـأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ينظر إلينا بعين عنايته، وأن يرعانا بمزيد رعايته، وأن يتوجنا أجمعين في الدنيا بتاج ولايته، وأن يجعلنا في الآخرة تحت لواء سيد الأولين والآخرين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

هداية النبي[٣٤٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الشورى)

تنزل الوحي	هيئات الوحي	تصحيح نحو فصاحة موسى
روح القرآن	هداية النبي	الطريق إلى الله

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله في البدء وفي الختام.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، بحر الله الزاخر بعلوم الله، ولآلئ كتاب الله ينثرها وينشرها على من يحبه من عباد الله، صلِّ اللهم وسلم وبارك على هذا السيد السند العظيم، واجعلنا أجمعين من الذين يستمدون من فيوضاته، ويقتبسون من أنوار ذاته، ومن الذين يكونون يوم القيامة تحت ظل العرش داخلين في شفاعته، ومن أهل مقام الجوار الأعظم لحضرته في جنة النعيم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

في الحقيقة كل المتحدثين الذين في كلامهم جذبٌ وانتباهٌ من السامعين من الأولين والآخرين، هذا يكون للطلاوة التي يضعها في هذا الكلام أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ، وكلهم كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

٣٤٧ القرايا – إسنا – الأقصر ١٠ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/١٣م

يريد فقط رشـفة واحدة تحيي قلب الإنسـان، وتجعله يملأ الأرض علماً ونوراً، لأنه أخذ رشفة من بحر الحبيب الأعظم ﷺ.

وإمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول في ذلك مُؤدباً ومُهذباً ومُعلماً لنا أجمعين:

كل الـذي أنـا فيـه فضـــل محمـد منـه بـدا وإليـه كـان وصـــوليـا
وأنـا الظلوم أنـا الجهول أنـا الـذي لـولا عـنـايـتـه هـلـكـتُ بـحـاليـا

فنحن نستمد من البحر الأعظم الذي جعله الله ﷻ ليس لنا فقط، بل لكل الأنبياء والمرسلين السابقين، ولكل العلماء والوارثين اللاحقين من الجن والإنس، وحتى من الملائكة المقربين، فالكل يستمد من حضرته، وهذ سر قول الله:

﴿ هَذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (ص٣٩)

عطاؤنا كله معك ..

وانظروا إلى تفويض الله لحبيبه ومصطفاه.

ولذلك قال لنا ﷺ ليختصر لنا الطريق، ولا نتوه مع التائهين:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[٣٤٨]

من أين نأخذ نحن؟

من القاسم .

والقاسم كما حدَّث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شأنه ؟؟؟

لا يفعل صغيرة ولا كبيرة ولا حركة ولا سكنة إلا وهي وحيٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم)

ما يفعل عن الهوى !!!

وما يتصرف في أي أمر عن الهوى !!!

بل كل أموره وحيٌ من الله ﷻ.

٣٤٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

تنزل الوحي

كيف كان الله ﷻ يتنزل له بالوحي؟ النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة كان فيها اليهود، واليهود كان من دأبهم الجدال، وهم كما وُصفوا بأنهم قومٌ بُهت، لا يعترفون بالحق مع وضوحه كوضوح الشمس في رائعة النهار، بل يدورون ويتحاورون ليروِّجوا لأفكارهم.

فقالوا لرسول الله ﷺ: لم لا تذهب إلى السماء وتكلم الله وتنظر إليه كما نظر إليه موسى؟ وهذه أتوا بها من عند أنفسهم، لأن سيدنا موسى لم ينظر إلى الله، فقد كان كلام من وراء حجاب.

فردَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذاته عليهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ففسر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا أنواع الوحي الذي تنَزَّل به على حبيبه ومصطفاه، وأول هذا الوحي – وإن كان غير مذكور في الآيات – إلا أنه مرويٌّ عن السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح، قالت:

{ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ }[٣٤٩]

وهل الرؤيا وحي؟

نعم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

{ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ }[٣٥٠]

ونحن عندنا رؤية سيدنا إبراهيم، عندما رأى أنه يذبح ولده إسماعيل، وإسماعيل كان وارثاً من ورثة نبوة أبيه إبراهيم، لأن أولاد الأنبياء أنبياء، وهذه العلة في أن أولاد سيدنا رسول الله الذكور ماتوا صغاراً، لأنه خاتم الأنبياء، ولو عاش واحد منهم فكان لا بد أن يكون نبياً، وهذا لا يجوز مع خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) فالمنام هنا أمر لأنه وحيٌ.

---

٣٤٩ صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٣٥٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهناك فرق بين قول سيدنا إسماعيل: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) وقول سيدنا موسى عندما قال للعبد الصالح: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ (٦٩الكهف) سيدنا موسى لم يستطع الصبر، لكن عندما أدخل سيدنا إسماعيل نفسه في الجماعة أعانه الله وقواه على الصبر.

فنتعلم منهم أن الإنسان يُدخل نفسه في الجماعة على الفور، حتى ولو كان قطب الوقت، فعندما يتوجه إلى الله في أي أمرفيجمع من حوله ويقول لهم: تعالوا ندعوا الله وأنتم أمنُّوا على دعائي، لماذا؟

الفاتحة أعظم دعاء، وجاءت على لسان الجماعة، فلا أحد منا يقول: إياك أعبد وإياك أستعين، ولكن يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة) أي كلنا مع بعضنا.

فالماهر والذي سبقت له العناية من الله الذي يكون دائماً في وسط رجال الله، مهما آتاه الله من الفتوحات، ومهما أظهر الله على يديه من الكرامات، فربما تكون استداراج، فيجعل نفسه دائماً في وسط الجماعة قال ﷺ:

{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ }[٣٥١]

فأول وحي للأنبياء هي الرؤيا الصالحة، وسيدنا رسول الله ﷺ قال:

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ }[٣٥٢]

لأنه مكث في بداية البعثة مدة ستة أشهر تأتيه الرؤيات الصالحات لتؤهله .. ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة، ثلاثة عشر منها في مكة وعشرة في المدينة، ستة أشهر من ثلاث وعشرون سنة تساوي جزءاً من ستة وأربعين ...

فالرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

حتى إذا مشى إنسان في طريق الله، وحقق الله له مناه فرأى رؤيات صالحة، فلا يقف عند هذا الأمر ويقول: أنا وصلت لأني أرى المنامات الصالحة، لكن انظر أيضاً إلى جزء آخر من أجزاء النبوة فتحظى به وراثة عن رسول الله ﷺ، وهذا متاح.

---

٣٥١ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٥٢ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ولا يصح أبداً أن أعمل الأعمال الصالحة وأقوم الليل وأصوم النهار وأُكثر من الصلاة على النبي المختار من أجل الرؤيا الصالحة !!!!

فهذه عبادة ليست لله، بل عبادة من أجل الرؤيا.

لكن أنا أتوجه بكل الأعمال الصالحة لله، والله ﷻ يُعطي لي ويتفضل عليَّ بما يعلم رب العزة أنني أتحمله، وأنه في مصلحتي، وأنه يجعلني لا أغتر ولا أنضر، لأنني رضيت بقضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فهذه البداية، وبداية رسول الله هي بداية أي سالك في طريق الله، يبدأ أولاً بالرؤيا الصالحة بعد جلاء بصيرته ونقاء سريرته، فتأتيه الرؤيات الصالحات مبشرات، قال ﷺ:

{ لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ }[٣٥٣]

إما أن يراها أو يرونها له، لكن كل هذا يلقيه وراء ظهره ولا يلتفت عن الله طرفة عين ولا أقل.

هيئات الوحي

بعد الرؤيات الصالحة يأتي أنواع الوحي، وهذا ليس نوعٌ واحدٌ، ... فكان ينزل أمين الوحي على النبي ﷺ بهيئات كثيرة، ... أحيانا كان ينزل عليه كما قال عندما سأله أحد أصحابه:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ؛
وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ }[٣٥٤]

هو يريد أن يأتي بعبارة تقرب إلى الأفهام، وإن كان الأمر خارج نطاق العقول والأفهام، فيقول: أسمع صوت كصوت الجرس، فينفصم عني وقد استوعبتُ ما يريد أن يقوله لي، وهو أشده عليَّ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عن ذلك:

---

٣٥٣ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها
٣٥٤ صحيح البخاري وسنن النسائي عن عائشة رضي الله عنها

{ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ؛ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا }[٣٥٥]

والوحي لم يكن أمراً عادياً، والله يقول فيه:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل)

كان راكباً ناقته ونزل الوحي، فالناقة لم تستطع المشي ولم تستطع الوقوف، فنخَّت حتى انتهى الوحي من ثقل رسول الله ﷺ عند نزول الوحي

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:

{ إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا }[٣٥٦]

عن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ) (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) }[٣٥٧]

يقول: كادت ركبتي أن تنكسر لولا أن الوحي قد انكشف، فالوحي عندما كان ينزل على رسول الله ليس لأي أحد أن يتحمله، بل لا بد وأن يكون قد أهَّله الله:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء).

وأنتم تعلمون التجهيزات التي جهزها ربُّ العالمين لقلب النبي حتى يتحمل كلام الواحد الأحد العلي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويقول:

{ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ }[٣٥٨]

---

٣٥٥ صحيح البخاري وسنن النسائي عن عائشة رضي الله عنها
٣٥٦ مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ صحيح البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه
٣٥٨ صحيح البخاري وسنن النسائي عن عائشة رضي الله عنها

وكان أحياناً يأتيه في صورة آدمية، فيراه ويكلمه في صورة إنسان، وكما ورد أن أصحابه ﷺ ورضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم كلهم رأوا سيدنا جبريل في هذه الحالة، فقد كانوا جالسين مع حضرة النبي، وجاء رجلٌ أعرابي شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وألقى السلام، وسأله: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ ما علامات يوم القيامة؟ وبعد أن انتهى وتركهم قال لهم النبي ﷺ:

{ ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }[٣٥٩]

فهل رأوا سيدنا جبريل أم لا؟ رأوه !!

ولكن في صورته البشرية التي جاء متمثلاً بها، فالملائكة تستطيع أن تتمثل، فعندما جاء للسيدة مريم أيضاً: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (١٧مريم) كان يتشكل، وهي قدره إلهية أعطاها له رب البرية ﷻ.

وأحياناً كان يأتيه الوحي القاءٌ في الروع، أو نفثٌ في الروع، وهذه مثل هذه، قال ﷺ:

{ وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ }[٣٦٠]

وهذا حديث يأتي للقلب مباشرة من مقلبه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ يعني يكلم الله ولكن لا يراه كسيدنا موسى كان يكلم ربه من فوق جبل الطور، كما ورد في بعض الأثر أنهم سألوا موسى: كيف تسمع كلام الله يا موسى؟ قال:

((كأنما أسمع عشرة آلاف لسان، وكل لسان يتكلم بعشرة آلاف صوت، وكل صوت يتكلم بعشرة آلاف لُغة، وأسمعه كله في وقت واحد، وكلي مسامع))

يعني كله آذان وليست هذه الأُذن فقط، وهل سيدنا موسى رأى؟ .. لا، لأنه قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (١٤٣الأعراف) هل لو رأى كان سيطلب الرؤيا؟ لا ... فليس له شأنٌ بالرؤيا، فمتى سيرى؟

---

٣٥٩ صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ
٣٦٠ مسند الشافعي والبيهقي

قيل له: عندما يأتي زعيم الأنبياء ﷺ فتعرَّض له حتى ترى تجليات وأنوار الله فيه، ولذلك كان يرجعه في ليلة المعراج ويقول له:

ارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال بعض الصالحين:

إنما السِّـــــــر في موسى يُردده ليجتلي حُسن مولاه حين يشهده

كان يرى فيه جمال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن سيدنا رسول الله هو الشاشة العُظمى التي تظهر فيها جمالات حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للملائكة والجن والإنس وكل العوالم العلوية والسفلية، لكن هل يستطيع أحدٌ أن يرى ربنا كفاحاً؟ لا يوجد غير واحد فقط وهو سيدنا رسول الله عندما: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ (النجم).

ما الوحي الذي أوحى به هناك؟

هذا سرٌ بينه وبينه، هل يستطيع أحدٌ أن يكشف هذا السر؟ لا، إلا إذا خصَّ حضرة النبي أحداً من الأحباب الكبار ببعض هذا السر على قدره لا على قدر الحبيب ﷺ.

لكن لا يوجد أحدٌ أبداً يســـتطيع أن يكلم ربنا إلا من وراء حجاب، وبعض الصالحين لهم رؤيا في هذا المجال، قالوا: (لا أحد يستطيع أن يكلم الله وهو في البشرية، فإذا فنى عن البشرية يُؤذن له بالكلام مع حضرة الربوبية) واستشهدوا بحديث سيدنا جابر، عندما استشهد أبوه في غزوة أُحد، وقال له ﷺ:

{ أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) }[٣٦١]

فمن الذي كلَّمه كفاحاً هنا؟ سيدنا عبد الله بن حرام أبو جابر، ومن الذي قال هذا الكلام؟ الذي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ

٣٦١ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله ﷺ

﴿ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ (النجم)، ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ والرسول هو أمين الوحي جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهناك وحيٌ آخر جعله الله وهو الإلهام، وهذا الإلهام لجميع الأنام، وهو نوعٌ من أنواع الوحي يتفضل الله به على بعض عباده الأتقياء الحكماء الذين قال فيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف).

فمن أين أخذ العلم؟

لا من الكتب ولا من أفواه العلماء، ... وإنما أخذه مباشـــرة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا اسمه وحي الإلهام.

وهذا مثله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ (٧القصص) فهو وحيٌ لأنها كانت صِديقة، وهذا كلام عجيب، يعني عندما تخافي عليه ألقيه في الماء، فعندما يستخدم الإنسان عقله: كيف إذا خافت عليه تلقيه في الماء؟! فهي صنعت صندوقاً من الخشب وربطته في حبل أمسكت به في وتد عندها في البيت، وكان المنزل على شاطئ النيل في مكان بجوار الجيزة، لأن فرعون أمر أن أي ولد من بني إسرائيل يُقتل، فإذا أتوا ليفتشوا تضع الولد في الصندوق وتلقيه في اليم وتترك الحبل ولكنه مربوط، فإذا انصرف المفتشون تسحب الحبل مرة ثانية.

إلى أن جاءت موجة شـــديدة فقطعت الحبل، فمشـــى الصـــندوق، فقالت لابنتها امشي على الشـاطئ وانظري أين يذهب، فوجدته – من العجيب والغريب – أنه ذهب إلى قصـــر فرعون ووقف هناك، يعني ذاهب لفرعون بنفســـه لنعلم إرادة الله القوي ﷻ، فالذي يخاف منه هو الذي سيربيه في بيته!.

يريد أن يقتله وزوجته كانت لا تُنجب، فقالت له: اتركه يكون ولداً لنا، ويكون لنا ذكرى طيبة: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩القصص) يعني لا يشعرون بتدبير القدرة الإلهية.

يريد أن يرضع: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ (١٢القصص) فقالت لهم أخته: أنا أعرف واحدة تُرضعه، ولم تقُل أمه، فمكثت أمه في قصر فرعون آمنة مطمئنة تُرضع وليدها وتطمئن عليه ولا تخاف: ﴿ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى ﴾ (٧القصص).

تصحيح نحو فصاحة موسى

ويحضرني في هذا المقام – على سبيل التوضيح – أن بعض المفسرين وقعوا في الإسرائيليات، والإسرائيليات هو الكلام الذي نسبه بنو إسرائيل وهو لا يوافق ما ورد عن حضرة النبي، ولا عن حضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنا أقول هذا الكلام لأن كثيرٌ منكم سمع هذا الكلام ويعتبره أنه حقيقة، فقالوا: عندما أراد فرعون أن يقتله، قالت له زوجته: اتركه فإنه لا يعرف التمرة من الجمرة، فأتوا له بتمرة وجمرة فأمسك بالجمرة ووضعها على لسانه ولذلك كان ألدغاً، وهذا الكلام ينافي الحقيقة بالكلية.

أولاً: عندما يمسك أحدٌ الجمرة بيده أفلا تلسعه؟! فإذا وضعها على لسانه أفلا تلسعه؟!.

ثانياً أول شرط من شروط الأنبياء والمرسلين الفصاحة، فلا بد أن يكون فصيحاً لأنه سيكلم الناس، فلِمَ قال: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (٣٤القصص) هذا في خطاب فرعون، لأنه لما أُرسل إلى فرعون وذهب ليواجهه بالرسالة، فقال له: هل أنت الذي جئت لتُنهي ألوهيتي وأنا الذي ربيتك: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ﴾ (الشعراء) فسيدنا موسى استحى، ومن الذي لم يتربى في بيت فرعون؟ هارون لأن فرعون كان قد جعل القتل سنة، وترك القتل سنة، فهارون وُلد في السنة التي ليس فيها قتل، ففرعون ليس له جميل عليه، فيستطيع أن يكلمه ويستطيع أن يُنذره ويُحذره، فهنا: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ (٢٧طه) العقدة هنا هي عُقدة الحياء، وليست العُقدة في اللسان لأنه لا ينفع أن يكون نبيٌ ألدغاً، ولكنها عُقدة الحياء.

ولذلك نزهوا أنبياء الله ورسله في قصصهم في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن الله جعلهم أفضل خليقته، وأكرم بني البشر، وألبسهم على الدوام ثوب عزته، وأيَّدهم بفضله وإكرامه على الدوام.

ثم جاء بالأمر الذي ليس له مرد: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ إنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلِيٌّ في شأنه وفي قدرته وفي جماله وجلاله وكماله لا يُعجزه أمر، وحكيم في كل تصرفاته التي يتصرف فيها مع أنبيائه ورسله ومع جميع خلقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم بدأ الحديث الخاص عن رسول الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ يعني نحن أنزلنا معك روح الكلام، ولذلك قراءة النبي ﷺ للقرآن حتى مع الكافرين، كانوا يخضعون ساجدين لروح الكلام الذي ينطق به ﷺ.

فعندما كان في مكة كان زعماء الكفار يذهبون في الليل واحد تلو الآخر، أبو سفيان وأبو جهل وغيرهم، يقفون حول البيت حتى يتلذذوا بسماع صوت القرآن من حبيب الرحمن ﷺ.

وبعد أن ينتهي يمشون ويعترضون على بعض، ويسأل بعضهم: لم جئت إلى هنا؟ يقول له: جئتُ لأسمع القرآن، وأنت لم جئت؟ يقول له: جئتُ لأسمع القرآن، يقولون: أنتم زعماء مكة أليس عيباً عليكم أن تسمعوا القرآن؟ فيقولون لبعضهم: نتفق على أن لا نأتي إلى هنا مرة ثانية، فتمر الليلة ويذهبوا مرة ثانية، ويذهبوا مرة ثالثة، وفي الليلة الثالثة قالوا: نتعهد الآن أنه لو أحدنا جاء مرة ثانية نفضحه في مكة كلها، لأن هؤلاء زعماء أهل مكة، لماذا؟ لأن القرآن الذي يقرأه رسول الله يقول فيه الله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ (٨٧الحجر) عندما يقرأه رسول الله تشعر بالعظمة في باطنك لحضرة الله، لأن التلاوة معها الروح التي أعطاها له الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ وهذا سر البلاغ وسر إقبال البلغاء والفصحاء على أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ثم قال الله تعالى له: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ يعني أنت كنت قبل ذلك لم تكن تعرف الكتاب وهو القرآن، ولا شرائع الإيمان التي أنزلها عليك حضرة الرحمن، لكي ينزه حضرة النبي حتى لا يقول أحدٌ أنه تعلم من هنا أو عرف من هنا.

﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ وهنا جعل القرآن نور، وجعل النبي ﷺ نور: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (١٥المائدة) والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في ذاته نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٣٥النور) فالكل نور: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (٣٥النور).

هداية النبي

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ البعض يقف عند هذه الآية ويقول: قال له الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (القصص) لكن هذه الآية فيها رفعة لشأن رسول الله ﷺ، يعني إنك لا تهدي من أحببت، ولكنك تهدي من أحب الله، الذي يريده الله وليس الذي تريده أنت، لأنك لم يعد عندك إرادة ولا شيء أبداً.

وهداية رسول الله غير هداية الله، فهناك هداية اسمها هداية البيان، يعني يبين للناس: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل) وهناك هداية الإحسان، وهذه لا تكون إلا من حضرة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هل يوجد في الوجود كله من يملك الهداية لابنه إن كان غير مهتد؟ أو لزوجته إن كانت غير مهتدية؟ أبداً: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ (الكهف)، فماذا يفعل رسول الله؟ يبين للناس: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل) وهذا نوع من أنواع الهداية، لأن من لم يسمع هذا البيان ولو كانت حتى فطرته تقية نقية، فلن يرجع إلى حضرة الرحمن إلا بعد أن يسمع البيان من النبي العدنان ﷺ.

الطريق إلى الله

﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الطريق القويم والطريق المستقيم نسميه صراط الله، وصراط الله يعني الطريق المَوصل إلى مرضاة الله، وتستطيع أن تقول فيه هو الإسلام، وتستطيع أن تقول فيه هو الإيمان، وتستطيع أن تقول فيه هو القرآن، كل هذا هو الطريق القويم المستقيم الذي يؤدي إلى حضرة الرحمن ورضاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، والفوز بما جهَّزه للمتقين والصالحين في الآخرة.

﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (ألا) حرف تنبيه يعني انتبهوا، فالأمور كلها في البداية من الله، وفي النهاية من الله، وفيما بينهما في رعاية الله جل في علاه.

نسأل الله أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن يهدينا صراطاً مستقيماً، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزاً، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء حُزننا، وذهاب همنا وغمنا، وقائداً لنا وشفيعاً لنا إلى الله يوم الدين، وأن يوفقنا للعمل بما فيه حتى نُرضي الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأعمالنا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفتح المبين[٣٦٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ ﴾ (الفتح)

فضل سورة الفتح	أسباب النزول	تأييد الله لنبيه
بيان المغفرة	تمام النعمة	السكينة
درجات المؤمنين	جند الله	العلاء الحضرمي

لمحة في قوله الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الفتاح العليم، الذي فتح قلوبنا للإيمان، وهدانا بفضله إلى دين الإسلام، وقذف في قلوبنا أنوار القرآن، وأسرار الرب ﷻ التي تتجلى في كل وقت وآن.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والناصر الحق بالحق، والداعي بالله إلى طريق مستقيم.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، صلاة توصلنا بها بفضلك إليه، وتجعلنا بها من المتمتعين بالنظر إليه، وترفعنا بها يوم القيامة لنكون بين يديه، وفي الجنة لنكون من أهل جواره الكريم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

---

٣٦٢ طفنيس – إسنا – الأقصر ١١ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/١٤م

فضل سورة الفتح

معنا الآيات من أول سورة الفتح، وفي البداية هناك بشرى عظيمة لكل من قرأ هذه السورة فقد ورد في بعض الأثر:

((من قرأ سورة الفتح فكأنما حضر بيعة الرضوان)).

وقال بعض العارفين:

((من قرأ سورة الفتح عند رؤية هلال رمضان في أول ليلة؛ وسَّع الله رزقه في ذلك العام إلى آخره، ومن داوم على قراءتها كل يوم؛ بايع رسول الله ﷺ في رؤياه، ونال ثواب الرضوان، وحشره الله تعالى معهم ، وفتح عليه جميع مغلقاته من خير الدنيا والآخرة)).

يعني كمن حضر بيعة الرضوان المذكورة في السورة، ومن حضر بيعة الرضوان ماله عند حضرة الرحمن؟ قال ﷺ بعد أخذ البيعة على أصحابه البررة الكرام:

{ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ }[٣٦٣]

يعني من حضر هذه البيعة حُرِّم على النار، وأصبح من أهل الجنة.

ولذلك استحب الصالحون والعلماء والعاملون وأكابر المؤمنين الإكثار من تلاوة هذه السورة، وخاصة إذا كان الإنسان قد وقع في غم، أو أصابه هم، أو يخاف من أمر مقبلٌ عليه .. يعني أحياناً بعض أبناؤنا الطلبة عندما يكون في آخر العام، تجد عنده صدود عن الإمساك بالكتاب والاستذكار، وليس له قابلية لمذاكرة دروسه، مع أن الامتحان على الأبواب، فما العلاج؟

كتاب الله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء).

فعليه أن يقرأ سورة الفتح حتى يفتح الله عليه.

ويقرأ آيات شرح الصدر: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (١الشرح) أو: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ (٢٥طه) أو: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ

٣٦٣ سنن أبي داود ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ.

عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (٢٢الزمر) فيشرح الله صدره في الوقت والحال.

وهذا الكلام أنا لا أقوله لتجربوه!!!

بل أن هذا مُجربٌ تجريبٌ أكيد !!

وكل من جرَّب أكَّد هذا المعني لأن هذا كلام الله ﷻ الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢فصلت).

فلا يوجد مسلم في يوم من الأيام يقول:

أنا رأيتُ الدنيا كلها مغلقة في وجهي، أو أنا أرى أن الطرق كلها غير مفتوحة لي، لأنك أنت مسلم وكل الدنيا مفتوحة لك، وكل أبواب الآخرة مفتوحة لك، ولكن بشرط واحد أن تفتح قلبك وتناجي ربك:

فتجد كل الأمور ميسرة ومذللة بفضل الله وبإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن أنت تريد أن تفتحها بنفسك، وهذا لا يكون، فالدنيا كلها بما فيها ومن فيها لا يوجد أحدٌ يستطيع أن يفعل فيها شيء بدون إذن من الخالق البارئ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالذي يريد أن تتسهل له الأمور: اذهب إلى من بيده مفاتيح كل شيء !!!

وقُل له: افتح لي هذا الباب يا رب، افتح لي هذا الطريق يا رب ..

والله ﷻ كما قال ﷺ في شأنه:

{ إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمَّ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِمَا خَيْرًا }[٣٦٤]

إن الله يستحي من عبده أن يرفع يديه بالدعاء ويقول: يا رب ويردُّه صفراً من عطائه، بل لا بد أن يعطيه مناه، ويحقق له ما يريده، وهذا فضل الله وإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين أجمعين.

وسنرى في هذه السورة العجب العجاب من صنيع الكريم الوهاب مع النبي ﷺ والأحباب، لنسلم جميعاً لأمر الله.

---

٣٦٤ مصنف عبد الرزاق والطبراني عن أنس بن مالك ﷺ

أسباب النزول

وسبب نزول هذه الآيات أن سيدنا رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه مع أصحابه يلبسون ملابس الإحرام ويطوفون بالبيت الحرام، فأخبرهم وهم يعرفون أن رؤيا الأنبياء وحيٌ وصدقٌ من الله، وليس فيها أي لبس أبداً، فتهيأ المؤمنون الصادقون وخرجوا معه، وكان عددهم ألف وأربعمائة، أما المنافقون فخافوا وقالوا: كيف نذهب إلى قريش هناك ليقتلوننا؟! قذف الله في قلوبهم الرعب.

ورسول الله ﷺ ليعرِّف أهل مكة أنه لن يأتي لحرب اغتسل في بيته وخرج خارج المدينة، وعند ميقات الإحرام والذي يسمونه (أبيار علي) الآن لبس ملابس الإحرام، وصلَّى سُنَّة الإحرام لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولبَّى بعمرة.

وأمر أصحابه أن لا يأخذوا معهم شيء من أنواع الأسلحة، غير السيف في غِمده، ليعلم أهل قريش أنهم ذاهبون لتأدية العُمرة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولأن سيدنا رسول الله كان يأخذ بالأسباب فأرسل أناسٌ من عنده لينظروا الأخبار، وهل أهل مكة عرفوا أم لا؟ وإذا عرفوا، فماذا فعلوا؟ فعادوا وقالوا: إنهم يقولون: مستحيل أن تدخلوا علينا مكة أبداً، وسنحارب ونموت ولا يدخل أحد مكة، وبالطبع هذه من العصبية القَبَلية الجاهلية.

فأراد النبي أن يرسل لهم أحد ليعرفهم الحقيقة وأنه قادم ليؤدي العمرة وليس للحرب، فقال لعمر: هل تذهب إليهم؟ قال: لا يوجد أحدٌ من عائلتي في مكة الآن، وأنا كنت شديد على الكفار فلن يتركوني، ولكن أرسل عثمان بن عفان، لأن عائلته كبيرة في مكة وسيحموه إلى أن يوصل الرسالة.

وماذا في الرسالة؟ الرسالة يقول فيها النبي أنهم قادمون للعمرة، وليس للحرب، لأنه كان بينه وبينهم حروب وكفى من هذه الحروب.

ذهب سيدنا عثمان، وأرسل معه حضرة النبي ﷺ عشرة من أصحابه لهم أهل في مكة ليروا أهليهم ويبلغوا الرسالة للكفار، وبالفعل بمجرد أن دخل عثمان مكة قابله أحد أكابر عائلته، وسأله: لم قدمت؟ قال: قدمت لكذا وكذا، فقال له: أنت في حمايتي

فادخل، ودخل عثمان وبلَّغ الرسالة.

لكن الشـــرك والكفر كان عجيباً إلى هذا الوقت، فمنعوا عثمان ومن معه من الخروج والرجوع لحضرة النبي، يعني حبسوهم.

وحضـرة النبي كان ينتظر عودة عثمان فلم يأت، فأخذ رأي المسـلمين، فقالوا: إن لم يأت عثمان لن نعود حتى ننازلهم ونحاربهم ونأخذه ومن معه عُنوة من بينهم، ونطوف كذلك بالبيت الحرام، لأنهم كانوا شديدي الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقالوا: سنبايعك على ذلك، فجلس رسول الله تحت شجرة وجاءوا واحداً واحداً، وأول واحد قال: أريد أن أبايعك يا رسول الله على أن أقاتل أمامك حتى أُقتل أو يأتيك النصر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم جاء كل المؤمنين وقالوا: نريد أن نبايعك كبيعة هذا الرجل:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (١٨الفتح)

نالوا وسام الرضا على الفور، وهو أعلى وسام في حضرات الملك العلام تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومكث سيدنا رسول الله في مكانه الذي هو فيه واسمه الحُديبية عشرين يوماً، وهم مانعين حضرة النبي ومن معه من الدخول إلى مكة.

وبعد ذلك بعث أهل مكة بكتيبة مكونة من أربعين فارس يناوشـــون المســـلمين ليختبروهم، هل هم أقوياء أم لا؟ فأسَـــرَ المســـلمون كل الكتيبة ما عدا فارس واحد فر وهرب، وكان قائدهم، فقالت قريش: إن الأمر ليس ســـهلاً، فنبحث عن حل، فبدأوا يرسلون للزعماء، فأرسلوا لزعيم الطائف وكان اسمه عُروة بن مسعود، فذهب إلى رسول الله ومن معه، فرأى أنه كلما توضأ حضرة النبي يجد صحابته يتنافسون على ماء وضوئه، وكل واحد يريد أن يأخذ منه شـيئاً، وكلما فعل حضـرة النبي ﷺ شـيئاً يتنافسـون فيه، فرجع وقال: يا أهل مكة أنا ذهبت إلى كسرى ملك الفرس في مملكته، وإلى قيصر ملك الروم في مملكته، وإلى النجاشـي ملك الحبشـة في مملكته، فلم أر أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد.

فقالوا: ماذا نفعل؟

قال: سلموا وهادنوه، فأُسقط في أيديهم، كيف نُسلِّم؟! وعندهم العزة بالإثم؛ إثم

الجاهلية كيف يدخل مكة رغماً عنا؟!، وعندما وجدوا أنه لا فائدة فقالوا: إذا كان ولا بد يرجع هذه السنة ولا يدخل حتى تظل لنا العزة، ويأتي السنة القادمة ونُخلي له مكة كلها ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء هو والمسلمون الذين معه.

فاتفقوا على ذلك وأرسلوا واحداً من عندهم اسمه سُهيل بن عمرو ومعه مجموعة ليعقدوا عقد صُلح مع حضرة النبي ﷺ.

فقالوا: نريد أولاً قبل الصُلح أن تفرجوا عن الأربعين أسير الذين أسرتموهم عندكم، فقال لهم النبي: إذا جئتمونا بعثمان ومن معه، فأعادوا عثمان ومن معه، وسيدنا رسول الله أفرج عن الأربعين أسير الذين كانوا عنده، وبدأ الصُلح.

وهذا الصُلح يسمونه في التاريخ (صُلح الحُديبية) لأن المكان الذي كانوا فيه مكان بئر، وهذا البئر كان اسمه بئر الحُديبية، وقد حدثت فيه معجزة لرسول الله ﷺ كبيرة، فالبئر نفدت المياه التي به من كثرة عدد المسلمين عنده، فذهبوا لحضرة النبي وقالوا له: لم يعد في البئر نقطة ماء واحدة، فأخذ سهماً من كنانته وأعطاه لأحد من أصحابه وقال له: ألقه في البئر، فعمَّ البئر بالماء وشربوا أجمعين ولم يجف بعدها إلى يومنا هذا.

وهذا غير المعجزة التي كانت قبلها أثناء مسيرهم، فقد نفد الماء ولم يعد غير قليل من الماء مع حضرة النبي، فقالوا:

{ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا }[٣٦٥]

أظن أن هذه معجزة أكبر وأعظم من معجزة موسى عندما كان يضرب الحجر بعصاه، فتنبجس منه اثنتى عشرة عيناً، لأن المياه عندما تخرج من الحجر فهذا شيء طبيعي، لكن المياه تتفجر من الأصابع واللحم والدم فهذا الإعجاز الأعظم لرسول الله ﷺ، لنعلم علم اليقين أن الله يؤيده في كل أمر:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٦٤النساء)

لا بد للإنس والجن والشجر والحجر والكواكب والشمس والقمر والنجوم كلها أن تطيعه لأنه رسولٌ لله ﷻ.

---

٣٦٥ صحيح البخاري عن جابر ﷺ

تأييد الله لنبيه

الرسول ﷺ وقَّع مع سُهيل بن عمرو صُلح الحُديبية على أن تكون هدنة بين المسلمين وأهل مكة عشر سنين، يعني لا حرب لمدة عشر سنين، ومن يدخل في الإسلام من أهل مكة من غير موافقة أهله ويذهب للمدينة فحضرة النبي يعيده، ومن يترك الإسلام من أهل المدينة ويذهب لمكة فأهل مكة لا يردوه، والذي يُريد الدخول في حلف حضـــرة النبي من القبائل العربية لا مانع، والذي يُريد الدخول في حلف قريش من القبائل العربية لا مانع، فالصـــحابة وقفوا عند هذه الشروط، وكان أشدهم سيدنا عمر، فذهب لرسول الله ﷺ وقال:

{ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟! قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟! قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ}[٣٦٦]

هل من يترك الإسلام ويعود نحتاجه في شيء؟ لا، قال ﷺ:

{ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ }[٣٦٧]

المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد !!

يعني مسلم معنا وعاد للكفر مرة ثانية فماذا نصنع به؟! لا نريده، والآخر الذي جاء مسلماً فلماذا نرده؟ قال:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (٢الطلاق)

---

٣٦٦ البخاري ومسند أحمد

٣٦٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنها

يعني سنرده لهم والله سيجد له مخرجاً.

وفعلاً حدث هذا الكلام، فسيدنا رسول الله ﷺ ذهب إليه واحد مسلم وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في مكة وفر إلى المدينة، فرده النبي تنفيذاً للعهد الذي أخذه معهم، فماذا يفعل الرجل؟ هرب ووقف على الطريق التجاري بين مكة وبلاد الشام عند منطقة اسمها (سيف البحر) بجوار البحر، وانضم إليه واحد آخر، حتى وصلوا إلى ثلاثمائة، فأصبحوا كتيبة كبيرة، فالتجارة القادمة لقريش من هنا أو من هنا يأخذونها، وكانت النتيجة أن قريشاً أرسلت وفداً للمدينة وقالوا: نحن متنازلين عن هذا الشرط، ولكن خذ هؤلاء عندك في المدينة حتى يخلو لنا الطريق.

فانظروا إلى البصيرة النبوية التي كان يمشي بها سيدنا رسول الله كما قال الله في شأنه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١٠٨يوسف).

رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، لأنهم لن يدخلوا هذا العام وسيدخلون في العام القادم، وأثناء رجوعهم وفي منتصف الطريق بين مكة والمدينة نزل الوحي بسورة الفتح.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ هل هذا الصُلح كان فتحاً؟ كان فتحاً من أعظم الفتوح، وسيدنا عمر عندما نزلت هذه السورة قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ }[٣٦٨]

كان أعظم الفتوح لماذا؟ في السنة الأولى بعد هذا الصُلح دخل في الإسلام قدر عدد المسلمين الذين كانوا مع حضرة النبي في هذا العام، لماذا؟ لأن الناس أصبحوا في أمان، فمن كان في المدينة يذهب لمن في مكة ويتكلم معهم في الإسلام، ويتكلمون مع القبائل العربية ويدعونهم إلى الإسلام فبدأت الدعوة تنتشر.

حتى أن الرسول ﷺ أرسل رسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، رسالة إلى ملك الروم، ورسالة إلى ملك الفرس، ورسالة إلى ملك القبط في مصر، ورسالة إلى ملك عمان، ورسالة إلى ملك اليمن، ورسالة إلى ملك الحبشة، ست رسائل، وكان تأييد من الله، فاختار ست رجال ليوصلوا هذه الرسائل، فقالوا: يا رسول الله لا نعرف لغات البلاد

---

٣٦٨ البخاري ومسلم

التي سنذهب إليها، فكيف نكلمهم؟!، فيحدث الإعجاز الإلهي، وفي الصباح كل واحد منهم علَّمه ربه لغة البلد التي سيذهب إليها أحسن من أهلها، لنعرف أن الله إذا أراد أمراً دبَّره تدبيراً محكماً، ولا راد لحكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فكان هذا الصُلح سبباً في انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وغيرها من القبائل، بل وفي الدول المجاورة أيضاً، لأنها كانت فترة هُدنة وليس فيها حرب.

المؤمنون المهاجرون في المدينة كان قد صادر أهل مكة دورهم وأموالهم، وكانوا فقراء، ففي هذه السنة بمجرد رجوع النبي من مكة ناوشه اليهود الذين كانوا يسكنون في خيبر، فذهب إليهم وفتح الله عليه خيبر، فجزاهم الله بفتح خيبر وأغناهم الله بالغنائم الكثيرة التي أخذوها من فتح خيبر، وهذا لنعلم أن الفتح هو صُلح الحديبية.

وكانت بشرى أيضاً بأن الله سيفتح عليهم مكة، ولذلك كان ذاهباً إلى مكة ومعه ألف وأربعمائة، وبعد سنتين اثنتين ذهب إلى مكة ومعه عشرة آلاف، فانظر إلى الأعداد كيف تضاعفت، وفتح الله له مكة بدون قتال ولا حرب صلوات ربي وتسليماته عليه.

أمور كثيرة فتحها الله عليه في هذه الآيات:

الفتح الأول: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ الفتح المبين أن الله ﷻ أعانه على بيان الإسلام ونشر الإسلام لجميع الأنام.

بيان المغفرة

الفتح الثاني:

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

يغفر لك كل الذنوب التي مضت، والآتية، وهل سيدنا رسول الله كانت له ذنوب؟ لا، فهو معصوم والمعصوم لا يرتكب الذنوب، حتى أنه قبل النبوة وعندما كان يرعى الغنم ولا يزال طفلاً صغيراً قال للصبي الذي يحرس معه الغنم: أنا سأذهب لأحضر فرحاً بمكة، وبمجرد أن وصل للفرح ألقى الله عليه النوم ولم يستيقظ إلا بعد أن لسعته حرارة الشمس، وتكرر هذا الأمر مرة أخرى، يعني حفظه الله حتى من اللهو ومن اللغو، وليس من الذنوب فقط، لأن الله عصمه صلوات ربي وتسليماته عليه.

فما الذنب الذي سيغفره الله له؟ ذنوب الأمة، ولذلك قال لنا:

{ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٣٦٩]

قال الله تعالى:

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ ﴾ (محمد) وهذا في الذنوب المتأخرة، أما الذنوب المتقدمة، فهو ذنب آدم عندما وقع في مخالفة أمر الله في الجنة، وأُهبط إلى الأرض واحتار، فقال:

{ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }[٣٧٠]

وهذا رأي، وهناك رأي آخر يقول:

معناه أننا سنعصمك من الذنوب فلا تقع في ذنوب ولا عيوب مطلقاً، وهذه العصمة التي عصم بها الله حبيبه ومصطفاه ﷺ، فلم يعص الله ﷻ طرفة عين ولا أقل، لأن الله عصمه من ذلك.

رأي ثالث يقول:

من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكانت هناك أمور أحياناً يفعلها رسول الله ولكنها بخلاف الأولى، فكان يعتبرها ذنب، يعني مثلاً في غزوة بدر لما شاور أصحابه في الأسرى ومال إلى رأي سيدنا أبي بكر أن يفديهم، ورأي الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ (الأنفال) فهو ليس ذنب ولكنه اعتبره ذنباً لأنه خلاف الأولى في نظر المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

٣٦٩ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٣٧٠ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عمر بن الخطاب ﷺ

تمام النعمة

الفتح الثالث: ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ نعمة الإسلام، فأتم النعمة، ونشر الإسلام، وعلَّم الناس شعائر الإسلام، ومناسك الإسلام، حتى أنه عندما حجَّ حجة الوداع كان معه مائة ألف من المسلمين يؤدون معه مناسك الحج ليفرح بفضل الله، ونشر شريعة الله في كل أرجاء الجزيرة العربية.

فهذه تمام النعمة أن الله ﷻ أتمَّ عليه الفضل ونشر الدين، ونصره على الكافرين، ونصره على المنافقين، لأنه كان يحارب في جبهتين، جبهة في مكة مع الكافرين، وجبهة في المدينة وهم المنافقون، والمنافقون أشد، فنصره الله على المنافقين كما نصره على الكافرين صلوات ربي وسلامه عليه.

الفتح الرابع: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ هداك للطريق الحق الذي اختاره الحق لعباده، ولذلك عندما نبحث فيما جاء به الأنبياء السابقين نجد أن أممهم هم الذين حرَّفوا وغيَّروا وبدَّلوا، ما الشيء الذي لم يتغير ولم يُحرف ولم يُبدل؟ كلام الله ودين الله الذي أنزله على رسول الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٩الحجر).

الفتح الخامس: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ سيعزك الله وسينصرك بعد ذلك في أي معركة تخوضها، فكان ﷺ يقول:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }[٣٧١]

ماذا يعني ذلك؟

الروم الذين كانوا في بلاد الشام جهزوا أربعمائة ألف جندي ليذهبوا ويقضوا على الإسلام وعلى نبي الإسلام في المدينة، فلما سمع رسول الله بالخبر، جهز ثلاثين ألفاً، وهذا ما يقدر عليه، وبمجرد أن خرج من المدينة وسمع الروم أنه مُتحركٌ نحوهم، زُلزلت الأرض تحت أقدامهم وجاءهم الرعب في قلوبهم ورجعوا إلى بلادهم، فذهب إلى تبوك ولم يجد هناك أحد بالمرة، ما الذي حدث؟

﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ يعني فيه عِزةٌ لك لأن الله أيدك بالرعب.

---

٣٧١ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ

السكينة

المؤمنون كانوا حريصين على أنفسهم عندما نزلت هذه الآيات فقالوا: هنيئاً لك يا رسول الله مغفرة الله وفتح الله، ونحن نريد نصيبنا، فأنزل الله هذه الآيات من أجلهم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والسكينة يعني الطمأنينة، لو وُضع المؤمنون في أي شدة أو في أي شيء شديد يُنزل الله في قلوبهم الطمأنينة فيطمئنون بالله وبذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنهم لا يخشون أحداً إلا الله.

درجات المؤمنين

أنزل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين، لماذا؟

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾

ليرقيهم !!

فجعل الله للإيمان درجات، درجة الإسلام، والذي يرتقي في الإسلام يرتقي إلى درجة الإيمان، ومن يرتقي في درجة الإيمان يرتقي لدرجة الإحسان، ومن يرتقي في درجة الإحسان يرتقي لدرجة الإيقان، فهذه الدرجات التي أمرنا الله ﷻ أن نتدرج فيها، ونقف عند قوله عز شأنه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (٩٩الحجر).

فلا نقف في طلب مرضاة الله !! وفي التزود بطاعة الله !! حتى نصل إلى درجة اليقين التي جهزها لنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ....

وإذا وصل إلى درجة اليقين:

يكون في علم اليقين!

ثم يرتقي منه إلى عين اليقين!

ثم يرتقي منه إلى حق اليقيـــــن!

درجات لا عدَّ لها ولا حدَّ يرتقي فيها المؤمنون حتى يكونوا هم أنفسهم الدرجات: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران) !!! لم يقُل لهم الدرجات، ولكن هم أنفسهم درجات عند رفيع الدرجات تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

جند الله

وطمأن الله قلوبنا وقلوب المؤمنين في كل واد:

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

كل ما في السماء وما في الأرض جندٌ لله، فلِمَ نخاف؟!!

بعوضة سلَّطها الله على ملك من الملوك فدخلت في أنفه وظلت وراءه حتى قتلته، وهو النمروذ الذي أوقد النار ليحرق بها سيدنا إبراهيم.

وهذا جند بسيط من جند الله، دخلت في أنفه حتى وصلت إلى رأسه، ولا يرتاح ولا يشعر براحة إلا إذا أمر عساكره وجنده أن يضربوه بالنعال على رأسه ليخففوا عنه الألم إلى أن مات.

والمياه جندٌ من جنود الله !!

والريح جندٌ من جنود الله !!

والشُهب جندٌ من جنود الله !!

وكل شيء في الكون من النملة إلى أعظم شيء في الوجود كله جنودٌ من جنود الله:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٣١المدثر).

كل هذه الجنود سخرها الله لنا جماعة المؤمنين ..

يعني لا نخاف من الذرَّة، ولا من الصواريخ العابرة للقارات، ولا الأشياء التي نسمع عنها الآن، ولِمَ نخاف منها ما دام معنا الله؟!! فإن الله ﷻ قادرٌ بقدرته أن يُعطِّلها جميعاً في وقت واحد، وله ما يشاء ﷻ، فما كان للمؤمنين أن يخشوا غيرهم لقوة السلاح، أو لكثرة العدد، وإنما كانوا يخشون أن ينقطع عنهم مدد الله، أو يرتكب الجنود ذنوباً تباعد بينهم وبين الله، فلا يمدهم الله تعالى بنصره.

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النبي ﷺ كان ذاهباً مع أصحابه لتجارة آتية لقريش من الشام إلى مكة، وحدثت غزوة بدر، وكانوا قد قطعوا مسافات طويلة في المشي، لأنهم كانوا فقراء ولم يكن معهم إلا سبعين جملاً وأربعة خيول، وعددهم ثلاثمائة وقليل،

فكانوا مشاة حتى وصلوا إلى مكان بئر بدر، وبئر بدر كان الكفار قد سبقوهم إليه وأحاطوا بالبئر، واختاروا الأرض الصلبة، لأن أرض بدر كان فيها جزء صلب لمن يقف عليه مستريح، وجزء رمل يغرز فيه، ولكن جنود الله كانوا معهم، فكانوا قادمين ومتعبين، فكيف سيحاربون في الصباح؟!

فأول سلاح أيَّدهم به الله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (١١الأنفال) أوقف النبي جماعة حرس والباقي ينام، لكن الكل نام حتى أن الحرس ناموا وهم ممسكين بسيوفهم وقوفاً ولم يشعروا، لأن الذي غشَّاهم بالنعاس هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهل الخائف ينام؟ لا، لكن ما دام النوم قد أتى من الله ﷻ فهو إكرام:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (١١الأنفال).

وكيف نحارب والأرض التي نحن فيها أرض كلها رمل فنغرز وليس معنا ماء، والإنسان عندما يكون تعبان وينام تكون هذه من المسببات الرئيسية للإحتلام، فمعظمهم احتلموا، ولا توجد مياه، فأصبحوا في الصباح فقالوا: كيف نحارب ونحن على جنابة وليس معنا ماء؟

فأنزل الله من السماء ماءًا على قدرهم، ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (١١الأنفال) هذه المياه ماذا فعلت؟

تطهروا بها من الجنابة، وأذهب الله عنهم وساوس الشيطان التي دارت بخلدهم، ونزل الماء على الأرض الرملية فأصبحت ثابتة، والأرض الصلبة التي عليها الكفار أصبحت زلقة.

هذه جنود الله ﷻ، فالنوم جندٌ من جنود الله، والماء جندٌ من جند الله نزَّله على الحبيب ﷺ ومن معه، ليؤيدهم ويثبتهم في هذا الموقف الجليل.

وسيدنا رسول الله ﷺ جاء وكأن معه خريطة، فمر في الأرض، وحدد بيده: هنا سيموت فلان، وهنا سيموت فلان، إلى أن عدَّ سبعين موقعاً، وهم من ماتوا بالفعل كما بيَّن رسول الله ﷺ في المواضع التي حدَّدها له مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأمسك بحفنة من الرمل ورماها، وكل من يموت جاء على رأسه حفنة من هذا التراب، وكان أجله كما قدَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

العلاء الحضرمي

هذه الآيات مع رسول الله كثيرة، وليتنا نطالعها ونشاهدها، لكن بعضنا سيقول: هذا رسول الله، لكن أين نحن؟ نقول له: انظر يا أخي إلى أصحاب حضرة النبي، وكيف كان الله يؤيدهم؟ واحد من أصحاب حضرة النبي ﷺ اسمه العلاء بن الحضرمي ﷺ، أرسله النبي في كتيبه لفتح البحرين، والبحرين جزيرة، وسيدنا أبو هريرة ﷺ كان معه في هذه الحملة، فيقول: شهدتُ في العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا تظهر إلا في نبي، ونحن في الطريق نفد الماء فذهبوا إليه وقالوا: نفد الماء، قال: ولم لم تعلموني؟! فصلى ركعتين وتوجه إلى السماء، وكان بجوارهم وادياً، والوادي مكانٌ منخفضٌ بين جبلين، وإذا بالوادي يمتلئ بالماء، فشربوا وملأوا أسقيتهم وسقوا ركائبهم ومشوا.

أبو هريرة ﷺ كان صحفياً ماهراً وذكياً، يقول: ملأتُ دلواً من الماء وتركته بجوار الوادي، وبعد أن مشينا مرحلة قلت لهم: قد نسيت الدلو وسأذهب لآتي به، يقول: ذهبتُ فوجدت الدلو ولم أجد بالوادي قطرة ماء واحدة، فلمَ نزل هذا الماء؟ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (٦٢النمل) فهذه ليست مع أصحاب رسول الله فقط، بل معنا كلنا عباد الله، وصلوا إلى بحر الخليج العربي، والبحرين بينها وبين الجزيرة العربية حوالي أربعين كيلو متراً، فعندما علم سكان البحرين أن هؤلاء جنود المسلمين، جمعوا المراكب التي على الشاطيءكلها التي يذهبون ويأتون بها وأحرقوها، حتى لا يعبر بها المسلمون، فيقول: وإذا بالعلاء يقول لنا: قولوا: بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وامشوا خلفي، وكان معهم جمال، والجمال لا تعرف العوم في البحر، فماذا حدث؟ جمَّد الله الماء وأصبح كأنه أرضاً بطحاء، فيقول: مشينا على الماء حتى أنه لم تبتل أخفاف إبلنا، يقول: عندما رآنا القوم قالوا: هؤلاء إما ملائكة ولا طاقة لنا بالملائكة، وإما جن ولا طاقة لنا بالجن، يا قوم استسلموا، فسلَّموا.

والذي أريد أن أقوله أن الجندي المسلم ماذا فعل له الله؟ تجمدت له المياه وصنع له الله طريق، وهل أي دولة من الدول الفتية الآن تستطيع أن تُجمِّد المياه في البحر ويمشوا عليها؟ لا، لكن هذه تكنولوجيا معك أنت أيها المؤمن!!، هل عندهم تكنولوجيا حالياً تنزل المياه من السماء في الصحراء؟ لا، لكنك تستطيع أن تنزل المياه في أي وقت، فتُصلي صلاة الاستغاثة في أي وقت ولكن بحالة اضطرار وحالة ابتهال لله، يجمع لك السحاب وينزل لك المياه، لأنك عبدٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

يقول: والثالثة عند رجوعنا مات العلاء فدفناه، وكان من يموت يدفونه في الموضع الذي مات فيه، وبعد أن قطعنا مسافة إذا برجلين – وهم في الحقيقة كانا ملكين في صورة رجلين – قالا: أمات صاحبكم؟ قالوا: نعم، قالوا: وأين دفنتموه؟ قالوا: في موضع كذا، قالوا: ارجعوا فأخرجوه فإن هذه الأرض مأسدة –يعني فيها أسود كثيرة وسيحفروا ويخرجوه – يقول: رجعنا وحفرنا حيث دفناه، فوجدنا القبر ولم نجد فيه شيئاً، فعلمنا أن الله رفعه إليه.

سيقول البعض: إن العلاء كان صحابياً من صحابة رسول الله، لكن لو تتبعنا كتب التاريخ نجد آلاف الإكرامات جرت للمؤمنين والمؤمنات كمثل هذه الحالات، فسيدنا سعد بن أبي وقاص في موقعة القادسية، والفرس كانوا أقوى جيوش العالم في ذلك الوقت، قطعوا الجسور كلها على نهر دجلة حتى لا يعبر عليها أحد، ووقفوا على الشاطئ منتظرين، ما الذي يحدث؟ فسيدنا سعد رأى في المنام – وكانوا على صلة بالله على الدوام – أنه يعبر النهر إلى الفرس، فأصبح في الصباح وقال لهم: قولوا: بسم الله توكلنا على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وامشوا، يقول من حضر الموقعة: كنا إذا تعبنا نجد جرثومة – يعني جزيرة صغيرة – تخرج لنا من الأرض نستريح عليها قليلاً ثم نكمل المسير.

ما الذي أخرج هذه الجزيرة الصغيرة من الأرض ليستريحوا عليها؟ الله، وهي كما قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كل السماوات والأرض جنودٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمن فيهن وما عليهن وما تحتهن وما بهن، كلهم جندٌ لله ﷻ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ (٩٣مريم).

سيدنا عقبة بن نافع الذي فتح بلاد المغرب العربي، عندما ذهب لتونس فماذا كانت الأوامر العلية والآداب السلطانية للخلفاء الراشدين؟ يقول له: لا تنزل عساكرنا في المدن، حتى لا يختلطوا بالناس، واجعلهم في مكان بين الصحراء وبين البلاد، حتى يكونوا بعيدين عن الناس.

فأراد أن يبني مدينة لجند رسول الله ﷺ، فاستشار الخبراء الذين معه، فقالوا له: أفضل مكان لهذه المدينة موضع هذه الغابة، وكانت هناك غابة موجودة قريبة من الصحراء.

وهذه الغابة مليئة بالحيوانات، فماذا نفعل؟

هل نحرقها؟ لا، لأنهم أخذوا تعليمات بعدم الحرق، فلا يحرقوا زرعاً ولا يحرقوا بيوتاً ولا يتسببوا في أذى لأي إنسان، لأنهم بُعثوا لهداية بني الإنسان إلى حضرة الرحمن، فقال

لهم: انتظروا قليلاً، فركب فرسه وذهب إلى الغابة وقال: يا سكان هذه الغابة لقد اخترنا هذا المكان لنبني فيه مدينة لجند رسول الله ﷺ فارحلوا، وسأمهلكم لمدة ثلاثة أيام، يقولون: رأينا الأسود والسباع والحيات والحيوانات كلها تحمل صغارها وترحل!!.

من الذي ترجم لهم؟! ومن الذي بلَّغهم؟! هذا لتعرف انك إن أخلصت للرحمن سخَّر لك الأكوان: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (الجاثية) هل استثنى شيئاً؟ لا، كل ما في السماوات وما في الأرض مسخرين لمن سخر نفسه للرحمن، وأصبح خالصاً قلباً وقالباً في طاعة الواحد الديان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ حتى نزداد ثقة في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نعلم أن علمه محيطٌ بكل شيء، وأنه حكيمٌ في كل شيء فعله أو قدَّره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنثق في قدرة الله، ونعلم أن الله لا يتخلى عن عباده المقربين طرفة عين ولا أقل، لا في الدنيا ولا في يوم لقياه إن شاء الله.

ثم بشر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤمنين الذين كانوا يقولون لحضرة النبي: نريد شيئاً مثلك: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ يدخلهم جنات، ويغفر لهم ذنوبهم، وهذا هو الفوز العظيم.

والجنات من الذي يأخذها يوم القيامة؟

الذي يحافظ على دخول الجنات في دار الدنيا، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[٣٧٢]، وفي رواية أخرى:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٣٧٣]

فأنا إن كنت أريد الجنة ....أتقلب هنا في مجالس الجنة مع أهل الجنة في الدنيا، إن كان في روضة العلم، ... أو روضة القرآن ...، أو روضة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

٣٧٢ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس رضي الله عنه

٣٧٣ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

لمحة في قوله الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)

إن كنت أظهر غيباً هل عندكم تسليمُ
غيباً وغيباً علياً لم يُبده تعليمُ

سنأخذ وجهاً من الوجوه العلية في الآية القرآنية: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾

يقول الله لنبيه: إنَّا بجلالنا وجمالنا وكمالنا وأسمائنا وصفاتنا، إنا بكل حضراتنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، فتحاً في مجال المشاهدات، فهو ﷺ وحده الذي خُصَّ بأعلى المشاهدات التي لم يتحصل على ذرة منها أولياء الله ورسل الله أجمعين.

فسيدنا إبراهيم خليل الله بيَّن الله أنه أراه ملكوت السماوات والأرض: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٧٥الأنعام) وسيدنا موسى كلَّم الله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (١٦٤النساء) وسيدنا إدريس: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٥٧مريم) ليس حتى مقاماً، ولكن مكاناً في السماء الرابعة، لكن المقامات فوق كل عوالم الملك والملكوت.

لكن الذي كان: ﴿ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ ﴾ (النجم) هو وحده النبي المجتبى والرسول المصطفى ﷺ.

وهو الذي خُصَّ من مولاه بقوله جل في عُلاه: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (١٨النجم).

وفتح الله ﷻ له ولأمته فتحاً بيانياً قرآنياً، فالقرآن أعجز الأولين وأعجز المعاصرين وأعجز الآخرين، وتحداهم رب العالمين على أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا، أو أن يأتوا بآية من مثله فلم يستطيعوا وعجزوا جميعاً، لكن الله ﷻ يسَّره لنا: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١٧القمر).

يسَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اكراماً لذات نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان الإمام عليٍّ ﷺ وكرَّم الله وجهه يقول:

((لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله))

كل شيء موجود في كتاب الله:

{ كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ }[٣٧٤]

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في ملك الله وملكوته وعوالمه كلها إلا أحصاها !!

ولكن تحتاج إلى الفتح المبين حتى يكشـــف الله للعبد هذا البيان العالي القدر من رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالسالك في طريق الله يفتح عليه الله في البداية بالتوجه إلى الله، وطلب مرضاة الله: فيفتح قلبه ويضع فيه الإخلاص في أي قول وفعل لحضرة الله، فلا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً ويرجو من أحد من البشر أجمعين شيئاً، لأنه لا يرجو به إلا مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذا فتح الله عليه هذا الفتح ... يُلهَم العلوم الإلهية الموجودة في القرآن، والتي يخبر عنها أحد العارفين فيقول:

((إن الله يفيض على أهل المعرفة سبعون ألف علم من كتاب الله))

ويقول فيها الإمام عليّ ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((لو فسرتُ فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيراً))

يعني كتب سيحملها سبعون جملاً في تفسير الفاتحة الذي علَّمه له مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك كان الصالحون ولا يزالون إذا أرادوا أن يعرفوا أي شيء في أنفسهم أو في الكون، فمن يسألون؟

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل) ليس أهل العلم، ولكن أهل الذكر: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ (٤٤الزخرف) سيظهر لهم في الذكر كل ما يريدوا أن يعرفونه من حضرة المذكور تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذه الآيات نحن نهتدي بها ونمشي على هديها حتى يفتح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا فتحاً بيانياً، ثم فتحاً عيانياً، ثم فتحاً شهودياً، لنتمتع بما تمتع به الصالحون من عباد الله الذين تربوا في حجر رسول الله ﷺ.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣٧٤ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٢٩)

بيعة النبي[٣٧٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝١٠ ﴾ (الفتح)

جلالة الله	وصف رسول الله في التوراة	الرسول شاهد
أمة الفضل الإلهي	نبي البشائر	الواجب علينا نحو رسول الله
١- الإيمان به	٢- نصرته	٣- توقيره
٤- التسبيح لله	٥- مبايعته	تشريف الله لرسوله
سر البيعة		

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق وأعان ..

والشكر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى في كل وقت وآن ..

والصلاة والسلام على النعمة العظمى، والرحمة الكبرى التي تفضَّل بها علينا الله؛ سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

الخطاب الذي معنا في هذه الآيات:

هناك خطاب متشابه معه في بعضه في سورة الأحزاب ...

لكن الذي في سورة الأحزاب كله مع حضرة النبي، أما الذي معنا فهو خطاب لحضرة النبي وعرَّج على أمة النبي، وهذا فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا أجمعين.

---

٣٧٥ الرزيقات بحري – أرمنت – الأقصر ١٢ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/١٥م

جلالة الله

بدأ الله ﷻ الخطاب إلى حبيبه ومصطفاه، وبدأ بنون العظمة: ﴿ إِنَّآ ﴾ أو نحن ..

لأنه إذا نطق بها أحدٌ فتدل على العظمة، فلا أحد يقول إنَّا، وإنما يقول: أنا، فهذه تدل على عظمة المخاطب، وإنَّا تدل على أن الخطاب من كل كنوز الفضل الإلهي، وغيب النور الرباني إلى حضرة النبي ﷺ، فالله يخاطبه بكل جمالاته وكمالاته وغيوبه ونوره وبهائه فيقول له: (إنَّا).

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾:

وعندما نعرف أن الذي أرسله هو الله، فينبغي علينا التسليم الكلي والطاعة لحضرته، لأنه مبعوثٌ من عند الله ﷻ، والرسول ﷺ له مثل في ذلك ضربه الملائكة الكرام لحضرته، يحكي جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فيَقُولُ:

{ جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ}[٣٧٦]

النبي ﷺ كانت تنام عينه وقلبه لا ينام ..

يعني يقظٌ على الدوام، ونحن نراه نائماً، لكن روحه ونفسه القدسية في الملكوت هائمة مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

٣٧٦ صحيح البخاري والأنوار في الشمائل للبغوي

وصف رسول الله في التوراة

لِمَ كانت هذه الآية؟

لأن أهل الأديان السماوية السابقين كأتباع سيدنا موسى وأتباع سيدنا عيسى يقولون: نحن نؤمن بالله، فما المعضلة التي عندهم؟ لا يريدون الإيمان برسول الله، مع أن أنبياءهم بيَّنوا أوصافه وأوصاف أصحابه، وأمروهم أنهم إن حضروا زمانه يؤمنوا به، ويتبعوه ويناصروه ويحاربوا معه أعداءه أجمعين.

من جملة ذلك سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وكان قارئاً، وكان يحب أن يقرأ في كتب أهل الكتاب ليعرف ما فيها، وهذا تخصُّص، والنبي تركه في قراءته هذه، لأن كل واحد من الصحابة له تخصص يمشي فيه، ولا أحد يعترض على أحد، ولا يظن أنه أفضل من أحد، لأن هذا تخصص.

فذهب إلى اليهود وأتى بحمل حمار كتب، وأخذ يقرأ فيها، وعندما سُئل عن وصف رسول الله ﷺ في التوراة قال:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[٣٧٧]

هل هذا الوصف يحتاج إلى بيانٍ آخر؟

لا، فهو بيانٌ شامل حتى عن الوصف الظاهر لرسول الله، ولكن نرجع ونقول كما قال الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (٧٣آل عمران) وكما قال: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١٧الكهف).

فخاطبه الله ﷻ بأنه أرسله للناس رسولاً: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ لم يقُل نبياً، ولكن أرسلناك يعني بالرسالة، لأن النبي تكون نبوته لنفسه، وليس شرطاً أن يُبلِّغ، لكن الرسول لا بد أن يُبلِّغ أمَّته بما كلَّفه الله ﷻ بتبليغه.

---

٣٧٧ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الرسول شاهد

﴿ شَٰهِدًا ﴾ أول وصف جملناك به أن تكون شاهداً، على ماذا؟ رجل من الصالحين تركي اسمه الشيخ إسماعيل حقي البروسوي له تفسير عظيم اسمه (روح البيان) يقول: أشهده الله ﷻ كل شيء من البدء إلى الختام، فأشهده خلق آدم، وما الدليل؟ دليل ذلك عندما سُئل:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى جُعِلْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ }[٣٧٨]

(كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) ـ فهل رآه أم لم يره؟ رآه، ورأى كل خلق الله من أرواح الأنبياء والمرسلين، ولذلك قال:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٣٧٩]

وأشهده الله الجنة، وأشهده العرش، وأشهده كل الكائنات العُلوية والسُفلية، لكن ما يهمنا في هذه القضية أنه إما شاهداً علينا، أو شاهداً لنا، فنحن أمته وإن شاء الله سيكون شاهداً لنا أجمعين.

وهل سيكون شاهداً علينا نحن فقط؟ لا، ولكن شاهداً على جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١النساء) سيشهد على الجميع.

وهل الشاهد يشهد على شيء لم يره؟ لا، وإلا سيكون شاهد زور، والشاهد لا بد أن يكون قد عاين ورأى وسمع، ولذلك يقرر الله هذه الحقيقة في القرآن ويقول له: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ والظل هو الجسم ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ بالموت ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ ﴾ وهي الروح ﴿ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ عند النوم ﴿ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (٤٦الفرقان) ألم تر ذلك؟ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ (١الفيل) أرأيت ما فعله الله فيهم عندما همُّوا أن يذهبوا إلى البيت الحرام ليهدموه؟ وقال له: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ (٤٥الزخرف) اسأل الأنبياء الذين كانوا قبلك كلهم، وأنت تراهم وتعرفهم وأرواحهم الظاهرةٌ لعيون قلبك، ولا يغيبون عنك ولا تغيب عنهم، لأنك روح الله الكلية التي بها حياة كل

---

٣٧٨ مسند أحمد والحاكم في المستدرك

٣٧٩ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية ﷺ

بني الإنسان من آدم إلى يوم الدين.

فهو شـــاهد على كل هذه الأحوال، وشـــاهد على كل هذه الأمم، لكن المهم بالنسبة لنا أنه كما قال ﷺ:

{ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[٣٨٠]

تُعرض أعمالنا على حضـــرته، لأنه من فرط رحمته كان شـــديد الرأفة والحنان والعطف على أمته، حتى روى بعض أصحاب الفتح الأعظم من الصالحين الذين أرواحهم تابعت سيد الأولين والآخرين في معراجه القدسي إلى رب العالمين، فعندما ذهب إلى قاب قوسين أو أدنى سمع صوت أبي بكر هناك.

ولذلك عندما ألقى السـلام على السـلام ﷺ وقال له: (التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّـلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ) قال له الله: (السَّـــلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) فقال: (السَّـــلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ) وقال فيها ﷻ:

{ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }[٣٨١]

أخذ نصيبه من السلام من حضرة السلام ﷺ.

فيحكي بعضهم وهذه من العلوم الإلهامية التي خصهم بها رب البرية، يقولون:

أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان قاب قوسين أو أدنى وقال:

{ يا ربِّ، إنك عذبت قومًا بالخسف، وقومًا بالمسخ، فماذا أنت فاعل بأمتي؟ قال الله تعالى: أنا لهم إذا عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور، وفي الدنيا أستر على العصاة، وفي الآخرة أشفعك فيهم، من توكل منهم عليَّ كفيته، ومن أقرضني منهم جزيته، ومن دعاني منهم لبيته، أنا الله رب العالمين لا أخلف الميعاد }[٣٨٢]

---

٣٨٠ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٨١ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٨٢ المواهب اللدنية، وقد ورد فى بعض أخبار الإسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق فى شرحه لبردة المديح.

أمة الفضل الإلهي

ورد في بعض الأثر:

((لا أجعل حسابهم إلى أحد غيري حتى لا يطلع على مساوئهم أحدٌ غيري))

يعني لا أحد غير الله يرى معاصينا !!

ولذلك عندما يأتي الحساب يحاسب الناس كلهم على الجهر وعلى العام وبالعدل، ونحن حسابنا مخصوص وبالفضل، وكما وصف حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }[٣٨٣]

وبعد ذلك يُفرحه فيعرض فيلمه بعد أن يقطع منه المساوئ والمخازي التي ارتكبها، فعندما يشاهد أهل الموقف هذه العظمة يقولون:

هل هذا نبي أم رسول؟ !! لأنه لا يوجد إلا أعمالاً صالحة !!

ولا يعرفون أن الله محا هذه المساوئ !! لأنه قال في شأننا:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ (١٦الأحقاف).

يقبل الجميل ويستر القبيح اكراماً للحبيب الرؤوف الرحيم ﷺ، ولذلك سيدنا رسول الله عندما رأى هذا الأمر، والكل في رحاب الله، قال:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٣٨٤]

لأنهم هم الباقون، .... لكن الآخرين غير محتاجين ... لأنهم أُنقذوا بفضل الله وبإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في عُلاه.

---

٣٨٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٣٨٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ جعله الله مبشراً لنا:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧الأحزاب) وانتبهوا للآية، فلم يقُل: بأن لهم من الله أجراً كبيرا، لكن لهم فضل، والفضل غير الأجر:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).

فيبشر المؤمنين بما أعدَّه لهم من الفضل الكبير، ولذلك هذَّب أهل أمته أجمعين أنه لا أحدٌ مهما عمل من عمل صالح يغتر به، ويظن أنه قدم شيئاً، وأنه ينال به شيئاً عند الله، فقال لهم بعد أن اجتهدوا في الأعمال الصالحة:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٣٨٦]، وفي رواية أخرى:

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٣٨٧]

فنحن سندخل الجنة بفضل الله وبإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .. وبعد ذلك ولأن ربنا ليس بظلام للعبيد فإن الدرجات في الجنة هي التي ستكون على حسب عمل الإنسان، لكن دخول الجنة نفسها ما الذي عملته ليدخلك الجنة؟ لا شيء، فلو حاسبنا الله ﷻ بعدله على أكمل عمل عملناه في الدنيا سنخرج بدون أي شيء، فمثلاً لو حاسبنا على الصلاة ووضع ميزان الإخلاص، فمن منا يستطيع أن يؤدي الصلاة بإخلاص قلب لله من بدئها إلى نهايتها في كل صلاة؟ لا أحد، فعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك منا فجعل دخول الجنة بفضل الله وبإكرام الله لأمة سيدنا محمد ﷺ.

والرسول ﷺ بشارته لأمته ليست في حياته فقط، فرسالته ممتدة إلى قيام الساعة، فهو يبشر الصالحين ويبشر المتقين ويبشر الزاهدين والعابدين في كل وقت وحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

٣٨٥ اقرأكتب البشائر والبشريات للشيخ فوزى محمد أبوزيد: (بشائر المؤمن عند الموت)، (بشريات المؤمن فى الآخرة)، (بشائر الفضل الإلهى)، و(علاج الرزاق لعلل الأرزاق).

٣٨٦ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٣٨٧ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

ولو فتحت بطون الكتب تجد بشريات لا تُعد ولا تُحد، فمن وقع في ورطة جاءه حضرة النبي وبشره، ومن كان عنده همٌ كبير يحمله يأتيه حضرة النبي ويبشره بزوال الهم، ولا توجد معركة من المعارك الحربية الإسلامية إلا وجاء حضرة النبي وبشر نفر من القوم بالنصر في هذه المعركة، فالبشارة مستمرة على الدوام.

﴿ وَنَذِيرًا ۝٨ ﴾ يعني ومحذراً للكافرين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

الواجب علينا نحو رسول الله ﷺ

ثم وجَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الخطاب لأمة النبي ....

ما الواجب علينا لرسول الله؟ فصَّله الله:

١-الإيمان به

الواجب الأول: الإيمان به:

﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .... والإيمان ما شرطه؟

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٣٨٨]

وفي رواية أخرى:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ، وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[٣٨٩]

حتى يكون الإيمان تاماً، قال عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ:

{ وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ }[٣٩٠]

---

٣٨٨ سنن النسائي عن أنس ﷺ
٣٨٩ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٣٩٠ صحيح البخاري ومسند أحمد

وكانوا إذا قال اللســان صــدَّقه القلب والجنان، فلم يكن أحدٌ منهم معه وجهين، إلا المنافقين، نسأل الله أن لا نكون منهم أجمعين.

والآن يقول البعض:

رسول الله ﷺ غير موجود بيننا، فكيف نحبه أكثر من النفس والمال والولد؟! نحب شريعته، ونحب سنته، ونحب عمله الذي يعمله لنقتدي به في هذه الحياة أكثر من الأموال والأولاد والأهل جميعاً، لأن هذا الذي فيه النجاة، وهؤلاء قد يعرقلوننا عن سبيل النجاة، فالمال والولد قال الله فيهم وانتبهوا: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ (١٥التغابن) يعني قد يفتنوك عن طاعة الله، وقد يشدوك إلى الدنيا، فاحذروهم، فلا بد أن يكون الإيمان بحضرة النبي، والإيمان بشرع النبي، والإيمان بسنة النبي أحب إليَّ من ذلك كله.

فكيف يظهر هذا؟

أنني لن أعمل أي عمل مخالفاً لسُنَّة رسول الله، لأن في العصر الذي نحن فيه هناك مشكلة كبرى وهي أن الناس يجتهدون بعقولهم الكاسدة، ويتجرأون ويقولون أن العصر غير العصر، والصحابة كانوا متفرغين للعبادة، والحقيقة أن الصحابة لم يكونوا متفرغين للعبادة، فقد كانوا في النهار تجار ومزارعين مهرة، أو في الحروب مع النبي المختار، وفي الليل بين يدي الواحد القهار:

﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ (٢٩الفتح)

وهذا وصفهم في الإنجيل والتوراة: **((أصحابه سباعٌ بالنهار ورهبانٌ بالليل))**.

فمتى يظهر مني حب النبي؟

في أقوالي، وفي أفعالي، بأن أُوثر دائماً في كل أقوالي وأفعالي ما كان عليه النبي وصحبه المباركين: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (٢١الأحزاب).

وسأضرب مثلاً واحداً، فعندما ننظر إلى ما يحدث الآن في الأفراح، هل هذا يوافق عليه شــرع الله وســنة رســول الله؟ لا، فلِمَ نعمله؟!! ولو تكلم واحد مثلي في هذا الأمر يقولون: إنها ليلة في العمر، وتهاون في ذلك، ولكن هل يوجد تهاون في شـــرع الله أو في سنة رسول الله؟ لا.

فنحن نريد للزواج أن يكون فيه بركة، وأنتم بذلك قد رفعتم منه البركة، ولذلك زادت حالات الطلاق، لأننا لم نعد نلتزم بما آتانا به النبي، وماكان عليه أصحابه البررة الكرام، وهذا أمر من الأمور، وقس على ذلك كل ما نحن فيه، لأنك مأمور أن تقتدي به ﷺ في كل أفعاله وفي كل أحواله، لكي يبشرك وتكون قد آمنت الإيمان الكامل.

متى رسول الله ﷺ يظهر لك ويأتيك مناماً؟

إذا اكتمل الإيمان في قلبك لكي تكون بشرى لك بأنك قد اكتملت في مقام الإيمان: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧الأحزاب) يأتيه ويبشره بأنه قد أصبح كامل الإيمان، وتتوالى البشريات، وليس لها نهايات لأهل العنايات الذين اختارهم الله واصطفاهم.

٢-نصرته

الواجب الثاني: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾:

عني تنصروه، تنصروا شريعته وتنصروا سنته، وهل الشريعة فيها حرب حتى ننصرها؟ نعم توجد حرب حالياً بين أهل الأهواء وبين الشريعة الغراء، يريدون محو السنن ومحو التشريعات، ويأتون بأهوائهم حتى يسلخوا المسلمين والمسلمات بالتدريج.

وهذا ما نراه الآن، فأهل الغرب داخلين علينا بحرب صليبية شديدة بغير سلاح، ولكن بالفكر وبالموضة في الملبس وفي الأكل والشراب والعادات التي يريد أولادنا أن يمشوا عليها ويقلدوها، وهذا يخالف الفطرة السليمة، ويريدوننا أن نُقر ونعترف بذلك رغماً عنا.

يعني هل يوجد إنسان بفطرته النقية يقبل أن رجلاً يتزوج رجلاً؟! أو امرأة تتزوج من امرأة؟! لكنهم عملوا ذلك وشرعوا ذلك وعملوا قوانين بذلك، وللأسف يريدون تصديرها لنا، وبعض شبابنا لأنه ليس عنده أرضية دينية أصبح يريد أن يمشي وراءهم في هذه القضية.

من الذي يهبّ لنصرة الشريعة الإسلامية؟

نحن، كيف؟ نوعي الناس من حولنا، وتبدأ بنفسك أولاً، ثم بمن تعول، ثم الأقرب فالأقرب، وأنا لا أقول لك اصعد المنبر واخطب، لكن نبِّه فقط الناس من حولك، لأن أبناءنا يكونوا معنا حتى تمام المرحلة الثانوية، وعندما يدخل الجامعة يجد تيارات شيطانية وجهنمية عجيبة تحاول أن تغيره وتبدله.

هل يوجد زواج عُرفي في الإسلام؟ لا، فلماذا يوجد زواج عُرفي في الجامعات بين بنات وأولاد المسلمين؟!! من أين هذا؟ من هذه التيارات، فهم يريدون أن يسلخوا المسلمين من تعاليم سيد الأولين والآخرين.

فماذا علينا الآن؟

كل واحد منا المفروض أنه جندي يدافع عن مبادئ الإسلام، وسُنَة الحبيب المصطفى التي جاءنا بها من عند الملك العلام، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويبدأ بنفسه أولاً، وبعدها أهل بيته، حتى إذا تكلم فلا أحد يقول له: أصلح ابنتك أولاً أو زوجتك، لذلك أبدأ بنفسي أولاً، فنحن مطالبين الآن بأننا ننصر رسول الله ﷺ.

٣-توقيره

الواجب الثالث: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾:

لا بد أن تعظموه لأن الله عظمه، فالله لم يخاطبه باسمه أبداً: (يا أيها النبي) (يا أيها المزمل) (يا أيها المدثر) والمرة الواحدة التي خاطبه فيها باسمه أتى بعدها مباشرة بالرسالة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (٢٩الفتح)

مع خطابه لكل الإنبياء بأسمائهم: (يا موسى) (يا عيسى) (يا إبراهيم) حتى يعرفنا أن هذا صاحب مقام عظيم عند المولى الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقال لنا بصريح القرآن:

﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٦٣النور)

أنتم تنادون على بعضكم بالإسم المجرد، وبالعكس فلو واحد منا نادى على آخر باسمه المجرد قد يفعل معه مشكلة !! ... كيف لا تقول لي: يا حاج فلان، أو يا أستاذ فلان، أو المدير فلان !!!

وعند حضرة النبي يريد أن ينطق الاسم مجرد!!. ....!!!!!

فلا بد أن نكبره ونعظمه ولن نستطيع أن نعظمه كما عظمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه ﷻ لا يعرف قدره إلا ربه، لكننا لا زلنا على قدرنا.

٤-التسبيح لله

﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٩ ﴾:

وسبحان الله! من غرائب القرآن الكريم أن الله وصل ضميره بضمير حبيبه ومصطفاه، فلو مشينا على قواعد النحو العربية فيكون الضمير في قوله (لتسبحوه) يعود على النبي، لكننا هل نسبح النبي؟ لا، ولكن لكي نعرف قدر النبي جعل الله ﷻ ضميره مع ضمير حبيبه ومصطفاه تأهيلاً للبيعة.

من غرائب العلم أن يبين الله لنا الواجب علينا نحو رسول الله ﷺ، لأن الله كان يعلم أن حبيبه ومصطفاه شديد الحياء، فكان لا يتحدث عن نفسه ولا يطالب بشيء لنفسه، فتولى الله ﷻ بذاته في كتابه المقدس تهذيب أصحابه وتأديبهم في التعامل مع حبيبهم، كيف يذهبون لبيته؟ وكيف يدخلون؟ وكيف يتكلمون؟

وعرفهم ذلك: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (٢الحجرات) لا يوجد شيء صغير ولا كبير إلا وعلَّمه لأصحاب رسول الله.

٥-مبايعته

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ هذه الآية يقول فيها الإمام أبو طالب المكي ﷺ صاحب كتاب (قوت القلوب في معاملة الحبيب المحبوب) وهذا الكتاب من أعظم كتب الصوفية: هذه الآية أعظم آية في كتاب الله تبين منزلة رسول الله ﷺ.

لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخذ علينا أجمعين البيعة ونحن أرواحٌ نورانية في الأزل القديم: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف) كلنا سمعنا خطاب الله، ولبينا الجواب، ولم نقل بلى سمعنا، ولكن (بلى شهدنا) أي رأينا وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مع التنزيه، وكيف رأيناه؟ جمَّلنا به فرأينا جمال وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذه البيعة الأولى التي أخذها ربنا علينا، وهذه البيعة كُتبت في كتاب حتى يجدد عهد البيعة من سبقت له الحُسنى من الكريم الوهاب، وبيَّن هذا السر الإمام علي، فسيدنا عمر ﷺ كان يطوف بالبيت، وسيدنا عمر ﷺ كما قال فيه ﷺ:

{ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ؛ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ }[٣٩١]

المحدَّث الذي يتحدث مع الحقائق، فيتكلم مع الجمادات ويتكلم مع النباتات ويتكلم مع أي شيء، لأن الله أعطاه التحديث، ولذلك عندما كان يمشي في المدينة وحدث زلزال، ومعه الدُرة والدُرة كانت شيء بسيط في يده، فضرب الأرض بدُرته وقال: (قِرّي واسكني، فإني أعدل على ظهرك) فاستجابت في الحال.

فلما ذهب إلى الطواف وقف أمام الحجر حتى يُعلم المسلمين الجدد لأنهم حديثي عهد بالأصنام وحتى لا يظنوا كما يقول الجهلة المستشرقين الآن: أن الحج عبادة أصنام، والمسلمون يطوفون حول صنم ويرمون حجر بحجر، وهؤلاء تفكيرهم على قدرهم، فقال له: إنك حجرُ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، وكان خلفه الإمام علي، وهو باب مدينة العلم، وقد قال عمر هذا الكلام حتى يُفسر الإمام علي ويوضح، وليس معناه أنه لا يعرف، فعمر يعرف، لأن سيدنا عمر عندما انتقل إلى جوار الله، فسيدنا عبد الله بن مسعود قال: لقد مات تسعة أعشار العلم، فقالوا له: كيف؟ قال: أقصد علم الورع، لأنه كان أورع الناس، فسيدنا علي قال له: **(إنه ينفع ويضر بإذن الله يا أمير المؤمنين، أما علمت أن الله أخذ العهد على الذرية وكتبه في كتاب، ثم ألقمه ذلك الحجر فهو يشهد لمن استلمه يوم القيامة)** كما قال فيه ﷺ:

{ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ بِهِ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ }[٣٩٢]

فعندما نفكر بالعقل، أين الكاميرات التي تصور هؤلاء الناس؟! وأين تُخزن الأفلام الكثيرة؟!! فهو سيشهد لكل من استلمه أو قبَّله وهو يصور، لنعرف أن هذه أسرار لا يعلمها إلا الأطهار والأبرار إذا تنزَّل لهم بها الواحد القهار ﷻ، لكن العقل لا يعقل هذه الأمور.

فهذه البيعة الأولى التي بايعها لنا الله ﷻ بذاته.

والبيعة التي في هذه الآية هي بيعة الرضوان وقد شرحناها في الدرس السابق، وقلنا أن سيدنا رسول الله ﷺ بايع أصحابه، وكانوا ألف وأربعمائة رجلاً، لم يتخلف عنهم إلا منافقٌ واحد اختبأ تحت بطن دابته حتى لا يبايع، وقد عرفوه، لكن الباقي بايع رسول الله ﷺ.

---

٣٩١ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٣٩٢ مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

تشريف الله لرسوله

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾:

من الذي وضع يده في أيديهم؟ رسول الله، وكان سيدنا عثمان في مكة كما ذكرنا عندما أرسله حضرة النبي وأبطأ في الرجوع، فسيدنا رسول الله رفع درجة عثمان إلى درجة لا يعلم قدرها إلا مولاه، فوضع يده الثانية على يده الأولى وقال:

{ هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ هَذِهِ لِعُثْمَانَ }[٣٩٣]

انظر للشرف، فكونه لم يحضر كان أفضل من حضوره، لأن يد رسول الله ﷺ وُضعت مكان يده.

ماذا قال الله له في الآية؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾

لم يقُل كأنما، لكن (إنما) إنَّ للتأكيد أنهم يبايعون الله.

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾

لو قال: يد الله فوق أيديكم، يعني بما فيكم يد النبي، لكن يد من التي كانت فوق هذه الأيدي؟ يد رسول الله ﷺ..

يعني يد رسول الله كأنها يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في علاه: **﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾**.

ما هذا الجمال؟ وما هذا الكمال؟

هذا يبين لك أن رسول الله ﷺ ارتقى أعلى الكمالات في القرب من مولاه، فأصبح باطنه في حالة فناء تام، وفي جمع الجمع على حضرة الله، وظاهره في كمال العبودية لمولاه، وهذا أمرٌ لا يحدث إلا مع رسول الله ﷺ، فلو حدث مع أحد آخر لعبدوه، لكن هذا الكمال الباطن في جمع الجمع على حضرة الله، والظاهر في أكمل مراتب العبودية لمولاه، كمال تامٌ في الافتقار والانكسار والذل والرغبة والرهبة لحضرة الله جل في عُلاه، ولذلك يسأل البعض عن حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

---

٣٩٣ صحيح البخاري والترمذي

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ }[٣٩٤]

فيقول: أين روحه حتى يردها الله عليه؟ ... روحه في جمع الجمع مع حضرة الله، وعندما يسلِّم عليه أحد يحدث شيء نسميه الفرق، فيفرق وينزل ليرد عليه السلام، ولا توجد لحظة في الكون تخلو ممن يسلم على حضرة النبي، فهو في جمع الجمع وفرق الفرق في نفس الوقت، وهذا لا يكون إلا للسيد الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ.

سر البيعة

كما قلنا أنه ورد في بعض الأثر: ((من قرأ سورة الفتح فكأنما حضر بيعة الرضوان)) يعني كأنا كنا هناك، وهذه فيها إشارة علية وتكلم فيها بعض أهل الباطن يقول: (ففي هذه البيعة جمع الله أرواح الأتقياء الأنقياء المؤمنين إلى يوم العرض والجزاء ليبايعوا رسول الله ﷺ).

وهذا تجديد للبيعة الأولى، البيعة الأولى كانت من الله وبالله، والبيعة الثانية كانت من الله على يد رسول الله في غيبة محمد بن عبد الله، فكان هو المظهر الذي ظهر فيه جمال مولاه ﷺ لمن عاهده وبايعه في هذه البيعة الرضوانية:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (١٨الفتح).

والشجرة لها معنى ظاهر ومعنى باطن، الشجرة التي كان سيدنا رسول الله جالس تحتها للجماعة الذين كانوا هناك، لكن الشجرة الحقيقية هي شجرة الأسماء والصفات التي مظهرها سيدنا رسول الله ﷺ، لأنه الجامع لظهور الأسماء الإلهية وكل الأوصاف الربانية في حضرته صلوات الله وتسليماته عليه، والأمثلة في هذا المجال كثيرة، لكن هناك إشارة طفيفة لهذا المعنى، فسيدنا رسول الله ﷺ ليجعل سر هذه البيعة مستمراً على الدوام ورد أنه جمع إحدى عشر رجلاً في خِلوة، وقال:

{ هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ، فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ

٣٩٤ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ }[٣٩٥]

فكانت هذه البيعة لخاصة الخواص المستمرة إلى يوم الدين، فهناك أشخاص يقيمهم الحبيب ﷺ بالنيابة عن حضرته في كل زمان وفي كل مكان، لا يخلو منهم عصرٌ ولا أوان، سر قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٣٢فاطر) اسمها وراثة الكتاب، والتي قال فيها النبي ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ }[٣٩٦]

وفي بعض الأثر: (علماً ونوراً) إما علم وإما نور، والذي يأخذ العلم والنور فهو الفرد الجامع الذي جمع الحُسنيين، وهو الوارث الكامل لسيد الثقلين ﷺ.

فكانت هناك بيعة خاصة عملها رسول الله ﷺ، وهذا السر الذي جعل الأقطاب والصالحين في كل زمان ومكان يبايعون الناس تنفيذاً لبيعة سيدنا رسول الله ﷺ لصحبه الكرام، سُنَّةً عن رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ والله ﷻ مُنزهٌ عن اليد، ومنزهٌ عن التجسيم، ولكن يد الله قل ما شئت فيها من عطاءات الله، لأن اليد هي التي تُعطي، ويد الله يعني كنوز العطاء الإلهي كلها، وقد قال ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[٣٩٧]

والحديث هنا واضح، يعني أخذت العطاء كله وأنا الذي أوزعه، وقال له الله: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص).

﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ يعني نقض البيعة على نفسه: ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٣٩٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس ﷺ
٣٩٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ
٣٩٧ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

(٣٠)

النبي والذين معه[٣٩٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح)

بشائر نصر الله	رسول الهدى	الدين الحق
إظهار الدين	الإسلام دين القيم الفاضلة	صفات المؤمنين الصادقين
معاشرة الزوجات بالمعروف	الرحمة بالأولاد	الحذر من التدليل
القيام بحقوق الله	مقام الرضوان	وصف أصحاب النبي في الإنجيل
حكم الإمام مالك في الروافض		وعد الله للمؤمنين

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا بفضله إلى حبيبه ومصطفاه، وهدانا به ﷺ إلى معرفة الله، وهدانا به ﷺ إلى معرفة المعاني التي يخاطبنا بها الله في كتاب الله، وهدانا به ﷺ إلى خير السُبل التي توصلنا إلى مرضاة الله جل في علاه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الصراط المستقيم بين الحق والخلق، والهادي بالله إلى الله على طريق مستقيم ومنهج قويم، صلى الله عليه وعلى آله الذين أعانوه، وأصحابه الذين أيدوه ونصروه، وكل من مشى على هديهم إلى يوم الدين، واجعلنا منهم مع ضعفنا وقلة حيلتنا يا أكرم الكرمين أجمعين.

٣٩٨ نجع علوان – الأقصر ١٣ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/١٦م

بشائر نصر الله

ساق لنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ البشريات في كتاب الله، ليكون المسلم لو رأى الحرب المنتشرة في الكون، والأسلحة القاهرة مع أعداء الله لا ييأس ولا يخشى ولا يخاف، لأن الله ﷻ بشَّرنا في كتاب الله بأن الجولة ستكون في النهاية لدين الإسلام الذي جاء به رسولنا الكريم ﷺ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ هذه الآية مذكورة ثلاث مرات في القرآن، وختامها يختلف بين آية وأخرى، لكن صُلبها واحد لتجمع كل الفئات.

فالله ﷻ بدأ التأكيد أنه بذاته وبكمالات قدسه وعظمة حضرته هو الذي أرسل هذا الرسول، وحدد البُغية من رسالته، لأن رسالات الأنبياء السابقين قبل حضرته كانت لأقوامهم في حدود البلاد المحيطة بهم وفي حياتهم، لكن دعوة هذا النبي إلى قيام الساعة، ونبوته إلى يوم القيامة، فهو نبي الختام صلوات ربي وتسليماته عليه.

فعندما يقول الله لنا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾ ينتهي الأمر، فقد تأكدنا أنه نبينا كما قال الله له في خاتم النبوة على ظهره بكلمات مكتوبة بالشَعر:

{ تَوجَّه حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَنصُورٌ }[٣٩٩]

فهذا خاتم النبوة الذي كان مواجه للقلب في ظهر رسول الله ﷺ، وهذا الذي ختمه به الملائكة لما كان عنده أربع سنين عند السيدة حليمة السعيدية رضي الله عنها وأرضاها، وكانت العلامة العُظمى لأهل الكتاب، سيدنا سلمان الفارسي وقد عاش حوالي ثلاثمائة سنة، وتقلب على حوالي اثني عشر من الرهبان والقساوسة ليبحث عن الدين الحق، إلى أن قال له آخر واحد منهم: لم يعد أمامك إلا النبي العربي الذي سيأتي في بلدة ذات نخل في الجزيرة العربية، فأراد أن يذهب إلى هذه البلد لينتظر رسول الله ﷺ بالعلامات التي أعطاها له هذا الراهب والموجودة في كتب الأنبياء السابقين في التوراة وفي الإنجيل، وأثناء سيره في الطريق أمسك به بعض القوم وباعوه لنفر من يهود المدينة فصار عبداً، ولكنه فرح عندما رأى المدينة ذات النخل وهي المدينة المنورة، إلى أن جاء رسول

٣٩٩ البداية والنهاية وسير أعلام النبلاء

الله ﷺ إلى المدينة المنورة وأحب سلمان أن يطابق العلامات، فجعله جالساً بين أصحابه وأتى ببعض التمر، وقال:

{ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا، وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ }[٤٠٠]

سيدنا رسول الله وزَّع التمر على أصحابه ولم يأكل منه، لأنه قال:

{ إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ }[٤٠١]

وهذه كانت أول علامة، وبعدها بيومين جاء بتمر آخر وقال:

{ إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ }[٤٠٢]

وبقيت الثالثة، والثالثة هي الخاتم الموجود في ظهر النبي ﷺ، يقول:

{ ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي }[٤٠٣]

وبعد أن أسلم سلمان طلب منه النبي أن يكاتب الرجل الذي يملكه ليحرره من الرق، فطلب الرجل ثلاثمائة نخلة مثمرة، وأربعين أوقية من الذهب...

فقال ﷺ لأصحابه:

---

٤٠٠ مسند أحمد والطبراني عن أنس ﷺ
٤٠١ مسند أحمد والدارمي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما
٤٠٢ مسند أحمد والطبراني عن أنس ﷺ
٤٠٣ مسند أحمد والطبراني عن أنس ﷺ

{ أَعِينُوا أَخَاكُمْ }[٤٠٤]

فجمع الصحابة رضوان الله عليهم الفسائل، يقول سلمان ﷺ:

{ فَغَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ إِلَّا نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا عُمَرُ، فَحَمَلَتْ النَّخْلُ مِنْ عَامِهَا وَلَمْ تَحْمِلْ النَّخْلَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالَ عُمَرُ: أَنَا غَرَسْتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ غَرَسَهَا فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا }[٤٠٥]

ثم بقي عليه أربعين أوقية من الذهب، يقول:

{ فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟! قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ }[٤٠٦]

لما أُشيع أن سيدنا رسول الله انتقل إلى جوار الله ...

فأصحابه كان أكثرهم غير مصدقين، حتى سيدنا عمر نفسه، وقال: من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه بهذا السيف، ولكنه ذهب ليناجي ربه كما فعل موسى وسيرجع مرة ثانية، فلم يكونوا مصدقين أن ينقطع عنهم رسول الله والوحي من السماء.

فجاءت صحابية جليلة وهي أسماء بنت زوجة جعفر بن أبي طالب فقالت لهم:

أدخلوني على حضرة النبي، فأدخلوها فوضعت يدها على موضع خاتم النبوة فلم تجده، فقالت: إن رسول الله قد مات لأن خاتم النبوة قد رُفع !!

يعني انتهت مهمته التي كلَّفه بها ربه في الحياة الدنيا.

---

٤٠٤ مسند أحمد والطبراني عن أنس ﷺ
٤٠٥ مسند أحمد عن سلمان ﷺ
٤٠٦ مسند أحمد والطبراني عن أنس رضي الله عنه

﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ لم يقل أرسله بالدين، ولكن أولاً بالهداية:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢الشورى).

ولكن كما قلنا سيدنا رسول الله ﷺ كان معه هداية البيان، وهي أن يبين للناس، أما هداية الإحسان فهي خصوصية لحضرة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا وافقت هداية البيان هداية العيان اهتدى الإنسان إلى حضرة الرحمن.

وإذا دعا الإنسان باللسان ولم يوافق مع دعوته هداية الرحمن، فلن يستجيب له أحد مهما يقل هنا أو هناك، حتى أن الله قال له: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٨٠النمل) موتى القلوب لن يسمعوا أبداً.

فالدعوة تحتاج إلى هداية البيان مع هداية الإحسان من حضرة الرحمن، فلو أراد واحد منا أن يكون سبباً في هداية إنسان فعليه بالإثنين، يحاول أن يأخذه بالحجة والمنطق والطريقة اللطيفة بالموعظة الحسنة، وفي نفس الوقت لا بد أن يكون هو قريب من ربه ليدعو له الله، فيستجيب له مولاه، كما حدث من سيدنا رسول الله ﷺ مع سيدنا عمر، قال:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ }[٤٠٧]

سيدنا رسول الله كان غاية في الأدب مع مولاه –نسأل الله أن يجملنا بآدابه أجمعين – لم يحدد رجل، يعني اهد ما تريده منهما، فبمجرد أن دعا هذه الدعوة، كان سيدنا عمر يمشي ومعه سيفه فسألوه: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: أنا ذاهب لأقتل محمداً وأريح العرب منه، وسيدنا عمر كان طويلاً وجسيماً وكان من الفحول والأقوياء، فواحد منهم قال له: اذهب لأختك فاطمة أولاً فهي على دينه، فحوَّل السير إلى بيت أخته فاطمة، وعندما طرق الباب سمع تلاوة القرآن.

والنبي ﷺ بالنسبة لمركز دعوته التي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم، كانت الدعوة سراً فكان مؤدباً أصحابه بأدب عالي، فكانت لهم طرقة للباب مخصوصة يعرفوا

٤٠٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

منها إن كان هذا الطارق منهم أم لا، فإذا كان الطارق غريب دخلوا فاختبئوا في مكان جهزوه لذلك، ولم يكشف أحدٌ منهم هذا السر، لأن هذا من الأدب الذي أدبه لهم سيد الرسل والأنبياء، لكن عمر عندما ذهب لأخته في بيتها وسمع القارئ يقرأ، دخل بالقوة على الفور، فاختبأ من كان يقرأ القرآن وهو سيدنا خباب بن الأرتِّ ﷺ وأرضاه، فقال: أنا سمعت قراءة قرآن، وأنتم أسلمتم، وضرب أخته حتى نزف منها الدم، ومن حكمة الله إذا نزل دم من أي إنسان فمهما كانت شراسة المعتدي يهبط، فقالت له: نعم أنا أسلمت وزوجي أسلم وافعل ما بدا لك، في هذا الوقت جاءته رقة، فمن أين أتته هذه الرقة؟ استجابة لدعاء الحبيب، أرسلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى قلبه، فقال لها: أنا أريد أن أقرأ هذا الكلام، قالت له: لا أنت مشرك نجس، تريد أن تقرأ تطهر أولاً وبعد ذلك اقرأ، فتطهر وقرأ القرآن فهداه الله ﷻ للإيمان.

فأنت عندما تكون حريصاً على إنسان وتريد أن تهديه إلى الله فعليك بكلا الأمرين، تدعوه ثم تستعين بالله، تدعوه أولاً بالرفق واللين: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (١٥٩آل عمران) باللين وليس بالفظاظة والغلظة والكلام خشن، فنحن متبعين، ولسنا مبتدعين، متبعين لخير من أرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للعالمين، وأستعين مع ذلك بأن أدعو له دعاءاً حاراً في وقت إجابة.

هذه الدعوة إذا كنت أريد الهداية لزوجتي أو لأولادي أو الهداية لجيراني، أو الهداية لأي أحد، حتى يتوب الله عليه مما هو فيه، ويرده إلى المنهج القويم والصراط المستقيم.

الدين الحق

بماذا أرسل الله رسوله أولاً؟

﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ وبعد ذلك: ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو دين الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ (١٩آل عمران) وما الأسماء التي نسمعها؟

هم الذين سموا أنفسهم، وليس الله الذي سماهم، لأن أبوهم كلهم هو سيدنا أبراهيم، وماذا كان دينه؟ ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (٧٨الحج) وهو أوصى أولاده وكانوا أنبياء، وهم أوصوا أبناءهم: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(﴿٣٩﴾البقرة) فالدين هو الإسلام، والذين يقولون عن أنفسهم اليهود، هم قالوا ذلك على أنفسهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ ﴾ (﴿١٥٦﴾الأعراف) يعني رجعنا إليك، لأنه كان قد حدثت بعض أحداث بينهم وبين سيدنا موسى فرجعوا وتابوا، والنصارى قالوا: إن عيسى وُلد في بلد اسمها الناصرة، ولذلك سموا أنفسهم النصارى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾ (﴿٨٢﴾المائدة).

﴿ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ وهو الإسلام الذي جاء به المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، لأنه الدين الوحيد الذي فيه صحيح التوحيد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إظهار الدين

ولماذا جاء؟

﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾ لكي يبينه الله ويعلنه ويُسلِّم له أهل الأرض جميعاً، بما فيهم أصحاب الأديان شِبه السماوية التي أشرنا إليها، والأديان الوضعية التي وضعها بنوا الإنسان كجماعة في الهند اسمهم البوذية يعبدون بوذا، وطائفة عندهم يعبدون البقر، وطائفة عندهم يعبدون الفئران، كل الكائنات لهم عُبَّاد في أرض الهند، ولذلك لا يوجد يوماً يخلو في الهند إلا ويظهر رجل يدَّعي النبوة، وهذا من سفه عقولهم، وأهل الصين كذلك، وأهل أمريكا كذلك، كأنهم بغير عقول، لنحمد الله على ما آتانا من عقول سليمة، وقلوبٌ مستقيمة تفقه دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كل هذه الأديان ستنتهي في يوم من الأيام كما بشَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنِحل ولم يبق إلا الإسلام، قال ﷺ:

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، فَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا الإِسْلامَ }[٤٠٨]

وهذه البشائر بدأت في هذه الأيام، فالحرب العالمية ستكون النهاية للأمم الكفرية، وبعدها يعلو دين الإسلام في كل مكان، لأنهم سيقضون على بعضهم، وبعدها سيظهر دين الله ﷻ، ويُظهر الله لهم هذا الدين الحق، فالبقية الباقية منهم سيؤمنوا بالله، ويتبعوا سيدنا رسول الله ﷺ، وهذه بشريات قد بدأت وربما يحيينا الله حتى نحضر هذه الأيام جميعاً إن شاء الله رب العالمين.

---

٤٠٨ فوائد تمام الرازي وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي إمامة ﷺ

لكن هل الإسلام انتشر في كل الوجود منذ بعثة سيد الوجود إلى الآن؟

لم يحدث، من الأكثر في العدد نحن أم هؤلاء الآخرين؟ هم أكثر منا، فالعدد في الهند وفي الصين قدرنا مرتين، فما بالك الآخرين؟! لكن سيأتي يوم ولن يوجد دين إلا الإسلام، ويحيي الله الأرض كلها بالسلام، لأن الأرض لن تنعم بالسلام إلا إذا كان أهلها جميعاً يدينون بدين الإسلام، لأن المسلم ليس عنده خداع ولا لؤم ولا رغبة في انتقام ولا تهور، وإنما دائماً حتى في أثناء الحروب لا أحد يحارب كحروب المسلمين، فحضرة النبي كان يقول لهم:

{ اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا امْرَأَةً وَلَا شَيْخًا }[٤٠٩]

لا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا شيخاً عجوزاً، ولا عابداً في صومعته، ولا تحرقوا النخل، ولا البيوت، فمن نقاتل؟ المقاتلين فقط، وهل يوجد أحدٌ في العالم كله يفعل ذلك الآن؟ لا، فهم يعملون كما قال الله: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (الحشر) والبلد الذي يدخلون فيه يمحونه من على وجه الأرض، ولا يراعون المستضعفين ولا الكبار في السن، ليس عندهم إنسانية ولا رحمة ولا قلوب تشعر بهذه العيوب.

وقد رأيتم حروبهم عندما كانوا يحاربون المسلمين في البوسنة، وحروبهم عندما يقتلون إخواننا في فلسطين، وحروبهم مع إخواننا السوريين، كلها أعمال يشمئز منها الإنسان السوي، .. لكن لا يوجد تقي ونقي ويراقب الله في أفعاله إلا المسلمين، ولذلك لن يعم الكون السلام إلا إذا انتشر الإسلام، حتى قال ﷺ في هذه الأيام:

{ وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ }[٤١٠]

يعني الحشرات السامة سينزع منها السم الموجود فيها، كالحيات والعقارب وغيرها ولن يكون فيها سموم، ويتمسَّح السبع بالمؤمن، ويدوس المؤمن على الحية فلا تلدغه، ... ويكثر الخير ويفيض.

---

٤٠٩ المعجم الأوسط للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٤١٠ سنن ابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ

الآن هم يقولون: لو قامت حرب فستكون حرباً ذرية، والأرض كلها لن تُخرج نباتات، وحضرة النبي أخبر أن الأرض ستكون خصبة والثمار ستكون ليس لها مثال، حتى قال ﷺ:

{ وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ }[٤١١]

ويجتمع القوم على قُطف العنب فلا يستطيعون أكله، ويجتمع القوم على الرمانة فلا يستطيعون أكلها، لماذا؟ لأن البركة ستنزل في هذه الأشياء من الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٩٦الأعراف).

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ يكفي أن الله يشهد على أن رسوله مُرسلٌ من عنده، وأنه هو الذي بعثه، وهو الذي هيأه، وهو الذي كلَّفه، وهو الذي يؤيده بجند من عنده، ومدد من عنده، وهذا الكلام سيحدث مع المؤمنين الذين ستكون أوصافهم كأوصاف الأولين الذين كانوا مع حضرة النبي ﷺ.

وهذا لم يحدث بعد، فالآن تجد المساجد مملوءة، لكن اذهب إلى الأسواق ماذا تجد فيها؟ الغش.

صفات المؤمنين الصادقين

فنحن في حاجة أن نرجع مرة ثانية نتصف بصفات:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ لم يقُل معه في مكة، ولا في المدينة، ولا في زمانه، ولكن من معه في هذه الصفات وهذه الأخلاق الكاملات التي أنزلها الله في الآيات، فيكون معه في الآخرة ومعه في الفتح، ومعه في رضا الله وتأييد الله ونصر الله إلى يوم القيامة.

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ ﴾:

هذه الصفة الجامعة، والتي نبغي الوصول إليها أجمعين، فالشدة والغلظة والقسوة تكون على الكافرين، أما مع المؤمنين تكون الرحمة والحنان والعطف والشفقة والمودة، فهذه التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين.

---

٤١١ سنن ابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ

وهل نحن كذلك الآن؟ لا .. فلا بد أن نستجيب لقول الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١١الرعد) وكل واحد يبدأ بنفسه، أنا أرى كثيراً من الأحباب يريد أن يعمل نفسه بطلاً في الملاكمة أو في المصارعة، ويغلب من أول جولة، فيصارع من؟ ويضرب من؟ زوجته المسكينة، لأنها لن تقاوم ولن تمنعه، وهو يستغل قوته ويضربها.

والضرب عندما أباحه الإسلام كيف يكون؟

قال الله تعالى: ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ (٣٤النساء) لم يبدأ بالضرب أولاً، ولكن الموعظة أولاً، وأصبر عليها فترة طويلة بالموعظة، وليس ما تقوله لا بد أن تنفذه، فهي ليست تلميذاً عندك في المدرسة، فنأخذها بالوعظ واللطف وباللين، لأن أساس العلاقات بين الاثنين المودة والرحمة، ثم بعد ذلك الهجر في المضاجع، وليس الهجر أن تنام في حجرة وهي في حجرة أخرى، ولكن لكي يكون الأمر مؤثراً ينام بجوارها ويعطيها ظهره لتعرف أنه حزين منها.

والإسلام يوصي أن كل رجل ينام بجوار زوجته، حتى يغنيها عن الهواتف المحمولة والنظر إلى الآخرين والرغبة في سماع الكلام المنمق من الشياطين الذين يملأون هذه المجالات، فلو أنك تعطيها لن تسمع شيء مرةً ثانية.

ثم بعد ذلك الضرب، الإمام أبو حنيفة ﷺ يقول في كيفية الضرب: تأتي بمنديل من القماش، ويلفه ويربطه ربطة واحدة ويضربها به، فهل هذا ضرب؟! لا، كل ما في الأمر أن يبين أنه حزين منها وهي ستحس وتشعر لأنها إنسانة، ولذلك قال ﷺ:

{مَا بَالُ الرَّجُلِ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ وَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا فِي آخِرِ يَوْمِهِ}[٤١٢]

المسلم الذي يضرب فهذا إنسان عاجزٌ في دين الله، ضعيفٌ في الإيمان بالله، لا يتشبه قليلا ولا كثيراً بحبيب الله ومصطفاه، لأن رسول الله ﷺ كان عنده في وقت واحد تسع زوجات، لم يثبت أنه ضرب واحدة منهن قط، حتى الخدم الذين كانوا عنده، سيدنا أنس بن مالك خدم النبي عشر سنين، يقول:

---

٤١٢ سنن الدارمي عن عبد الله بن زمعة ﷺ

{ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ، لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا }[٤١٣]

ما هذا؟ هذه التربية بالعزة الإيمانية والمحبة الربانية التي كان عليها خير البرية ﷺ.

ومع مشـــاغله التي لا تُعد في الدعوة إلى الله وفي الحروب الكثيرة مع أعداء الله، كان لا بد أن يمر كل يوم بعد العصـــر على نســـائه جميعاً، ويجلس عند كل واحدة منهن ويتكلم معها ويتسامر معها، ويعطيها حقها.

كثير منا قد لا يجلس مع زوجته كل شـــهر مرة يتكلم معها بكلام لطيف حتى يكون بينهما تفاهم، لأنه مشـــغول، ويأت للبيت ويريد أن يأكل ثم ينام، ويقوم من النوم ويخرج، وإذا كان عنده وقت يبحث عن مكان يقضـــي فيه هذا الوقت، ويبخل بهذا الوقت على أولاده وزوجته، لكن سيدنا رسول الله ﷺ كان كل يوم بعد العصر يمر عليهن جميعاً، وبعد الليل يذهب عند صاحبة الليلة.

وذات مرة ذهب عند صـــاحبة الليلة وهي الســـيدة عائشـــة، وأراد أن يتعبد لربه، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ أَتَانِي فِي لَيْلَتِي، فَدَخَلَ مَعِي فِي فِرَاشِي حَتَّى أَلْصَقَ جِلْدَهُ بِجِلْدِي، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَلَأُحِبُّ هَوَاكَ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَ فَبَكَى، وَهُوَ قَائِمٌ حَتَّى بَلَغَتِ الدُّمُوعُ حِجْرَهُ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ، فَبَكَى حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ بَلَغَتِ الْأَرْضَ، ثُمَّ أَتَاهُ بِلَالٌ بَعْدَمَا أَذَّنَ الْفَجْرُ، رَآهُ يَبْكِي. قَالَ: لِمَ تَبْكِي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: يَا بِلَالُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا }[٤١٤]

ما هذا الأدب العالي؟

حتى في العبادة يســتأذنها لأنها ليلتها، يعلِّمنا الأدب العالي الراقي مع هذا الجنس، حتى أننا نقول عنه: الجنس اللطيف، يعني ليس عنيف، والجنس اللطيف يحتاج منك إلى

---

٤١٣ البخاري ومسلم
٤١٤ تنبيه الغافلين للسمرقندي عن عائشة رضي الله عنها

معاملة باللطف، وليس بالعنف، فهل يجوز أنني أمسك بعصا وأضربها؟!! هي تخدم أولادي وتخدمني وتقوم بكل المهام.

لكن شدتنا تكون على الكافرين والمشركين وغير المؤمنين بالله رب العالمين.

أما مع جميع المؤمنين وأولهم من معي في البيت كما قال ﷺ:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي }[٤١٥]

بالرحمة والمودة والحنان والعطف، هذه هي التربية التي نريد أن نعلمها لزوجاتنا ولأولادنا أجمعين.

ولذلك عندي مشكلة مع بعض الأحباب في كل البلاد، كيف؟ يأتيني شاب يريد أن يتزوج، فأقول له: اذهب لبنت فلان أخونا في الله، فيذهب، ولكن أم البنت ترفض بسبب معاناتها مع أبيها، وتقول لها: لا تتزوجي من هؤلاء يكفي ما عانيته من أبوك!.

وهذه حقيقة سمعتها مراراً وتكراراً، فيقولون لها: إنه رجل صالح ورجل كذا، تقول لهم: هو أمامكم رجل صالح ولكن تعالوا وانظروا ماذا يفعل فينا؟!!.

من أول من آمن بحضرة النبي؟ زوجته السيدة خديجة، لماذا؟ لصفاته الطيبة والمعاملة الحسنة التي رأتها من حضرته، لكن الكثير منا زوجته في واد وهو في واد آخر، لا يريد أن يأخذها معه في طريق الله ومحبة رسول الله، ولا يأخذ الأولاد كذلك معه لأنه غير منتبه.

وكما أسمع بعض الأحباب يقول: أبي كان يفعل ذلك، ولكن هل أُمرت أن تقتدي بأبيك في ذلك؟ أبوك الذي تقتدي به هو محمدٌ رسول الله، ولو أننا اقتدينا بسيدنا رسول الله كلنا، سنكون كلنا حكماء علماء فقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

فالمؤمن ينبغي عليه أولاً أن تكون شدته على الكافرين المشركين المحاربين، أما الكافرين والمشركين الذين لا يحاربوننا ويسالموننا نسالمهم، لكن مع جميع المؤمنين ما أحوجنا إلى الرحمة، والله ﷻ عندما ندعوه بأن يرحمنا يأمر نبيه أن يقول لنا:

---

٤١٥ جامع الترمذي والدارمي عن عائشة رضي الله عنها

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ،
ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ }[٤١٦]

الدعاء المستجاب نتوجه به إلى السماء في كل الأمور إلا الرحمة، نريد الرحمة ماذا نفعل؟ نتراحم فيما بيننا، قال ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٤١٧]

أُمرنا أن نستفتح كل عمل ببسم الله الرحمن الرحيم، لأن صفة الرحمة هي أكمل صفة يتفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها على عباده المؤمنين، ولذلك كما قلت ترى المسلمين – حتى في الحروب – عندهم رحمة، والكفرة ليس عندهم رحمة أبداً، وقال في ذلك ﷺ:

{ لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِن شَقِيٍّ }[٤١٨]

الرحمة بالأولاد

إذا وجدت واحداً أمامك ليس عنده رحمة بزوجته ولا بأولاده ولا بمواشيه ولا بجيرانه ولا غيرهم، تعرف أنه ليس له في السعادة وأهل الحُسنى والزيادة، إلا إذا تاب ورجع إلى الكريم الوهاب ﷻ، وانظر إلى سيدنا رسول ﷺ كيف كان يعامل أولاد السيدة فاطمة؟ كان واقفاً على المنبر ويخطب، فدخل الحسن وكان عنده ثلاث سنوات وخلفه الحسين، وكانا يقولان لرسول الله: أبي، وليس جدي، وهذا من الأدب العالي، فتعثر أحدهما وسقط على الأرض، فنزل رسول الله ﷺ من على المنبر وحمله وصعد به المنبر وقال:

{ صَدَقَ اللَّهُ: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)
رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ }[٤١٩]

وكان يحب أن يلاعبهم ويداعبهم، حتى أنه كان يعمل نفسه جملاً ويجعلهما يركبان عليه ويمشي، فرأى سلمان الفارسي ﷺ ذلك فقال:

---

٤١٦ جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٤١٧ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ
٤١٨ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٤١٩ سنن أبي داود وابن ماجة عن بريدة ﷺ

{ نِعْمَ الْمَطِيَّةُ مَطِيَّتُكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَنِعْمَ الرَّاكِبانِ هُمَا }[٤٢٠]

فمن منكم يعمل مع أولاده هكذا؟ ولكننا نمسك لهم العصا ليهتموا بالدروس، ولا مانع من الدروس، لكن روحوا النفوس ساعة بعد ساعة، حتى يكون لهم شيء من الترويح عن النفس، فإن النفس إذا كلَّت عميت، فلو تركنا الولد في الدراسة دائما سيبغض الدراسة ويبغض المدرسين ويبغض العلم، فلا بد أن نتركهم قليلاً، وكما قيل: (روحوا النفوس ساعة بعد ساعة، فإن النفس إذا كلَّت سئمت) يعني عميت عن الحق.

ولما جاء رجلٌ من الأعراب ورأى سيدنا رسول الله عندما يرى سيدنا الحسن وسيدنا الحسين يحتضنهم ويقبلهم، فقال:

{ أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟! }[٤٢١]

إذا كان قلبك ليس فيه رحمة، فلِمَ لا ترحم هؤلاء الأطفال وتقبلهم؟!! في دول أوروبا وفي أمريكا وفي استراليا هناك أماكن مخصصة للأحضان، فسألوهم لماذا؟ قالوا: العلم الحديث يقول أن الحضن فيه كذا وكذا وكذا، يعني أنت عندما تحتضن ابنك وهو قادم من هنا أو من هنا أفضل من أن تؤكله كيلو لحم بالنسبة للفوائد التي تعود عليه.

لأنك تشرح صدره و تسُّر خاطره وتُبهج قلبه وتجعله منتعش، وهذا المطلوب، فمشكلتنا في مصر أننا لا ننتبه للأحوال النفسية، ولذلك معظم الناس عندهم أمراض نفسية، لأنهم لا يراعوا المشاعر النفسية التي تبدأ من فترة الصبا.

زوجتي مرضت، وكلنا معرضين للمرض، فإذا حدث لي مرض بسيط تكون في خدمتي، وعندما تمرض هي البعض يغضب ويعبس في وجهها، ولا يواسيها ولو حتى بكلمة.

والبعض عندما تمرض زوجته يقول لها: اذهبي لبيت أبيك ليعالجك، فلِمَ يعالجها أبوها؟!، أنت الذي أتعبها وأمرضها ويجب عليك علاجها، فأنت مسؤول عنها مسؤولية كاملة من طعام وشراب وملابس، وكل طلباتها، حتى زينتها التي تتزين بها لك، فأنت مطالب أن تلبي لها كل هذه الطلبات، وشرع الله ﷻ كلَّفك بذلك.

---

٤٢٠ كنز العمال للمتقي الهندي، ومجمع الزوائد للهيثمي عن سلمان الفارسي ﷺ
٤٢١ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

الحذر من التدليل

ولكن أهمس في أُذن الشباب:

لا تجعل المودة والرحمة توصلك للميوعة والتدليل ...

إن كان للأولاد أو للزوجات، فخير الأمور الوسط.

لأنك عندما تدللها زيادة عن الحد قد تفضـــلها على أمك، وأمك تكون حزينة وأنت غير منتبه، وهذا من جملة العقوق الذي كثُر في هذه الأيام..

حتى وصل الأمر – كما أسمع – أن البنت عندما تتزوج تقول له: أنا لي شرط، أن لا أعيش مع أهلك، فيقول لها: أن البيت كبير ولي شقة وسأكون فيها وحدي، تقول له: لن أعيش في بيت العائلة.

فإذا كانت البداية غير سوية من هذه الناحية ..

فبعد ذلك تقول له: ليس لي شـــأنٌ بأهلك، وعلى الأقل كما كان يقول الكبار في المثل: (أبو فوطة حمارته مربوطة، وأبو عمامة طريق السـلامة) وأبو فوطة يعني من يأتي في البيت عن طريق الزوجة على الرحب والسعة والتحيات والإكرامات، ومن جاء عن طريق الرجل – لأنهم كانوا يلبسون العمامة – كإخوته أو أمه أو أبوه تقول له: أنا متعبة فابحث لهم عمن يجهز لهم ويخدمهم، ما هذا؟

نتيجة التدليل.

فلا نريد أن نصـــل لهذا الحال، وهذا الحال للأســـف انتشـــر في هذه الأيام بين الشـــباب، ما الذي حدث؟ لأنه ألغى قوامته وتنازل عنها لها، فتأمر هي وهو يطيع ولا يستطيع أن يقول لها شيء.

أين الأم والأب؟

يقول: ليس لي شأنٌ بهم فأنا مكلف بزوجتي فقط، وغير مكلف بأمي وأبي!!.

لكن الإسـلام وضَّـح كل الأمور بالتفصـيل، ولذلك ليتنا نرجع إلى رأي الإسـلام وحكم الإسلام في هذا العمل حتى نعمله بما يُرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ :

فأول شرط من شروط الذين يدخلون معية رسول الله ﷺ ويكونون معه في الفتح والنصر والفلاح في الدنيا، ومعه تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومعه في الشفاعة، ومعه في الجنة:

أن يكون عندهم تراحمٌ فيما بينهم وبين إخوانهم المؤمنين أجمعين.

وأما الغلظة فهي خاصة بالكافرين والمشركين المحاربين لنا الذين أعلنوا علينا الحرب، لكن المسالمين ليس لنا شأنٌ بهم، فعندنا في بلدنا نصارى، وهؤلاء إسمهم أهل ذمتنا، والنبي قال فيهم:

{ لَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا }[٤٢٢]

فنشاركهم في الأفراح ونشاركهم في المآتم ونشاركهم في كل شيء، لأنهم شركاء لنا في الوطن ومسالمين، لكن الحرب والشدة على الكافرين، فلا بد أن يكون التراحم فيما بيننا.

القيام بحقوق الله

ثم بعد ذلك نبحث عن الواجب علينا نحو الله:

﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ كأن الله ﷻ يوجه أهل المعية إلى أن الواجب الأول عليهم القيام بحقوق خلق الله، فإذا انتهوا من حقوق خلق الله، يرجعوا إلى حق الله، فيصلون راكعين وساجدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وماذا يريدون؟

أرانا الله بُغية أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يكن مقصدهم جنة ولا مقعد صدق ولا نجاةٌ من النار ولا شيء من هذا القبيل، فماذا يريدون؟ ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ لم يحددوا شيئاً لأدبهم مع حضرة الله، ولكن ما يجود به الله، فهو أعلم بنا منا.

فنحن نريد من جودك ومن كرمك ومن فضلك ما تجود به علينا ويناسبنا ويلائمنا، لأنك أعلم بنا منا.

---

٤٢٢ حاشية السندي على ابن ماجة

مقام الرضوان

﴿ وَرِضۡوَٰنٞاۚ ﴾:

نريد في الجنة أن نكون في أعلى مقام فوق الجنان، فوق جنة عدن وجنة الخُلد وجنة الفردوس وجنة المأوى، فوق هذه الجنان شيء يسمى الرضوان:

﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (٧٢التوبة):

يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا }[٤٢٣]

" سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ " هؤلاء عندما يقبلوا على الله بصدق وإخلاص نية لوجه الله يظهر عليهم أثر هذه العبادة، وليس الأثر هو العلامة التي تظهر في الجبين (الزبيبة) نتيجة احتكاك جبهة الإنسان في الحصيرة أوالسجادة أو غير ذلك، لكن الأثر هو السيما التي قال فيها ﷺ:

{ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ }[٤٢٤]

فيكون نوراً يظهر في الوجه، ومن الذي يرى هذا النور؟

المؤمنون الذين معهم الفراسة النورانية والتي قال فيها الحبيب:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٤٢٥]

وقال الله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ ﴾ (٣٠ محمد) وما السيما؟

هي النور الذي يظهر في الجبهة ويراه أهل النور في الدنيا، والنور هنا لا يكون ظاهراً للآخرين، لكن سيكون ظاهراً علناً يوم الدين، حتى يكونوا معروفين أمام الخلائق أجمعين،

---

٤٢٣ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٢٤ سنن ابن ماجة ومسند الشهاب عن جابر بن عبد الله ﷺ
٤٢٥ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لأن هؤلاء كانوا من الراكعين الساجدين بصدق وإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾:

وصفهم الله في التوراة بهذه الأوصاف التي ذكرناها كلها، ولذلك في التوراة يوجد اسم سيدنا أبو بكر واسم سيدنا عمر واسم بعض الأصحاب الكبار، لأن الله وضَّح أوصافهم في التوراة، وأمر سيدنا موسى أن يوصي قومه أنه إذا ظهر الحبيب ﷺ فيهم، يؤمنوا به ويؤازروه ويعاونوه وينصروه.

ومن كثرة الوصف قال الله فيهم؟

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة) يعرفون رسول الله كما يعرف الإنسان أولاده تماماً بتمام، فهل يتوه أحدٌ عن أبنائه؟ لا، هم كذلك لا يتوهون عن رسول الله من الأوصاف التي وصفه الله بها لهم في التوراة، حتى لا تكون لهم حجة يوم لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الأوصـــاف التي ذكرناها موجودة حتى في الأناجيل المحرفة، والتوراة المحرفة، لأنهم حرفوا وغيروا وبدلوا، لكن هذه الأوصـــاف بإرادة الله ﷻ كأنهم أعماهم الله عنها فلم يبدلوها ولم يغيروها فظلت إلى يومنا هذا كما هي ... فموجود عندهم في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[٤٢٦]

هذا غير الأوصـــاف الأخرى التي ذكرناها في بداية حديثنا عن ســـيدنا ســـلمان الفارســـي والتي عرفها عن رســـول الله ﷺ حتى يتعرف عليه عندما يأتيه، وهناك أمثلة أخرى موجودة في القصـــص القرآني والقصـــص النبوي لليهود الذين جاءوا ليتعرفوا على رسول الله ﷺ، وكل هذه الأوصاف موجودة في التوراة.

---

٤٢٦ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وصف أصحاب النبي في الإنجيل

وكذلك في الإنجيل:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾ في التوراة مَثَل، وفي الإنجيل مَثَلٌ آخر، وكلمة الإنجيل هو الكتاب الذي نزل على سيدنا عيسى.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾

شطأه يعني أوراقه، وآزره يعني عضده بالساق، يعني مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج في البداية وريقات صغيرة، وبعدها قوي واشتد ساقه، فلما اشتد ساقه أنبت فروعاً، وبعد أن أنبت الفروع أصبح شكله يُعجب الزارعين، وهذا لأن الإنجيل يقول: ((مثل أصحابه كنبات كان صغيراً ثم اشتد عوده)).

يعني هم كانوا مع الرسول عدد قليل، وبعد ذلك زادوا وأخذوا يزيدوا ويزيدوا ويزيدوا حتى صاروا بهذا الكم الغفير.

حكم الإمام مالك في الروافض

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾

وهنا الإمام مالك ﷺ وأرضاه استشَّف حكماً شرعياً يجب أن نعرفه أجمعين نحو أصحاب رسول الله ﷺ.

فتوجد هناك طوائف من الشيعة تخوض في أصحاب حضرة النبي، واسمهم الروافض أو الرافضة، يسبون سيدنا أبو بكر، ويسبون سيدنا عمر، ويسبون السيدة عائشة، ويسبون سيدنا أبو هريرة، حتى أنهم صنعوا في إيران ضريح لسيدنا عمر، وهل سيدنا عمر دُفن في إيران؟ لا، لكنهم يقيمون في هذا المكان احتفال لمدة أسبوع، وفي هذا الأسبوع يسبون سيدنا عمر، ووردهم الصباحي والمسائي يلعنون مائة مرة سيدنا أبو بكر، ومائة مرة سيدنا عمر، ومائة مرة السيدة عائشة رضي الله عنها.

هؤلاء ما حكمهم؟

سيدنا الإمام مالك قال: يقول الله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ وماذا يعني هذا؟ قال: كل الذي حدث عنده غيظ من أحد أصحاب رسول الله ﷺ نحكم عليه بأنه كافر، لأن الله حكم بكفره في هذه الآيات، فلا نقول أنه مسلم، لأن الرسول ﷺ قال وحذَّر:

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا }[٤٢٧]

وقال: **{ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ }**[٤٢٨]

والمدُّ هو القدح الصغير، فلو أنت أنفقت جبلاً من ذهب لن يساوي كيلاً صغيراً من الذي كان يتصدق به أصحاب رسول الله ﷺ.

وورد في بعض الأثر أن الرسول ﷺ قال لسيدنا علي:

((يكونُ في آخرِ الزمانِ نفرٌ يقالُ لهم الرافضةُ ؛ يَنتحلونَ حبَّ أهلِ بَيتي وهم كاذبونَ، علامةُ كذبِهم شتمُ أبي بكرٍ وعمرَ، من أدركَهم مِنكم فليقتلْهم فإنَّهُم مشركونَ)).

ولذلك سيدنا علي حاربهم لأنهم كفرة يسبون أصحاب النبي، وبعض المعاصرين غير المنتبهين يقول: إن سيدنا رسول الله يقول:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٤٢٩]

وقال: **{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانًا }**[٤٣٠]

فيقولون: نحن أفضل من الصحابة، لأن عملنا مضاعف في الأجر والثواب عن

---

٤٢٧ معجم الطبراني والبيهقي عن ثوبان ﷺ
٤٢٨ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٢٩ مسند أحمد عن أنس ﷺ
٤٣٠ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

الصحابة، لكننا كلنا على بعضنا هل نساوي شعرة في جسد صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ؟ لا .... فإياكم ثم إياكم أن تسمعوا ممن يقولون بذلك، ويفضلون أهل العصر على الصحابة، فهذا أمر ينبغي أن لا نستمع إليه، ولا نلتفت إليه بل يجب أن ندافع بكل قوة عن أصحاب النبي ﷺ، ورضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم أجمعين.

فأصحاب النبي هم الذين رأوه، فمن رأى رسول الله في حياته ولو مرة يكون صحابي، أما من رآه في المنام أربعين عاماً أو خمسين عاماً فهذه رؤية منامية، وليس لها شأنٌ بالصُحبة.

وعد الله للمؤمنين

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾:

والله ﷻ لا يخلف الميعاد، فالله ﷻ يخلف وعيده، ولكنه لا يخلف وعده، يُخلف الوعيد لأنه رحيم وشفوقٌ وعطوفٌ وحنانٌ ومنان، لكن لا يخلف الوعد أبداً:

﴿ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ (﴿١٩٤﴾آل عمران).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم ﴾

شرط الإيمان العمل الصالح.

﴿ مَّغۡفِرَةً ﴾:

المغفرة تكفي الإنسان، لأن أهم ما يخشاه الإنسان إذا ذهب إلى الدار الآخرة أن يحاسبه الله على ذنوبه وعلى سيئاته وعلى هفواته، فإذا تاب الله عليه وغفر له، فيا هناه.

وزادهم الله بعد ذلك: ﴿ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ والأجر العظيم من العظيم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يعلم أي إنسان مهما كان شأنه قدر هذا الأجر.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يستر لنا عيوبنا، وأن يرزقنا الأدب مع نبينا، والاحترام والتبجيل مع أصحاب نبينا، وأن يهب لنا من لدنه أجراً عظيماً، وأن يهدينا صراطاً مستقيماً، وأن ينصرنا على أنفسنا نصراً عزيزا، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الرسول الأمي[٤٣١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾ (الجمعة)

فضل صلاة الجمعة	إدراك الجمعة	داء العُجب
تسبيح الكائنات لله	تسبيح الملائكة	توفيق الله للعبد
الملك جل جلاله	نعمة الستر	القدوس سبحانه
العزيز تبارك وتعالى	الحكيم سبحانه	النبي الأمي
علوم النبوة	تلاوة الآيات	التزكية
علم الكتاب والحكمة	نور رسول الله ﷺ	بشرى للاحقين

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على سيد المسبحين لله، وخير الحامدين لمولاه، وحامل لواء الحمد يوم لقاء الله؛ سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

فضل صلاة الجمعة

الآيات التي معنا من سورة سماها الرحمن سورة الجمعة، وسماها بهذا الاسم لندرك جميعاً أهمية صلاة الجمعة.

فصـــلاة الجمعة فيها يُجمع العبد بظاهره وباطنه على مولاه، وهذه حقيقة الجمع؛ أن يُجمع العبد بظاهره وخافيه على حضرة الملك القدوس العزيز السلام.

٤٣١ المقطم – مجمع الفائزين ٢٨ من شعبان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٣/٣١م

ونبَّه إلى أهميتها الله لأنه سمَّى هذه السورة باسمها، والله ﷻ حذَّر بذاته من الاشتغال عنها بغيرها، فقال عز شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٩الجمعة) وذكر الله في الآية الذي نسعى إليه هو سيدنا رسول الله، فهو الذي يقف على المنبر بإذن من مولاه ليُذكر الحاضرين بالله: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (٦٣النساء).

﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ (٩الجمعة) يعني اترك أي أمر يشغلك، حتى ولو كان فيه رزقك، كالتجارة والبيع والشراء، لأن ما عند الله خيرٌ للأبرار، ولذلك كثيرٌ من العلماء الأجلاء والصالحون بأجمعهم يُكَرِّهون البيع والشراء ساعة الجمعة، يعني إياك أن تضحك عليك نفسك وتستمع إلى آذان الجمعة وتقول سأشتري شيئاً من الباعة الذين يتجمعون حول المساجد قبل مزاحمة الجمعة أو غيرهم، لكن إذا سمعت إلى نداء الرحمن بصوت إنسان فسارع إلى تلبية الله ﷻ وقُل: لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير كله في الإقبال عليك.

ومن أسس الصالحين في القربة إلى الله يوم الجمعة أن بعضهم كان يبدأ يوم الجمعة عنده من وقت السحر، فيصلي صلاة القيام أو التهجد ثم يصلي الفجر وينتقل من قربة إلى قربة ومن عبادة إلى عبادة حتى أوان صلاة الجمعة.

وبعضهم كان لا يخرج من المسجد أصلاً حتى يؤدي الجمعة، وبعضهم كان يمكث إلى العصر ويصلي ثمانين مرة على حضرة النبي، ثم ينصرف إلى منزله، ويوم الجمعة كله من أعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه، وبهذه القربة ينال مناه.

وبعضهم كان يصلي قبل صلاة الجمعة أربع ركعات سنة التسابيح، وبعض السادة الصوفية الأجلاء كانوا يجتمعون كل ليلة جمعة ويصلونها في جماعة، ولكن هؤلاء يغلب عليهم العمل ويقل عندهم الكلام.

لكننا في هذه الأيام كثُر الكلام وقل العمل، وربما يمتدح الإنسان نفسه بما لم يفعله، وربما يتباهى بما لم يؤده إلى مولاه، وهذه هي الطامة الكبرى، نسأل الله الحفظ والسلامة إن شاء الله.

فكانوا يجعلون يوم الجمعة يوماً خاصاً خالصاً لله ﷻ، خالياً من الشواغل الكونية بالكلية، ويقولون: لعل الله يعوض بهذا اليوم المشاغل والمشاكل التي ينشغل بها الإنسان طوال الأسبوع، ويستندون في ذلك إلى قوله ﷺ:

{ الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةُ مَا بَيْنَهُمَا مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ }[٤٣٢]

وقال: { مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، غُفِرَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، }[٤٣٣]

يعني يغفر الله له من الجمعة للجمعة التي بعدها، ويزيد الله من عنده ومن فضله ثلاثة أيام أعمالٌ صالحة يتقرب بها العبد إلى مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وحذَّر النبي ﷺ تحذيراً شديداً من التهاون بالجمعة، يعني تركها بغير عذر شرعي، . لأن الناس في زماننا كل واحد يقدم أعذاراً لنفسه، ولائحة الأعذار لا بد أن يكون مُوقعاً عليها النبي المختار، أو أحد خلفائه الراشدين الأخيار، أو أحد العلماء العاملين، لكن لا أحد يفتي من نفسه، فقال ﷺ:

{ مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ }[٤٣٤]

وفي الأثر: (من ترك جمعة تهاوناً بها اسودَّ ثُلث قلبه، ومن ترك جمعتين تهاوناً بهما اسودَّ ثلثي قلبه، ومن ترك ثلاث جمع تهاوناً بهم اسودَّ قلبه كله).

إدراك الجمعة

وزيادة في الإفادة:

فالجمعة لا تسمى جمعة إلا إذا لحق الإنسان الركوع في الركعة الثانية، فلو أن الإنسان انشغل ودخل في الصلاة وأدرك الإمام في الركوع في الركعة الثانية فقد أدرك الجمعة، وعليه أن يكمل الركعة الأخرى.

لكن إذا دخل بعد الركوع في الركعة الثانية كأن وجد الإمام جالساً في جلسة التشهد فهنا ينوي الجمعة وبعد أن يسلم الإمام يصلي الظهر أربع ركعات، لأنه لم يدرك الجمعة.

وهذه كانت فزورة يمتحنون بها الناس ويقولون: (صلَّى ولم ينوِ ونوى ولم يصلِّ) لأنه صلى الظهر ولكنه نوى الجمعة.

---

٤٣٢ سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٤٣٣ الأمالي الخميسية للشجري عن عمرو بن سعيد الأموي ﷺ
٤٣٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أدرع الضمري ﷺ

ومن يأتي في الصلاة أو بعد أن يصعد الإمام المنبر – وهذه ظاهرة استشرت في زماننا – فهذا تسقط عنه المحاسبة، لكن تسقط عنه كل المكافآت التي جعلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لمن حضر الجمعة، والمكافآت كثيرة، من جملتها ما قلناه، ومن جملتها ما قال فيه ﷺ:

{ مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ }[٤٣٥]

ولذلك كان الناس يتسابقون للذهاب مبكرين لينالوا هذا الثواب العظيم، وملائكة الملأ الأعلى يجلسون على أبواب المسجد يكتبون الأول فالأول ليحددوا العلاوات التشجيعية الإلهية، فإذا صعد الإمام المنبر طُويت الصحف ورفعت الأقلام وجلسوا يستمعون الوعظ من الإمام، ومن يأت بعد ذلك فليس له في هذه الفضائل، ولا في هذه العلاوات، ولا في هذه الإكرامات، ولكن كل ما في الأمر على الأقل يُسقط عن نفسه التعرض للعقوبة الفورية، وهي سواد القلب، نسأل الله الحفظ والسلامة.

سورة الجمعة بدأها الله ﷻ بالحديث عن ذاته، ثم ثنَّى بالحديث عن رسوله ﷺ، ثم بالحديث عن جماعة المؤمنين، نسأل الله أن نكون ممن ذكرهم في هذه السورة أجمعين.

داء العُجب

نفس أي مؤمن تحدثه دائماً إذا عمل عملاً صالحاً بالفخر والمباهاة، ويرى في قرارة نفسه أنه عمل شيئاً لمولاه، وأنه يستحق بهذا العمل من الله الأمور الكثيرة، والنعم التي لا تُعد في دنياه وأُخراه.

ولذلك أسمع كثير من المسلمين – وإن كان القول فيه تجاوز – يعاتب مولاه، فيقول: أنا أحافظ على صلاة الفجر في جماعة وأعمل كذا وكذا، وفلان هذا لا يصلي ولا يصوم ولا كذا ولا كذا، وهو أفضل مني، فلِمَ يا رب تعاملني هكذا وتعامله هكذا؟! يعاتب الذي لايُسأل عما يفعل، والمصيبة الكبرى أنه يدل على الله بعمله!.

---

٤٣٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

تسبيح الكائنات

فبدأ الله ﷻ السورة بقوله: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وكأنه يقول لنا: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦فصلت) فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن عباداتكم أجمعين، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لأن كل من في السماوات ومن في الأرض من كائنات حية، ومن جمادات، ومن طيور، ومن حشرات، ومن هوام مرئية أو غير مرئية يسبح لله ﷻ، مرة يقول في سور أخرى: (سبح لله) ومرة كما في هذه السورة يقول: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾ يعني على الدوام في التسبيح، ويقول في الآية الجامعة: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

ومن العجب الذي ربما لا يلحظه أي إنسان منا، أن كل ما فيك يسبح خالقك وباريك، وإن كان اللسان صامتاً وأنت لا تدري ولا تشعر، ولكنك لا تُثاب على ذلك لأنك لم تقدم النية الطيبة والإرادة الصالحة في ذلك، فأعضاؤك كلها نفسها تسبح الله.

لو كفَّت العين عن التسبيح لحُرمت إمداد البصير تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولو كفَّت الأُذن عن التسبيح لحُرمت إمداد السميع ﷻ، ولو كفَّ أي عُضو فيك عن التسبيح توقف ولم ينمو ولم يزد، لكن كل ما فيك ينمو ويزداد على الدوام، وغذاؤه تسبيح الله ﷻ.

وهذه الحالة تحدث لبعض الصالحين، ولكن في مراحل أعلى، يتحدث عنها سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ في كتابه العظيم القيم (مصباح الأرواح ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك إلى الله) فيقول: (وصلتُ إلى حال سمعتُ كل ما فيَّ يسبح الله)، العين تسبح، والأذن تسبح، والشعر يسبح، والجلد يسبح .. كل شيء في نفسه يسبح الله ﷻ، وأشار إلى ذلك أيضاً إمامنا أبو العزائم ﷺ لما وصف هذه الحالة، وإن كان تجاوزها بمراحل:

نغمات تسبيح الكيان مدامي يصغى لها قلبي يزيد هُيامي

والكيان هو الجسم أو الرسم، فتسبيح هذا الجسم هو خمرته التي تُسكره عن الدنيا، فالدنيا خمرة الشيطان من شرب منها شربة سكر منها سكرة لم يفق بعدها أبداً، والصالحين خمرتهم ذكر الرحمن، لأن هذا الذي يفنيهم عن الدنيا وما فيها من الشهوات والحظوظ وغيرها.

فبم تسبح؟ بعضهم قال: تسبح بلسان فصيح ولا نعرفه، وبعضهم قال: تسبح بلسان الحال، وقال الإمام أبو العزائم:

قلبي لدى التسبيح يصغى واجداً وجد المؤله من فصيح كلامي

يعني كلها تسبح بلسان فصيح، فإذاً كل ما فيك يسبح خالقك وباريك ﷻ، وكل ما حولك يسبح الله، لا يوجد جماد يستطيع أن يقف عن التسبيح لمولاه، ولو تخلى عن التسبيح لسقط في الحال، كما ورد في الأثر: **((ما من طائر يُذبح، ولا شجرة تُقطع إلا بغفلتهم عن ذكر الله في تلك الساعة))** لماذا؟ لأنه غفل عن ذكر الله ﷻ.

تسبيح الملائكة

فكل ما في الكون يسبح الله، فما بالكم بمن جعلهم الله ﷻ يديمون التسبيح لله منذ خلقهم الله إلى يوم البعث والنشور إن شاء الله وهم الملائكة؟ منهم المسبح أبداً، ومنهم المستغفر أبداً، ولمن يستغفرون ولم يفعلوا معاصي؟ يستغفرون لنا نحن لتعرفوا قدركم عند الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ ﴾ (٧غافر) وبعد ذلك يدعون لهم دعاءًا جامعاً مانعاً: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾ (غافر) ...

هذه عبادة حملة العرش.

ومنهم الساجد منذ أن خلقه مولاه، لا يقوم من هذه السجدة إلا يوم النشور، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم القائم أبداً، كلهم قائمين بطاعة الله.

ومن فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا أن جمع لنا في الصلاة عبادة كل أصناف هؤلاء الملائكة فضلاًمن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنعبد الله كالواقفين والراكعين والساجدين والمسبحين والمستغفرين والداعين في صلاة واحدة فضلاً من الله ﷻ، والله ذو الفضل العظيم، فالأمر كله توفيق الله لنا جماعة المؤمنين في أداء العبادات، ولذلك كان شيخنا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول لنا لكي لا يقع الإنسان في داء العُجب:

(لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بتوفيق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه، ولا تفرح بالتوفيق؛ إلا إذا فرحت بالموفق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي وفقك للقيام بهذا العمل)

إياك أن تضع العمل أمام عينيك، وتقول: أنا عملت وتطلب الأجر والثواب: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (١٠فاطر) يعني ترفعه لله ولا تضعه أمام عينيك، فماذا يكون أمام عيني؟ ذنوبي وسيئاتي لأنني لا أعرف هل يغفرها الله أم سيحاسبني عليها؟.

ويكفيني شرفاً وتيهاً وفخراً أن الله أقامني بين يدي حضرته، وجعلني عابداً بخدمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهل يوجد شرف أعلى من هذا الشرف، وهذه هي نظرات الصالحين لهذا الأمر، للبعد عن مرض الغرور والكبر الذي أصاب إبليس، لأن إبليس لن يعبد الله فينا أحدٌ مثله، ولا أحدٌ فينا يعبد الله كالجماعة الذين مشوا وراءه في الدنيا، فقد ورد أن إبليس عَبَد الله ثنتين وسبعين ألف سنة، وما في السماوات السبع موضع أربع أصابع إلا وله فيه سجدة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك اغتر ورأى أنه لا يوجد أحد مثله وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (١٢الأعراف) فالعبادة تغُر وتضُر.

توفيق الله للعبد

فعندما ينظر الإنسان لتوفيق الله له في العبادة لن يغتر، ... من الذي أوقفني ... وجعلني أقوم بين يديه؟ ومن الذي شحَّم الركبتين والوسط والأصابع ... حتى تنثني وتميل أمامه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ وسيأتي يوم للمنافقين والمراءين فيُدعَون إلى الصلاة فلا يستطيعون الركوع ولا السجود: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢القلم) لأن الأمر هناك لله، فهو الذي يلين لك الأعضاء، وهو الذي ذكَّرك بما تقرأه وتُسبح به، وهو الذي علَّمك ماذا تقرأ؟ وبماذا تسبح؟ وهو الذي قبل ذلك هدى قلبك إلى طاعته، وجعله يدعو جسمك ونفسك للوقوف بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محبة له ورغبة في طاعته.

فالإنسان ينظر لتوفيق الله في هذه الأمور، ولا ينظر إلى ما قدَّمه ...

فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

(لو حاسبنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على أرجى عمل عملناه بالعدل لهلكنا جميعاً)

ولذلك كان الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما يقف في الصلاة، كان يقول لمن حوله أولاً قبل النية: **(بك لك أُصلي)** يعني يتوفيقك لك أُصلي، لكن لو أخذ التوفيق مني فكيف أُصلي؟!.

فتوفيق الله ﷻ هو النعمة العُظمى للعبد، فلا يغترُّ حتى لا ينضر، ويعلم أنه من جملة نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، أن جعل له لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وبدناً في الطاعات هيناً ليناً لحضرة الله.

الملك جل جلاله

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ﴾ يسبح لله ما في السماوات كلهم، وما في الأرض، وما بينهما، وما فوقهما، وما تحتهما، لماذا؟ لأن من أسمائه العُظمى الملك، الذي يملك كل هذه العوالم هو الملك الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ليس الملك الذي يملك شيئاً في الدنيا فإذا رحل عن الدنيا تركه، لكن الملك الذي ملكه يدوم وتذكره كل العوالم وذكره لا ينتهي نَفَساً في الكون كله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: كنت في الصحراء وأخذني حصر البول، وأخذني الله مني فشهدتُ كل الرمال نورٌ وتسبح الله ﷻ، فاحترتُ كيف أتبول؟ فقلت: يا رب احجبني عن هذا المشهد، أو احجبه عني، فقال: لو سألتنا بكل أنبيائنا ورسلنا ما حجبناك، ولكن سلنا أن نقويك، قال: فقواني الله تعالى فشهدتُ بالعينين، بعين الظاهر رمل، وبعين الباطن نور يسبح الله ﷻ.

وسيدي أحمد الرفاعي أيضاً ﷺ عندما طلب خاله منه أن يأتي بحمل من حشائش الأرض، وكذلك طلب من ابنه كذلك، لكي يُظهر الفرق بينهما، فابنه أتى بالحشائش مسرعاً، وسيدي أحمد الرفاعي أبطأ إلى آخر النهار، فقال: ابحثوا عن أحمد وائتوني به، فسأله: أين ما طلبته منك يا بني؟ قال: يا سيدي كلما أردتُ أن أقطع نبته سمعتها تذكر الله، فأستحي من الله أن أقطعها وهي تذكره.

نعمة الستر

من النعم العُظمى التي أنعم الله بها علينا نعمة الستر، فلو كشف الله عنا الغطاء وشهدنا ما قال فيه الله في هذه الآية فيما حولنا، فهل نستطيع أن نتحرك أو نذهب أو نأتي أو نأكل أو نشرب؟ لن نعرف.

لكن هذا الستر وهذه نعمة كُبرى من الله ﷻ أنه أنزل هذا الحجاب علينا حتى نظل في قوانا العقلية، لأن الإنسان ربما يذهب عقله عندما يشاهد هذه المشاهد الإلهية، ولو كشف الله عنك غشاوة البصيرة وشهدت ما على جلدك من العوالم التي لا تُعد ولا تُحد من الفيروسات والميكروبات وغيرها ستُجن.

ولو كشف لله ﷻ حجاب السمع وأسمعك أصوات الذاكرين المحيطين بك، فماذا يحدث لك؟ أيضاً ستُجن، لكن من ستر الله علينا أن جعلنا في هذا القوام الوسطي، وأجَّل ذلك كله لحين الوصول إلى مقام التمكين إن كان الإنسان مؤهلاً لذلك في الدنيا، أو عند الخروج للقاء رب العالمين، فكلنا: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (ق) فليس الكل مؤهل لهذا الكشف في الحياة الدنيا، لكنهم قلة قليلة.

وسيدنا رسول الله ﷺ أشار إلى ذلك في جلسة مع أصحابه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }[٤٣٦]

ماذا يريد أن يقول لهم؟

أن هؤلاء القوم هم الذين يسمعون هذا التسبيح، لماذا؟

لأنهم أصبحوا من أهل مقام التمكين، لكنكم لن ينفع معكم ذلك إلا عند الخروج من الدنيا: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (ق).

---

٤٣٦ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه

القدوس سبحانه

﴿ ٱلْقُدُّوسِ ﴾:

الله ﷻ منزهٌ عن الحركات والإشارات والعبارات، ومنزهٌ عن الجهات، وعن المحدودية، وعن أي أمر يخطر على البال، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك.

والخواطر التي تأتي للإنسان في الصلاة وتكون خواطر سيئة، لا ينبغي أن تخطر على باله في الصلاة، والصالحون أخذوا من هذا الاسم وقول رسول الله ﷺ أن الإنسان يقول قبل الصلاة: (سبحان الملك القدوس) ويكررها قبل الصلاة، فعندما يصلي لا تأتيه الخواطر السيئة التي تأتي للبعض.

هذا المرض كثُر في هذا الزمان ..ز

بعض مرضى الفصام – نسأل الله الوقاية والحفظ – دائما يكون عنده صورتان، فيخطر عنده دائماً خواطر شيطانية وإبليسية، ولذلك يؤدي أعمالاً لا تليق بعاقل:

فهؤلاء عندما تأتي أحدهم هذه الخواطر وهو في الصلاة تكون كبيرة من الكبائر:

فيجب عليه أن يُنزه نفسه عنها قبل الصلاة، ويردد (سبحان الملك القدوس) أو (سبوحٌ قدوس، ربنا ورب الملائكة والروح) ... حتى يخرج من هذه الخواطر والوساوس الشيطانية والنفسية.

العزيز تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾:

العزيز الذي لا يغلبه غالب، ولا يستطيع أحدٌ مهما كانت قدرته ومهما كان شأنه أن يصل إلى شيء من عظمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكمال عزته، وإن كان الله ﷻ من جلاله وكبريائه ألبس عباده المؤمنين هذا الثوب ...

فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩النساء) ؟؟؟

ثم قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون).

الحكيم سبحانه

﴿ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾:

لذي لا يتصرف تصرفاً إلا بحكمة عاليه، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يغيروه أو ينقضوه أو يأتوا بخير منه لم يستطيعوا، وهذا مشهده في كل شيء خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلو اجتمع كل علماء الأنثروبولوجيا في العالم، وخُيروا أن يختاروا صورة كاملة للإنسان هل يستطيعوا أن يخلقوا صورة أفضل من الصورة التي خلقها الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ أبداً، مع بيان الخصائص التي اختص الله بها كل عُضوٌ من أعضاء الإنسان لأن الله ﷻ هو الحكيم الأعظم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

النبي الأمي

ثم انتقل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى الحديث عن النبي ﷺ، فقال سبحانه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ كان العرب يُسموا أميين، قال ﷺ:

{ إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ }[٤٣٧]

فكانت الأمية في زمانه عدم القراءة والكتابة، وإن اختلف معناها مع الزمان، فالأمية في زماننا أصبحت أمية دينية، فترى كثير من أصحاب الشهادات العالية والراقية، ولكن تجد عندهم أمية في أبسط تعاليم الدين، لا يعرفون منه كثير ولا قليل، ويظنون أنهم بشهاداتهم الدنيوية العلمية يستطيعون أن يُفتوا في العلوم الدينية، وهذا الخطأ الذي استشرى في هذا العصر، وطبعاً الأمم المتقدمة في اليابان وأوروبا وأمريكا يعتبرون أن الأمية في الكمبيوتر، من لم يعرف الكمبيوتر ويشتغل فيه يعتبروه أمي.

لكن الأمية التي قصدها الله هنا على من أُنزل عليه القرآن في عصره عدم استطاعة القراءة والكتابة لأمة العرب في عصره ﷺ.

والعارفون قالوا: إن الأمي أو الأميين الذين لا يستطيعون قراءة الإشارات والتلويحات النورانيات في كتاب رب العالمين، فيعتبر بالنسبة لهذه الأمور أمي فيعرف الظاهر، لكن ليس له شيء في علوم الباطن.

---

٤٣٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

علوم النبوة

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾:

أوصاف النبي ﷺ أو وظائف النبي مكررة في أكثر من آية من آيات القرآن توكيداً لها، وهي نفسها أوصاف الورثة الكُلِّيِّين لحضرة النبي ...

كيف أعرف أن هذا الرجل وارث كلي لرسول الله؟

إذا كان فيه هذه الصفات.

تلاوة الآيات

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾:

كثير من المفسرين رحمهم الله تعالى يقولون:

يتلو عليهم آياته يعني آيات القرآن، ولكنه ذكر بعدها: (ويعلمهم الكتاب) وهل كلام الله فيه تكرار؟ لا ..

فما المقصود بتلاوة الآيات هنا؟ الآيات في الآفاق وفي النفس:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت)
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾
(١٩٠ آل عمران)

وهذه يقول فيها سيدنا أبو ذر ﷺ وأرضاه في هذا الفصل عندما كانوا فيه:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا }[٤٣٨]

فهذه المرحلة الأولى، لأن الصلاة فُرضت في الإسراء والمعراج وهذا كان قبل الهجرة بسنة، وسيدنا رسول الله مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، فماذا كان يفعل في الإثنى عشر سنة؟ كان يتلو عليهم الآيات ويزكيهم، وبعد أن استوعبوا الآيات، وتزكت منهم النفوس، وأشرقت من القلوب والأرواح الشموس، نزل قول المليك القدوس:

٤٣٨ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر ﷺ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأعلى).

إذاً حتى يصلي الإنسان الصلاة التي يحبها الله ويكون فيها في قربٌ من مولاه، لا بد أن يكون أولاً قد زَكَّى نفسه، وحتى يُزكي نفسه لا بد له من تلاوة الآيات.

ولذلك نقول دائماً ... ونكرر للأحباب الذين يتعرضون لدعوة الله، ... ويدعون الخلق إلى الله:

خير سبيل لجذب الخلق تذكيرهم بما في الكون وما في أنفسهم من دلالات على قدرة الله، ومن بديع إبداع صُنع الله ..

وهذا الطريق الوحيد لجذب هؤلاء الناس إلى الله.

ولذلك ونحن في البداية لم أترك كتاباً عن الإعجاز العلمي للقرآن والسنة إلا ودرسته دراسة جيدة، لماذا؟ لأن الناس يحتاجون لهذا، وهذه التي تشد الناس إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالناس يريدون معرفة إعجاز الله في خلقه:

إن كان في الأكوان، أو في السماوات، أو في الأرض، أو في الجبال، أو في البحار، أو في النباتات أو في المعادن، أو في الإنسان ..

وتربطه بدين الله، بشرط:

أن لا أُسخِّر آيات القرآن لكي آتي بالإعجاز، لكن الإعجاز يكون للنظريات التي ثبتت ورسخت وأصبحت نظرية ثابتة راسخة، فإذا كانت لا زالت في طور الملاحظة أو التجربة فليس لي شأنٌ بها.

لكن آفة كثير من العلماء في هذا الزمان أنهم ليس عندهم رغبة في الإطلاع:

حفظ كلمتين ويكررهم في كل مرة بشكل!!

ولذلك الناس انصرفوا لأنهم لا يسمعون منه جديد، وقد رأيتم الشيخ الشعرواي كيف كان الإقبال عليه، لماذا؟ لأنه كان آخذاً في تفسيره النواحي العلمية، حتى يشد الناس إلى الله ﷻ، لأنها هذه هي تلاوة الآيات.

التزكية

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ والتزكية هي التطهير؛ طهارة النفس من الأخلاق التي نعى عليها الله في كتاب الله، ونبَّه إلى خطورتها سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذه صورتها في السورة الكريمة العظيمة لسيدنا رسول الله، فنجد أنه ﷺ الصورة الكريمة المزكاة التي ينبغي علينا أن نقتدي بها لنكون من أهل تزكية الأنفس إن شاء الله.

وننظر كما قال الله في القرآن:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (٣٣الإسراء) وقتورا يعني ممسك، ولم يقُل المؤمن، ولكن قال: (الإنسان) فأنا أبعد عن هذه حتى أُزكي نفسي: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر) أسارع إلى الوقاية من الشُح، وأتصف بالإيثار، والإيثار أعلى من الكرم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر).

أبعد عن العجلة:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (١١الإسراء).

وأتصف بالتأني والتؤدة والحلم:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة).

ما الذي جعل الإنسان وقع فيما نبَّه عليه الرحمن في قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢الأحزاب) لم يقُل المؤمن ولكن (الإنسان)ك

فأُنزِّه نفسي عن الظلم، وأُنزه نفسي عن الجهل، وأستزيد من العلم وأكون عادلاً كما كان ﷺ حتى في أكله بين أسنانه، فكان يأكل مرة على هذه الجهة، ومرة على هذه الجهة، حتى وهو رضيع ﷺ، علم أن له شريكٌ في الرضاعة، فأخذ ثدياً واحداً ورفض أن يتناول الثاني.

فكل هذه الصفات الموجودة في كتاب الله ينزه الإنسان نفسه عنها، ويكون على صفة أُولي الألباب الأحباب الذين امتدحهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آيات الكتاب.

علم الكتاب والحكمة

بعد ذلك: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني أحكام الكتاب، والتشريعات التي جاءت في الكتاب، وفقه الكتاب كأحكام الصلاة وأحكام الوضوء وأحكام الصيام.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يعلمهم الحكمة في التصرفات، ولو نظرت إلى سيدنا رسول الله ﷺ لرأيته حكيماً بليغاً عظيماً في كل تصرفاته في كل أحواله.

لم يتركنا في أي شيء أبداً، لماذا كان ينام على جنبه الأيمن؟ العلم يأتي لنا ويكشف لنا السر، حتى الجلسة في الشمس، كيف نجلس في الشمس يا رسول الله؟ يقول:

{ لَا تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ، فَإِنَّ اسْتِقْبَالَهَا دَاءٌ، وَاسْتِدْبَارَهَا دَوَاءٌ }[٤٣٩]

يعني اجعل ظهرك للشمس ووجهك للهواء، فنحن نجلس ووجهنا للشمس، فسيأتيك صداع على الفور، ومن الناحية الأخرى فمن أين يأتي البرد؟ من الظهر، فأي واحد يُصاب بدور البرد يأتيه بعد أن يذهب البرد للكليتين ويؤثر عليهم فيصاب بالبرد، فماذا نفعل؟ قال: نستدبر الشمس ونستقبل الهواء.

كيف نأكل؟ وكيف نشرب؟ وكيف نمشي؟ وكيف نلبس؟ وكل شيء، حتى لبس الحذاء، كيف نلبس يا رسول الله؟ قال:

{ إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ لِيَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ }[٤٤٠]

وكذلك لا يلبس أحدكم حذاءًا حتى ينفضه أولاً، وينظر هل فيه شيء أو ليس أولا، لماذا؟ لأنه ورد في بعض الأثر أنه ذات مرة أراد أن يلبس حذاءه فوجد طائراً يهبط من السماء وأخذ الحذاء وطار به في السماء، فنزل منه ثعبان أسود، فأنت كذلك نفس الأمر، خاصة إخواننا في الوجه القبلي بسبب انتشار العقارب.

فلم يترك النبي شاردة ولا واردة تجعل الإنسان سوياً إلا وبيَّنها ﷺ بفعله وقوله وحاله صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٤٣٩ المطالب العالية لابن حجر عن علي بن أبي طالب ﷺ
٤٤٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

نور رسول الله ﷺ

﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل معرفته وقبل مجيئة.

﴿ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ ﴾ وهذا مستمر إلى وقتنا هذا، فأي إنسان لم يستضيئ بنور رسول الله ويهتدي بهديه في سيرته يكون في ضلال بيّن وواضح، لأنه هو الذي يمحو الله به الظلام:

شـــمس الحبيب التهامي تـمحـو جـمـيـع الـظـلام

عندما تُشرق على إنسان تمحو كل الظلام الموجود في هذا الإنسان، فما بالك لو أشرق نوره على القلب والجنان، فسيكون الإنسان فوراً من أهل العيان.

بشرى للاحقين

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ﴾ وهذه إعجاز الله في كتابه الكريم، فمن يهتدي بهذا النبي ليس في عصره فقط ولكن عصره ممتد إلى قيام الساعة، وكل من يأتي بعده يدخلون في هذه الآية ونحن من ضمنهم.

بعض المفســـرين وقفوا عند قوله ﷺ لما نزلت هذه الآية وكان ســـيدنا ســـلمان الفارسي جالساً فقال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ }[٤٤١]

لكن الآية واسعة وغير محددة، فكل من لم يلحق به إلى نهاية الزمان سيكون مع رسول الله ﷺ، وسيكون منهم، وهذه بشرى لا تُقدر: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ ﴾ ليس يأتوا من ورائهم بل منهم، رغم أنهم تأخروا في الزمان لكنهم منهم في الفضل والكمال والدرجة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويلحقوا بهم، وكل هذا بالنسبة للمؤمنين، فضل من الله وليس عدلاً وليس أجراً على شيء عملناه ولكن فضل الله علينا: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤ ﴾.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٤٤١ سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

النبي القوَّام[٤٤٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾ (المزمل).

نزول الوحي	فضل قيام الليل	ترتيل القرآن
القول الثقيل	مشقة قيام الليل	طاعة القيام
فائدة النوم ليلاً	الذكر والتبتل	الصبر الجميل

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي واجهنا بألطافه، وغمرنا بخيره وبره وإسعافه، وجعلنا في الدنيا من أحبابه، وفي الآخرة نسأله أن نكون من الناظرين إلى عليِّ جنابه.

والصلاة والسلام على باب الوصول وسر القبول، سيدنا محمد وآله وصحبه وورثته أجمعين إلى يوم الدين.

هذه الآيات وإن كان لها قصة في سبب نزولها ...

إلا أنها خطابٌ من العلي الوهاب لورثة الكتاب:

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣٢فاطر).

٤٤٢ المقطم – مجمع الفائزين ٢٧ من رمضان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٤/٢٨م

نزول الوحي

الرســـول ﷺ عندما كان يتعبد لله في غار حراء، ونزل عليه أمين الوحي بالوحي بأمرٍ من الله، وكان أول مرة يحدث له هذا الأمر، فأصابه هلعٌ وفزعٌ، وخاصة عندما رأى جبريل جالساً على كرسي في عنان السماء، وقال له: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل كُلِّفت أن أنزل إليك بأمر الله، فحدث له هِزّة روحانية، وإن كانوا يصـــورونها بأنها هِزة جسدية، لأن الأرواح هي التي تسير الأجساد، كما يقول الشيخ أبو مدين:

إذا اهتزت الأرواح شـــوقاً إلى اللقا تمايلت الأشـــباح يا جاهل المعنى

فذهب إلى المنزل وحكى للسيدة خديجة رضي الله عنها ما دار، قال ﷺ :

{ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي }[٤٤٣]

وزملوني ودثروني بمعنى واحد، يعني غطوني، فغطته وبشـرته وواسـته، وهكذا المرأة الصالحة مع زوجها، قالت له:

{ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ }[٤٤٤]

فالزوجة تظهر في وقت الشدة، وهذه هي الزوجة الصالحة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ المزمل في المعنى اللغوي يعني الملفوف في غطاء، وإن كانت المعاني العلية هنا فهو مزملٌ بالحكمة الربانية، وملفوفٌ بالعطاءات الإلهية، ومُغطى كله بالألطاف الربانية، فهذه هي الأساس في القضية لهذه المعاني العلية.

وأمره الله وكلَّفه هو ومن معه لأنه كان في مكة ولم تُفرض الصلاة، فأول ما فرض عليهم قيام الليل: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾

---

٤٤٣ البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ
٤٤٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

السيدة عائشة تروي هذه الحكاية مع أنها لم يتزوج بها الرسول إلا في المدينة، وهذه الحكاية كانت في مكة، لكنها كانت راوية لأحاديث الرسول، والله ﷻ زوَّجها له بكراً وأراه صورتها في قطعة من الحرير وأمره أن يتزوجها بكراً حتى تكون ناضجة كاملة العقل، ولم تُنجب لتتفرغ وتبلغ عن رسول الله الأحاديث التي سمعتها منه، وخاصة الأحاديث الخاصة بأحوال النساء، فكان عندما تأتيه واحدة من الأنصار تسأله عن حالة خاصة يطلب منها أن تسأل عائشة، وهذا تخصيص إلهي: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (١٠٥البقرة).

فتقول:

{ كَانَ قِيَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرِيضَةً حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، فَكَانَ أَوَّلَ فَرِيضَةٍ، فَكَانُوا يَقُومُونَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ أَقْدَامُهُمْ، وَحَبَسَ اللَّهُ ﷻ آخِرَ السُّورَةِ عَنْهُمْ حَوْلًا، ثُمَّ أَنْزَلَ: (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا }[٤٤٥]

مكث رسول الله ﷺ وصحبه الكرام عاماً كاملاً ... يقومون الليل، ... وانظر إلى حرصهم ... يقول لهم ربهم: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ﴾ وماذا يعني؟

يعني إما نصف الليل، أو ثُلث الليل الأول، وإما ثُلث الليل الآخر، ترك لهم الخيار، فمن شدة حرصهم قالوا: لا نعلم الوقت الذي يحبه الله لنناجيه فيه من الليل، والذي فيه الاجتباء والاصطفاء، فكانوا يقومون الليل كله، حتى نزل قول الله في آخر السورة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ (٢٠المزمل).

فهذا ليس تكليفاً للكل، ولكنه تكليفٌ خاص من أهل الخصوصية لأنفسهم، وبقي التكليف كاملاً لحبيب الله ومصطفاه، فأصبح قيام الليل فرض على رسول الله، وسُنَّة لجميع المسلمين.

وفرضٌ يفرضه الصالحين والعارفين على أنفسهم، وليس الذي فرضه عليهم الله، لماذا؟ ليدخلوا في الطائفة الذين معه.

---

٤٤٥ المعجم الصغير للطبراني والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

فضل قيام الليل

فالذي يريد أن يكون من هذه الطائفة يجب أن يكون له نصيبٌ من قيام الليل ليدخل مع: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

فالفرائض علينا خمسة وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والفرائض على رسول الله ستة، لأنه يضاف لهم قيام الليل، والصالحون والعارفون هم الذين فرضوا ذلك على أنفسهم، لأن الله جعلها مباحة لهم، لكن لأنهم طالبين للمنزلة العُليا فرضوا قيام الليل على أنفسهم، ومن يطلب الحسناء لم يُغلها المهر.

فالذي يُريد المنزلة العالية فلا بد وأن يدفع الثمن، وما الثمن؟ يجب أن يكون له شيء من قيام الليل،

والله ﷻ عندما ذكر المقامات العشر لم يجعل فيها فرقٌ بين الرجال والنساء، فرق في الأعضاء، لكن الفرق في مقامات القرب عند الله لا يوجد: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب).

وسيد الأحبة ﷺ خفف عنا، فالباب مفتوح للكل، فقال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }[٤٤٦]

هل في هذه مشقة أو عنت أو صعوبة؟ لا !!!

سأستيقظ لأصلي الفجر، فأستيقظ قبلها بثُلث ساعة، وأتوضأ وأصلي ركعتين، وبالطبع كلما زاد كلما زاد قدره ومقداره عند رب العباد، لكن أتكلم عن الحد الأدنى لمن يريد أن يكون في هذه المنازل العالية، وهذه المقامات الراقية، أن يكون له شيء من قيام الله.

حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ ... جعل لهؤلاء الذين فرضوا على أنفسهم ... وتعودوا على ذلك، ... قال:

---

٤٤٦ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

{ مَنْ فَاتَهُ وِرْدُهُ مِنْ اللَّيْلِ؛
فَلْيَقْرَأْهُ فِي صَلَاةٍ قَبْلَ الظُّهْرِ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ صَلَاةَ اللَّيْلِ }[٤٤٧]

يعني من فاته قيامه من الليل لظروف قاهرة، فليصلِّه إلى قبل الظهر، ومباح عنده من بعد شروق الشمس بثُلث ساعة، إلى قبل الظهر بثُلث ساعة، وهي وقت صلاة الضُحى، وصلاة الضحى سُنَّة مؤكدة.

وعلمونا مشايخنا ومشينا على ذلك والحمد لله، كان الواحد بعد أن يفطر في الصباح وقبل أن يذهب إلى العمل يتوضأ ويصلي ركعتين الضحى ويخرج إلى الله، وما هذا؟ تسلح بسلاح الوضوء للمؤمن، وأدى ما عليه من زكاة، لأنه ما من يوم تشرق شمسه إلا وعلى كل عضو من أعضائك زكاة، قال ﷺ:

{ يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنَ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ، تَسْلِيمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَبُضْعَةُ أَهْلِهِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَى }[٤٤٨]

فلو صلى ركعتي الضحى يكون قد أخرج الزكاة التي على الجسم حتى يظل يحافظ الله لك عليه، لأنك ستنام، هل تتفق مع أحد ليحفظ لك الأعضاء حتى تصبح؟ لا، لكن الله يحفظها فتجدها تماماً كما كانت قبل المنام.

فالأئمة الأعلام كان منهم الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ، كان إذا استيقظ من النوم ودعا بدعاء الاستيقاظ يمرر يده على وجهه، فلما لاحظ المريدون ذلك سألوه: لماذا تفعل ذلك؟ ... فقال لهم: أخشى أن يحاسبني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على ذنوبي فيمسخني إلى خنزير، فأنا أتأكد هل صورتي كما هي أم لا.

لأنه لو يؤاخذنا ببعض ذنوبنا ما ترك عليها من دابة، !!!! فكوني أُصبح في الصباح فأجد أن كل أعضائي سليمة وأجرها فأجدها كما هي، فهذا فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويحتاج إلى الشكر.

---

٤٤٧ سنن النسائي ومسند أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ
٤٤٨ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي ذر الغفاري ﷺ

والشكر هو الزكاة.

وما الشكر؟

ركعتا الضحى ..

ولن تكلفنا شيء، وستنعش أعضاءك قبل أن تخرج من البيت، وتستودع الله في بيتك وأولادك وكلك ونفسك، وتخرج في رعاية الله وكنف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فما الذي يمنعك أن تعمل هذا العمل؟

النفس، فلا يمنعك عن عمل الخير غير نفسك التي بين جنبيك.

تقول لك: أنت مشغول اليوم وليس مهماً أن تصلي اليوم ركعتي الضحى، وهل ستتوضأ؟ لا، اذهب إلى العمل واذكر الله فقط، لكن جهاد النفس يحتاج من الإنسان أن يزيل هذا اللبس.

فيكون قيام الليل إلا قليلاً فرض على رسول الله ﷺ .. وإن كان الله جعلها له نافلة في آية الإسراء:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ ولكنه أغراه فقال له: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (٧٩الإسراء)

فهل هذه ستجعله يتركها؟ لا .. ففيها وبسببها تنال المقام المحمود، فكيف يتركها؟!.

وتحكي السيدة عائشة عن السَنة التي كانوا يصلون فيها الليل كله فتقول:

{ فَكَانُوا يَقُومُونَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ أَقْدَامُهُمْ }[٤٤٩]

تتورم أقدامهم من شدة القيام كسيدنا رسول الله ﷺ، سيدنا رسول الله ﷺ كان من شدة التبتل لله عندما يقف للقيام يقف على قدم واحدة زيادة في التبتل والتضرع إلى الله ﷻ والإخبات والخشوع، حتى أن قال له الله:

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ ﴾ (طه)

وفي قراءة أخرى: (طأها).

---

٤٤٩ المعجم الصغير للطبراني والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

فماذا أفعل في قيام الليل؟

قال له: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ بعض العلماء الذين تمسكوا بالمظاهر قالوا: الترتيل يعني تتقن مخارج الحروف، وقواعد التجويد من المد والغن وما شابه ذلك، لكن إذا أتقنت الترتيل وقرأت بتجويد والقلب مشغول بالدنيا وأنا أتلوا كلام الله، فهل يكون هذا ترتيل؟ لا .. الترتيل هو الخشوع والحضور مع الله، مع إجادة التلاوة، فتكون المخارج صحيحة والتلاوة السليمة لله ﷻ.

والإمام أبو العزائم له معنى عال في هذه الآية، يقول: (الترتيل هو شهود العيان أثناء ترتيل القرآن) يعني يقرأ وكأن أمامه شاشة يشاهد فيها، وهذا من كتاب الله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) يعني يقرأ وهو يشاهد، فعندما يقرأ آيات عن الجنة يرى ما يقرأه، أو آيات النار يشاهد ما يقرأه، أو آيات القدر فيكشف الله له – على قدره – ما يستطيع تحمله من أقدار الله، فتكون هذه التلاوة مع الشهود، وهذه تلاوة راقية، ولا يصل إليها أحد إلا إذا تفضَّل عليه مولاه بواسع فضله، ونال قسطاً من ميراث سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن الشاهد أنه يريدنا في صلاة القيام أن نرتل القرآن فيها، يعني لا تكون صلاة فيها عجلة ولا استعجال، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

{ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قَالَ: قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ }[٤٥٠]

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: { صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ

٤٥٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ }[٤٥١]

ولذلك السيدة عائشة ﵂ عندما وصفت صلاة الليل لرسول الله فقالت:

{ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا }[٤٥٢]

وكان يفتتح بركعتين خفيفتين، ثم يصلي اثنين اثنين لا تسأل عن حُسنهن وطولهن، مع الترتيل.

ومن الأحكام الفقهية مباحٌ لمن يصلي السنن أن يقرأ من المصحف وليس شرطاً أن يكون حافظاً، يعني صلاة التراويح يجوز أن يقرأ الإمام من المصحف وليس فيها خلاف بين الأئمة، والخلاف فقط في صلاة الفريضة، فبعض الأئمة أباحها، وبعض الأئمة قال لا بد من الحفظ، لكن صلاة النافلة مباح أن يصلي الإنسان والمصحف أمامه أو المصحف في يده، ويركع ويسجد به.

فكان ﷺ يرتل القرآن في هذه الصلاة ترتيلاً، والترتيل يحتاج إلى وقت طويل، لكن الله ﷻ يعطي هؤلاء الأفراد الذين يلزمون أنفسهم بهذه الوصية الإلهية بركة في الوقت وبركة في الزمان، حتى أننا نسمع عن أعمال كانوا يعملونها في الليلة لا يتخيلها العقل، لأن الناس لا تستوعب البركة، لكن الله كان يعطيهم البركة في الوقت، فيصنع الواحد منهم ما يصنعه غيره في شهور ودهور.

فهذه صلاة القيام، وكل الصلوات النفلية كالفرائض تماماً بتمام يجوز أن يصليها الإنسان في جماعة، وليس شرطاً أن يصلي الإنسان وحده، لكن صلوات النوافل عموماً أفضلها أن يصليها الإنسان في بيته، حتى لا يكون بينه وبين ربه حجابٌ أو مشاغلٌ من جهة الخلق، التراويح نصليها في رمضان هي والتهجد في العشر الأواخر في المساجد حتى نشجع المسلمين على هذه العبادات، لأنها العبادات التي تمنع نزول المصائب من السماء، كلما اجتهد الناس في هذه العبادات مع الدعاء تمنع نزول البلاء، ويعيش المسلمون في نعيم وهناء ورخاء على الدوام.

---

٤٥١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن حذيفة ﵁

٤٥٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

القول الثقيل

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾:

القول الثقيل هو كلام الله، ووصفه الله بأنه قول ثقيل لأنه كما قال الله:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (الشعراء)

قلب رسول الله، وكان رسول الله ﷺ عندما ينزل عليه الوحي إذا كان راكباً ناقته لم تستطع حمله فتبرك حتى ينتهي الوحي، ثم تهب واقفة.

ونزل الوحي ذات مرة وكان سيدنا رسول الله جالساً وواضع ركبته على رجل سيدنا زيد بن حارثة بجواره، فسيدنا زيد بن حارثة يقول:

{ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ}[٤٥٣]

يعني كادت رجلي تنكسر من ثقل رجل رسول الله ﷺ، لولا أن الوحي انتهى، فالوحي ثقيل في النزول على قلبه.

والوحي ثقيل على المنافقين:

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦ ﴾ (البقرة)

كيف تكون ثقيلة على المنافقين؟

الأوامر والنواهي التي فيه ثقيلة على المنافقين، والأوامر والنواهي التي فيه إن لم يحظى الإنسان بتوفيق الله وتيسيره ستكون أيضاً صعبة عليه، فتجد كثير من المسلمين تحاول أن تأخذ بيده حتى إلى الصلاة بلا فائدة.

يوجد من المسلمين من لا يدخل المسجد إلا مرة واحدة في العمر!!!

وهم يحملونه على الخشبة ليصلوا عليه صلاة الجنازة، وتحاول أن تشده فيهرب منك، لماذا؟ لأنه قولاً ثقيلاً.

---

٤٥٣ صحيح البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت ﷺ

وأحكامه التشريعية ثقيلة على النفوس:

من الذي يخضـــع لأحكام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ قليل، فتجد من يأكل حق الورثة، يكلموه من هنا، ويسوقون إليه هذا من هنا، حتى يوزع الميراث لأهله، لماذا؟ لأن تشريع الله ثقيل على النفوس.

حتى في التشريعات الحياتية كالبيع والشراء:

من يستطيع الآن أن يمشي على أحكام كتاب الله فيوفي الكيل والميزان ولا يغش في صنف ولا ثمن ولا سعر ولا غيره؟ ..

قليل!!!!

لأن تشريع كتاب الله ﷻ ثقيلٌ على النفوس.

لماذا قال لنا الله هذا الكلام؟

حتى نتوجه جميعاً في كل أنفاسنا ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يعيننا على تنفيذ ما أمرنا به في كتاب ربنا، لأنه إن لم يوفقنا الموفق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد نزل أو قد نضل.

نحن في الحياة الدنيا كما يقولون في المثل: (الدَّي على الأذان يقلب الكيان) فأُناس كثيرون من الإصرار ممن حولهم يغير تعاليم السماء، فيعطي هذا ويترك هذا، ويتحجج بحجج واهية، لكن ما شأنك وهذا الأمر؟!

أنت قبل موتك تقول لأولادك: يا أولاد عندكم تشريع الله فامشوا عليه، وراضوا بعضكم، واتركهم وليس لك شأنٌ بهذا الأمر !!

حتى لا تحمل الوزر والذنب، وهكذا.

فكلام الله يحتاج كما قال لنا الله أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) يعني أعنا حتى نستطيع أن نتوجه إليك بالطاعات والقربات والأعمال الصالحات:

إن لم يكن عونٌ من الله للفتى كلا وإن كان قوي في مواهبه

المواهب لا تفعل معه شيء هنا، فالأمر يحتاج إلى التوفيق من الموفق ﷻ.

مشقة قيام الليل

وعاد ربنا وكرر الآية ثانياً:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾

ناشئة الليل:

يعني العبادة التي يُحدثها الإنسان بالليل، وهي أشد وأصعب على النفوس، لماذا؟ لأن النوم سلطان، والواحد منا عندما تغلبه النفس بالنوم صعب أن يقوم من النوم حتى يعبد الحي القيوم ﷻ، فتحتاج إلى توفيق من الله أولاً، وانتباه إلى بدوات النفس وهفواتها ليجاهدها ثانياً، فلا بد من جهاد النفس في هذا الأمر.

أصحاب رسول الله ﷺ بم وصفهم ربنا لنحاول أن نكون مثلهم؟ وصفهم فقال:

﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (١٧الذاريات) :

والهجوع معناه الاستعداد للنوم، وليس النوم نفسه، فكان يحاول أن يشغل نفسه بشيء حتى لا ينام.

وحتى إحدى زوجات النبي ﷺ كانت تصلي في المسجد النبوي، وربطت نفسها بحبل حتى إذا نامت وهي في الصلاة يشدها الحبل فتستيقظ، فمر حضرة النبي فسألهم:

{ مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ }[٤٥٤]

لماذا؟

لأنه لو نام وهو في الصلاة قد يتدخل معه الشيطان ويجعله ينطق بألفاظ ليست تعبُّد، وإنما يبوء بها بإثم في حق مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كالرجل الذي كان يقول: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وهو ليس منتبهاً، فتكون الآية هنا تغير معناها.

لكن الإنسان يعبد الله طالما فيه نشاط، فإذا أتاه النوم ينام، ولكن يذكر الله حتى يستغرق في النوم، فيكون نومه أيضاً كله عبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٤٥٤ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

طاعة القيام

وهنا نقطة أريد أن أوضحها لأن بعض الأحباب يظن أن قيام الليل بالصلاة فقط، لكن أي طاعة لله في الليل هي قيامٌ لليل، مثلاً: واحد يتفرغ للصلاة ويصلي ألف ركعة في الليلة، وآخر يذهب للصلح بين اثنين ويأخذ الليل كله في مناوشات ومناقشات، فمن الأعظم في الأجر؟ المصلح بين الإثنين، قال ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ }[٤٥٥]

إنسان ذهب ليجبر خاطر أمه أو أباه، أو ذهب لزيارة مريض، أو ذهب ليواسي إنسان عنده حالة حُزن وزاره ليخفف عنه، هل هذا أفضل أم من يقضي هذا الوقت في الصلاة؟ الأفضل جبر الخواطر، قال ﷺ:

{ مَا عُبِدَ اللهُ بَشَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ جَبْرِ الخَوَاطِرْ }[٤٥٦]

والأفضل من هذا كله إذا قضى الليل في العلم النافع لنفسه ولغيره، ولذلك الإمام الشافعي عندما بات عند سيدنا أحمد بن حنبل في بغداد، وكانت العادة عندهم أن يجهزوا للضيف إبريق به ماء وطست حتى يتوضأ لقيام الليل، لأن قيام الليل كان عند الكل موجود وخاصة أهل العلم.

وكان عند أحمد بن حنبل بنتاً وتريد ستكشاف أعمال الشافعي، وفي الصباح سألها أبوها: ما رأيك في الشافعي؟ قالت: فعل ثلاثة أشياء ليست من أعمال الصالحين، قال: ما هذه الأعمال؟ قالت: أصبحنا فوجدنا الإبريق كما هو والطست ليس فيه قطرة ماء، فلم يقم لصلاة الليل، والثانية أنه كان يرقد طوال الليل وقام وصلى الفجر ولم يتوضأ، والثالثة أكل وملأ بطنه، وكانوا يعرفون أن الصالحون يمشون على منهج النبي: **{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }**[٤٥٧]، فقال لها: نسأله لنعرف رده، وهذا نظام الإسلام، فإذا شككت في أمر لأي أخ فلا تشنع عليه ولكن اسأله أولاً، واعرف الخبر منه، لكن تشنع عليه وأنت لا تعرف ما نيته؟ أو ماذا في قلبه؟ فهذا أمرٌ لا يجوز، لأن الأعمال بالنيات، ولا يعلم

---

٤٥٥ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ
٤٥٦ كشف الخفا للعجلوني
٤٥٧ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ

النوايا إلا رب البرايا، فقال لهما: أنا في هذه الليلة كان عندي مسائل فقهية، وأريد أن أحلها للمسلمين، فحللت في هذه الليلة غ مائة مسألة كلها تهم المسلمين، فهل هذه أفضل أم صلاة ألف ركعة أفضل؟! هذه أفضل، وقال: وصليت الفجر بوضوء العشاء لأني لم أنم منذ صلاة العشاء، أما أني أكلت كثيراً فلأني أعلم أنه من ملأ بطنه من زاد الصالحين ملأ الله قلبه إيماناً وتقوى، وزاد الصالحين قليل وأنت مغن الصالحين، لذلك أكلت كثيراً..

فكان الإمام الشافعي يقسم الليل إلى أثلاث، الثُلث الأول في طلب العلم، والثُلث الثاني ينام، والثُلث الأخير في وقت السحر يستيغقظ ليأتنس بالملك العلام ويذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنواع الأذكار التي وردت عن النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فائدة النوم ليلا

الإنسان لا بد له ولو ساعة بالليل ينام فيها، فأنت جسمك من حكمة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل فيه قوة لإصلاح الأعضاء، هذه القوة متى تعمل؟ عند النوم في الليل، فعندما ينام الإنسان في الليل تعمل هذه القوى، قوة تنظف العين، وقوة تذهب إلى جهاز المناعة وكرات الدم البيضاء فتزيدها إن احتاجت، قوة لكل عُضو من أعضاء الجسم، يعني عَمرة، فالجسم يحتاج كل يوم إلى عَمرة، وهذه العَمرة من أين تأتي؟

في داخلك فيك أنت، ولا تمارس عملها إلا أثناء النوم بالليل، فإذا ترك الإنسان النوم بالليل ونام بالنهار لا تؤدي العمل، ولذلك كثير من شبابنا في هذه الأيام يترك النوم بالليل، وينام بالنهار لذلك فوجئنا بمرض النسيان (الزهايمر) منتشر بشناعة بين الشباب، فأنتم لا زلتم شباب فلِمَ تصابون بالزهايمر؟ لأنه لا توجد صيانة، لأن فرق الصيانة عطلناها عن العمل.

وهنا نصيحة أريد أن أقدمها:

فهناك بحث علمي عملته جامعة من الجامعات الأمريكية، فتقول في ملخص البحث أن من يصاب بالزهايمر حتى بعد سن الستين فهذا سببه الأساسي قلة شرب الماء، لأن الإنسان عندما يصل إلى سن الستين لا تكون عنده شهية للماء وهذا ما يسبب له الزهايمر.

ولذلك ننصح الذين يعيشون مع أحد فوق سن الستين أن يعرض عليه الماء

باستمرار، فهو الذي يقيه من مرض الزهايمر.

ولذلك عندما نكون في الصيام نحاول أن نعوض ما فقدناه في النهار فنشرب مياه كثيرة بالليل، والمياه وإن أكثرت منها فليس فيها ضرر أبداً، فإنها تغسل الكلى وتنظف الأعضاء وتجعل الجسم حياً حياة ربانية طبيعية.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ ﴾ يعني ما تحدثه في الليل من القيام أشد وطئاً، يعني أشد في القيام به وأقوم قيلًا، والجزاء على قدر العمل، فتكون أعظم الطاعات أجراً عند الله هي الطاعات التي تكون في الليل بين يديّ الله، كما قيل: (من حافظ على صلاة القيام، رُفعت له يوم القيامة الأعلام) يعني سيكون من الناس المبرزين الذين يظهرون في القيامة إن شاء الله، وقال ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ }[٤٥٨]

هل سمعنا عن أحد من الصالحين ليس له قيام ليل؟ لا !! فالأساس عندهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾ (٦٤الفرقان).

والأعمال التي تريد أن تعملها لنفسك ولأولادك ولحياتك: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ ﴾ عندك في النهار:﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴾ (١١النبأ) في النهار: اعمل الأعمال التي تبتغي بها مصلحتك ومنفعتك ومن تعول في الدنيا، وفي نفس الوقت تنوي فيها نوايا طيبة لتكون لك كذلك في الدار الآخرة حسناتٌ وأجورٌ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الذكر والتبتل

ولذلك أهم شيء في هذا كله:

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ في أي عمل حتى ولو كان من الأعمال العادية، ما دام ذكرت اسم الله في أوله فأصبح عبادة لرب البرية، فإذا أكلنا وقلنا في البداية (بسم الله الرحمن الرحيم) فيكون هذا الأكل عبادة، وإذا حمد الله بعد الطعام فقد أصبح له زيادة في الأجر والثواب عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإذا شربنا كذلك، في أي عملٍ نعمله سيكون لنا أجر ما دمنا سنذكر اسم الله عليه.

---

٤٥٨ سنن البيهقي والترمذي عن بلال بن رباح ﷺ

﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ هذا للذين يعبدون الله العبادات الكثيرة، وليس سببها كثرة الركعات والسجدات، ولكن سببها الأساسي ذكر الله على الدوام.

ولذلك الذي يريد أن يدخل في هذه الآية فيكون على لسانه في كل حركة صغيرة وكبيرة (بسم الله الرحمن الرحيم) فإن لم يقُل (بسم الله الرحمن الرحيم) فليقل: (بسم الله) فقد كان بعض الصالحين ـــ- ونحن نحاول أن نقلدهم – عند كل لقمة يقول: (بسم الله) وليس في أول الطعام فقط، وكان النبي ﷺ يشـــرب الماء على ثلاث، وفي كل مرة يقول: بسم الله، وبعدها يقول: الحمد لله، وبعد المرة الثالثة يقول:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ملحًا أُجَاجًا بذنوبنا }[٤٥٩]

فالشاهد أن في كل عمل تقول في أوله: (بسم الله) تمسك القلم تقول: (بسم الله) تفتح الباب تقول: (بسم الله) تلبس الحذاء تقول: (بسم الله) فندرب أنفسنا عليها، لأنها هي الأصل في أعمال الصالحين:

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ربنا ليس عنده مشرق ولا مغرب، فالمشرق والمغرب حسب الشمس، فالذين تشرق لهم الشمس نهاراً يكون عندهم شروق، والذين تغيب عندهم ليلاً يكون عندهم غروب، يعني الأرض نصفين، نصف فيه مشرق، ونصف فيه مغرب، ولكن كلهم ليس في وقت واحد، بل متفاوتين، ولذلك في الآية الأخرى:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ (٤٠المعارج).

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾:

يعني تعتمد عليه وتتوكل عليه في كل شأن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

كل من يتعرض لدعوة لله، ولتبشير الخلق وإنذارهم بما جاء به رسول الله لا بد أن يتعرض للقيل والقال، وقد يصل للسب والشتم واللعن، وقد يصل الأمر لقضايا وغيرها، فماذا يفعل؟ لو شغلت بالك بهذا الأمر لن تمشي خطوة في طريق الله، لكن اجعل دائماً مبدأك: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف).

---

٤٥٩ شعب الإيمان للبيهقي والدعاء للطبراني

الصبر الجميل

كما أمر الله سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ إذا سمعت إنسان يريد أن يسمعك شيء، فتقول له: لا تُسمعني شيء حتى أظلُ في صفائي ونقائي، وهذا الذي جعل كثير من الصالحين في الأزمان السابقة – وهؤلاء ليسوا من الأفراد الكُمَّل – منهم من يترك البلاد والعباد، ومنهم من يسكن الصحراء، ومنهم من يسكن جبل، ومنهم من يدخل بيته ويعمل خلوة ولا يخرج منها أبداً.

أحدهم سكن في جبل فسألوه لِمَ تركت الناس؟ قال لهم: لا أستطيع أن أقوم بحقوق الجار، يعني عندما يسكن في وسطهم لن يستطيع أن يقوم بحقوق الجار كما ينبغي.

وبالطبع هذا ليس الأقوى ولا الأمثل ولا الأحسن في الصالحين، لكن الأحسن أن الإنسان يتحمل أذى الخلق ليُبلِّغ دعوة الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويقول الناس ما يقولون فليس لي شأن بقولهم، أنا عندي الله وقال لي وطمأنني: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) وفي القراءة الثانية: (إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) سيدافع عنهم إذا واجهتهم تُهمة، ويدفع عنهم أي كيد أو أي مكر أو أي دهاء يوجه إليهم، فأكون مع الله، ولا يخطر على بالي غير الله طرفة عين ولا أقل.

وكيف أهجرهم؟

علَّمنا الله نظام الهجر، أريد أن أهجر إنسان لا يعجبني، فلا أعمل معه موقف، ولا أعمل معه معركة، ولا مشكلة، ولكن: ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾ وكيف يكون هجراً جميلاً؟ لا أسمع لكلامه، ولا أقول شيئاً له أو لغيره يؤلمه ويثيره، وأتحمل وينتهي الأمر، وهذا الذي مشى عليه الصالحين أجمعين، والأمثلة في ذلك كثيرة.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا للقيام، وأن يجعلنا من القائمين له آناء الليل وأطراف النهار، وأن يرزقنا ألطافه الخفية وعطاءاته الربانية، وأن يواجهنا بوجهه الجميل، وأن يغيثنا عند كل شـــدة وبلاء، وأن يجعلنا دائماً وأبداً مولين وجوهنا إليه، ناظرين بقلوبنا إليه، لا نتحول عن حضـــرته طرفة عين ولا أقل، وأن يرزقنا معية الحبيب المصطفى، ويمتعنا بما متَّع به أهل الصفا والوفا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

النبي المطهر[٤٦٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾

(المدثر)

مشاهد النبوة	ملاحظة الله لنبيه	التكليف بالرسالة
الطهارة الحسية والمعنوية	آفات المن	النفخ فى الصور
العلماء ورثة الأنبياء	التجهز للعطاء	آداب العلماء الربانيين
الله أكبر	اللجوء إلى الله	دروس اليقين فى الله
إشارات عالية	أمراض النفس	عاقبة المنّ
	خُلُق الصبر	

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي أكرمنا بحبيبه ومصطفاه، وجعله لنا المثل الأعلى والقدوة الطيبة في كل حركاتنا وسكناتنا التي نريد بها وجه الله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

الآيات التي معنا في ظاهرها خطابٌ للنبي العدنان وهذا ما سنوضحه في البداية، وفي باطنها خطابٌ لكل مؤمن وهذا ما سنوضحه في نهاية الدرس إن شاء الله.

الأحباب الذين يريدون فضل الله بغير تجهيز أنفسهم وقلوبهم وبدون استعداد، ويريد أن يكون ولياً من أولياء الله، ويشاهد العرش ويشاهد الكرسي ويرى كل شيء بدون جهاد، فهذا لا يكون، فإذا لم يحدث له هذا ينسب العيب لشيخه، وليس لنفسه، لماذا؟ لأن أصعب شيء على النفس هو الجهاد.

فالنبي ﷺ لكي يجهزه الله ﷻ للنبوة، كان يذهب كل عام إلى غار حراء، ويمكث

٤٦٠ المنيا – العدوة – البسقلون ١٣ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٤م

فيه شهراً كاملاً وهو شهر رمضان يتحنَّث ويتعبَّد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويقف أمام الغار يتفكر في خلق الله وفي خلق السماوات والأرض.

وكانت زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها تصنع له بعض الكعك يأخذه معه، وهذا ما كان يعيش عليه في فترة هذا الشهر حتى يعود.

أخذ يجاهد ويجاهد حتى وصل إلى كمال الصفاء، وهذا هو الجهاد المطلوب للوصول إلى كمال الصفاء للقلب، وكمال التسليم للنفس.

مشاهد النبوة

وبدأت تتوالى عليه مشاهد النبوة، فكان أول شيء رآه كما قالت السيدة عائشة ﵂:

{ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ }[٤٦١]

فكان يرى الرؤيا كما يكون الإنسان يعيش في الواقع وفي الطبيعة، وبعد ذلك ظل إلى أن سمع مناجاة وتسبيح الكائنات، يحكي ويقول:

{ إِنَّ بِمَكَّةَ حَجَرًا يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ إِذَا رَأَيْتُهُ }[٤٦٢]

وفي رواية أخرى:

{ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيَّ أَوْ نُبِّئْتُ، جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ }[٤٦٣]

كل هذا في الجهاد، مع أنه ﷺ جاهز لتلقي الأنوار وحفظ الأسرار من قبل القبل، لكن الله يرسم لنا طريق أهل الله وأحباب الله في كل زمان ومكان.

فمن يريد أن يصل إلى هذا الفضل بدون جهاد، فهذا يكون ظلماً:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت) فلا بد أن يجاهد الإنسان في ذات الله.

فيم يجاهد؟

---

٤٦١ صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٤٦٢ المعجم الكبير للطبراني عن جابر بن سمرة ﵁
٤٦٣ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد عن عائشة رضي الله عنها

في تسليم النفس لله، وفي جعل حظوظه كلها حظاً واحداً وهو إرضاء مولاه، وتصفية القلب من كل شائبة تشوبه وتشغله عن الله، فهذا جهادنا، ومن جاهد بهذه الكيفية ووصل لهذه الحالة لا بد له من شيء من وراثة حضرة النبي.

لكن كثير من الأحباب يقول:

لي معكم عشر سنوات أو أكثر ولم أر شيئاً، ولم أطلع على شيء، ولم أصل إلى شيء مما يقوله الصالحون، وماذا أفعل لك يا بني؟ هل جهزت نفسك ولم تأخذ شيئاً؟!!، والإمام أبو العزائم يقول في ذلك:

أروني فتى ذكر الإله مصدقاً ولم يرَ نور الله في كل وجهة

لكن النفس طبيعتها هكذا، وهو لكي لا يجاهدها يتهم شيخه، والشيخ ليس بيده العطاء، لأن العطاء بيد المعطي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنحن نرشدك للطريقة السديدة، والذي يعطي في الحقيقة هو الله ﷻ.

فسيدنا رسول الله ﷺ لما تأهل تأهلاً كاملاً لنزول الوحي، وأصبح جاهزاً لتلقي الوحي من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نزل عليه أمين الوحي جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان مشتاقاً وفي شدة الشوق إلى حضرة النبي، فأخذ يحتضنه ويضمه ويقول له:

{ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) }[٤٦٤]

والنبي ﷺ كانت هذه أول مرة يطَّلع فيها على هذه الحقائق والرقائق، ودائماً الإنسان في أول المشاهدات مهما كان تمكنه في الأحوال لا بد وأن يُصاب بشيء من الحيرة، فاحتار، يقول ﷺ:

---

٤٦٤ صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }[٤٦٥]

وفي رواية أخرى:

{ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَمَا أَتَقَدَّمُ وَلَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِيَ عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ }[٤٦٦]

ولكن مع هذا ...

فإن الروحانية هزَّت كل ذرات حقائقه الجسمانية، فذهب عند السيدة خديجة، وهذا يعلمنا دور المرأة الصالحة في تثبيت زوجها عند الشدائد ...

فماذا حدث؟ قال لها:

{ دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي }[٤٦٧]

ودثروني مثل زملوني، يعني غطوني، ففعلت السيدة خديجة، ولتثبته قالت له:

{ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ }[٤٦٨]

وأخذت تثبته بالصفات التي رأتها فيه، ... والتي أُعجبت بها، ... ومن أجلها طلبت هي الزواج منه ﷺ.

فالجهاد ليس في التصفية فقط، ولكن الجهاد في التخلق بهذه الأخلاق الكريمة!!

فيكون الإنسان وصولٌ برحمه، وخاصة الرحم القريبة من رسول الله، وهم المؤمنون كلهم، ويُقري الضيف، وينصر المظلوم، ويساعد المستضعفين، فهذه الصفات لمن أراد أن يتعرض لهذا الفضل العلي المبين على خُطى سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

٤٦٥ البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ
٤٦٦ سير أعلام النبلاء
٤٦٧ مسند الإمام أحمد عن جابر ﷺ
٤٦٨ البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ

ملاحظة الله لنبيه

بعد ذلك أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ نداء فيه ملاطفة ومؤانسة لحضرة النبي، يعني أنت يا من تُغطى بغطاءات كثيرة، قم لتبلغ الرسالة.

ومعنى المدثر يعني الملفوف بغطاء، في الظاهر ملفوف بأغطية ظاهرية كألحفة وبطاطين، ولكن في الباطن ملفوف برداء الحمد من الحميد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ورداء العزة من العزيز جل وعلا، ورداء القوة من القوي ﷻ، فهذه ملابس التقوى.

فكما أنه يوجد ملابس للأجسام، أيضاً يوجد ملابس للقلوب: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف).

التكليف بالرسالة

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾:

انتهى وقت النوم ووقت الراحة، فقد كُلِّفت بأمر لن يحدث لك بعده راحة، وهو الدعوة وأثقال الدعوة: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٥المزمل):

يعني أعباء الدعوة ثقيلة، فقم بعزم وقوة حتى تُنذر وتُبلغ رسالات الله إلى خلق الله، واحمل الأمانة، فحمَّله الله أمانة التبليغ عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

والأمانة لخصها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قوله:

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾:

يعني اجعل إلهك هو الأكبر في قلوب ونفوس الناس أجمعين، وهذه صلب الرسالة!

أن يكون الله أكبر من كل كبير، ولذلك اختارها ﷺ في الصلاة، كيف تدخل الصلاة؟ لا بد أن نُكبر الله أولاً (الله أكبر) والله أكبر ماذا تعني؟

يعني لا شيء في قلبي ولا في فؤادي مشغولٌ به أكبر من حضرة الله، وهنا تصح الصلاة، ويذوق الإنسان لذة الحضور والخشوع مع مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والدليل أنه لا ينشغل بعد ذلك في الصلاة بأمر من أمور الدنيا أو الأهواء أو الشهوات أو ما شابه ذلك.

الطهارة الحسية والمعنوية

وحتى تكون الرسالة كما ينبغي، لا بد أن تكون الأُسوة الطيبة التي يقتدي بها كل من يراك، فقال له: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ المعنى الظاهري أن نطهر هذه الثياب التي نصلي بها من النجاسات، فلا يجوز أن يُصلي الإنسان في ثوب فيه نجاسة، وإذا كنت أُطهر الثوب من النجاسات وهذا موضع نظر الخلق، فما بالك بموضع نظر الحق؟!!، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٤٦٩]

فهذه الأَوْلى أن لا يكون في القلب نجاسات معنوية، فكما نُطهر الثوب من النجاسات الحسية، نُطهر القلب من النجاسات المعنوية، والنجاسات المعنوية تعني الشرك الخفي والأخفى، فنحن غير مشركين، لكن هناك شركٌ يُسمى الشرك الأصغر، فالشرك الأكبر ليس لنا شأنٌ به والحمد لله، لكن الشرك الأصغر أشار إليه ﷺ في حديثه عندما سُئل عنه قال:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٤٧٠]

الشرك الأصغر هو الرياء، يعني العمل من أجل أن يراك الناس، فلا يوجد فيه إخلاص، لكن أنا أُطهر القلب وأضع فيه الإخلاص والصدق وخالص الحب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأُطهر أخلاقي من أخلاق الجاهلية التي لا تناسب أي داع يدعو إلى الحضرة المحمدية، فلا يكون غليظاً ولا صخاب في الأسواق، ولا شديد على المؤمنين، وإنما كما قال الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ (١٥٩آل عمران).

فأهم صفتين نتخلص منهما في أخلاقنا الفظاظة والغلظة، الفظاظة يعني تكون معاملة الإنسان شديدة مع الناس، ويُخرج كلاماً يُؤلم الناس، والغلظة هي الشدة الشديدة التي يتعامل بها مع الناس، والمؤمنين كما قال ربنا فيهم:

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ (٢٩الفتح).

---

٤٦٩ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٤٧٠ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ تحتمل معان كثيرة، طهارة الثوب من النجاسات الحسية الظاهرية، يعني ثوبي أصابه رذاذ بول، فلا بد أن أطهره، أو نجاسة من النجاسات الحسية التي حولنا لا بد أن أُطهره.

ومثلها تماماً لا بد أن أُطهر القلب من كل ما سوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حتى أخرج من الشرك الخفي الذي يقول فيه الله في كتابه الكريم:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦يوسف).

فكثير من المؤمنين يقعون في الشرك ولا يدرون، وكيف يكون هذا الشرك؟ كما قلت: إما أن يعمل العمل من أجل أن يراه الناس، أو من أجل أن يحمده عليه الناس، أو يشكره عليه الناس، أو يُثني عليه الناس، فهذا شرك، ولكن أعمل العمل لله ﷻ:... ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٥البينة).

وأطهر أخلاقي من أخلاق الجاهلية وهي العُجب والإعجاب بالنفس والكبر وهو أن لا أرى أحداً مثلي، فهذا مرض من أمراض الجاهلية، أو أتعاظم في النفس وبين الناس، والجزع والجبن والخوف والهلع، كل هذا لا بد للإنسان أن يُطهر نفسه منه.

ولذلك كان سيدنا الإمام علي يقول عن رسول الله ﷺ:

{ كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ }[٤٧١]

إذا إشتد القتال، يكون أقرب الناس إلى العدو رسول الله ﷺ، وعن أنس ﷺ قال:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَجْوَدِ النَّاسِ وَأَشْجَعِ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ فَقَالَ: لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجَدْتُهُ بَحْرًا يَعْنِي الْفَرَسَ }[٤٧٢]

سمعوا صوتاً خارج المدينة كصوت أناس يهجمون على المدينة، فأسرعوا وأثناء

---

٤٧١ مسند الإمام أحمد عن علي ﷺ
٤٧٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

خروجهم وجدوا سيدنا رسول الله كان راجعاً وطمأنهم.

هل يوجد أحدٌ يحارب على بغلة؟! لا، لأن البغلة لا تستطيع أن تُسرع كالفرس، لكنه كان يركب بغلته ويمشي في وسط الأعداء ويقول:

{ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ }[٤٧٣]

من يفعل ذلك إذا كان عنده حتى ذرة من الجبن؟

لا أحد، لكن لا توجد عنده إلا الشجاعة التي أمده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها، وخاصة الشجاعة في الحق، والصدق في إظهار نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الأئمة العظام كان لهم عطاءات خاصة في بعض مذاقات التفسير يأخذونها من رسول الله ﷺ مباشرة، لا من كتب التفسير ولا من أئمة التفسير، فالإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه يقول: ((رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا علي طهِّر ثيابك من الدنس، تحظى بمدد الله في كل نَفَس، قال: فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال ﷺ: إن الله ألبسك حُلة المحبة، وحُلة المعرفة، وحُلة التوحيد، وحُلة الإيمان، وحُلة الإسلام)) وهذا تفسير مخصوص له أو لمن كان على شاكلته، وليس للعوام.

خمس حُلل، فمن لبس حُلة المحبة، وأحب الله ﷻ هان عليه كل شيء في سبيل المحبوب، فكل شيء يريده يكون سهل لين عليَّ لأنه طلبه وأنا لا أريد مخالفة طلبه ﷻ.

ومن لبس حُلة التوحيد ... لم يخطر بباله شيء في نَفَس مما ينشغل به العبيد من الشهوات: ... ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١٤آل عمران) فلم يعد عنده هذا المتاع.

ومن لبس حُلة الإيمان انشغل بالله في كل وقت وآن، ومن لبس حُلة الإسلام استسلم ظاهره وباطنه لما طالبه الله تعالى به في القرآن.

يعني الصالحين لهم مذاقات خاصة، وأيضاً من الذي يذيقها لهم؟ ..

الحبيب ﷺ.

---

٤٧٣ البخاري ومسلم عن الراء بن عازب رضي الله عنه

﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾:

والرُجز بضم الراء هي الأوثان التي كانوا يعبدونها، والرِجز بكسر الراء فمعناه الذنب أو الوزر الذي يفعله الإنسان.

﴿ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾:

يعني تهجر كل الأصنام، وكل شيء انشغلت به عن الله أصبح صنماً لك يبعدك عن القرب من حضرة الله.

سيدنا أبو العباس المرسي ﷺ يقول: (إنما سُمي إبرهيم فتىً لأنه كسَّر الأصنام: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ (٦٠الأنبياء) ولا يُقال لأي عبد أنه فتى في طريق الله إلا إذا كسَّر أصنامه المعنوية في قلبه)

فلا بد من ذلك: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ (١٣الكهف) ماذا فعلوا؟ كسَّروا كل الأصنام الحسية والمعنوية الموجودة في قلوبهم، ولم يبق لهم معبودٌ إلا حضرة ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه يفسرها أيضاً حديث رسول الله ﷺ:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ }[٤٧٤]

دعا عليه سيدنا رسول الله بأنه لو دخلت الشوكة في رجله، فلا يجد ملقاطاً ينزع به هذه الشوكة، لماذا؟ لأنه انشغل عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالرُجز هنا:

يعني الأصنام سواء الأصنام الحسية التي كان يعبدونها في الجاهلية، والتي يعبدها بعض الفئات غير المسلمة في الهند والصين وما شاكلها، .... أو الأصنام المعنوية وهي الأمور التي انشغلنا فيها بالكلية وشغلتنا عن رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا صنم يحتاج منا أن نُكسره ونُحطمه، فإذا كسَّرت كل الأصنام التي معي فقد أصبحت في حالة توحيد كامل للحميد المجيد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٤٧٤ البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

آفات المن

من أجمل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من يريد أن يتعرض لفضل الله:

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾:

أي لا يمن على أحد بشيء أبداً، وبالنسبة لحضرة النبي: إياك أن تمن عليهم بالرسالة التي حملناها لك، وأنك من هديتهم للإيمان، وعلمتهم القرآن، وأخذتهم إلى الطريق الصحيح الموصل إلى الرحمن.

البعض منا إذا أخذ بيد واحد لطريق الله يملأ بساط الأرض، فيقول: أكرمني الله في فلان واهتدى على يديَّ وأصبح يعمل كذا وكذا.

لكن لنا قدوة في رسول الله، فإياك أن تمنَّ، والمنُّ يعني المعايرة، أن يعاير الإنسان شخص عمل له شيء.

أو الا ستكثار، فإياك أن تعمل شيئاً لأحد حتى يعمل لك معروفاً أكبر منه، فيكون غير خالص لله أيضاً، لأنك تعمل معروفاً لله ولا تبغ الأجر إلا من الله، والخلق جميعاً لو اجتمعوا على أن يثيبوا الإنسان بكلمة واحدة يذكر بها الرحمن هل يستطيعون؟ لا، مَن في الكون كله يستطيع أن يعطينا أجر قول (سبحان الله) مرة واحدة؟ لا أحد، فلِمَ تمن على الناس؟!!.

ولا تمن على الله، لأنه حَّملك الأمانة وكلفك بإبلاغ الرسالة فتطمع وتقول له: أنت حملتنا الأمانة وحملتنا الرسالة، فأنا أريد كذا وكذا، يعني يريد مقابل، لكن هذه الرسالة يكفيك تشريفاً أن الله هو الذي كلفك وكلفني بأداء رسالته، وهذا أعظم تشريف للإنسان.

وهذا الكلام يحدث بين الأحباب ونشاهده، إذا واحد منا وُفق لعمل من الأعمال لصالح الأحباب يريد منهم أن يشكروه ويذكروه ويذكروا العمل الذي قدمه، ويقدموه في مواضع التقديم لأنه رجل عمل لهم عملاً عظيماً، لكن هذا الإنسان نسميه في طريق الله عقيم.

لماذا؟ الإنسان العظيم الذي قال فيه الله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان) هذه الأمور كلها تحتاج إلى جهاد نفس شديد، لكن الذي عمل عملاً ومنتظر من الناس عندما يروه أن يقفوا له ويحترموه ويبجلوه، حتى يظهر أمام الناس، فتكون النفس لا زالت حية.

لكن الإنســـان يعمل العمل ولا يطلب الأجر إلا من الواحد الأحد تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يطلب من الله ﷻ أجراً عاجلاً فانياً على شـــيء عمله لله في هذه الحياة، كعامة المسلمين الآن، كل يوم نشاهد في أماكن متعددة مسلمين يشتكون من الله ﷻ، يقولون: نحن مسلمون ونصلي ونصوم وصابرين، والله أعطى الدنيا والأموال والخيرات للكافرين ولماذا يتركنا؟! وهذا موجود عند الناس ضعاف النفوس، لكن الحديث النبوي قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحْمِيهِ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ }[٤٧٥]

إذا أحب الله عبداً نزع حب الدنيا من قلبه، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ }[٤٧٦]

إذا أعطاك الله الدين فاحمد لله على فضل الله وعلى كرم عطاء الله جل في علاه.

فالإنســان لا يمنُّ أبداً، لا على الله ولا على أحد من خلق الله بسـبب أي معروف قدمه، وإنما ينتظر الأجر والثواب والمنح والعطاءات من فضـــل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيدخل فوراً في قول الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد) يجهِّز نفسه لهذه الأحوال حتى يكون معهم.

أيضاً: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾:

يوطن نفسه على الصبر الجميل، يعني الصبر الذي ليس فيه شكوى، لأنه لو اشتكى فلم يعُد صبراً جميلاً، لكن الصبر الجميل الذي لا يشتكي صاحبه حتى لو خاطب الله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٨٣الأنبياء) لم يقل أصابني الضر ولكن (مسني)، وبعد ذلك: فأنت يا رب افعل ما تريد، فليست شكوى ولا غيره، ما دام أنت راض بذلك فقد انتهى الأمر.

ولذلك الصبر الجميل تمامه ثلاثة أنواع حتى يكون صبراً لله ﷻ، أن يصبر الإنسان على أقدار الله التي يتعرض لها في هذه الحياة، وأن يصبر على الطاعات وأداءها التي أمره بها الله، وأن يصبر في فطم نفسه وجوارحه عن المعاصي التي نهى عنها الله.

---

٤٧٥ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٧٦ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

النفخ في الصور

ثم ذكَّرنا الله ﷻ بيوم يُسمى النفخ في الصور، والصور هو العالم المحيط بكل ما في السماوات وما في الأرض، وكل واحد منا له فيه ثُقب، عندما ينفخ ملك الصور تصل النفخة إلى كل من في السماوات ومن في الأرض.

فحضرة النبي ذات مرة دخل عليه سيدنا عمر وكان نائماً على حصير حتى أثَّر في جنبه الشريف، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ ذَرِفَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[٤٧٧]

وقال ﷺ: { كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ }[٤٧٨]

كل الخيرات التي لهم عند الله يعطيها لهم في الدنيا حتى يخرجوا إلى هناك وليس لهم شيء ويكونوا مفلسين، ونحن لأنه يحبنا فكل الطيبات جهزها لنا في الآخرة.

هذه النفخة ستكون كما قال الله:

﴿ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ ﴾ يوم شديد على الكافرين، وهذه النفخة ليست النفخة الأولى، ولكنها النفخة الثانية: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٦٨الزمر) لأن هذه النفخة هي التي يتحسرون فيها عندما يروا حالهم وحال المؤمنين والأهوال المتربصة بهم في أرض القيامة فيكون يوماً عسيراً.

وعاد مرة ثانية وأكدَّ الأمر وقال:

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ ... حتى يؤكد أنه يوم شديد على الكافرين، نسأل الله ﷻ الحفظ منهم أجمعين.

---

٤٧٧ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها
٤٧٨ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

العلماء ورثة الأنبياء

هذه الآيات التي تكلمنا فيها من سورة المدثر كلها آيات تتكلم عن سيدنا رسول الله ﷺ، فلماذا تكلم الله عن رسول الله في القرآن كثيراً؟ لأنه آخر الأنبياء، والذين يأتون بعده ويبلغون الرسالة هم العلماء والذين يقول فيهم الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب)، علامتهم أنهم لا يخشون أحداً إلا الله ... هؤلاء الناس ما الواجب عليهم؟ أن يتصفون بالأوصاف التي وصف بها الله حبيب الله ومصطفاه في كتاب الله.

وكيف نعرفهم؟ .. نزنهم بالميزان الذي جعله الله لرسول الله، واحد قرأ كل علوم الإسلام وأخذ أعلى الشهادات في الإسلام، لكني أراه في تعاملاته لا يراقب الله ولا يخشاه، فهل هذا عالمٌ أسأله في أمور ديني؟ لا، كما ورد في الأثر:

((لا تسألوا إلا من يخشى الله))

فهذه الآيات لها شقان: الشق الأول أن العلماء الذين يريدون أن ينالوا من وراثة الأنبياء يتخلقوا بأخلاق سيد الرسل والأنبياء في كتاب الله، ونحن أنفسنا لكي نسأل ونعمل العمل الذي يحبه الله نسأل العالم العامل الذي نرى أنه يراقب الله ويخشاه.

التجهز للعطاء

فالآيات التي معنا في سورة المدثر كما قلنا هي طريق رسول الله ﷺ الذي مشى فيه إلى أن جهز نفسه لنزول الوحي ... ولكي ينزل الوحي كان الله يجهزه ويساعده، فقد نزلت الملائكة وأخذوه وأضجعوه وشقوا صدره وأخرجوا قلبه وغسلوه، ... ومرة أخرى ختموه بخاتم النبوة، .... ومرة ثانية حشوه إيماناً وحكمة ...، ومرة ثالثة جهزوه ليذهب إلى قاب قوسين أو أدنى ويمشي في الفضاء بسرعة أكبر من سرعة الضوء آلاف المرات، ولا يتأثر بهواء ولا برياح ولا غير ذلك ... ، كل هذه كانت تجهيزات!!! لكننا نأخذ التجهيزات التي على قدرنا والتي كان حضرة النبي يجهز نفسه بها إلهاماً من الله، فلم يكن أحدٌ يرشده ولا يوجهه... وإذا مشى الإنسان في هذا الطريق تأتيه الإمدادات الإلهية والعطاءات الربانية فوج وراء فوج، في البداية يرى الرؤيات المنامية، بعد ذلك يرى في المنام ما تيسر له من الملأ الأعلى، ويخاطبه ويحادثه الملائكة الكرام:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ (فصلت) ... وتتنزل يعني باستمرار وليس تنزل، والحديث بينهم واضح.

آداب العلماء الربانين

وبعد فترة إذا واصل يملأ الله قلبه إيماناً وحكمة، قال ﷺ:

{ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛
إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[٤٧٩]

يملأ قلبه إيماناً وحكمة، وينطق اللسان بالحكمة لمن حوله، وبعد أن يأخذ علوم من الملائكة، وعلوم من الإلهام، وعلوم من النبي العدنان، فلا بد بعد ذلك أن يقوم من السكون الذي هو فيه، فالصالحون دائماً يحبون الخلوة عن الجلوة، لأن الخلوة فيها المتعة والصفاء والنقاء مع حضرة الله، وفيها البعد عن القيل والقال والمشاكل والشتائم والسب التي يتعرض لها من خلق الله، فيكون مستريح البال، فيأمره الله أن يقوم من هذا السكون التام لتبليغ رسالات الله ﷻ: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ مَن أُنذر؟ من حولي، قال ﷺ:

{ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ }[٤٨٠]

ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم الأقرب فالأقرب، فأبدأ بنفسي أولا وألتزم، ثم بعد ذلك آخذ أولادي وزوجتي وبناتي معي، ثم جيراني ثم أقاربي ثم أهل بلدي، وبعد ذلك أنتقل للبلاد المجاورة لأبلغ رسالات الله، لماذا؟ قال الله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٣٣فصلت)، الشرط الأول: الدعوة إلى الله، فلا شيء أفضل عند الله من إبلاغ رسالات الله، ... والشرط الثاني: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ (٣٣فصلت)، .... والشرط الثالث: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (٣٣فصلت) أن لا يتكبر على الناس بسبب العلم، ولا يظن أنه خير، وهل قال إنني من المحسنين؟ ... لا .... ولكن: (إنني من المسلمين) .... يعني أنا لا زلت على قدري في مقام الإسلام، ... وهي تحتاج إلى ذلك على الدوام ... إذا طلب من الناس ولو بنفسه أنهم يعظموه ويبجلوه فيكون قد وقع في أمر لا يحبه الله، لكنه لا يطلب جزاءًا ولا عطاءًا ولا مدحاً ولا ثناءًا إلا من حضرة الله جل في علاه.

---

٤٧٩ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري ﷺ
٤٨٠ سنن النسائي والحاكم في المستدرك

الله أكبر

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾:

يدعو إلى إكبار الله، فالناس في الدنيا منهم من يعتمد على ماله، ومنهم من يعتمد على جاهه، ومنهم من يعتمد على الأرض التي عنده، ومنهم من يعتمد على وظيفته، ومنهم من يعتمد على عائلته، وكل هذه حبائل واهية، عندما تأتي نهاية عمره في هذه الحياة مَن مِن هؤلاء يستطيع أن يقدم له منفعة؟ لا أحد: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ ﴾ (عبس).

فلن ينفعه إلا ما قدمت يداه، وما قدمه لمولاه، ولذلك قال لنا الله: ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (١٢٣البقرة) يعني قدم لنفسك وأنت خارج من هذه الحياة، فيكبر الله، ويجعل الناس يزيد إيمانهم وتقوى عقيدتهم في الله، فيتوجهون إلى الله في كل أمر ولو كان صغيراً، فلا أحد يتوجه إلى الله في أموره كلها ويجد صعوبة في أي أمر، فقد ورد أن الله تعالى قال لموسى:

((يا موسى اسألني في كل شيء حتى ملح عجينك - وروي: فى شسع نعلك وعلف دابتك - فقال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا - يقصد قضاء حاجته - فأستحي أن أسألك! قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك))[٤٨١]

يعني أردت شيء من الملح عند الجيران، فإذا استعنت بالله وسألت الله أولاً ستجد الملح عند الجيران، ولو ذهبت من نفسك فجائز أن لا تجد عندهم الملح، إذا أردت أن تخيط نعلك نفس الأمر سيجعل الله الرجل جالساً في مكانه وكأنه ينتظرك، وإذا لم تستعن بالله قد تجده في راحة اليوم وأغلق الدكان، فيجب على الإنسان أن يستعين بالله في كل أمر.

حتى عندما أقضي حاجتي أسأل الله، لأني لا أقضيها إلا بإذن الله !!!

فمَن منا يستطيع أن يحدد الساعة التي يتم فيها هضم الطعام والوقت الذي سيدخل فيه لقضاء حاجته؟ لا يستطيع أحد أن يتنبأ بذلك، فنحن أحياناً نمكث يوم أو أيام بدون قضاء الحاجة ونحتاج إلى مسهلات، وأحياناً يكون الإسهال شديد فنحتاج إلى حبوب ممسكة، حتى نعرف أن الأمر كله بيد الله.

---

٤٨١ جامع العلوم والحكم

اللجوء إلى الله

فما يحتاجه الناس في كل زمان وخاصـــة في هذا الزمان اللجوء إلى الله في أي أمر، إن كان لنفسه أو لزوجته أو لأولاده أو للوطن كله، فكلنا محتاجين لأمر الله.

فهذه البلاءات التي في مصـــر، وهذه الأزمات التي نحن فيها الآن هل يوجد أحدٌ في دول العالم حالياً يستطيع أن يفكها لنا؟ لا، من الذي يفكها؟ !!!

لو رجعنا لله وصدقنا في الطلب من الله لن يتخلى عنا الله.

كل البشرية والدول الغنية من أين غناها؟

من خيرات الله، وليس من مهارتهم، فالسعودية هل هي تصنع البترول؟! لا، هو موجود في باطن الأرض من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والغاز عندنا أخرجناه من باطن البحر، فهل صنعناه؟ لا، لكن أخرجه الله لنا من قلب البحر، وعندنا جبال موجودة في مصر مملوئة بالذهب ولكننا لا نراها، فلو رجعنا إلى الله سيدلنا عليها الله، فعندنا أكثر من ثلاثين منجم ذهب كلهم أكبر من منجم السكري الموجود حالياً، والذي يعتبر أكبر منجم للذهب عندنا في مصر، ولكننا لا نعرف كيف نصل إليهم وغيرهم، لأن الله قال هكذا على لسان سيدنا يوسف:

﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (يوسف) فخزائن الأرض كلها هنا في مصر.

رمال سيناء الآن مطلوبة للصناعات الالكترونية الدقيقة، كالرقائق الالكترونية ولا نستطيع تصنيعها، فالذي يصنعها الصين وجزء في الهند، فكل هذه المعادن تخرج من باطن الأرض.

لماذا تتحكم روسيا الآن في الغرب؟

للغاز والبترول، فهل هم الذي يصنعونه؟ لا، لكن الخيرات كلها من عند الله.

نحن نضع البذرة في الأرض، فمن الذي ينميها ويغذيها ويخرجها ثمرة طيبة هذه لها لون، وهذه لها لون، وهذه لها رائحة، وهذه لها شكل، وهذه لها فوائد، وهذه لها فوائد؟

من الذي يفعل هذا كله؟

رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هل يوجد أحدٌ يزرع الشـــجرة ويظل معها حتى تنتج؟! لا، نحن نراقبها فقط،لكن الكل يعيش في خيرات الله.

فعندما نرجع إلى الله سـيُصـلح لنا كل المشـاكل التي بيننا، ويجعلنا في أرغد عيش وأسعد حال وأهنأ بال.

عددنا كثير ولا يزال يزيد، والخير عند الله ليس له حد ولا مقدار، وأرض مصـــر بالذات مليئة بالخيرات، ولكن تحتاج من الناس أن يدعوا في الأمور إلى الله، وبعد أن يرجعوا إلى الله نذهب للأسباب.

يعني إذا مرضـــت أذهب إلى الطبيب، وآخذ العلاج، ولكن يكون عندي يقين أن الله إذا كتب لي الشفاء فالدواء الذي كتبه الطبيب سيحقق الشفاء، فأستعين على ذلك بالدعاء، فهذا سلاح مهم، وهناك سلاح آخر قال فيه ﷺ:

{ دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ }[٤٨٢]

أُخرج شـــيء حتى ولو قدر ثمن علبة دواء للفقراء من حولي، ... إذا فعلنا ذلك سنجد الشفاء لمرضانا ...

وأسمع البعض يقول: الطبيب الفلاني لولاه لمت، وهو الذي أنقذني من كذا، ولكن الطبيب من الذي ألهمه بهذا التشخيص؟! التشخيص يأتيه إلهاماً من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذا وافق التشـــخيص الداء يتم الشـــفاء، وإذا لم يوافق الداء ويأخذ الدواء يزيد التعب والألم، فيذهب لطبيب آخر، لماذا؟ لأن التشخيص إلهام من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فنحتاج في كل أمر للدعاء:

ندعو الله في كل أمورنا وفي كل شئوننا ...

ومع الدعاء لا بد أيضـــاً أن نُخرج شـــيئاً مما معنا للفقراء، ... حتى نُكبِّر قاعدة الدعاء، فبدلاً من أن أدعو وحدي، ... فيكون مجموعة من الناس يدعون لي، فالدعاء هنا يكون أقرب إلى الإجابة.

---

٤٨٢ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فنحن كلنا في حاجة في الأحاديث الجانبية أن نعطي للناس شيء من اليقين في الله، إن كان زميلي في المكتب أو جاري في البيت، يقول لي: أنا أشكو من كذا وكذا، فأقول له: الجأ إلى الله وادعوه، واختر أوقات الإجابة الطيبة، وأحسن وقت هو وقت السحر، فقم قبل الفجر وصل ركعتين لله، واضرع فيهما لله، لأنه في هذه الساعات قبل الفجر يتنزل الله إلى السماء الدنيا، وهو الذي يقول ذلك، قال ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[٤٨٣]

فخُض هذه التجربة وجرب مع الله، ولو أنه لا يجوز التجربة مع الله، لكن افعل ذلك، ولا تنس أن تُعطي أحداً من المساكين شيئاً حتى يدعو لك هو الآخر، فأنت تدعو والمساكين يدعون لك، وتأخذ بالأسباب فيأتي الشفاء على الفور من الله ﷻ.

وهذا الواجب علينا جميعاً أن نعطي هذا الانطباع لكل من عرفنا ومن لم نعرف، فلا يحتاج لخطبة منبرية، ولا درس من هذه الدروس، بل يحتاج إلى محادثات جانبية مع بعضنا، يقول لك: الموضوع الفلاني يشغلني، أقول له: يقول الله في القرآن:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (٢الطلاق)

فيقول: الطرق كلها مسدودة، أقول له: يقول الله:

﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (٣الطلاق)

فتأتيه أرزاق من طرق لم يكن يحسبها نهائياً !!

وجرب وامشي مع الله وانظر كيف يفتح لك الباب؟

وكيف يرفع عنك هذا الهم وهذا الغم؟..... هذا هو صلب موضوع الإصلاح للأحوال التي نحن فيها الآن، ... لأن الناس الآن كلهم معتمدون على الأسباب، ... وينسون مسبب الأسباب !!!

---

٤٨٣ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وإذا ذهبوا للمسجد يصلي عادة وانتهى الأمر، وكما يدخل كما يخرج، وهذه ليست عبادة لأنها لو عبادة سيجد حلاوة الطاعة، ويجد لذة في أدائها، ويجد خشوع، ويجد حضور في هذه العبادة، لكنه يدخل ويقول: لا أعرف هل صليت أربعة أم صليت ثلاثة؟! لأنه سارح، فهو ليس مع الله هنا، ولكنه مع الأسباب !!!

حتى وهو بين يدي الله يأخذ معه الأسباب، ويفكر ماذا قالت له زوجته، وماذا قال له ابنه، فأنت مع الله، ففرغ القلب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إشارات عالية

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾:

ثيابك هنا بالنسبة لأي داع هم أهلك وأحبابك، كيف تطهرهم؟ بأن أعظهم باللطف والرحمة والحنان والمودة حتى ينفذوا أوامر الله، ولا يقعوا في معاصي تغضب الله، لأنك المسئول: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (٦التحريم) فتطهرهم أنت باستمرار، وكل من يبعد منهم قربه باللطف واللين والمحبة والمودة.

أمراض النفس

﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾:

تبعد عن كل الأشياء التي تباعد بينك وبين القرب من الله، وأعظم هذه الأشياء التي تبعد الإنسان عن حضرة الله: الخُيلاء والزهو، وهو أن يزهو الإنسان بنفسه ويرى أنه لا أحد مثله، ويمر على الناس ولا يريد أن يُلقي عليهم السلام لأنه يرى أنه لا أحد مثله من هؤلاء.

والمصيبة الأعظم أن يرى أنه لا أحد مثله في العبادات، لأنه رجل يصلي الفجر حاضراً وبعد الفجر يقرأ القرآن وهم نائمون، فهو بذلك أحسن منهم، ولم ينتبه أنه رُبَّ نائمٌ خيرٌ من قائم، كواحد أنهى عمله ومتعب جداً ومجرد أن صلى العشاء نام، ومن شدة التعب لم يستطع القيام، ولكنه نام وقلبه مشغول بذكر الملك العلام تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وآخر قام وصلى بالليل، ولكن هذه الصلاة أعطته شيء اسمه الإعجاب بالنفس، فيرى في نفسه أنه لا أحد مثله، والمصيبة الأعظم لو انتظر من الناس أن يقولوا له: ادعو لنا يا شيخ فلان، لأنه صاحب الدعوة المجابة، فمن أين عرفت أنك صاحب الدعوة

المجابة؟! صاحب الدعوة المجابة يستتر، ولا أحد يعرف عنه قليل ولا كثير، لكن هذا يريد أن يظهر، وحب الظهور يقسم الظهور.

فمرض الكبر ومرض العُجب ومرض الزهو، هذه الأمراض كلها يهجرها بالكلية، ويتخلق بالتواضع لخلق الله، والتطامن والذل والإنكسار لحضرة الله، فيجد الله معه في كل أحواله في الدنيا ويوم لقياه.

عاقبة المنّ

﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾:

لا يعطي أحداً شيئاً ويمُنُّ عليه حتى ولو كان ابنه، فنسمع كثير من الناس وهو غير منتبه يقول لابنه إذا فعل شيء: أنا ربيتك وصرفت عليك كذا وعملت لك كذا، فأنت بقولك هذا لابنك فقد حرمت أجرك عند الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا، فَلا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَتُكْتَبَ عَلانِيَتُهُ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ لا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }[٤٨٤]

يقول: أنا عملت لفلان كذا، وسعيت له هنا، فأنت عملت لله فاجعلها لله، لكن ما الذي يضيعنا كلنا؟

أننا كلنا نريد أن نظهر بين يدي خلق الله، فهذا لا ينفع، ويكون العمل غير خالص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كما يحدث في رمضان، يدعو أخاه للفطور، ويقول له: متى سترد هذه الدعوة؟ فيقول: يوم كذا، فمن الذي يأخذ الأجر فيهما الآن؟ لا هذا ولا ذاك، لأنه إفطار رد لإفطار، لكن يدعو أخاه للإفطار لله، ولا ينوي أن يرده له، فهذه التي لها الأجر عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً لوجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٤٨٤ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ

خُلُق الصبر

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾:

الحياة الدنيا كلها تحتاج إلى الصبر، فبدون دواء الصبر لا يستطيع أحدٌ أن يتحمل الحياة الدنيا، نريد الصبر على الزوجة، والصبر على الأولاد، ونحتاج للصبر مع الجيران، ونحتاج للصبر مع الزملاء في العمل، ونحتاج للصبر في التعامل مع كل خلق الله، لأن كل واحد فيه عيوب، ولا أحد يخلو من العيوب، وحتى لا أصنع لنفسي مشاكل، فماذا أفعل؟ أصبر، هل يوجد امرأة في الوجود الآن كاملة؟ لا، قال ﷺ:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }[٤٨٥]

فمن منهن في زماننا؟ لا أحد، فعلينا أن نتأكد أنه لا يوجد زوجة كاملة، فماذا نفعل يا رسول الله؟ قال:

{ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ؛ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ }[٤٨٦]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّمَا خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، فَلَنْ تُصَاحِبَهَا إِلَّا وَفِيهَا عِوَجٌ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وكَسْرُكَ لَهَا طَلَاقُهَا }[٤٨٧]

ولذلك كثُر الطلاق في هذه الأيام في مصر، لماذا؟

لأنه يريدها امرأة كاملة، والبعض يريدها مثله رجل، يعني تقول له: أنا نسيت كذا، فيقول لها: كيف تنسي؟! ويصنع مشكلة، مع أن طبيعتها هكذا، فعندما تتزوج المرأة وتُنجب يحدث لها النسيان، وهو وضعٌ إلهي، فعليَّ أن أتحمل.

---

٤٨٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن أبي موسى الأشعري ﷺ
٤٨٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٤٨٧ المعجم الكبير للطبراني والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

ابني وابنتي وهما لا يزالان شباباً، والشباب شعبة من الجنون، فإذا وقع أحدهما في خطأ أعالجه برفق وأنذره، والله ﷻ يعطينا إنذار أول وإنذار ثاني وإنذار ثالث، وأحياناً يكون الإنذار رقم مائة، ويعطينا فسحة، وأنا غير قادر أن أعطي لابني إنذار مرتين أو ثلاثة!!، وقد أجعل نفسي فارس عليه وأتمرن عليه بالملاكمة أو بالمصارعة، فهو طفل ضعيف مسكين، يجب أن تأخذه بالرفق واللين لكي يحبك، وأنت تعرف أنه غير كامل.

زميلي في العمل يذهب للمدير كثيراً ويوشي عليَّ يريد أن يؤذيني، فهذه طبيعة بشرية، فماذا أفعل؟ لا أعاتبه ولا آخذ موقفاً منه، لأني أعلم أن هذه طبيعة بشرية، ولكن ألجأ إلى رب البرية وأقول له: أنا معتمد عليك، ومتوكل عليك:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق).

فكلنا في حاجة إلى الصبر في كل الأمور، الصبر في أداء الطاعات، والصبر في ترك المعاصي التي تُعرض على الإنسان، والصبر في التعامل مع كل بني الإنسان.

وقد أصبح في هذا الزمان – وهذه مصيبة انقاد لها مجتمعنا – أن الناس يفضلون التعامل مع الحيوان كالكلاب والقطط عن الإنسان، موضة جاءت لنا من أوروبا قاتلهم الله، حتى وصلت إلى القرى، فالقرية التي أنا منها فيها مزارع للكلاب والقطط، ويتاجرون فيهم، والكلب كالأسد تراه تخاف منه، فلو هجم على الإنسان لا يستطيع التعامل معه، ولهم طعام مخصوص مستورد، ألم ير أحدٌ منكم كلباً يركب سيارة مرسيدس ويخرج لسانه للرائح والقادم!!، فهذه موضة قادمة من الغرب ولا شيء يأتي من الغرب يسر القلب.

فأنت يا بني أو يا سيدتي بدلاً من أن تربي كلباً أو قطة، تربي لك مسكين، وهذا المال أُكفُلي به مسكين، أو أُكفُلي به يتيم، لكن ذلك عدم توفيق من الله، يقولون لك: الكلاب فيها وفاء، وأيضاً اليتيم الذي أكفُله سيكون عنده وفاء إن شاء الله، وسينفعنا.

أوضاع غريبة وعجيبة حصلت في المجتمع نتيجة التوجه إلى الأهواء والشهوات النفسية، والبعد عن الاعتماد على الله، والتوجه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كل أمر من الأمور.

المؤمن يحسب حاله: ... إما وقتي مع الله، أو في قضاء مصلحة لنفسي ولبيتي الذين كلفني بهم الله، وليس عندي وقت ثالث غير ذلك.

مالي لا بد أن أنفقه في موضع لا أتعرض فيه للمساءلة والمحاسبة يوم لقاء الله، لأن كل شيء سيسألني عنه الله، قال ﷺ:

{ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ }[٤٨٨]

من أين أتيت بهذا المال؟ هل حلال أم حرام؟ وأنفقته في أي شـــيء؟ يقول: هذا مالي وأنا حرٌ فيه، لكن لو أنت حرٌ فيه فلِمَ يحاسبك عليه الله؟!! عن كل قرش سيسألك: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته، ولذلك ورد في الأثر:

((لا خير في السرف ولا سرف في الخير))

يعني لو أنفقته كله في الخير فلا تكن من المسرفين، والدليل ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، قال:

{ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[٤٨٩]

فلم يقل له النبي ﷺ: خذ نصـفه أو خذ ربعه، ولكن رضـي بهذا الأمر، فأصـبح شرعاً، فما أنفقته لله كله ذاهبٌ لك.

لكن إذا أنفقت جزءاً بسيطاً في المخدرات، أو في شرب مسكرات، فأنت ستُعرِّض نفسك للمساءلة والمحاسبة أو المعاتبة عند الله يوم القيامة، ولذلك أنا حريص أن لا أنفق فيما يعرضني للمساءلة والحساب عند لقاء الملك الوهاب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجمّل أحوالنا أجمعين بأحوال الصالحين وأن يخلقنا بأخلاق إمام الأنبياء والمرســلين، وأن يجعلنا في الدنيا دائماً نســعى في رضــاه، ونعمل الأعمال خالصــة لوجه الله، ولا نرجوا ولا نرفع أيدينا بالطلب والدعاء إلا إلى حضــرة الله، وأن يكفينا الله ﷻ همنا ويزيل همومنا، ويقضــي لنا جميع حوائجنا، وصــلى الله وســلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٤٨٨ سنن الترمذي والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٤٨٩ جامع الترمذي وأبي داود

(٣٤)

الرسول الكريم[٤٩٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (التكوير).

عالم النجوم	المكانس الفضائية	الليل والنهار
الرسول الكريم	الأفق المبين	تبرئة الله لتبيه
	الذكر الحكيم	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن بياناً شافياً لكل ما نطلبه ونرجوه في هذه الحياة، وكل ما نتعشم في نيله يوم لقاء الله، والصلاة والسلام على سورة القرآن في أخلاقه وأعماله وأحواله، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

في الحقيقة أكمل حديث وأجمل حديث عن النبي العدنان حديث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن حضرته في القرآن، فهو الذي سوَّاه وصوَّره وقرَّبه وحباه وأدناه، وأعلمنا بصفاته وبقربه من حضرة الله حتى نلتف حوله ونقوم بالتأسي به وحسن اتِّباعه في الدنيا، ونأمل أن نكون تحت لواء شفاعته أجمعين يوم الدين.

---

٤٩٠ المنيا – آبا البلد ١٤ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٥م

عالم النجوم

الآيات التي معنا فيها إعجازٌ غريب وعجيب لله ﷻ في تنزيله وفي كلامه، السابقون فهموا من هذه الآيات معناها اللغوي: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ﴾ (لا أقسم) معناها في اللغة أُقسم، بماذا يُقسم الله؟ بالخُنس، والخنس يعني النجوم التي تتوارى عن الأعين بالنهار، وتظهر في الليل.

وعالم النجوم عالم واسع ليس له نهاية، ولا يستطيع أحدٌ حتى من المتخصصين فيه أن يُلمَّ ببعضه، كل يوم يكتشفون مجرات، ويكتشفون نجوم وكواكب، ويكتشفون عوالم لا حصر لها ولا عد لها، وكلما كبَّروا التليسكوبات ويجهزونها بمعدات حديثة عصرية تأتي بأكثر.

ومع ذلك يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم ولنا معجزاً لهم: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧الذاريات) إياكم أن تظنوا أنكم ستصلون في النهاية إلى ما خلق الله من هذه العوالم الكوكبية والنجومية، فهي ليست واقفة عند ذلك الحد، بل إنها تتسع إلى ما لا نهاية، فكلما أسرعتم وتسابقتم بالعلوم الحديثة، ستصلون إلى حيز ضيق بالنسبة لكون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والسماء –كما ذكرنا من قبل – ليست هي الغلاف الجوي الذي نراه ولونه أزرق، فهذا غلاف جوي محيط بالأرض جعله الله لحكمة بالغة، فهو يمنع تسرب الأكسجين الذي نحتاج له في الفضاء الخارجي، وكذلك يمتص أشعة الشمس الحارقة حتى تأتي لنا لطيفة لنستطيع أن نعيش.

وهذا الغلاف هو نهاية الجاذبية الأرضية، كلما صعد الإنسان إلى أعلى فإن الأرض تشده، لكن بعد الغلاف الجوي ليس للإنسان حيز، فيكون كريشة في مهب الريح.

فالسماء شيء آخر، وهي التي اخترقها سيدنا رسول الله، والتي يحدثنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنها مملوءة بالعُمَّار من أهل الملكوت الأعلى بأصنافهم وأشكالهم وأنواعهم، نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بهم أجمعين.

فالخُنَّس يعني النجوم التي تظهر في الليل، ... وتختفي بالنهار فلا أحد يراها.

وتخنس يعني تتوارى.

المكانس الفضائية

ما صفاتها: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ كل ما في السماوات يجري بسرعة رهيبة، حتى هذه الأرض التي نحن عليها، تدور حول نفسها، وتدور حول الشمس، هل أحدٌ منا في يوم من الأيام شعر بهذا الدوران؟ لا، هل يوجد مدينة في ذات يوم من الأيام سقطت أثناء هذا الدوران؟ لا، وهل المياه التي في البحار تسربت أثناء هذا الدوران؟ أبداً، من الذي يمسكها بقبضته؟

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ (فاطر) الله يمسكهم بقدرته وجلاله وكماله وعزته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالكل يجري:

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (يس) هذه النجوم التي تجري في السماوات أين المرور الذي ينظم مرورها حتى لا يحدث تصادم بينهم؟ فلو نجم واحد اصطدم بنجم تقوم القيامة على الفور، لكن الكل يجري بسرعة رهيبة لا نستطيع حسابها بما وصلنا إليه من حاسبات، ومع ذلك هذه تمشي هنا، وهذه تمشي هنا ولا يحتاجون مرور، ولا إشارات حمراء، ولا إشارات خضراء، بل يمشون بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

ونحن نراها فيعطينا الله الجانب الطيب الذي يروق للنفوس ويشرح الصدور ويبهج القلب منها: ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الحجر) أما النواحي الأخرى لا يُريها لنا.

كل النجوم تجري، وكل الكواكب تجري، وكلها تجري حول نفسها، وتدور حول النجم المرتبطة به، كالشمس في مجموعتنا الشمسية.

لكن الغريب أنهم قالوا أنه توجد نجوم في السماوات العُلى، تعمل كالمكانس الكهربائية ولكنها بحجم كبير جداً: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ تمشي في السماء فتشفط أي شيء يقابلها، حتى تظل السماء صافية ونقية وليس فيها شيء يعكر صفو هذه النجوم وهذه الكواكب، .... وتذهب في أماكن معينة حددها الله ﷻ في السماوات كالمقابر تدفن فيها هذه الأشياء التي تعثر عليها، ... حتى يظل الفضاء الخارجي كله على أكمل ما خلق الله ﷻ على الدوام.

ما صفات هذه النجوم؟

أولاً: منها ما يظهر لنا في الليل ويختفي في النهار، ومنها الذي لا نستطيع أن نراه بالليل ولا بالنهار حتى بالتليسكوبات الفلكية البالغة القدرة في العصر الحديث.

ثانياً: هذه النجوم تجري على الدوام بلا توقف.

ثالثاً: تكنس السماء باستمرار .... حتى يظل الفضاء الخارجي .... على حسب تقدير العزيز العليم ﷻ.

الله أقسم بهذه النجوم: ... وهذا القَسَم لم تظهر بعض حقائقه إلا في العصر الذي نحن فيه، لنعرف أن القرآن كما خاطب الأولين يخاطب الآخرين، الأولين أخذوه على قدر علوم اللغة والفهم، ونحن نأخذه على حسب ما وضحه وكشفه وجلاه لنا الله ﷻ، وقال فيه في النهاية أن الأمر كما قال الله: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٨النحل) ...

فلا زال توجد أمور كثيرة لا نعرفها سيظهرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أوانها وفي زمانها.

الليل والنهار

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾:

أقسم الله بعد ذلك بالليل إذا عسعس، يعني دخل علينا بظلامه.

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾:

يعني ظهر بضيائه، وكما نرى الليل والنهار آياتان من آيات الله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾ (٣٧فصلت) .... من أول ما خلق الله الأرض ومن عليها إلى يومنا هذا هل جاء يومان وراء بعضهما كليهما ليل، أو وراء بعضهما وكليهما نهار؟ لم يحدث !!! فانظر إلى التنظيم البديع، الشمس في ميعادها الدقيق الذي اكتشفناه في علم الفلك، وعلم الفلك عرَّفه الله لسيدنا إدريس فلم نكن نعلم عنه شيء، لكن الله ألهم به أولاً سيدنا إدريس فعلم الليل والنهار وأيام الأسبوع والشهر والسنة، وهو الذي عرفنا هذه الأمور كلها، كما علَّمها له الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الشمس في ميعادها الدقيق تجدها مشرقة، مع أن لها مشارق ومغارب، وليس مشرق واحد ولا مغرب واحد، مرة يقول: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ

وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (١٧الرحمن) بحسب العامة، نصف الكرة في ليل والنصف الآخر في نهار، وبعد ذلك قال: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ (٤٠المعارج) كل بلد لها مشرق ولها مغرب، ولذلك كل بلد لها مواقيت للصلاة، كل المشارق والمغارب من الذي حددها؟ رب العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، من الذي يشرف على هذا التنظيم ويحافظ على هذا النظام بدون أن يختل طرفة عين ولا أقل؟ مدبر الكون ﷻ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ (٢الرعد).

فلماذا يقسم بكل هذه الأشياء؟

ليقول للذين كانوا يجادلون حضـــرة النبي ويكذبوا بالقرآن، فمنهم من يقول: أن رجل أعجمي علَّمه القرآن، ومنهم من يقول: قرأ كتب النصـــارى وكتب اليهود وأخذ منها وألف القرآن، وكل هذا كلام ليس له أساس من الصحة.

الرسول الكريم

لكن الله ﷻ حتى تكون له الحجة البالغة أقسم بكل مظاهر قدرة الله التي ذكرها الله في الآيات: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ القرآن العظيم كلام الله ﷻ، نزل به رسولٌ كريم، ونزل على رسول كريم، ولذلك بعض السادة المفسرين قال: إن الرسول الكريم هو جبريل، لأنه هو الذي نزل بالقرآن، ووصفه ربنا هنا بصفات:

الصفة الأولى: ﴿ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أنه كريم.

الصفة الثانية: ﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ سيدنا جبريل كان قوياً، ولذلك اقتلع مدائن لوط وكانوا سبع مدائن وحملهم على ريشة من جناحة بكل ما فيهم من بيوت ومن طيور ومن كلاب، حتى قال ﷺ:

{ ثُمَّ رَفَعَها إلى السَّماءِ الدُّنْيا فَسَمِعَ سُكّانُ سَماءِ الدُّنْيا أصْواتَ الكِلابِ والطَّيْرِ والرِّجالِ والنِّساءِ مِن تَحْتِ جَناحِ جِبْرِيلَ }[٤٩١]

وبعدها ألقى بهم في البحر الميت الآن، وهي دلالة موجودة إلى وقتنا هذا، ولماذا سُمي بالبحر الميت؟ لأنه لا يعيش فيه كائن حي أبداً، فليس فيه سمك، ولا أي كائن من الكائنات الحية من شـــدة ملوحته، وهذه آية من آيات الله، ويعتبر هو أعمق بقعة في

٤٩١ رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما

الأرض، لأنه نزل فيها هؤلاء القوم الذين حملهم سيدنا جبريل وأنزلهم فيه.

أيضاً القوم الذين كذَّبوا نبيهم، صاح فيهم صيحة واحدة فأصبحوا خامدين، كلهم ماتوا من صيحة واحدة، وهذا دليل على قوة سيدنا جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

الصفة الثالثة: ﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ يعني له مكانة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك اختاره الله أميناً للوحي، واختصه بالنزول على الأنبياء، وهذا كان تشريفاً له، ولذلك ورد في بعض الأثر أن آخر مرة نزل على سيدنا رسول الله ﷺ أخذ يبكي، فيقول له: لم تبكي يا أخي يا جبريل؟ قال: هذا آخر عهد لي بالنزول إلى الأرض، لأنه ينزل بالوحي من الله على أنبياء الله.

الصفة الرابعة: ﴿ مُّطَاعٍ ﴾ ومع أنه له مكانةٌ عند الله، إلا أن الله أمر كل عوالم الملكوت الأعلى وعوالم الملك أن تطيعه ولذلك مطاع، عندما يأمر أي كائن بأي أمر يُنفذ فوراً.

والصفة الخامسة: ﴿ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أمين على ما كُلِّف به، ولا بد أن يؤدي الرسالة كما ينبغي نحو ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بعض أهل الصفاء وأهل النقاء قالوا: هذا الوصف لسيد الرسل والأنبياء، وهذا حق، فالإثنين حق، هي أيضاً نفس الصفات التي كانت فيه صلوات ربي وتسليماته عليه، لأنه كان في كل أوصافه لا يدانيه أحدٌ من كائنات الله العلوية والسفلية في أي وصف من الأوصاف، جمَّله الله ﷻ بأجمل الصفات الظاهرة، وأكمل الصفات الباطنة، واختصه ﷺ بكل أنواع الكمالات التي لا تخطر على البال، أو لا تخطر حتى على الخيال، لأنه الإنسان الأكمل للواحد المتعال ﷻ.

فهو ﷺ كانت فيه كل هذه الصفات:

الصفة الأولى:

﴿ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ فهو كريم، ولا يوجد أكرم من رسول الله أبداً، ولا يوجد أحد يجود بما ليس عنده إلا سيدنا رسول الله، يذهب إليه السائل فيسأل أهل بيته أعندكم شيء؟ فيقولون: لا، فيقول للسائل:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ }[٤٩٢]

من الذي يفعل هذا؟!! يجود بكل ما في يده حتى قال فيه الحكماء:

تعوَّد بسط الكف حتى لو أنه طواها لقبض لم تطعه أنامله

لو أراد أن يطويها فأصابعه لن تطاوعه لأنها تعودت على المد بالعطاء على الدوام، فلا يوجد أكرم من رسول الله ﷺ في الأولين ولا في الآخرين، ولا في الدنيا ولا في يوم الدين، فهو على وصف اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الكريم.

الصفة الثانية:

﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ لأن الله أعطاه قوة لا تتحملها الجبال، كان عندما ينزل عليه الوحي، إذا كان راكباً على ناقته لا تستطيع السير وتبرك مكانها، حتى ينتهي نزول الوحي ثم تقوم، ولذلك قال له الله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٥المزمل) من الذي يستطيع تحمله؟ لا أحد غير رسول الله ﷺ.

الصفة الثالثة:

﴿ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ ﴾ كان ﷺ أيضاً هو صاحب المكانة العُظمى عند رب العالمين، قال ﷺ:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ }[٤٩٣]

وأُمر أن يقول لنا: { أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ }[٤٩٤]

---

٤٩٢ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي والشمائل المحمدية للترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ
٤٩٣ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٤٩٤ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

أنا مُكلف بأن أبلغكم بهذه السيادة، لكن الفخر بالعبودية، لأن الله جعله العبد الأوحد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي يقول في شأنه: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (١٩الجن) عبدٌ واحدٌ ليس له مثيل في السابقين ولا في اللاحقين.

من صاحب الشفاعة العُظمى يوم الدين؟

هو رسول الله ﷺ، فالناس كما ذكر سيذهبوا للأنبياء حتى تظهر مكانته، لأنهم لو ذهبوا له أولاً وقام هو بالشفاعة لقالوا: لو ذهبنا لأحدهم كان من الممكن أن يقوم بالمهمة، لكن يذهبون لزعماء الأنبياء، فيقول كل واحد منهم: لست لها، اذهبوا لفلان، فيذهبون لفلان فيقول: لست لها، اذهبوا لفلان، إلى أن يذهبوا لسيدنا عيسى فيقول: لست لها، اذهبوا إلى محمد، فيذهبون له فيقول: { أَنَا لَهَا }[٤٩٥] ....

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء) المقام الذي يحمده الناس كلهم ويشكروه عليه، لأنه سيخلصهم من ورطات وأهوال يوم القيامة إن شاء الله رب العالمين.

الصفة الرابعة:

﴿ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لأن الله مكَّنه حتى من الأرض ومن عليها، كان نائماً على فخذ ابن عمه سيدنا علي، فاستيقظ فسأله هل صليت العصر؟ قال له: لا والشمس قربت على المغيب فقال:

{ اللَّهُمَّ إِنَّ عَلِيًّا كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ وَرَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ }[٤٩٦]

ويشير للقمر بإصبعه فينشق نصفين، وسراقة يلحقه في الهجرة، فيأمر الأرض أن تأخذه، فماذا تصنع الأرض؟ تمسكه هو وفرسه، فيقول له: تبت ورجعت، فيأمر الأرض أن تدعه فتتركه، ويتكرر الأمر مرة أخرى، ما هذا؟ الأرض تأتمر بأمره، والشمس والقمر يأتمران بأمره، وكل من في الأكوان رهن إشارته، ولا يحتاج حتى إلى عبارته، لأن الله ﷻ سخَّر له كل ما في السماوات وما في الأرض، لأنه لا يريد شيئاً لنفسه، وإنما يريد نشر دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بين خلق الله.

---

٤٩٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٤٩٦ المعجم الكبير للطبراني عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها

الصفة الخامسة:

﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ كل شيء في الكون يطيعه إلا الكافرين والمشركين والجاحدين، كما ورد بالأثر: (كل من في السماوات والأرض آمن بي إلا مردة الجن وكفرة الإنس) هؤلاء الذين خرجوا عن هذه الطاعة، لكن الكل في طاعة رسول الله ﷺ.

ثم ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تبرئة نبيه بعد أن أثبت أن القرآن كلام الله، من الأوصاف التي كانوا يصفون بها رسول الله، فمنهم من يقول أنه ساحر، ومنهم من يقول أنه مجنون، فقال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ هو ﷺ أعقل العقلاء.

الأفق المبين

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾:

الأفق هو المكان الفسيح، والمبين يعني البيِّن الواضح.

سيدنا جبريل كان عندما يأتي إلى رسول الله كان يتشكَّل، فمرة يأتي في صورة رجل من الصحابة اسمه دحية الكلبي، وكلهم يرونه، فعندما جاءه وقال له: ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟ وكلهم جالسين، وبعد أن مشى، قال النبي ﷺ لعمر:

{ يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }[٤٩٧]

وكان يأتي أحياناً في صورة نورانية، أو في صورة روحية على حسب ما تتحمله قوى الحضرة المحمدية، هناك رواية وردت في بعض الأثر تقول أنه قال لسيدنا جبريل: أنا أريد أن أراك بصورتك الحقيقية، فقال له: فقال له: أين؟ قال: في منى، قال: لا تتحمل، قال: عند البيت الحرام، قال: لا يتحمل، قال: عند عرفات قال: ربما يتحمل، فظهر له ﷺ بصورته الحقيقية التي أوجده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليها، وسيدنا جبريل كان له سبعون ألف جناح، حمل مدائن لوط على ريشة من جناح، وكان لو ظهر جناحه لحجب ضوء الشمس، حتى نعرف عِظَم الخلقة التي خلقه الله عليها.

وكان مع ذلك يأتي من العرش إلى الأرض في أقل من لمح البصر، أين هذه

٤٩٧ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

السرعة؟ هل هذه السرعة لها نظير في عالم اليوم؟ لا، فهي أسرع من سرعة الضوء وسرعة الصوت وغيرهم، وهذا رأي السادة العلماء المفسرين في هذه الآية وهذه الرواية.

أما الأصفياء الأنقياء فقالوا: هو رأى ربه ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ والأفق المبين هو العالم الذي لا نستطيع بيانه ولا إيضاحه، ولكن الله بيَّنه له ووضحه له بعد أن أتم استعداده ليتحمل ذلك، سألوا الإمام مالك ﷺ وأرضاه في رحلة المعراج، فقالوا: هل رأى محمدٌ ربه؟ قال: نعم، قالوا: كيف؟ قال: **(فنى محمد رسول الله ﷺ عن حسه وجسمه ونفسه، وبقي بما فيه من ربه، فرأى بما فيه من ربه جمال ربه في غيبة محمد رسول الله)**

ما الذي فينا من ربنا؟

الروح، فما الذي رأى؟ ما فينا منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو الذي فيه القدرة على مواجهة الله ورؤية أنوار الله وعظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال لنا الإمام أبو العزائم ﷺ: **(أحبب ما فيك منه لأنه هو المحبوب له لا أنت)**، تريد أن تكون سعيداً، انظر إلى البضاعة التي وضعها عندك، وابحث عنها فتأخذ سعادة الدنيا والآخرة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ... ولذلك قال الله بعدها على الفور: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ضنين يعني بخيل، فلم يقُل وما هو على خيرات الدنيا بضنين، ولكن على الغيب نفسه، يعني ليس بخيلاً بالغيوب الإلهية والعلوم الوهبية والأسرار الربانية والأنوار القدسية، ولكن يعطيها لمن يستحقها، قال ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[٤٩٨]

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (﴿٣٩﴾ص) أنت حر وافعل ما تريده، ولماذا قال له ذلك: لأنه لا يفعل إلا مراد الله، وليس له مراد في نفسه ولا هوى في نفسه، وما ينطق وما يفعل وما يتحرك وما يسكن عن الهوى، إذا كانت الملائكة تقول: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ ﴾ (﴿٦٤﴾مريم) فماذا يكون رسول الله ﷺ؟!! لا يفعل ولا يصنع ولا يقول إلا عن إذن صريح من المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، لأنه ليس له هوى بالكلية – وهناك قراءة سبعية، وهي قراءة موثوقة: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) وظنين يعني متهم، يعني لا يتهموه بأنه يقول شيء ليس حقيقة، وإنما يقول الحق.

---

٤٩٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يكتب أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، فجاء جماعة من قريش وقالوا له: أنت تكتب الأحاديث، ورسول الله بشر، وأحياناً يغضب، وإذا غضب ربما يقول شيء وهو غاضب، فذهب وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلا حَقًّا }[٤٩٩]

الغضب لا يجعله يخرج عن الحق، ولذلك قال الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

أي كلمة من كلام رسول الله وحيٌ، يعني السُنَّة النبوية والأحاديث النبوية وحي، ولكن ما الفرق بينها وبين القرآن؟ أن القرآن وحيٌ بألفاظه وكلماته وحروفه، لكن السُنَّة النبوية وحيٌ إلى رسول الله، وهو ﷺ يترجم عن هذا الوحي بألفاظه وعباراته لكنه كله إلهامٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

تبرئة الله لنبيه

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ ﴾ كما قلت: قالوا في رسول الله كلام كثير، منهم من يقول: علَّمه القرآن رجل في مكة كان نصراني، ومنهم من يقول: هو من الكهان، والكهان كان يأتيهم مس من الجن فينطقون بكلمات مسجوعات، والعرب كانوا يذهبون ليسمعوا هذه الكلمات، والذي يتكلم الشيطان الذي معه، فقال لهم: هذا ليس قول شيطان، ولكنه كلام الرحمن ﷻ.

بعد أن استعرض كل الحجج، قال الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ ﴾ ماذا تقولون بعد ذلك؟! الإمام الجُنيد يقول: كأن الله يقول لهم: فأين تذهبون إلى غيرنا؟ لا يوجد غير الله، قال ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنْ بِقَدْرِ اللَّهِ، فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ }[٥٠٠]

وكالأثر الوارد عن الله:

(من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليخرج من تحت سمائي، وليختر رباً سواي).

---

٤٩٩ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٥٠٠ معجم الطبراني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾:

القرآن تذكرة وتبصرة وعبرة لكل العالمين من زمن النبي إلى يوم الدين.

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾:

من الذي ينتفع به؟

أهل الاستقامة، وسبحان الله! تروي الروايات أن أبا جهل عندما سمع هذه الآية قال: إذاً الاستقامة طوع أمرنا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وهل يوجد أحدٌ له مشيئة مع مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟! لا، ما مشيئتك؟ ما يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومشيئتك يعني إرادتك فيما يريده الله تعالى لك، ولذلك سألوا بعض الصالحين عن قول الله عن الأولياء:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (٣٤الزمر)

فقال لهم: وهل لهم مشيئة غير مشيئة الله.

فمن وصل إلى هذا المقام فهل يكون له مشيئة؟ لا، وهل يريد أن تكون له عمارة، أو عنده فدادين، أو عنده رصيد في البنك أو أي شيء من هذا القبيل؟ لا، فلا شأن له بهذا الكلام، هو لا يريد إلا ما يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منه.

كسيدنا أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه عندما قرَّبه مولاه، وأوقفه بين يديه وناجاه، وقال له: ماذا تريد؟ قال: أريد أن لا أريد.

أنا لا أريد أن يكون لي إرادة معك، إرادتك أنت الحاكمة والمتصرفة فيَّ، وهذا حال الأولياء، سلَّموا الأمور كلها لله، وفوضوا كل أحوالهم لحضرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يجعل القرآن العظيم نور قلوبنا، وربيع صدورنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا، وأنيساً لنا في قبورنا، وشفيعاً لنا عند حشرنا.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٣٥)

النبي يرضيه ربه[٥٠١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾

(الضحى)

النهار والليل	حب الله لنبيه	بشريات الله لنبيه
حرصه على أمَّته	عطاء الرضا	نِعم الله على نبيه
حب النبي لربه	غناه بالله	شكر الله على نعمه
الوصية باليتيم	حسن معاملة السائل	التحدث بنعم الله الحسية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي اختص نبيه الكريم بغاية التكريم، وجعل هذا التكريم في خير كتاب أنزله وهو القرآن الكريم، فحدَّثنا فيه كثيراً، وأخبرنا فيه طويلاً عن صفات هذا النبي، وأخلاق هذا النبي، والكمالات الإلهية التي منحها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذا النبي، لنعلم قدره ومقداره عند الله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والكوثر المشهود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

لا حديث يعلو في شأن النبي عن حديث القرآن، تقرأ ما كتبه كُتَّاب السِير، وما رواه أصحاب الأحاديث، ولكن: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢النساء) ... ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧النساء).

ولذلك الإمام عمر بن الفارض رحمة الله عليه له ما لا يُعد من القصائد في مناجاة

٥٠١ المنيا – ميانة ١٥ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٦م

الذات الإلهية، وليس له قصيدة واحدة في مدح سيد البرية، وبعد وفاته رآه أحد إخوانه في المنام، فقال له: لِمَ لم تمدح رسول الله ﷺ؟ فأجابه شعراً في المنام وقال:

أرى كل مدحٍ في النبي مقصـــــراً وإن بـالـغ الـمـثني عـلـيـه وأكـثرا
إذا كان الله أثنى بما هو أهله عليه فمـا مقـدار مـا يمـدح الـوري؟

والآيات التي معنا لو أكرمنا الله ﷻ وتحدثنا بما فيها في شـأن نبينا تحتاج إلى وقت طويل، ولكن نحاول أن نقتطف منها ما يحيي به الله قلوبنا، وما نأخذ به العبرة في حياتنا، ويجعلنا نستمسك بشدة بنبينا، لأن الله حباه، وعلى عينه ، وقربه وأدناه، ووعده كما سنرى بأنه سيعطيه حتى يرضى.

الرسـول ﷺ كان ينزل عليه الوحي وهو في مكة المكرمة، وسبحان الله الكافرين والمشركين رغم عدم إيمانهم به وبدينه وبكتابه، إلا أنهم كانوا يترقبون التنزيل والوحي الذي ينزل على قلبه، ويريدون أن يسمعوا كل شيء نزل على رسول الله.

حتى أن زعماء الكفر كأبو سفيان وأبو جهل وأُمية بن خلف، كانوا يذهبون بالليل عند بيت النبي يتصنتون ليستمعوا القرآن، وذات ليلة رأوا بعضهم، فسألوا بعضهم عن سبب مجيئهم، ثم قالوا: أنتم زعماء مكة، وأنتم الذين تحاربوه، لن نعود إلى هنا، واتفقوا، وفي اليوم الثاني أخلفوا الوعد وذهبوا إلى هناك، وكذلك في اليوم الثالث، ثم قالوا: من يأت هنا مرة ثانية سنفضحه بين أهل مكة.

وكونهم يذهبوا ويتصنتوا ليستمعوا القرآن الكريم من النبي ﷺ لأن القرآن الكريم يخاطب كل القلوب حتى قلوب المعرضين وحتى قلوب الكافرين، ولكن لأن الله لا يريد لهم الهداية فصدهم عن هذا الدين:

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ (١٧الكهف).

فسـيدنا رسـول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي في مكة، ولأنهم متتبعين له عرفوا أن الوحي أبطأ على النبي، وهم كانوا أشداء في السخرية من رسـول الله، فجاءت حمالة الحطب زوجة عمه أبو لهب، وهي أخت أبي سـفيان بن حرب، فقالت له: أنا لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك.

وهم نشروا هذه المقولة في مكة وقالوا أن إلهه يبدوا أنه غضبان عليه فلم يعد ينزل

الوحي عليه، فأنزل الله هذه السورة، وكان هذا سبب النزول، ولذلك عندما أُنزلت كبَّر النبي ﷺ تكبيراً بصوت جهوري سمعه كل أهل مكة: الله أكبر، الله أكبر.

ولذلك أسيادنا العلماء في القراءات قالوا: يجب على المسلم والمؤمن عندما يصل في قراءته إلى سورة الضحى أن يفصل بين كل سورة وسورة بالتكبير لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيقول الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم، أو الله أكبر ولله الحمد بسم الله الرحمن الرحيم، أو لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله الله أكبر ولله الحمد.

وهذا الكلام رأيناه مع مشايخنا العظام كالشيخ عبد الباسط والشيخ مصطفى إسماعيل، لكن كثير من القراء العصريين لا يعرفون هذه الأحكام، فهذه سُنَّة عن رسول الله ﷺ.

النهار والليل

والله ﷻ وهو أصدق القائلين لم يكتف بالبلاغ بل أقسم، وأقسم بأشياء واضحة لكل عين: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾ الضحى نعرف أنه الوقت الذي تعلو فيه الشمس بعد الشروق، والذي نصلي فيه صلاة الضُحى بعد شروق الشمس بساعة إلى قبل صلاة الظهر بساعة، فهذا وقت الضُحى فتكون الشمس في أسطع أنوارها وفي أوج نشاطها.

هل يُنكر أحد ضوء الشمس في هذا الوقت؟ لا، إلا إذا كان كفيف البصر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... ويُنكر الفم طعم الماء من سِقم

فالمريض الذي عنده حمَّى ... نأتي له بالماء فيقول إنه مر، ... هل المرارة في الماء أم عنده هو؟ عنده هو، كذلك كل ذي عينين يرى الشمس في رائعة النهار، وهي آيةٌ من آيات الله ﷻ في الأكوان.

وعكسها: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾:

يعني الليل عندما يغطي بظلامه، وهاتان آياتان لا يجد الإنسان إلى يومنا هذا تعليلاً لهما، كما قال سيدنا علي ﷺ: (أين الليل إذا جاء النهار؟ وأين النهار إذا جاء الليل؟) أين يذهبان؟ أمور غريبة وعجيبة، فهذه آيات تُعجز كل العلماء والحكماء حتى في عصرنا هذا، أين الليل إذا جاء النهار؟ وأين النهار إذا جاء الليل؟ حتى نعرف مدى قدرة من يقول للشيء كن فيكون.

فأقسم الله ﷻ بالنهار وخاصة ساعة الضحى، وأقسم الله ﷻ بالليل ...

على ماذا أقسم؟

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ قَلَى يعني أبغضك، والمعنى أن الله لم يودِّعك ولم يبغضك، فهو كما قال الله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٤٨الطور) أنت في أعيننا على الدوام.

فما هذا الذي حدث؟ حِكمٌ حارت البرية فيها، والله ﷻ يجريها ليمتحن المؤمنين، ويصد المشركين عن إمام النبيين والمرسلين ﷺ.

المؤمنين يكاشـــفهم الله على قدرهم بهذه الحِكم الإلهية، والكافرين يجب أن يعرفوا أنه لو كان هذا القرآن الكريم من عند محمد كما يدَّعون لما توقف، إذا كان هو الذي يعمله ويؤلفه كما يقولون، فلِمَ توقف؟! لكنه توقف لأنه ليس من عنده ويأتيه من عند العزيز العليم ﷻ.

فعندما يأذن الله ﷻ بالقرآن ينزل أمين الوحي جبريل على حضرة النبي العدنان بأمر من الرحمن، ومن الذي يُعلِّم القرآن في الحقيقة؟

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ ﴾ (الرحمن) لكنهم لا يدركوا ذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ ﴾ (الكهف) فمنهم من يقول أنه هو الذي يؤلفه، ومنهم من يقول أنه أخذه من فلان النصراني الذي يحكي القصص والروايات وهو الذي يؤلف له هذه الكلمات، كل هذا لأن الله تركهم في غيهم يعمهون.

لكن المؤمنين الموقنين يزيد إيقانهم ويعلموا علم اليقين أن هذا كلام رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه لا ينزل إلا بأمر الله، ولا يســـتطيع أن يغير فيه حرفاً، ولا يبدل فيه كلمة، ولا يضع آية مكان آية.

حتى نزول الآيات وترتيبها في أماكنها في القرآن الكريم وقفٌ على العزيز الحكيم ﷻ، فعندما ينزل الأمين جبريل بآيات، يقول له: هذه الآيات في موضـــع كذا من ســـورة كذا، فكله توقيف من الله ﷻ.

بشريات الله لنبيه

وبعد ذلك بشَّر حضرة النبي ببشريات تفرحنا كلنا:

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ هذه تحتمل معان كثيرة وكلها داخلة في البشرى، فإذا قلت الآخرة هي الدار الآخرة، والأولى هي الدنيا، فبدون شك كلنا نعلم علم اليقين أن ما أعطاه الله له من المكانة والشرف في الدار الآخرة أعظم مما أعطاه له في الدنيا.

أعطاه في الآخرة المقام المحمود، وأعطاه في الآخرة شفاعات متعددة، منها الشفاعة العُظمى لكل أهل الموقف عندما تشتد الحرارة والأهوال في أهل الموقف يبحثون عمن ينقذهم من هذا الموقف، حتى قيل يتمنى أهل الموقف أن يُنقذوا ولو إلى النار من شدة ما يجدونه في الموقف العظيم.

فيذهبون لأنبياء الله ورسل الله، يذهبون لسيدنا آدم يقول: لست لها، ويذهبون لسيدنا نوح يقول: لست لها، وسيدنا إبراهيم يقول: لست لها، وسيدنا موسى يقول: لست لها، وسيدنا عيسى يقول: لست لها، أخيراً يذهبون لسيدنا محمد فيقول:

{ أَنَا لَهَا }[٥٠٢]

فلِمَ لم يذهبوا له من البداية؟ لأنهم لو ذهبوا إليه من البداية لقيل أن أي واحد من النبيين يمكنه أن يقوم بهذه المهة، لكن ذهبوا لهذا وذهبوا لهذا، ليعلموا أن هذه المهمة خاصة بإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

سيكون شهيداً على أهل الموقف أجمعين حتى الأنبياء والرسل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١النساء).

وأعطاه الله في الآخرة الكوثر: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١الكوثر) والكوثر يقول فيه ﷺ:

{ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْه فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }[٥٠٣]

---

٥٠٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٥٠٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ولذلك نحن كلنا في عشم أننا أول ما نذهب إلى هناك نشرب شربة من يد سيد الأولين والآخرين ﷺ، حتى لا نذوق طعم العطش في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم طويل والعرق شديد، كما قال ﷺ واصفاً:

{ تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ }[٥٠٤]

وسيعطش الناس، ولا يوجد هناك حنفيات ولا كولديرات إلا حوض الكوثر، ولذلك هناك لكل واحد منا كوب مكتوب عليه اسمه، ولذلك قال:

{ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ }[٥٠٥]

إذاً الذي أعطاه الله للنبي ﷺ في الآخرة، بلا شك خيرٌ مما أعطاه الله له في الدنيا.

وهناك معنى آخر لقوله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ في الدعوة إلى الله، يعني أنت في البداية ستكون الدعوة فيها مشقة وتعب وعناء، لكن كل هذا سيذهب ويتحول وتتغير وتعيش في هناء ونصر ورخاء، وهذا ما حدث مع سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

وقد نقول أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يترقى في حضرات القرب من مولاه في كل نَفَس من أنفاسه، يرتقي في رتب لا يعلمها إلا الله، وكلما ارتقى إلى رتبة عُليا يجد أنها خير من الرتبة الأولى التي كان فيها، ولذلك عندما قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[٥٠٦]

فالإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: توقفت أمام هذا الحديث وقلت: ما هذا الغين الذي في قلب رسول الله؟! والغين يعني الغير، ونحن نعرف أنه في كل أنفاسه ليس في قلبه غير مولاه، حتى لما كان يؤذن بلال للصلاة فلا يقول كما يقول كثير من الناس الآن: أرحنا منها، ولكنه كان يقول له:

---

٥٠٤ صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود ﷺ
٥٠٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٥٠٦ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني ﷺ

{ أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ }[٥٠٧]

يعني أنا محتاج للصلاة، وأريد أن أدخل في الصلاة لأناجي الله، وأتمتع بما يأتي إليَّ من عطايا وهبات من حضرة الله جل في علاه.

فيقول الإمام أبو الحسن: احترت في هذا الحديث فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي: غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك.

يعني كلما ارتقيت في مقام أعلم أن المقام الذي قبله ليس مساوياً له، إنما يرقيه الله إلى الأعلى والأرقى والخير.

حرصه على أمته

سيدنا رسول الله ﷺ كان كما وصفه ربه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ (١٢٨التوبة) حريص على المؤمنين، ولذلك لم يتفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعطاء عليه إلا وطلب منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعطي مثله أو يشرك معه المؤمنين في هذا العطاء.

مثلاً عندما رأى دواوين الأعمال للأمم السابقة وجد فيها أن رجلاً منهم عاش وكان له ألف غزوة يجاهد فيهم في سبيل الله، وكانوا يعيشون أعماراً طويلة، فقال:

{ يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: (ليلة القدر خير من ألف شهر) التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، لك ولأمتك إلى يوم القيامة }[٥٠٨]

وهذه ليلة واحد فقط أحسن في الأجر والثواب والعطايا من ألف شهر، وكلنا نأخذها، لأنه قال:

{ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ }[٥٠٩]

فنحن يا رسول الله بعضنا يكون مريضاً وبعضنا يكون متعباً، ولن نستطيع أن نحيي الليل كله، قال:

---

٥٠٧ معجم الطبراني ومسند أحمد
٥٠٨ تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما
٥٠٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }[٥١٠]

فلو صليت العشاء في جماعة والصبح في جماعة في العشر الأواخر من رمضان فستأخذ شيكاً من عند ملك الملوك بأنك عبدت الله ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر عبادة خالصة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا فضل من الله وإكرام من الله تحقيقاً لما طلبه رسول الله ﷺ لهذه الأمة الميمونة المباركة.

فسيدنا رسول الله ﷺ كان على لسانه دائماً غير الأنبياء السابقين، فسيدنا إبراهيم مثلاً عندما دعا دعا لنفسه وقال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧الشعراء) الخزي يعني الفضيحة، يعني لا تفضحني يوم البعث، ولم يُدخل معه أولاده ولا أتباعه في أمته، ولكننا من أجل حضرة النبي يقول الله لنا بدون طلب: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ (٨التحريم) فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، من الذي يتعرض للخزي؟ لا أحد إلا الذين قال فيهم ﷺ:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }[٥١١]

من يجاهر بالمعصية، ويجلس مع الناس ويقول: أنا عملت كذا وكذا من المعاصي، فالله ستره وهو يفضح نفسه.

أيضاً مع أننا آخر الأمم، إلا أن حسابنا سيكون أولاً، قال ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٥١٢]

جئنا في الآخر، وسنُحاسَب في الأول، قال الله لحبيبه ﷺ:

{ يَا حَبِيبِي يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ، قَالَ: هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: يَا حَبِيبِي، فَهَلْ غَمَّ أُمَّتَكَ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا، قَالَ: أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الأُمَمِ }[٥١٣]

---

٥١٠ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان ﷺ
٥١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٥١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٥١٣ تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ

لا أحد يرى ما عملناه، لكننا عرفنا ماذا فعل قوم لوط؟، وماذا فعل قوم صالح؟، ماذا فعل قوم ثمود؟ وكل هذا عرفناه لأن القرآن ذكره لنا، لكن لن يأتي أحد بعدنا فيعرف الذي عملناه.

ويبدأ الحساب، والحساب نوعين، حسابٌ بالفضل، وحسابٌ بالعدل، حسابنا نحن سيكون بالفضل، وجميع الأمم حسابهم بالعدل، وماذا يعني بالفضل؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }[٥١٤]

يحدثه الله فيما بينه وبينه ويجعله يشاهد فيلمه:

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (النبأ) :

لن يقرأ ولكن ينظر يعني سيشاهد الفيلم مرة ثانية، الأفلام الدنيوية تصور الظاهر، والأفلام الإلهية تصور الظاهر ومعه الباطن، فتكون النية واضحة جلية، ولكن يسترنا الله، وهذه أكبر نعمة من النعم الإلهية أن ربنا لن يعرضنا للخزي ولا للفضيحة يوم الدين أمام الخلائق أجمعين، وهذا إكرام لسيد الأولين والآخرين ....

وهناك أمورٌ لا نستطيع عدها ولا حصرها أعطاها الله لنبينا لأمته فكان ﷺ في ذهابه وقدومه وهو داخل المسجد وهو خارج منه يقول: أمتي أمتي ولا يقول نفسي، ويبكي، فقال الله ﷻ:

{ يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ }[٥١٥]

بشره الله أنه لن يسيئه في هذه الأمة، وسيفرحه بهم وبفضل الله عليهم ببركته ﷺ.

---

٥١٤ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٥١٥ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وأنزل الله قانوناً رسمياً صدر من الحضرة الإلهية: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ وسوف للمستقبل، ويعطيك فعل مضارع، يعني سيعطيك ويعطيك حتى ترضى.

سيدنا الإمام جعفر الصادق ﷺ كان بحراً من بحور العلوم النبوية لأنه من آل البيت قال: (ولا يرضى ﷺ وواحدٌ من أمته في النار),

ولذلك – كما قلنا – النبي له شفاعات متعددة، منها الشفاعة العُظمى وهي في بدء الحساب وهي للخلائق أجمعين، وشفاعة أخرى لنا نحن عند الميزان، وشفاعة ثالثة لنا نحن عند الصراط، وشفاعة رابعة لنا نحن في دخول الجنة، وشفاعة خامسة في رفع الدرجات في الجنة، وشفاعة كبيرة جداً قال فيها ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٥١٦]

الذين أخذوا أحكام من المسلمين ونزلوا إلى جهنم لتنفيذ هذه الأحكام، فكل واحد أخذ حكم يذهب للسجن المحدد له، فهناك سجن سقر وسجن الحطمة وسجن القارعة وسجن سجين، فما الذي يُدخل الإنسان في هذه السجون؟ كل سجن له أعمال، مثلاً الذاهبين لسقر: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ ﴾ (المدثر) فهذه الأفواج الداخلة على سقر.

وكل سجن له عذابٌ مخصوص، فحضرة النبي ﷺ وهو المحامي العام لنا ولجميع الأنام يطلب تخفيض الأحكام للذين في جهنم من أمته، فيقول:

{ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ

---

٥١٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }[٥١٧]

فيذهب ويُخرجهم حُمم من جهنم ويلقي بهم في نهر الحياة على أبواب الجنة فتعود لهم الحياة مرة ثانية، فيدخلون الجنة بشفاعة رسول الله ﷺ، وفي رواية أخرى:

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }[٥١٨]

وهنا الكفار والمشركين يُسقَط في أيديهم، يقولون: لماذا لم نقلها ولو مرة واحدة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (٢الحجر) لأن المسلمون بعد أن يخرجهم رسول الله الباقين يظلون خالدين فيها أبداً.

فهذه شفاعة رسول الله ﷺ حتى للعصاة والمذنبين من أمة محمد أجمعين، فلذلك ربنا قال له: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾

أصحاب رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآيات أقاموا حفلاً كبيراً في المسجد النبوي، والشاعر المشهور سيدنا حسان بن ثابت قال:

سمعنا في الضُحى ولسوف يُعطي ... فسَّر قلوبنا ذاك العطاء
وكيف يا رسول الله ترضى ... وفينا من يُعذبُ أو يُساء

فرحوا لهذا الفضل والخير الذي بشَّر به الله سيدنا محمد، وهذا خير لنا نحن فهو لا يريد شيئاً، لكن قال لهم ولنا جماعة المؤمنين: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾ يعطيك حتى ترضى.

---

٥١٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٥١٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

نعم الله على نبيه

ثم أخذ الله ﷻ يُعد على حضرته بعض نعمه العُظمى، فقال له: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ ﴾ أنت كنت حزين أن الوحي انقطع عنك قليلاً، فهذه لحكمة، ألم تكن يتيماً فآويناك؟ فقد ورد في بعض الأثر أن الملائكة قالوا: يا ربنا أصبح نبيك يتيماً، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا كفيلٌ له.

فتولى جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب كفالته، فالمعنى العام أنه كان يتيم الأبوين، لأننا نعلم أن أبوه مات وهو جنين في بطن أمه، وأمه ماتت وكان عنده ست سنوات.

سألوا الإمام جعفر الصادق: لماذا جعل الله النبي يتيماً؟ فقال: حتى لايكون لأحد عليه منَّة إلا الله تعالى، ولذلك معنى (فآوى) يعني أواه إلى حضرته، وأصبح هو الذي يتولاه، وهو الذي يواليه، وهو الذي يربيه، وهو الذي يرعاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وبعض الصالحين قال: العرب يقولون: (دُرَّة يتيمة) يعني ليس لها شبيه ولا مثيل، وهو ﷺ كذلك، يعني ليس لك شبيهٌ ولا مثيلٌ في النبيين والمرسلين، فآواك الله إلى حضرته.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ لأن رسول الله ﷺ منذ طفولته لم يقتنع بما كان عليه أهل مكة، ولذلك لم يسجد قط لصنم، يعني عندما أرادوا تجديد بناء الكعبة، وكان هو وسيدنا العباس عمه يحملان الحجارة مع قريش ليبنوا بها الكعبة، فقال له عمه كما ورد:

{ اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنْ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ }[٥١٩]

يعني هو لكي يحمل الحجر أخذ بطرف جلبابه ووضعه على كتفه حتى يضع عليه الحجر، ففوجئ بمَلَك جرَّ ثوبه حتى وقع على ركبتيه، حتى لا يكشف ساقيه.

وكانوا في أعيادهم يخرجون إلى الأوثان، فعمَّاته قلن له: لم لا تخرج معنا في العيد؟ فذهب معهن وكلما قرب عند الصنم، يجد مَلَكاً واقفاً ويقول له: إياك أن تسجد إياك أن تخضع، فقلن له: لِمَ لا تسجد؟ فلم يرد، فتركوه.

---

٥١٩ صحيح البخاري ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ

حب النبي لربه

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾:

فكان ضالاً يعني متحيراً في أمر قومه، إلى أن أنقذه الله من هذه الحيرة وأخذه إلى غار حراء وأنزل عليه الوحي، وجعله ينفرد وحده لعبادة رب الأرض والسماء، بدون أن يتعرف على دين أو يقتدي بنبي، ولكنها عناية من الله ﷻ له.

وعندما ننظر إلى القرآن نجد أن القرآن يفسر بعضه بعضاً:

فكلمة ضال في القرآن لها معان كثيرة ...

ومن المعاني الجميلة التي يجب أن ننسبها لسيدنا رسول الله، عندما قال إخوة يوسف لأبيهم:

﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٩٥يوسف) وضلالك يعني حبك القديم ليوسف، فضالاً يعني محباً، وهذا المعنى الأعلى والأرقى والأغلى، فهو محباً لله، فهداك إلى المنهج القويم والدين القويم، والصراط المستقيم، فضلاً من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

غناه بالله

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾:

المعنى الظاهر معروف، فالله قيَّض الله له السيدة خديجة تطلب زواجه منها ليغنيه الله بأموالها عن أي طلب أو سؤال للناس، وهذا معنى.

ولكن هناك معنى آخر:

يعني هذه عائلتك وهي الأمَّة وهي عائلة كبيرة جداً ...

فأغناك الله لتكفي هذه الأمَّة من جميع الجهات !!!

فتملأ قلوبهم بالأنوار، وتعمر أفئدتهم بالأسرار، وتعطيهم من العطاءات الإلهية التي يقول له فيها رب البرية:

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص).

شكر الله على نعمه

وبعد ذلك ..

مقابل كل نعمة من هذه النعم !

طلب الله ﷻ منا ومنه ﷺ أن نشكره على هذه النعمة.

الوصية باليتيم

أنت يتيم فما الشكر على اليتيم؟

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾:

أوصى باليتيم ..

ولذلك نجد توصيات حضرة النبي باليتيم كثيرة ومتعددة، يكفي قوله ﷺ:

{ أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ،
وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى }[٥٢٠]

فكلنا سنكون مع بعضنا، وهذا تشجيعاً للكفالة.

وكفالة اليتيم يظن بعض الناس أن ينظر ماذا يحتاج اليتيم كل شهر ويسدده، لكن اليتيم لا يحتاج إلى هذه فقط، ولكن يحتاج إلى حنان الأبوة، وعطف الوالد الذي حُرم منه، لأن اليتيم هو الذي فقد أبوه، فيريد أن يشعر بهذه، ولذلك عندما اشتكى له رجلٌ من قسوة قلبه فقال له:

{ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُلَيَّنَ قَلْبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمْهُ }[٥٢١]

فهذا علاجٌ لقسوة القلب، فاليتيم يريد الكفالة، وما معنى الكفالة؟ أن نحتضنه ونربيه بيننا، ونُشعره أنه ابننا ونعطيه حناننا وعطفنا، وهذا ما كان يمشي عليه السلف الصالح قبل أن تظهر هذه الأمور في عصرنا، وهذا ما أمره به الله لكي يكون شاكراً لله على إيواء الله له في يُتمه صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٥٢٠ صحيح البخاري والترمذي عن سهل بن سعد ﷺ
٥٢١ سنن البيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي الدرداء ﷺ

حسن معاملة السائل

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾:

السائل بكل أنواعه:

- ، فمن يطلب مالاً اسمه سائل .. ومن يسأل في مسألة علمية اسمه سائل.
  - وأعطيه بالحسنى ... أو أرد عليه بقول هين لين جميل ..
  - فلا أنهره! .. ولا أقول له قولاً قبيحاً! .. ولا أسبه! .. ، ولا أشتمه !
    - ولكن أعطه بلطف ... أو رده رداً هيناً ليناً.

ولذلك كان أهلنا يقولون للسائل: (ربنا يحنن عليك) أو (ربنا يسهل لك) دعاء لطيف جميل، لكن أقول له: لماذا تتسول؟ أو لماذا تسأل؟ وأصنع معه مشكلة، فهذا لا يجب، حتى ولو كان راكباً فرساً، قال ﷺ:

{ أَعْطُوا السَّائِلَ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ }[٥٢٢]

من يركب فرساً جائز أنه جاع وأمواله ضاعت، ويريد كسرة خبز يأكلها، فيسأل أحداً ليعطيه، فلماذا أنهره؟!.

من أتاني يسألني في مسألة دينية أو في مسألة علمية فهو محتاج لي ... فإما أن أُجيبه ! ... وإما أن أرده بلطف .... لكن لا أنهره ولا أزجره أبداً.

التحدث بنعم الله الحسية

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾:

هذا أمرٌ من الله لنا أجمعين:

أن الإنسان يتحدث بالنعم التي أنعم بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه ليقتدي به غيره، وليتأسى به من سواه، فنحن كلنا مغمورين بنعم لا تعد ولا تحصى من عند الله، ولذلك مطالبين أن نتحدث بها أولاً مع أولادنا.

---

٥٢٢ موطأ مالك ومسند أحمد عن زيد بن أسلم ﷺ

ما الذي يُثبت الإيمان في قلوب أولادنا؟

عندما أقول له: يا بني أنا وقعت في ورطة، وقلت يا رب، فأنقذني منها، أو أنا حدث عندي كذا ولجأت إلى الله فأغاثني، وهكذا، فهذه الحكايات هي التي تقوي الإيمان في قلوب أبنائنا، وأيضاً تقوي الإيمان في قلوب ضعفائنا، وفي قلوب الناس أجمعين، لأن هذه الحكايات لها تأثير عظيم، وخاصة النعم الخاصة بحضرة الربوبية.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾:

الربوبية هي التي تربي كل الكائنات التي على الأرض والتي في السماء بالخيرات والنعم الحسية.

لكن في باطن الآية فالمعنى: وأما بنعمة الله يعني العطايا المعنوية النورانية الخاصة لك من الله فلا تحدث بها.

فالإنسان بم يتحدث؟ بالنعم الحسية التي كلنا نشعر بها، وكلنا نتعرض لها، وكلنا نغترف من فضل الله في شأنها، ولكن متى نتحدث؟ إذا كان الحديث ينفع المتحدث، فيعطيه عظة ويعطيه عبرة ويجعله يتأسى به ويجعله يقتدي به، لكن إذا كان على سبيل الفخر، أو على سبيل المباهاة، فلا يجوز، لأن المؤمن مطالب أن لا يفتخر بين الخلق، ولا يباهي، وإنما ينسب الفضل للخلاق العليم ﷻ.

فأنا عندما أتحدث بنعم الله ﷻ عليَّ لأعرفهم ماذا صنع الله لي، وليس لأبين شطارتي أو مهارتي أو شيء من هذا القبيل.

فالرسول ﷺ جعله الله ﷻ حريصاً حرصاً بالغاً على هذه الأمَّة.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يدخلنا أجمعين في شفاعته، وأن يجعلنا يوم القيامة جميعاً تحت لواء حضرته، وأن لا يحرمنا في الدنيا من مشاهدة أنوار طلعته، والمكاشفة بأنوار حضرته، وأن يصل قلوبنا بقلبه حتى تتنزل فيه الأنوار الإلهية، والحكم الربانية، والعلوم اللدنية الوهبية، وأن يرزقنا الاستقامة على منهجه القويم، وأن يجعلنا من الذين يدخلون في قول العزيز الحكيم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٣٦)

رفعة ذكره ﷺ[٥٢٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ (الشرح).

شرح الصدر	مرات شرح الصدر	حكمة شرح الصدر
رفع عنه همَّه	رفعة ذكره	الحكمة فى الشدائد
أمَّة اليسر	حسن التوجه إلى الله	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله البيان الشافي والعلم الوافي الكافي عن حبيبه ومصطفاه سيدنا رسول الله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا هُداه، ووفقنا أجمعين لحسن متابعته في الدنيا، واجعلنا من أهل شفاعته يوم الدين أجمعين، آمين آمين يارب العالمين.

القرآن الكريم وهو بيان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا – حتى نفرح – منزلة نبينا المكرَّم ﷺ.

ولكي تتضح المنزلة يأتي لنا بموازنات بينه وبين أنبياء الله ورسل الله السابقين صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين، ويبين لنا أن كل الرسل في كفة، وحضرة النبي وحده في كفة في المنزلة عند الله.

المرسلين فتح الله لهم أبواب الإجابة، فإن سألوا الله وطلبوا من الله فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستجيب لهم ويجيب سؤالهم، لكن نبينا ﷺ لكرامته عند مولاه يعطيه الله بلا سؤال، ويجيبه الله بلا طلب، حتى نعرف الفارق بين المحبين وبين المحبوب لرب العالمين، وبين المريدين لفضل الله وبين المراد لذات الله جل في علاه.

---

٥٢٣ المنيا – العدوة – العنبر ١٦ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٧م

شرح الصدر

فسيدنا موسى يقدم لربه عريضة كبيرة ويسأله:

﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ ﴾ (طه) وكون سيدنا موسى يطلب من الله أن يشرح الله صدره، فهذا دليل على أن شرح الصدر هذا أمر عظيم ...!!

فما شرح الصدر؟

شرح الصدر أن يتنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلطيف أنواره على صدر عبده المؤمن، فيمسح منه وساوس الشيطان، لأن موضع الوسواس في الصدر وليس في القلب: .. ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٥الناس) ويملأه بالنور والإيمان والتقى، فيتسع هذا الصدر حتى يسع علمه العوالم العالية والدانية، يحيط بها علماً بما علَّمه العليم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ... وهذا في القرآن:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ (٢٢الزمر)

ما الذي يشرح الصدر؟

النور الذي ينزل من مدد اللُّطف الإلهي، فيُنزِّل الله من مدد لطفه أنواراً من حضرته تجعل هذا الصدر يتسع وينفسح حتى يسع علمه العوالم العالية والدانية، بما يُعلِّمه العليم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولِمَ يشرح صدره؟

يشرح صدره للإسلام، وللإيمان، وللإقبال الدائم على حضرة الرحمن، وللنظر في ملكوت الله الأعلى وفي روضات الجنان، لكن لا يشرح صدره للدنيا، أو لجمع المال، أو لأي أمر من أمور الدنيا التي يتنافس فيها الناس، فهذا لا يكون شرح صدر وإنما استدراك، والله ﷻ لا يمكر بطالبه، وإنما يحقق للمؤمن كل مطالبه.

فسيدنا موسى طلب من الله أن يشرح صدره، لكن الله ﷻ بدون أن يسأله حبيبه ومصطفاه شرح صدره وذكَّره بهذه النعمة العالية: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ ﴾.

مرات شرح الصدر

كم مرة شرح صدره؟ .... أربع مرات.

- مرة وعنده أربع سنين.

وكان عند مرضعته السيدة حليمة السعيدية رضي الله عنها، ويحكي أنه كان يلعب هو وإخوته حول الغنم، ونزل جماعة من الملائكة، قال:

{ فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَنَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، فَأَخْرَجَ قَلْبِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، فَوَجَدْتُ بَرَدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ، الَّذِي شَقَّ بَطْنِي: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ }[٥٢٤]

ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معبراً عن هذه الحقيقة:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١١٠الكهف) ، أنا واحد ولكن مثلكم كلكم أي أساويكم جميعاً، ومرة ثانية يبين فيقول له:

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ

٥٢٤ تاريخ الطبري، والمطاالب العالية لابن حجر، ودلائل النبوة للبيهقي عن شداد بن أوس ﷺ

ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء) لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف الأحياء وضعف الأموات، مع أنه رجلٌ واحدٌ، لكن إذا كان إبراهيم كان أُمَّة، فماذا يكون سيدنا رسول الله ﷺ؟! وإذا كان ﷺ قال:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }[٥٢٥]

فماذا يكون قدر إيمان رسول الله؟! شيء يحتار فيه العقل والدليل.

إذا كان شرح الصدر أولاً لإذهاب وساوس الشيطان، فقد أخذ منه حظ الشيطان، وهواجس الشيطان، ولذلك هو والذين اختارهم الله لوراثته يقول فيهم الرحمن: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر).

وسلطان يعني تسلط، فلا تستطيع أن تتسلط عليهم، ولا تقدر أن توسوس لهم ولا أن تزين لهم أمر، ولا تقوم بزحزحتهم قيد أنملة عن العناية الربانية والهداية الإلهية التي خصَّهم بها رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- ولما وصل سنه إلى عشر سنين تكرر شرح الصدر.
- وقبل نزول الوحي عليه في غار حراء تكرر شرح الصدر.
- وعندما أخذه إلى الملأ الأعلى وإلى قاب قوسين أو أدنى تكرر شرح الصدر.

حكمة شرح الصدر

لماذا تكرر شرح الصدر؟

كل مرة من هذه المرات لحكمة إلهية، وغاية ربانية:

- المرة الأولى للحفظ من نزغات ووساوس الشيطان.
- والمرة الثانية لتجميل أخلاقه حتى يكون أكمل الناس من قبل ومن بعد خُلقاً مع مولاه ومع خلق الله.

ولذلك العرب مهما قدحوا فيه فعند خُلقه يتوقفوا، ولا أحد يستطيع أن يخوض فيه، فيقولون: الصادق الأمين، وهذا قبل الرسالة، وبعد الرسالة يقول لنا الله عنه:

---

٥٢٥ الفوائد المجموعة للشوكاني

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم) لم يقُل وإنك لذو خلق عظيم، لكن (وإنك لعلى) يعني أعلى من الخُلُق العظيم، وفي قراءة أخرى: (وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم)، خُلُق مضاف وعظيم مضاف إليه، والعظيم هو الله، يعني أنت على خُلُق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك كان أكمل الناس أدباً وأجمل الناس خُلُقاً.

سيدنا أبو بكر احتار فقال: يا رسول الله لقد عاشرت الروم وعاشرت الفرس، وعاشرت قبائل العرب، فلم أجد مثل أدبك، فمن الذي أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[٥٢٦]

إذا كان الناس يؤدبهم آباؤهم أو أمهاتهم، لكن الذي أدَّب النبي هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك هو أكمل الناس أدباً في العوالم الدنيوية والعوالم الأخروية، لأنه ﷺ مؤدبٌ بالآداب الإلهية، حتى أن الله ﷻ عندما أخذه في رحلة العروج والمعراج لم يلتفت لأي شيء، مع أن أي إنسان يكون عنده فضول ويريد أن يشاهد كل شيء يمر به، فكلنا إذا ركبنا قطار أو سيارة أو غيره، نحب الجلوس بجوار النافذة لنشاهد كل ما نمر عليه.

ولكنه ﷺ ذهب للعوالم العلوية، وسماءاً تلو سماء، وكل سماء فيها عمارها، وفيها بهجتها وزينتها، وفيها مخلوقات لا يعلم كنهها إلا خالقها، والجنة والعرش والكرسي، ومع كل هذا لم يطرف عينه، ولم يلفت نظره، ولذلك قال عنه الله: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) لم يلتفت لهذه الجهة، ولا لهذه الجهة، وماذا يريد؟ يريد الله.

ولذلك رجلٌ من الصالحين بيَّن الفارق فقال: **(الرسل والأنبياء يطلبون من الله، ورسولنا الأكرم ﷺ لا يطلب غير مولاه).**

لا يريد شيء من هذه النعم، وإنما يريد الله فقط، ولذلك لم يلتفت إلى هذا ولا إلى هذا، وتعرض عليه الأرض بأن تتحول له ذهباً، وتعرض عليه الجبال أن تتحول له ذهباً، فيأبى لأنه لا يريد إلا وجه الله:

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيَّما شمم

– والمرة ثالثة لشرح الصدر كانت لتأهيله وتجهيز قلبه لتلقي وحي السماء.

---

٥٢٦ الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلةعن علي بن أبي طالب ﷺ

والوحي قال فيه الله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل) كان عندما ينزل الوحي على سيدنا رسول الله ﷺ كما تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا }[٥٢٧]

وإذا نزل الوحي عليه وهو على ناقته لا تستطيع حمله، فتبرك على الأرض حتى ينتهي نزول الوحي، ونزل عليه الوحي ذات مرة وهو جالس وبجواره سيدنا زيد بن حارثة، ورسول الله واضع رجله على رجل زيد، فزيد بن حارثة يقول:

{ فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ}[٥٢٨]

يعني كادت رجلي تنكسر لولا أن الوحي قد انتهى من ثقل الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ.

هذا الوحي ينزل على ماذا؟

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء) فلا بد لهذا القلب أن يكون فيه نورانية وفيه شفافية وفيه روحانية ليستقبل كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أي إنسان يحتاج أن يعمل عملية جراحية كبيرة، يذهبوا لطبيب قلب أولاً لينظر هل يتحمل قلبه العملية أم لا؟ وهذه عمليات بسيطة جسمانية، لكن نزول القرآن يحتاج لقلب يتحمل كلام حضرة الرحمن ﷻ.

والله ليعرّفنا قدر هذا القلب، قال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الحشر) فكيف يتحمل قلب رسول الله؟! يتحمل ما لا تتحمله الجبال، فكان لا بد من شرح الصدر هنا للتجهيز.

- وكان شرح الصدر في ليلة الإسراء والمعراج ليتحمل العوالم العلوية، وعوالم القدس الأعلى من العرش والكرسي والرفرف الأعلى إلى قاب قوسين أو أدنى.

هذا شرح الصدر باختصار لرسول الله ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾.

---

٥٢٧ صحيح البخاري وسنن النسائي عن عائشة رضي الله عنها
٥٢٨ صحيح البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه

رفع عنه همَّه

وماذا أيضاً؟

﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾

رفعنا من عليك الهمّ الذي تحمله، وسيدنا رسول الله كان الهمّ الذي يحمله أنه يخاف علينا، لأنه يريد أن ننجوا جميعاً من غضب الله، ونكون معه في الجنة جميعاً إن شاء الله.

لذلك فتح الله لنا باب التوبة، وأعطاه الشفاعة لمن لم يستطع التوبة، ولذلك قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٥٢٩]

سنعطيك كل ما تريده حتى ترضى حتى لا تحمل همَّ هؤلاء، والتوبة سنفتحها حتى للسابقين، لأن أمَّة رسول الله ليست نحن فقط، بل أمَّة رسول الله من أول آدم إلى يوم الدين، والرسل كلهم نواب عن حضرته في أممهم، ولذلك سيدنا آدم نفسه لما سها فر هارباً، فقال له الله:

{ يَا آدَمُ، أَفِرَارًا مِنِّي؟ قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ }[٥٣٠]

لأنه نهاه وطاوع نفسه وهواه، فنزل الأرض في بلاد الهند، وزوجته في جدة وسُميت باسمها جدة، وأراد أن يتوب إلى الله ويرجع إلى الله، وأخذ مدة من الزمن، حتى ذَكَّره الله، لنعرف أن التوبة من الله، ومَن يُرد الله أن يتوب عليه يُلهمه بالتوبة، ولذلك رجل يقول للسيدة رابعة العدوية: هل لو تبتِ يتوب الله عليَّ؟ قالت: لا، بل لو تاب الله عليك لتبت: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (١٨التوبة) وكيف يتوب عليه؟ يُلهمه بمعاني التوبة، ويشعر بالخجل والندم، فيرجع إلى الله تائباً.

فآدم لما أراد الله أن يتوب عليه، ذَكَّره بما رآه في الجنة، فقال:

{ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكِ رَفَعَتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا:

---

٥٢٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ
٥٣٠ تفسير ابن كثير

لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }[٥٣١]

فأخذ المغفرة برسول الله ﷺ، لذلك أعطى الله المغفرة للسابقين والمغفرة لنا أيضاً، نريد أن نتوب يا رب فماذا نفعل؟ كما قال الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء ٦٤) لو استغفروا بدون أن يرفعوا الطلب لرسول الله لن ينفع.

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، والكفار كانوا قد جاءوا بقبائل العرب وعشرة آلاف رجل ليقضوا على النبي والمسلمين في المدينة، وحاصروا المدينة فترة، وكانت هناك قبيلة من قبائل اليهود وهم بنو قريظة اتفقوا مع حضرة النبي أنهم يدافعون معه عن المدينة، لكنهم خانوه واتفقوا مع الكفار ضده.

فسلَّط الله عليهم الظلام وجعل الليل ظلام تام، وسلَّط عليهم الريح فقلعت الخيام، وفكَّت أربطة الجمال والخيول وجعلتها تجري مذعورة، وهم ظنوا أن المسلمين هجموا عليهم، وكل واحد أخذ سيفه ويضرب من كان أمامه، والمسلمون في الجهة الأخرى، فنصر الله المسلمين في هذه الغزوة.

وبعد أن انتهى النبي من الغزوة رجع البيت وأراد أن يخلع ملابس الحرب، فجاءه سيدنا جبريل وقال له:

{ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ }[٥٣٢]

ثم نادي الرسول ﷺ وقال:

{ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ }[٥٣٣]

وأعطانا فسحة حتى لا نختلف مع بعضنا.

---

٥٣١ دلائل النبوة للبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ
٥٣٢ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٥٣٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

جماعة فهموا أنهم لا يصلون العصر إلا هناك، وجماعة فهموا أنهم يصلون العصر ثم يذهبوا إلى هناك، فمن الأصح؟ ترك النبي الأمر لفهمهم، ووافقهم جميعاً ولم يلم أحد، فالمهم أن لا تتشبث برأيك، وأهل المدينة كانوا يعيشون مع اليهود وبينهم وبين بعضهم روابط وعلاقات وصداقات، فأحد الصحابة وكان اسمه أبو لُبابة طلب اليهود من النبي أن يرسله لهم ليتفاوض معهم لأنه كان تربطه بهم صداقة، فذهب أبو لبابة، فقالوا له: ماذا يريد منا محمد؟ فأشار بيده إلى رقبته، يعني الذبح.

فشعر أنه بذلك خان الله ورسوله، لأن هذا سر لا يجب أن يفشيه للأعداء، ماذا يفعل الرجل؟ ذهب إلى مسجد رسول الله وربط نفسه في عامود، وقال:

{ لا أَبْرَحُ مَكَانِي حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللَّهَ لا يَطَأُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلا يَرَانِي اللَّهُ فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبَرُهُ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدِ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ }[٥٣٤]

كان يأتيني وأنا أستغفر له الله، وسيغفر له الله، لأن الله قال له في كتاب الله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (محمد).

فطمأنه الله ﷻ نحو أمته بأنه قد فتح لهم باب التوبة، وجعله سر المغفرة، ومن مات منهم ولم يتب ولا يزال معه عيوب فأعطى الله للنبي الشفاعة يوم لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ماذا كان يحمل سيدنا رسول الله من الهموم الأخرى؟

كان يحمل هم الدعوة، لأن الدعوة ثقيلة، والذين كان يدعوهم كانوا غلاظ شداد وقلوبهم أشد قسوة من الحجارة، كيف يواجههم؟ وكيف يأخذ بأيديهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم؟ فوضع عنه الله هذا الوزر وقال له: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ يعني تعبك وهمَّك وغمك، وهذه كلها كنايات، فلا تحمل هماً لهذا الأمر، فإنه إذا أقامك أعانك، وإذا نفذت أمر الله لن تتخلى عنك عناية الله طرفة عين ولا أقل، وما دام معك معونة الله فلن يقدر عليك أهل الكفر جميعاً ولو اجتمعوا.

---

٥٣٤ جامع البيان للطبري

رفعة ذكره

وبعد ذلك بيَّن الله مكانته العُظمى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ قال ﷺ:

{ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي }[٥٣٥]

وفي رواية أخرى أن الله قال له:

{ وَشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ، وَرَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ، فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي }

إن كان في كلمة التوحيد، أو في الأذان، أو في الإقامة، أو في الخطب والمواعظ، أو في أي أمر.

هل يوجد أحدٌ من الكفار يكفر بـ (لا إله إلا الله)؟ لا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (٣٨الزمر) لكنهم وقفوا عند رسول الله ﷺ، لذلك لا يقبل الله (لا إله إلا الله) إلا إذا كان معها (محمدٌ رسول الله)، وهذا رفع الذكر الذي رفعه الله ﷻ له.

كل من في الأرض وكل من في السماوات وكل الناس من بعدنا إلى يوم الزحام يقولون: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ولا يجوز لهم الصلاة إلا إذا صلوا في التشهد على رسول الله، حتى أن الإمام الشافعي ﷺ يذكر أهل البيت وليس النبي فقط، لأن الصلاة على النبي لا بد أن يكون معه أهله فيها، فيقول:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمُ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

فرسول الله رفع الله ذكره في الدنيا وفي الآخرة، لأن الكل في الآخرة سيبحث عنه، من الذي سينقذ الخلائق جميعاً من هول الحساب؟

ليس إلا هو، ويقول:

---

٥٣٥ رواه أبو يعلي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

{ أَنَا لَهَا }[٥٣٦]

فرفع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذكره، وأعلى شأنه، ورفع قدره وقال له: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (٧٩الإسراء) سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما له قول في المقام المحمود قد لا يستوعبه البعض فيقول: يقول الله تعالى يوم القيامة: (يا محمد، العرش محمول قدرتي، ومعمول حكمتي، ولا يطيق لي حملاً، فاجلس أنت على العرش) يعني هو سيكون صاحب الكلمة التي يقبلها الله يوم لقاء الله من جميع خلق الله:

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ }[٥٣٧]

اسأل ما تريد سنعطيك، واشفع فيمن تشاء نشفعك فيه، لماذا؟ لأن الله ﷻ أعلى شأنه ورفع مقامه، ولذلك قال ﷺ:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ }[٥٣٨]

فهو صاحب الوسيلة والدرجة العُظمى الرفيعة في الجنة صلوات ربي وتسليماته عليه.

الحكمة في الشدائد

وعلى الشاكلة أُمَّة النبي ﷺ، فحكمة الله لنا أن نكون في شدات تلو شدات، لأن الشدات هي التي تحفظ لنا الإيمان، لأن الرحمن قال:

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ (العلق).

إذا تزينت الدنيا لإنسان ينسى طاعة الله، ويذهب مسرعاً إلى حظه وهواه، ونحن نرى ذلك في عصرنا، فإذا تيسَّر لكثير من الناس المال تجده يبحث عن المخدرات، ويبحث عن المسكرات، ويبحث عن النساء، إلا من عصم ربي الذي يبحث عن الحج إلى بيت الله، أو يبني مسجداً لله، أو يعمل عملاً خيرياً لله، وهؤلاء:

---

٥٣٦ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٥٣٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٥٣٨ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ ﴾ (ص) ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ) فحرصاً علينا قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحْمِيهِ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ }[٥٣٩]

فنقول له: لا تأكل من هذا الصنف ولا من هذا الصنف، لماذا؟ حتى يُشفى.

فحكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا أن نتقلب بين اليُسر والعُسر ... إذا جاء اليسر نشكر الله، وإذا جاء العسر نصبر وندعوا الله ونلجأ إلى الله، ففي كلتا الحالتين نتوجه لله ﷻ، قال ﷺ:

{ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ }[٥٤٠]

أمة اليسر

فبشَّره الله وبشَّرنا معه وقال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ ﴾ لم يقُل فإن بعد العسر يسراً، ولكن معه دائماً، ولكن يحتاج إلى الصبر، فلا يأتي عسر إلا ومعه يسر على الفور، قال رسول الله ﷺ:

{ لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرٍ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْيُسْرُ حَتَّى يُخْرِجَهُ }[٥٤١]

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾:

من العجب في اللغة العربية أن الكلمة التي في أولها ألف ولام نسميها معرفة، مثل اليسر أو العسر، والكلمة التي ليس في أولها ألف ولام نسميها نكرة، فإذا ذُكرت كلمة بالأف واللام وتكررت تكون شيء واحد، لكن لو رفعنا الألف واللام وتكررت الكلمة فإن كل واحدة غير التي قبلها، فإن قلنا يسر، فهذا واحد، ولو ذكرناه مرة أخرى فهذا يسر ثان، وهكذا، فعندما ننظر في هذه الآية نجد أن كلمة العُسر مذكورة مرتين، ولكن شيء واحد، وكلمة (يُسر) مذكورة مرتين ولكنها تُعطي معنيين، فهنا عُسر واحد معه

---

٥٣٩ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٥٤٠ صحيح مسلم عن صهيب الرومي رضي الله عنه
٥٤١ المعجم الكبير للطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ

يسرين، قال ﷺ:

{ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ }[٥٤٢]

لا يوجد عسر يغلب يسرين أبداً، فدائماً العسر يأتي معه على الفور اليُسر، وليس وراءه، ولكن الإنسان طبيعته كما قال الخالق في شأنه: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء) دائماً متعجل، ولذلك تجد كثيراً منا أول ما يضجر يجد الفرج جاءه من الله في وقت الشدة، ما هذا؟ هذا إكرام الله لنا جماعة المؤمنين.

ولا يوجد واحد يعيش في العسر دائماً، ولا واحد يعيش في اليسر دائماً، لا بد من يسر وعسر، حتى نرجع إلى الله ﷻ.

الذي يعيش في اليسر الدنيوي دوماً مثال له فرعون، فقد ورد أنه عاش طوال عمره ولم يشتك مرة واحدة من وجع في رأسه، قيل: حتى لا يقول يا رب، لأن الله لا يريد أن يسمعه يناديه ولا يناجيه.

لكن المؤمنين كما قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ، فَمِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ يَمَسُّهُ الْبَلاءُ، حَتَّى يَدْعُوَهُ فَيَسْمَعَ دُعَاءَهُ }[٥٤٣]

حتى ينادي ويناجي الله.

وقد يؤخر الله حاجته لأنه يحب أن يسمع صوته ويظل يناجيه، حتى أن الصحابة الأجلاء كان من فقههم أن من لا يأتيه بلاء كانوا يخافون منه، فيُروى أن امرأة تزوجت رجلاً وعاشت معه فترة طويلة، فلم يشتكي صداع ولا رشح ولا وجع، فقالت له: سأذهب أنا وأنت للقاضي، فقال لها: ولم؟ قالت: عندما نصل إلى هناك ستعرف، وأثناء سيرهم في الطريق تعثَّر الرجل فجُرحت أصبعه، فقالت له: هيا بنا نرجع مرة ثانية، فقال لها: ما الأمر؟ قالت: في الفترة الماضية لم يُصبك شيء قط، فظننت أن الله غاضبٌ عليك، لأنه لم يتذكرك وتذكُّره رحمة، وعندما تعثرت عرفت أنه يحبك.

لماذا؟

---

٥٤٢ الحاكم في المستدرك وموطأ مالك

٥٤٣ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

كلنا نرتكب ذنوباً قد نعلمها وقد لا نعلمها، فإذا عرفناها نتوب منها إلى الله، لكن الذي لا نعرفه لا نتوب منه، فكيف يغفره الله لنا؟ قال النبي ﷺ لنا:

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ }[٥٤٤]

يطهرني الله من الذنوب أولاً بأول بقليل من المرض، والمرض ماذا يُكفِّر؟ قال ﷺ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ ثَلاثِينَ سَنَةً }[٥٤٥]

ولكن بشرط أن يكون مريضاً لا يشكو الله إلى خلق الله، فلا يقول: لماذا أنا يا رب الذي أمرضتني، وفلان هذا لا يصلي ولا يركع وصحته جيدة، وأنا أصلي وأصوم وتبتليني بهذا؟ هذا الكلام لا يصح مع الله.

فلمن أشكو؟ إما للطبيب حتى يعرف ما عندي ويعطيني العلاج، أو لأحد من الناس المقربين كابني أو زوجتي ليذهب بي إلى الطبيب، لكن لا أشكو الله إلى خلق الله، بل أصبر على أمر الله، وأتداوى كما أمر رسول الله.

ولا يصح أن أختبر الله وأمتحنه كبعض الناس غير المنتبهين، يقول: لو كتب الله لي الشفاء سأُشفى بدون الذهاب لطبيب، وهل ستختبر الله يا أخي؟ فالله يعطيك القوة فإذا كنت كذلك فلا تأكل، فالأكل لا يأتي بالقوة لأن القوة من الله ﷻ، لكن لا بد أن نأخذ بالأسباب ونصبر إلى أن يُفرِّج الله ﷻ الهم ويشفي من المرض والغم والألم، ونتداوى كما قال ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }[٥٤٦]

فهذه الآيات أعظم بشرى لنا جماعة المؤمنين أن المؤمن لا يقع في شدة مهما اشتدت إلا ومعها يُسرٌ يأتيه من الله جل في علاه، ومن أين يأتي اليسر؟

ليس من خلق الله ولكن من الله.

---

٥٤٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٥٤٥ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن عائشة رضي الله عنها
٥٤٦ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ

إذا رفعت الأمر صادقاً مخلصاً لله، تدخل في قول الله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق)

تجد الفرج يأتيك من طريق لم تكن تحسبه، ولم تفكر فيه ..

لأنك قصدت باب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

حسن التوجه إلى الله

وبعد ذلك وجَّه الله المؤمنين أجمعين وحضرة النبي:

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ ﴾:

إذا أردنا أن نكون في رغد هذا العيش على الدوام ننفذ هذه الآية، تريد أن يكون الله معك على الدوام، فتعمل بهذه الآيات، إذا فرغت وانتهيت من عملك الدنيوي، ماذا تفعل؟ تتوجه لله فتصلي أو تقرأ القرآن، وأبسط شيء وأسهل شيء تذكر الله، والذكر لا يحتاج إلى وضوء ولا يحتاج لمسجد ولا يحتاج إلى اتجاه للقبلة، المهم تتوجه بعبادة لله:

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ ﴾

وبعد ذلك تتوجه لله:

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾:

ترغب في فضل الله وفي إكرام الله وفي عطاءات الله بالمداومة على الأعمال الصالحة التي يحبها الله.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعل نطقنا ذكراً، وصمتنا فكراً، ونظرنا عبراً .. وأن يوفقنا لأفضل الأعمال في أفضل الأوقات، وأن يحفظنا من جميع المعاصي والزلات والأمراض والآفات، ويجعلنا في كل الأوقات نتوجه إلى حضرته ولا نتوجه إلى أحد سواه، وأن يجعلنا دائماً من الذين يواليهم الله بنعماه، ويتفضل عليهم بعطاياه، ويغنيهم بفضله عن جميع من سواه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٣٧)

النبي القاريء[٥٤٧]
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق)

القرآن المنظور	النبي الأمِّي	عبادة التفكر
الخالق جل جلاله	خلق الإنسان	

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي خصَّنا بهذا الذكر الحكيم، وجعلنا من أمَّة نبيه الرؤوف الرحيم، واختار لنا الإســـلام ديناً، والكعبة قبلة، وجعلنا من خير أمَّة أُخرجت للناس، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد سر هذه الإكرامات، وسبب هذه البركات، والنعمة العُظمى التي اختصنا الله بها في الدنيا، والشفيع الأعظم لنا أجمعين يوم الميقات، صـــلى الله عليه وعلى آله وصـــحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وبفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

بإجماع الأئمة هذه أول آية نزلت من كتاب الله على حبيب الله ومصـطفاه، وقبلها جهَّزه مولاه ليرقَّ قلبه، ويصفو فؤاده، ويستطيع أن يتحمل كلام الله ﷻ، فكان ﷺ قبل بعثته وقبل تكليفه بالرســـالة حبَّب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إليه العُزلة والخلاء، فكان يحب أن يعتزل عن الناس، ويختلي بنفســه ليفكر في الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وآياته الكونية التي يقرأها في كل الأنحاء، ولما زاد عنده اليقين، اهتدى إلى أن يذهب إلى غار حراء في أعلى الجبل، ويمكث فيه شهراً كل عام، وكما ورد بالأثر: (إذا أحب الله عبداً سخَّره لأفضل الأعمال في أفضل الأوقات) فيكون هذا توفيق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فاختار أن يخلو بربه شهراً كل عام، ويكون هذا الشهر يوافق شهر رمضان، وكان ﷺ يأخذ معه زاداً يكفيه لمدة شهر، ويبقى في هذا الشهر يتحنَّث – يعني يتعبد – على ملة أبينا إبراهيم عليه السلام بحسب ما ألهمه ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه كان موجهاً وجهه إلى الله جل في علاه.

---

٥٤٧ المنيا – العجوة – البهنسا ١٧ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٨م

لذلك كان في معظم الأحيان يقف أمام الغار وينظر في السماوات وفي الأرض وفي الجبال، ويقرأ الآيات التي تدل على قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الكون.

هناك قرآن مكتوب، وقرآن منظور أو مشهود، وهذا منه صورة مكبرة في الأكوان، وصورة مصغرة موجودة في الإنسان، ولذلك يسميها الله آيات: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٥٣فصلت).

فالكون كله تفصيل بما في القرآن من آيات الرحمن، والآيات يعني العلامات أو الدلالات التي تدل على قدرة خالق الأرض والسماوات:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمران) وبعد أن يتفكروا يقولوا: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٩١آل عمران).

ولذلك يعاتب الله ﷻ على قصيري النظر في الآيات فيقول: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٠٥يوسف) يعني لا يعرفوا أن يقرأوها ... ولذلك بدأ الله ﷻ السورة بقوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ ﴾ انظر كيفية الخلق في الإنسان وفي الحيوان وفي الأكوان ترى العجب العجاب في صُنع حضرة الرحمن ﷻ.

وأصحاب حضرة النبي ﷺ لم تُفرض عليهم الصلاة إلا في مكة في ليلة الإسراء والمعراج، وهذه كانت في السنة الثانية عشرة من بعثة النبي، فماذا كانوا يفعلون في الإثنى عشرة سنة؟ كان يقرأ النبي لهم هذه الآيات التي نتحدث عنها، لأنها وظيفته: ... ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (١٥١البقرة) فتلاوة الآيات أولاً، تلاوة الآيات التي في الآفاق والآيات التي في الأنفس، وهذه تدل على قدرة الله ﷻ، وهذه الطريقة الصحيحة التي مشى فيها رسول الله، والتي يجب أن يأخذها مَن بعده ويمشي عليها العلماء العاملين والصالحين والمتقين، حتى يلقنوا العقيدة والتوحيد في قلوب المسلمين.

عندما يشـــاهد الإنســـان هذه الأمور ويرى ما فيها من عجائب قدرة الله، يزداد إيماناً بمولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال سيدنا أبو ذر ﷺ وأرضاه على هذه الفترة التي كانت في مكة:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا }[٥٤٨]

فهذه الآيات التي في الأنفس والتي في الآفاق، ولذلك قال بعض الصالحين: (تبصرك فيما فيك يكيفك) لو ظللت تنظر في عظمة إبداع الله ﷻ في مملكتك، تجد العجب العجاب: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٢١الذاريات).

فأنت تشـــاهد دلالة قدرة الله فيك، كيف ترى؟ وكيف تســـمع؟ وكيف تتحرك؟ وكيف تفكر؟ والعلوم التي حصَّلتها أين توجد؟ وأين الجهاز الذي يستدعيها وتأتي في أقل من لمح البصر؟ لم يصل العلم إلى هذا إلى الآن.

ولذلك الإمام علي ﷺ وأرضاه، كان يقول:

(عجباً لك يا ابن آدم، تُبصر بشحمة، وتسمع بعظمة، وتنطق بلحمة، وأنت مع ذلك تواجه القوي ﷻ بالمعصية).

بماذا أشـاهد؟ ليس بالعين كلها، ولكن بالنبي الذي في العين – حدقة العين – ونن العين اكتشف العلم الحديث أنه يمرر لاثنين مليون كاميرا زووم، يعني تصور من كل الجهات.

وتداركنا الله برحمته في هذا الزمان، كان قبل ذلك من يُصاب بنقطة بيضاء في عينه ينتهي أمر العين، لأنه لم يكن هناك علاج، لكن الآن أكرمنا الله وفي عشـــر دقائق يتم شفط المياه، وترى العين كما كانت.

لكن بماذا يرى الإنسان؟ بسر اسم الله البصير ﷻ، فلو أخذ البصير ﷻ سره من العين، فبماذا يرى؟ لا شيء.

كان سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه – وكان من كُمَّل الصالحين – – إذا أصبح يمر بيده على أعضائه في وجهه، ويقول لهم: الحمد لله العين لا تزال ترى، والأذن تسمع، واللسان يتحرك، فسألوه: لماذا تفعل ذلك؟ يقول لهم: أخاف أن يؤاخذني الله بذنوبي فيمسخني إلى خنزير أو ما شابه ذلك:

---

٥٤٨ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر ﷺ

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٦١النحل).

فنحن دائماً نقع في الذنوب ونقع في العيوب، وعند النوم أين وثيقة التأمين التي معنا التي تؤمن لنا هذه الحواس إلى أن نستيقظ من النوم ونجدها كما هي؟ لا يوجد إلا ضمان ملك الملوك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكوني أصبح في الصباح وأجد هذه الأعضاء كما هي، فأحتاج إلى أن أشكر الله على أنه أبقاني سميعاً وبصيراً ومتكلماً ومتحركاً، أشكره بماذا؟ لذلك ربنا أتى لنا بالصلوات شكراً لله على النعم المتجددة المستمرة حتى تبقى معنا حتى نلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فوجَّه الله ﷻ نبيه ﷺ في أول آية من آيات القرآن إلى القراءة، ولكن القراءة في ألواح الأكوان، وفي هيكل الإنسان، وهذه القراءة الأولى، لأنها التي تهدي إلى حضرة الرحمن ﷻ.

النبي الأمّي

بعض العلماء صنعوا قضية جدلية ليس لها أساس، ولا ينبغي ذكرها بالمرة ..

هل كان النبي أمياً أم يقرأ ويكتب؟

وهذا أمر لا ينبغي الجدال فيه!!

إن كان لا يقرأ بعينيه الحروف، فإنه يقرأ بنور قلبه أنوار وأسرار هذه الحروف، ويقرأ بعين روحه تجليات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على هذه الكائنات !!!

وإن كان ﷺ كما ثبت في صحيح الروايات:

حتى القراءة العادية كان يقرأها، فكان هو الذي يوجه عندما يكتب أحدهم ويشاهد الكتابه يصححها له.

كما قال لمعاوية:

{ أَلْقِ الدَّوَاةَ، وَحَرِّفِ الْقَلَمَ، وَأَقِمِ الْبَاءَ، وَفَرِّقِ السِّينَ، وَلَا تَعْوِرِ الْمِيمَ، وَحَسِّنِ اللهَ، وَمُدَّ الرَّحمَنَ، وَجَوِّدِ الرَّحِيم }[٥٤٩].

٥٤٩ أدب الإملاء والاستملاء وفتح الباري عن معاوية ﷺ

وفي رواية أخرى:

{ يَا مُعَاوِيَةُ أَلقِ الدَّوَاةَ، وَحَرفِ وَانْصِبِ الْبَاءَ، وَفَرقِ السينَ، وَلاَ تُقَورِ الْمِيمِ، وَحَسنِ اللهَ، وَمُدَّ الرَّحْمَنَ، وَجَودِ الرَّحِيمِ، وَضَعْ قَلَمَكَ عَلى أُذُنِكَ الْيُسْرى فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لَكَ }[٥٥٠]

وكانت الكتابة كلها بغير نقط أيام سيدنا رسول الله ﷺ.

وهو الذي علَّم الكتبة وأصحاب الحرف والصنائع، يقول لأحدهم:

{ ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمُمْلِي }[٥٥١]

ولذلك نرى الصُنَّاع كالذين يعملون في النجارة وغيرهم، أين يضع القلم؟

فوق أذنه لأنه يتبع السُنَّة حتى يتذكَّره.

فكان ﷺ يقرأ، ولكنه لإعجاز الله على المجادلين والمشركين والكافرين سخَّر الله له من يكتب عن حضرته ...

وامتنع عن الكتابة بيده لإثبات قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حضرته.

وهي قضية لا يجب أن تُثار، ولا نتحدث فيها ولا نتجادل فيها ..

فما معنى النبي الأُمي؟

- لأنه من مكة، ومكة اسمها أم القرى.
- وأيضاً النبي الأمي يعني الذي يتفرع منه جميع الأنبياء والمرسلين، فهو ﷺ أبوهم جميعاً، حتى آدم، فالنبي ولده في المبنى، لكنه ﷺ أبوه في المعنى، لأنه أبو الأنبياء والمرسلين أجمعين:

أبوهمُ أنت يا سر الوجود ولا فخر وسرهم قبل المعاينة

من الذي أخذ الله عليه البيعة للمرسلين أجمعين أن يؤمنوا به وينصروه في ميثاق النبيين؟ هو رسول الله ﷺ.

---

٥٥٠ رواه الديلمي جامع المسانيد والمراسيل عن معاوية ﷺ
٥٥١ سنن الترمذي عن زيد بن ثابت ﷺ

عبادة التفكر

فأول التوجيه لنا من الله ﷻ القراءة.

والقراءة التي يأمرنا الله ﷻ بها هي التفكر والتدبر في خلق السماوات والأرض.

وهي العبادة المنسية التي نسيها الناس في هذا الزمان مع قوله ﷺ:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[٥٥٢]

لا توجد عبادة من النوافل تساوي التفكر ..!!

لأنها التي ستهدي الإنسان إلى قدرة الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَى ..

ما قدر أجرها يا رسول الله؟

قال ﷺ:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[٥٥٣]، وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }[٥٥٤]

والساعة في حديث رسول الله أو في كتاب الله يعني اللحظة، وليست الستين دقيقة.

ولذلك التفكر عبادة الأنبياء وأكابر الأولياء، ما عبادة حضرة النبي عندما كان في الغار؟ كان يقف أمام الغار ويتفكر وينظر:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٠١يونس) انظروا وتفكروا وتمعنوا:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٠٥يوسف).

إلى أي شيء ننظر يا رب؟

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ (الغاشية)

---

٥٥٢ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

٥٥٣ الفوائد المجموعة للشوكاني

٥٥٤ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة ﷺ

كل واحدة من هذه تحتاج إلى كتب !!!

وخاصة لو استعنا بالعلم الحديث والمكتشفات الحديثة فيها، تجد فيها العجب العجاب الذي يدل على قدرة القادر ﷻ في كل هذه الأمور.

فنحن عندما ينظر الإنسان في وجوه الحاضرين، فنجد التقسيم واحد، عينيه متباعدتين، وأنف له فتحتين، وتحته فم، وبه أذنين، لكن هل يوجد أحد يشبه الآخر من أول الخلق إلى آخر الدنيا؟ لا.

هل يوجد مصنع سيارات أو مصنع تليفونات يستطيع أن يصنع كل مرة موديل جديد؟ لا، فخط الإنتاج يمكث سنة حتى يصنعوا موديل جديد به بعض الاختلافات.

لكن مصنع ملك الملوك من بطن واحدة وأب واحد ...

فتجد الأبناء حتى لو كان هناك شبه قريب إلا أن كل واحد له صورة خاصة به، وكل واحد له شكل خاص به، وكل واحد له صوت خاص به، وكل واحد له بصمة في أصابعه خاصة به، وبصمة في عينه خاصة به، وبصمة في أضراسه خاصة به، كل واحد له صورة تدل على حضرة الواحد:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحد

وهذا غير أن كل واحد له عقل خاص به، وله قلب خاص به، ولا يوجد واحد يشبه الآخر في أي أمر من الأمور، وهذا دليل على إبداع البديع وقدرة القادر ﷻ.

لا يوجد إثنين مثل بعضهما حتى ولو كانا توأمين، وأحيانا لا نعرفهما من بعضهما، لكن لو دققنا نجد أن هناك تمييز كبير بين الإثنين.

ولذلك كان التفكر هو العبادة الأولى لأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم، ولإمام الأنبياء سيدنا محمد، ولجميع الأنبياء والمرسلين ولأكابر الصالحين، لأن العبادة الموصلة إلى الله هي التفكر، ... الصلاة والصيام والزكاة والحج هذه عبادات عظيمة وتوصل إلى الجنة، لكن الذي يوصل إلى الله التفكر، والله دعانا لهذه العبادة في القرآن الكريم:

﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (سبأ).

سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه، عندما كان يتعبد في غار حراء في موضع رسول الله، كان على نفس النهج، كان يقف أمام غار حراء يتفكر، وأحياناً يأخذه الفكر ولا يشعر، يقولون: كان يقف أربعين يوماً لا يجلس ولا يأكل ولا يشرب لشدة انشغاله بما يفكر فيه فهو مأخوذ، ولا يستطيع أحدٌ منا أن يقلده لأنه كان مأخوذاً بهذا الأمر، وعندما يُجذب من عجائب قدرة الله ينسى الجسم وطلبات الجسم والدنيا وما فيها، شغلاً بما يرى من عجائب قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه أحوال الصالحين، يظل الواحد منهم يتفكر حتى تشرق له الأنوار، فيرى قول الله تعالى متحققاً في الآثار: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور).

سيدي أحمد الرفاعي ﷺ وأرضاه، خاله كان شيخ الطريقة الشيخ منصور الباز البطائحي، اختاره خليفة عنه، فغضبت زوجته وقالت: كيف تختار ابن أختك وتترك ابنك؟!، فكلمت الأكابر من المريدين ليكلموه، فلما ألحُّوا عليه استدعى الإثنين، فقال لهما: أريد من كل واحد منكما أن يأتيني بحمل من حشائش الأرض والذي يسبق فهو خليفتي، فذهب ابنه سريعاً وأتى له بحمل كبير، والسيد أحمد الرفاعي ذهب ولم يرجع إلى قرُب المساء، فقال لهم: اذهبوا وانظروا لماذا تأخر أحمد؟ فجاء ولكن ليس معه شيء، فقال له: ما بك؟ قال: يا سيدي كلما هممت أن أقطع نبتة سمعتها تذكر الله، فأستحي من الله أن أقطعها وهي تذكر، فوصل لمقام: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء) بم وصل؟ بالتفكر والتدبر.

فالإنسان منا يجب أن يتفكر، والله أمرنا إذا وُضع أمامنا طعام أن نتفكر فيه:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (٢٤عبس) كيف وصل إليك؟

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس).

أفكر في رغيف العيش من أيت أتى؟

أو في كوب الماء الذي في يدي، كيف أتى؟

نزل من السماء، إما في بحيرة فيكتوريا، أو في العيون التي تخرج من باطن النيل، لأن أكثر الماء الذي يجري في النيل من العيون التي تجري داخل النيل من باطن الأرض، والناس غير منتبهين، يظنون أنهم يسدوا من هناك، وهذه العيون من الذي يسدها؟ لا أحد، فإنها تجري بأمر الله ﷻ.

وعندما تأتي بعض هذه المياه سواء في سحابة أو من باطن الأرض، فإنه مقدر أن هذا الماء سيذهب إلى فلان يوم كذا في ساعة كذا، والبعض الآخر سيذهبون لفلان في يوم كذا في ساعة كذا.

والسكر الذي نستخدمه كان في عود قصب، وهذا العود عندما نقرأه بعين الفكر نجد مكتوب عليه بقدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه سيذهب للمصنع يوم كذا، ومن الذي يجنيه؟ ومن الذي يحمله؟ ومن الذي يدخله؟ وكم وزن سيخرج منه من السكر؟ وسيذهب للبائع الفلاني ثم للبائع الفلاني، حتى يصل إلى فلان ويضعه في الكوب ويشربه فلان، كل هذا مكتوب على هذا العود بأمر من يقول للشيء كن فيكون، ولذلك لا بد للإنسان عندما يأكل أن ينظر.

سيدي أحمد الرفاعي ﷺ وأرضاه دعاه رجل للطعام في بغداد، وكان يريد أن يختبره، فدار به في كل بغداد، ثم قال له: لقد نسيت البيت، فقال له: نرجع، فعاد وقال: الآن تذكَّرت البيت، فأخذه وكرر هذا الأمر، وفي النهاية أخذه على البيت وأتى له برغيف عيش ورماه له، وقال له: خذ وكل، فقال له: يا بني حضرة النبي يقول:

{ أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ، فَمَنْ أَكْرَمَ الْخُبْزَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ }[٥٥٥]

وفي الأثر: (أكرموا الخبز فإنه ما وضع رغيف أمام أحدكم حتى فرغ منه ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل وآخرهم الخباز).

مَلَك يأتي له بالمياه، ومَلَك يضع البذرة، ومَلَك يرعاها، ومَلَك يحصدها، ومَلَك يطحنها، ومَلَك يعجنها، ومَلَك يخبزها ....

إلى أن تأتيك حتى تشكر الله على عطاياه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٥٥٥ المعجم الكبير للطبراني

ولذلك سيدنا رسول الله نهى أصحابه المباركين وآل بيته الطاهرين عن أن يدوس أحدهم النعمة بأقدامهم، فقد دخل النبي ﷺ على عائشة، فَرَأَى كِسْرَة من الخبز مُلْقَاة، فَمَشَى إِلَيْهَا فَمَسَحَهَا وقال:

{ يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ }[٥٥٦]

سيدي أحمد الرفاعي أخذ الرغيف وخرج فرأى كلباً فأشار له بالرغيف فجاءه يجري، فأشار له أن انصرف فرجع، وكررها مرات، ثم قال للرجل: يا بني هل تريد أن يكون أحمد الرفاعي في الخُلُق أقل من هذا الكلب؟!

انظر إلى الصالحين!، لم يضجر ولم يجزع ولم يشتمه ولم يضربه ولا قال له لِمَ تفعل فيَّ هكذا؟ ولا من أجل من فعلت فيَّ هذا؟ لأنه يعلم أنه يمتحنه، وكانوا ينظرون إلى الأمور كلها أنها من الله وبالله، ولذلك كان الأعداء لا يجدون حيلة معهم.

الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه ذهب ليخيط جبة عند رجل ترزي، وكل واحد من السادة العلماء دائماً يكون له حاقدين وحاسدين، وهذه سُنَّة الله ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٥٤النساء) ليس من خيره وبره، بل من فضله، فالحسد الأكثر على فضل الله، لكن الحسد على النعم الحسية أقل بدرجات كثيرة.

فذهب بعض هؤلاء الحاقدين واتفقوا مع الترزي أن يجعل كُم اليد اليمين ضيق، وكُم اليد اليسرى واسع، يعني الإثنين ليسا كبعضهما، وذهب الإمام الشافعي ليرى الجبة ويستلمها، فلما لبسها قال للرجل: كأنك عرفت ما في نفسي، فقال له: ما الذي في نفسك؟ فقال: عندما كنت أكتب بيدي اليمنى، فكانت سعة الكُم تعاكسني، والآن سأكتب وأنا مطمئن، وعندما كنت أحمل الكتاب كان العرق يؤثر في الورق فيتغير، فالآن أحمل الكتاب في هذا الكم الواسع فلا يتأثر بالعرق.

هؤلاء كانت عبادتهم الأساسية التفكر، وينظرون إلى الأمور كلها بالله بأنه لا يحدث في الكون شئ إلا بإرادة الله ومشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

٥٥٦ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ اقرأ كل شيء في الكون باسم ربك الذي خلق، كل شيء تقرأه باسم الله، لأن كل شيء في الوجود عليه خاتم اعتماد بأنه صنع الله الخالق.

حتى أنت، لما أكمل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلقتك في بطن الأم عمل الخاتم، فتجد في اليد اليمني مكتوب ثمانية عشر، وفي اليسرى واحد وثمانين، ومجموعهم تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وما شكل اليد؟ الله، فاسم الله هو خاتم المصنع: ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ (٨٨النمل).

فأنت تشاهد بسر البصير الذي تجلى عليك به مولاك، وتسمع بسر السميع الذي تجلى به عليك الله، وتحيا بسر الحي، وتعلم بسر العليم، وكل حركاتك وسكناتك تعلم أنها بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فهذه هي البداية لأهل العناية، ما هذه العبادة؟ عبادة التفكر.

جماعة من الخوارج الذين يهتمون بالعبادات الظاهرة، فيكثرون من الصيام ويبالغون في تلاوة القرآن ذهبوا إلى السيدة أم الدرداء زوجة سيدنا أبو الدرداء يسألونها عن عبادته، فقالت: لم يكن أبو الدرداء يعبد الله كعبادتكم، ولكنه كان يجلس يتفكر.

ما عبادته؟ التفكر في خلق الله، والتفكر جعل الله له منهج، فقال ﷺ:

{ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ }[٥٥٧]

وفي رواية أخرى:

{ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا }[٥٥٨]

تفكر في آلاء الله، تفكر في نعم الله، تفكر في كائنات خلقها الله، لكن ذات الله لا شأن لنا بها، فليس عندنا الأدوات، وليس معنا الآلات التي تدرك حضرة الذات، فنحن نفكر على قدر الآلات التي أعطاها الله لنا، وهو الذي يسيرها، وهو الذي يحركها، وهو الذي ينظمها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن كان ظاهراً قد ترك لك اختيار، ولكن في الحقيقة لا

---

٥٥٧ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٥٥٨ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه

يتحرك شيء فيك إلا بأمر الواحد القهار ﷻ.

فأنت تأكل، من الذي يحرك الأصـــابع؟! من الذي يرفع اليد للفم؟! ومن الذي يمزق الطعام في الفم ويطحنه؟ ومن الذي ينزل إنزيمات في الفم، وإنزيمات في المعدة لهضم الطعام؟ ومن يقف على البلعوم حتى لا يتسـرب منه شـيء ناحية الرئتين، من الذي ينظم حركة المرور هذه؟!

وبعد أن ينزل الطعام داخل المعدة، يتم الكشف عليه، إذا كان فيه سكر، فيتصلوا بالبنكرياس ليرسل الأنسولين، وإذا كان به دهون يتصلوا بالمرارة لتأتي بعصارتها التي تهضم الدهون، وهكذا.

وبعد أن تأتي هذه الإنزيمات، من الذي يعطي الإشـارة للمعدة أن تعمل؟ هل أحد يســتطيع أن يتحكم في هذه الأمور؟! لا، هل يوجد أحد يقول لمعدته: انتظري حتى أنام قليلاً وبعد ذلك اهضمي؟ لا أحد.

وبعد ذلك يرسل الطعام إلى الكبد ليحوله إلى دم، وليس دماً واحداً، فالدم الذي يذهب للعين، غير الدم الذي يذهب للسان، غير الدم الذي يذهب للأذن، لو اختلف دم فإن العين لا تشاهد، والأذن لا تسمع، لأن كل عضو له غذاؤه، أين الكمبيوتر الذي ينظم كل هذا؟ ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل).

فعندما يأكل الإنســـان يفكر في هذه الأمور، فيكون طعامه فيه تقرب إلى الله، ويرتفع به شـــأنه عند مولاه، ويكاشـــف بأنوار إلهية لا يعلم قدرها إلا حضـــرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا طريق العارفين: (وَفِي أَنْفُسِـــكُمْ أَفَلا تُبْصِـــرُونَه) وهذه قراءة من القراءات، يعني أفلا ترونه فيكم؟ ماذا يعمل؟ وبماذا يعمل؟!.

أين جهاز التكييف الذي يعمل في الجســـم؟ هل يوجد من يحدده؟ إذا كان الهواء ساخن فلا بد أن يبرده حتى لا يؤذي الصدر، وإذا كان الهواء بارد يكيفه حتى لا يتعب، فكيف يعمل؟ يعمل بأمر المهندس الأعظم ﷻ، يســيره ويســخره لك على مدى الأيام والشهور والدهور، وقس على ذلك وانظر في كل أجزاء جسمك، كما قيل (تبصرك فيما فيك يكفيك).

خلق الإنسان

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾:

انظر إلى خلق الإنسان كيف تم؟ أعضاء الإنسان الدم يطوف عليها، يأخذ من كل عُضو جيناته، ويجمعها في النخاع الشوكي ويتكون حيوان منوي، والحيوان المنوي هو إنسان صغير جداً، فيه عينيك وشكلها، وجسمك وطوله ولونه، كل شيء فيك في هذا الحيوان، والدفقة الواحدة يخرج فيها ثلاثمائة مليون حيوان منوي، واحد فقط يشتبك مع البويضة وتبدأ المرحلة الثانية التي قال فيها الله: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ تعلق في جدار الرحم، وهذا هو الوصف الذي اكتشفه العلم في هذه الأيام، ويتولى الله ﷻ تربيتها وتخليقها كما روى ذلك في سورة المؤمنين: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ (المؤمنون).

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾:

الواو هنا واو المعية، يعني اقرأ مع الله وليس مع نفسك، ولا مع جارك، ولا حتى مع شيخك، لكن اقرأ مع الله، والقراءة مع الله كيف تكون؟

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ ﴾ (١٧هود) بالمشاهدة، هناك قراءة بالعين، وهناك قراءة بالقلب، وهناك قراءة بالروح التي هي مشاهدة.

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾:

حتى تشاهد كرم الله الذي لا يعد ولا يحد من خزائنه التي هي أكبر من ملء السماوات والأرض، فتشاهد كل هذه الأشياء:

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ .

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهب لنا من لدنه علما لدنياً، وحالاً محمدياً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(٣٨)

ليلة القدر[٥٥٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ (القدر).

تسمية ليلة القدر	منحة ليلة القدر	نيل الثواب
تخصيص ليلة القدر	العارفون وليلة القدر	منح ليلة القدر
تنزل الملائكة		

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله على هداه، والصلاة والسلام على شمس الحق المشرقة بنور هداه، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

تسمية ليلة القدر

الآيات التي معنا آيات سورة القدر.

وسميت ليلة القدر لأنها ليلة لها عند الله قدر، ونزل بها مَلَكٌ له عند الله قدر، على نبيٍّ له عند الله قدر، وعلى أمَّةٍ لها عند الله قدر، وهذا معنى.

وهناك معنى آخر ذكره بعض الأعلام السابقين، فقالوا:

سميت ليلة القدر لأن الله ﷻ يتنزل فيها بأقداره لجميع كائناته:

للملائكة المدبرين، والذين يقول الله فيهم: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ (٥النازعات) ملائكة تتولى التدبير، ... منهم من يتولى قبض الأموات، ... ومنهم من يتولى الأرزاق، ومنهم من يتولى الحفظ ...، ومنهم من يتولون التسجيل لأعمالنا ...، كل هذه التقديرات تنزل من اللوح المحفوظ ويرونها ويطلعون عليها بأمر الله ...، لينفذوا التدابير الإلهية التي كلَّفهم بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

٥٥٩ المقطم – مجمع الفائزين ٢٦ من رمضان ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٤/٢٧م

وهناك معنى آخر وهو موجود في القرآن:

فكلمة القدر يعني الضيق: ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ (﴿الفجر) :

يعني ضيقنا عليه رزقه، فقالوا: إن هذه الليلة تضيق السماوات وتضيق الأرض من كثرة نزول الملائكة الكرام بها.

وكلها معاني لطيفة وجميلة لهذه الليلة العظيمة.

وهذه الليلة منحةٌ من الله لأمة حبيب الله ومصطفاه ....

لو أمد الله في أعمارنا ومكثنا ساجدين بين يدي الله إلى ميعاد انتهاء آجالنا نشكره على هذه المنحة، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

منحة ليلة القدر

والسبب في هذه المنحة هو الرسول الأعظم والنبي الأكرم سيدنا محمد ﷺ، فهو كما وصفه الله تعالى لنا: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ (﴿التوبة) يبحث على أي منفعة لنا ليحصل عليها لنا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فورد أنه ﷺ اطَّلع على أحوال الأمم السابقة، وهذا يكون بعيون الكشف، وليس بعيون الرأس، لأنه يطَّلع في اللوح المحفوظ، فرأى أن رجلاً من بني إسرائيل جاهد في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ألف شهر، وألف شهر يعني يساوي ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر، فقدَّم مظلمة، والكلام مع ملك الملوك لا يحتاج إلى حُسن البيان ولا حُسن التعبير ولا كثرة الكلام، وإنما يحتاج من الإنسان أن يعبر عما يريد في كلمات محدودة لأنه يعلم ما في نفوسنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقال:

{ يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، لك ولأمتك إلى يوم القيامة }[٥٦٠]

وفي رواية أخرى:

---

٥٦٠ تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ ذَكَرَ النبي رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) لِلَّذِي لَبِسَ السِّلاحَ فِيهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ }[٥٦١]

لأن الأمم السابقة أعمارهم كانت طويلة، فيستطيعون الإستزادة من العمل الصالح، لكنه قال ﷺ في شأن أمته:

{ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ }[٥٦٢]

فأين يذهبون مع هؤلاء الناس؟!

فسيدنا نوح مثلاً عاش ألف وثلاثمائة سنة: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت) مدة دعوته كانت ألف سنة إلا خمسين يعني تسعمائة وخمسين سنة، لكنه عاش غير هؤلاء ثلاثمائة وخمسين سنة، فمات وعنده ألف وثلاثمائة سنة.

ومع ذلك يُروي أن الملائكة لما أرادوا قبض روحه قالوا له: يا نبي الله كيف وجدت الدنيا؟ قال: (كبيت له بابان، دخلت من باب وخرجتُ من الآخر).

مع هذه المدة الطويلة!، فأين نذهب نحن؟! فلا يوجد أحدٌ منا يستطيع أن يعيش وإن أكثر عُشر يوم من أيام الله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج) من الذي يعيش مائة سنة، قليل جداً، ولا يستطيع أحدٌ أن يعيش واحد على خمسمائة من يوم القيامة: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج).

فاستجاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لحبيبه لحبه له، وأنزل سورة القدر:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾.

ففي هذه الليلة يعوضنا الله لقصر أعمارنا وقلة أعمالنا، لأن الواحد منا لو أحيا هذه الليلة يُكتب له ألف شهر كلها طاعة وعبادة لله ﷻ، فينال فيها أجر عمل أكثر من ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر خير من عمل العمال، لأن الله قال:

---

٥٦١ سنن البيهقي وطرح التثريب للعراقي
٥٦٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾:

ولم يقُل تساوي ألف شهر، بل خيرٌ من ألف شهر في العبادة والطاعة، لأن العبادة والطاعة ربما تؤدي إلى الغرور، أو إعجاب الإنسان بنفسه، وهذان مرضان مهلكان للأعمال.

لكن هذه لأنها منحة، وكما نقول: المنحة ليس عليها ضـــرائب ولا مقتطعات ولا شيء أبداً، فالمنحة تكون صافية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وليلة القدر لها وجهين، وجه الأجر والثواب، ووجه المنح من الكريم الوهاب.

نيل الثواب

الأجر والثواب يسَّره لنا نبينا الأواب ﷺ، فقال:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[٥٦٣]

فمتى هي يا رسول الله؟ قال لهم في البداية:

{ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ }[٥٦٤]

الليالي الوترية هي ليلة واحد وعشـــرين، أو ليلة ثلاثة وعشـــرين، أو ليلة خمســـة وعشرين، أو ليلة سبعة وعشرين، أو ليلة تسعة وعشرين.

والصـــحابة جدُّوا واجتهدوا وكانت القلوب رقيقة وشـــفافة، فشـــاهدوا ما لا تراه العيون من عجائب الحي القيوم، ويحكون له، فقال لهم:

{ أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ }[٥٦٥]

يعني أنا أرى رؤياكم وكلها رؤيات صـــادقة، لأن رؤياهم كانت تنزل بتشـــريع، هي التي شرعت لنا الأذان، ولم يحدد ليلة معينة، لأنه ﷺ عليمٌ بالنفوس.

وهذه الليلة لها خصائص لا تعد ولا تحصى.

---

٥٦٣ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ
٥٦٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
٥٦٥ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

ومن جملة هذه الخصـــائص إجابة الدعاء، ولا يوجد في الدنيا أظلم من الإنســـان للإنسان، فهل يوجد حيوان أياً كان يضارع في ظلمه لإخوته من الحيوانات ظلم الإنسان للإنسان؟ مستحيل.

نرى الروس مثلاً، ماذا يفعلون بأولاد عمهم وأقاربهم في أوكرانيا؟ إبادة جماعية وتعذيب عن دراسة في علم الإجرام وكيفية تعذيب الإنسان، هل الحيوان يفعل ذلك؟ أبداً.

ولذلك كان أحد القراء يقرأ: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (١٢البروج) فالشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ وكان وقَّافاً عند سماع كلام الله، قال ﷺ: بطشي أشد من بطش الله، فقالوا له: لماذا؟ فقال: بطش الله ممزوج بالرحمة، لكن بطش الإنسان بالإنسان ليس فيه ذرة رحمة أبداً.

وخاصة إذا كان من الكافرين أو المشركين، فلا تُنزع الرحمة إلا من شقي، وهؤلاء منزوعٌ منهم الرحمة نهائياً.

فيعرف أن هذه ليلة الإجابة فيقضـــيها كلها في الدعاء على أحد من الناس بينه وبينه مشكلة أو معضلة، فنقضي هذه الليلة كلها لندعوا على بعضنا، وهل جعلها الله لهذا؟ لا، لكن جعلها لندعوا جميعاً لبعضنا، وكان هذا من ضمن الإسباب التي من أجلها أخفى سيدنا رسول الله ﷺ هذه الليلة حتى لا يطلع عليها إلا الأخيار، ولا يستطيع أن يصل إليها الأشرار.

تخصيص ليلة القدر

لكنه أعطى تلميحات يراها أهل الإشـــراقات، فيعرفون أن هذه الليلة هي ليلة القدر، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ، فَاعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْ صَبِيحَتِهَا مِنَ اعْتِكَافِهِ، قَالَ: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي، فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ

وِتْرٍ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ، فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ، مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ }[٥٦٦]

وفي رواية أخرى كانت ليلة ثلاث وعشرين، قال ﷺ:

{ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، قَالَ: فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَانْصَرَفَ، وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ }[٥٦٧]

فلما حدث الاختلاف في الأقوال جمع سيدنا عمر ﷺ الأعلام من صحابة النبي، وكل واحد منهم يُبدي برأيه في ليلة القدر، فكل واحد منهم أبدى رأيه، من ضمنهم سيدنا أُبيُّ بن كعب أقسم فقال:

{ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهَا، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ }[٥٦٨]

وكان معهم سيدنا عبد الله بن عباس وكان يجلسه سيدنا عمر مع أهل الصفوة مع أنه لا يزال صغيراً، فقال له: ما رأيك يا ابن عباس؟ فقال ﷺ وأرضاه: أرى السبعة استشرت في كل أنحاء عباداتنا، الطواف بالبيت سبعة، والسعي بين الصفا والمروة سبعة، ورمي الجمار سبعة، وحتى السماوات سبع، والأراضين سبع، وأطوار خلق الإنسان في بطن أمه سبع، فأرى أنها ليلة سبع وعشرين، فقالوا: نريد أن توضح أكثر، قال: سورة القدر عدد آياتها ثلاثين، فعندما نأتي عند كلمة (هي) نجدها السبعة والعشرين، وكلمة (ليلة القدر) حروفها تسع، وذُكرت في السورة ثلاث مرات، فنضرب الثلاثة في تسعة فتكون سبعة وعشرين، فهي ليلة سبعة وعشرين.

فهذه بعض الآراء، وبعض السادة الأئمة الكرام أخذوا برأي وجيه، فقالوا: إذا وافقت ليلة وترية ليلة جمعة، فهي ليلة القدر، وهذه قاعدة أخذها الإمام الشافعي ومشى عليها بعض العلماء العاملين.

---

٥٦٦ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٥٦٧ صحيح مسلم عن عبد الله بن أنيس ﷺ
٥٦٨ صحيح مسلم ومسند أحمد

العارفون وليلة القدر

وجاء سيدنا الإمام أبو العباس المرسي ﷺ وقال: لِمَ تقفون عند الأيام والليالي؟! أوقاتنا كلها ليلة قدر، فكل أوقاتنا في ليلة القدر على الدوام، لماذا؟ لأن الكمالات والجمالات والعطاءات التي تنزل لنا في ليلة القدر تنزل لنا في كل لحظة، فيعيش باستمرار في ليلة القدر:

لياليهمُ قدرٌ وأيامهم ضيا وأيامهم في الأنس كالأعياد

هؤلاء هم الصالحون رضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليهم أجمعين.

فلائحة الأجور من الذي يحصل عليها؟ أي واحد يصلي الفجر والعشاء في جماعة، قال ﷺ:

{ مَن صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }[٥٦٩]

وسيدنا رسول الله حتى لم يشترط المسجد، طالما صلى الفجر والعشاء في جماعة حتى ولو في بيته مع زوجته أو مع أي أحد في البيت، فسيأخذ الأجر، ويُكتب له أجر عبادة ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر.

والإنسان له أجلين: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ﴾ (٢الأنعام) عندما يأتي أجل الإنسان يذهبون لمكتب الصحة ومعهم البطاقة، كم عمره؟ خمسة وستين سنة مثلاً، يسألون الكرام الكاتبين: كم عمره؟ يقولون: لو حسبنا فقط ليلة القدر في أربعين سنة عاشها، فيكون عمره أربعة آلاف سنة، فهذه حسابات إلهية تحسب الأعمال كما ذكرها رب البرية ﷻ، وليس له شأنٌ بالأعوام الميلادية ولا الهجرية.

فالإنسان لكي يضمن أنه سيفوز بالأجر يحافظ على صلاة الفجر والعشاء جماعة في العشر الأواخر من رمضان، فيضمن أي ليلة منهم هي ليلة القدر لأنه أحيا الكل فيأخذ الأجر، وهل يأخذ الأجر فقط؟ لا، بل يأخذ الأجر ومعه المغفرة، لقوله ﷺ:

{ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }[٥٧٠]

---

٥٦٩ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان ﷺ

٥٧٠ صحيح البخاري والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

فيأخذ الأجر والمغفرة، وهذه متاحة لكل المؤمنين ولكل المســـلمين، ولا يتجاوزها إلا من قُدِّر له الحرمان من رب العالمين.

ولذلك روي أن النبي ﷺ رَقَى عَتَبَةَ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:

{ آمِينَ، ثُمَّ رَقَى عَتَبَةً أُخْرَى، فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ رَقَى عَتَبَةً أُخْرَى، فَقَالَ: آمِينَ، فَقَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ }[٥٧١]

يعني من أدرك رمضان ويخرج منه بغير مغفرة، فمتى يأخذها؟

ولذلك قال ﷺ في الحديث الآخر:

{ فَمَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَفِي أَيِّ شَهْرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟! }[٥٧٢]

إن لم يأخذ هذه المغفرة في أوكازيون هذه المغفرة، فمتى يأخذها بعد ذلك؟!

فسيأخذ المغفرة وسيأخذ الأجر العظيم الذي أشرنا إليه ..!!

وهذا الأجر هو الحد الأدنى.

لكن الحد الأقصى يقول المولى فيه:

﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢٦١البقرة) .

إياكم أن تظنوا أننا سنأخذ أجراً يساوي ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر فقط !!

فلسنا كلنا مثل بعض، فهذا الحد الأدنى، لكن الحد الأقصى هل يعرفه أحد؟ لا، فهو عند الله: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠النساء)

يعني بعد أن يضاعف يعطي من عنده أجراً عظيماً، فهل يستطيع أحد أن يكيف هذه الأمور؟ لا.

---

٥٧١ صحيح ابن حبان والطبراني عن مالك بن الحويرث ﷺ
٥٧٢ التدوين في أخبار قزوين للرافعي

منح ليلة القدر

أما المنح لأهل المنح فهي أمرٌ فوق الطاقة والقدر والإمكان، وإن كنت أنوّه إلى أن أحبابنا يجب أن لا يستمعوا إلى الترّهات التي انتشرت في القرى وسمعناها قديماً، كانوا يقولون: أن ليلة القدر ستفتح لك فيها أبواب السماء وتنظر في السماء.

وبعضهم كان يقول: ليلة القدر هي شخص يأتي ومعه ركوبة مليئة بكذا وكذا، فكل هذه خرافات كان يقولها الناس قديماً، وكانوا يصدقونهم، فليس لنا شأنٌ بهذه الخرافات، لكننا نريد الحقائق.

والحقائق في هذه الليلة ذكرها الله في الآية: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ يعني إنا أنزلنا القرآن، وأبهم الله ﷻ ذكر القرآن لمعرفته، وهذا رأي.

لكن الرأي الأوجه الذي ألهمنا الله به أن القرآن أُنزل ألفاظاً وحروفاً على حبيبه، ويُنزل معاني القرآن على أحبابه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنه لا أحد منا سينزل عليه قرآن، لكن ينزل له معاني القرآن، لأن الله قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) وثمَّ للتراخي.

يعني لا تخشى فنحن على قدر كل زمان سنبين القرآن برجال نختارهم من أهل هذا الزمان، وشرطهم أن يكونوا من أهل الكشف والعيان، فننزل عليهم معاني القرآن التي يحتاجها أهل هذا الزمان، ولذلك معاني القرآن متجددة على الدوام.

وعندما نقرأ في كتب المفسرين السابقين نجد أنها تحتاج إلى تنقيح وتحتاج إلى تهذيب وتحتاج أن نرفع منها هذه الخرافات التي ليس لها نهاية، ففي الكتب القديمة خرافات كثيرة.

والناس الواقفين إذا كلمتهم يقولون لك: من أين أتيت بهذا الكلام؟ لابد أن تأت به من القرطبي أو من الطبري أو ابن كثير أو غيره أو غيره!!، لكن كيف ذلك؟!! فالقرطبي مثلاً يقول في قول الله: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (١الزلزلة) أن الأرض محمولة على قرن ثور فإذا أراد أن يغير من قرن للقرن الآخر حدث الزلزال، فهل ينفع هذا الكلام؟!! لا، ولا يصح أن نرفعه، ولكن لا بد أن أنوه تحت بند أن هذا الكلام كان على حسب المعلومات التي يعرفها في زمانه، لكن تغير الأمر بعد العلم الحديث، ومعرفة كيفية

حدوث الزلازل وحدوث الأعاصير وحدوث الرياح، كل هذه الأمور تغيرت ووارد أنها تتغير أيضاً بعد ذلك.

ولذلك أنا أقول رأي، والشيخ الشعراوي رحمة الله عليه كان حريصاً، فقالوا له:

هل هذا تفسير للقرآن؟ فقال لهم: لا، هذه خواطري، وكل إنسان له خواطر، كما ورد في الأثر: (يَأتِي القُرآنُ يَومَ القِيَامةِ بِكْراً وكَأَنَّه لَم يُمس).

وهذه معان كثيرة، فيوم القيامة يحدث لأناس وهم في الدنيا وهم أهل الفناء، فيرى معان لا تتحملها عقول البشر لكتاب الله ﷻ.

فإنا أنزلناه كتاباً محفوظاً حروفاً وكلمات على حبيب الله ومصطفاه، ومعانٍ على قلوب ورثته الذين ورثوا أحواله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (٤٩العنكبوت) بيانه في الصدور وليس في السطور، والبيان الذي يأتي بالنور لي ولك، والذي يرقينا ويجعلنا معه للنور فهو موجود في الصدور، لكن السطور فهذا كلام يحتاج إلى تنقيب وتهذيب وغيره.

روي سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال:

{ فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا }[٥٧٣]

القرآن أُنزل كله جملة مرة واحدة في بيت العزة في السماء الدنيا، والسماء الدنيا ليست التي نراها هذه، فالتي نراها هي الغلاف الجوي المحيط بالأرض، والذي يحمي الأرض من تسرب الأكسجين لنعيش، ويفلتر أشعة الشمس القادمة حتى لا تحرقنا، لكن السماء لم يصل إليها أحد، ولا قرب من شأنها مع قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧الذاريات) يعني تتسع دوماً أولاً بأول، وليست واقفة.

فرسول الله ﷺ نزل عليه بعد ذلك جبريل بالقرآن مُنجماً، يعني بحسب الأحوال والزمان في مدة ثلاثة وعشرين سنة ...

كان ينزل في كل حادثة آيات من آيات كتاب الله تبارك وتعال.

---

٥٧٣ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهناك قولٌ لبعض أهل الشفافية الكبرى، يقولون: يقول الله له:

﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ﴾ (١١٤طه)

يعني هو يعرفه، ولكن لا يتعجل إلا إذا جاءه الإذن.

فنزل القرآن في ليلة القرآن، وهي ليلة القدر، ووضحها في قوله:

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ (١٨٥البقرة)

فالقرآن نزل في شهر رمضان، وهذه الليلة ما وصفها عند الرحمن؟

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ (٣الدخان)

هذه الليلة المباركة في العشر الأواخر من شهر رمضان.

وكأن الله ﷻ جعل هذه الليلة العيد الوحيد ...

الذي يشترك فيه أهل السماء وأهل الأرض.

كل بلد لها عيدها، وكل قوم لهم عيدهم، والعيد الوحيد الذي يشـــترك فيه أهل السماء وأهل الأرض هو ليلة القدر ..

فيأذن الله لهم أن ينزلوا من السماء ...

ليشاركوا المؤمنين عيد نزول كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ:

{ وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَأْمُرُ اللَّهُ ﷻ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَهْبِطُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلَى الأَرْضِ وَمَعَهُمْ لِوَاءٌ أَخْضَرُ، فَيُرْكِزُ اللِّوَاءَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ مِائَةَ جَنَاحٍ مِنْهَا جَنَاحَانِ لا يَنْشُرُهُما إِلا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَيَنْشُرُهُما فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَيُجَاوِزَانِ الْمَشْرِقَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَيَبُثُّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ الْمَلائِكَةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيُسَلِّمُونَ عَلَى كُلِّ قَائِمٍ، وَقَاعِدٍ، وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ يُصَافِحُونَهُمْ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }[٥٧٤]

وفي بعض الأثر:

---

٥٧٤ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

((لواءٌ يضعه على بيت الله الحرام، ولواءٌ يضعه على المسجد النبوي، ولواءٌ يضعه على بيت المقدس)).

فينزلون في الأرض في هذه الليلة، ومن يصافحوه أو يمسُّوه ينال السعادة، وكيف نعرف أنهم مسُّوه؟ نسأل أهل المعرفة، قالوا: إذا نزل المَلَك ومسَّك ستشعر بقشعريرة ودموع نزلت من عينك رغماً عنك، فتعرف أن هذا من مسِّ المَلَك لك، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى حَوْلَ الْعَرْشِ مَوْضِعًا يُسَمَّى حَظِيرَةُ الْقُدْسِ، وَهُوَ مِنَ النُّورِ فِيهَا مَلَائِكَةٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى يَعْبُدُونَ اللَّهَ ﷻ عِبَادَةً لَا يَفْتُرُونَ سَاعَةً، فَإِذَا كَانَ لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، فَيُصَلُّونَ مَعَ بَنِي آدَمَ، فَيَنْزِلُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ الْأَرْضَ فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسُّوهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا }[٥٧٥]

فيكون قد أخذ ختم السلام !! يعني الأمان من الهموم والغموم في الدنيا ...

والأمان عند لقاء الله من سوء الخاتمة ...

والأمان من سؤال الملكين وعذاب القبر ...

والأمان من الفزع الأكبر ... والأمان من جهنم ... والأمان التام من الله ﷻ ....

لأن الله بشَّره على لسان ملائكته الكرام:

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١التوبة).

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ ﴾:

أنت ترى ليلة القدر وما فيها، لكن هل تستطيع أن تصفها لهم؟!

فيُظهر لك عجز الجميع عن التبيان والبيان في نعم حضرة الرحمن علينا جماعة أهل الإيمان التي ادخرها الله لنا في ليلة القدر.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾

ليلة القدر أقل شيء فيها هي خيرٌ من ألف شهر.

---

٥٧٥ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن علي بن أبي طالب ﷺ

تنزل الملائكة

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾:

أول المنح الإلهية هي تنزُّل الملائكة، ويُتلى بهم السلام لأهل الإيمان، إذا كان الرجل من المؤمنين المجدين يأتيه مَلَكٌ من الملائكة المقربين، وإذا كان من الواصلين يأتيه مَلَكٌ من حملة العرش، وإذا كان من كُمَّل الوارثين يأتيه الأمين جبريل بذاته، وإذا كان من المصطفين الأخيار فالذي يأتيه يبلغه بالسلام النبي المختار ﷺ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧الأحزاب) ليس له نهاية أبداً، وإذا كان فنى عن نفسه وكله وأصبح باقياً بربه، فيسمع بما فيه من سمع ربه السلام من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه عطاءات لهؤلاء الأقوام.

وبالطبع مع ذلك إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، لأنها ليلة إجابة، والدعاء للذين لم يعد لهم في أنفسهم ميلٌ إلا لله ورسوله والدار الآخرة.

كثير من الناس يجهزون دعوات لليلة القدر، ولكنها دعوات في أمور مقدرة من الله ﷻ، كالذي يريد أن يدعو لابنه أن يدخل كلية الطب مثلاً، أو أن تتزوج ابنته بأمير، أو أن يكثر ماله، وغير ذلك.

لكن هؤلاء الأقوام يقول فيهم الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢٢الشورى) ليس لهم مشيئة غير مشيئته، فليس عندهم حظٌ ولا هوى ولا ميل، لا يريدون إلا ما يريده الله، ولا يطلبون إلا الكمال من ذات الله، ويقتدون في كل أمورهم بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾:

فتنزل الملائكة والروح، والروح قيل هو الأمين جبريل، وقيل أنه مَلَكٌ لم يهبط إلى الأرض من قبل، لكننا نرى أن الروح هي روح الله ﷻ التي تحي ظاهره وباطنه، بسر: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٢٩الحجر).

فهي الروح التي ينفخها فيه الله:

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ (١٥غافر).

﴿ مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ۝٤ ﴾:

يعني ينزلون من كل عالم من عوالم الأمر، وعوالم الأمر يعني عوالم الملكوت الأعلى، لأنه لا يصدر فيها نهيٌ أبداً.

وإنما: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (٦التحريم) يعني يحضر في هذا العيد كل أصناف الملائكة المقربين لله رب العالمين ﷻ.

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ هي ليلة سلام، ولذلك حضرة النبي أعطى لها أيضاً مواصفاتٌ حسية، فقال:

{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بَلْجَةٌ، لا حَارَّةٌ وَلا بَارِدَةٌ، وَلا سَحَابٌ فِيهَا، وَلا مَطَرٌ، وَلا رِيحٌ، وَلا يُرْمَى فِيهَا بِنَجْمٍ، وَمِنْ عَلامَةِ يَوْمِهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لا شُعَاعَ لَهَا }[٥٧٦]

هذه الليلة تكون فيها السماء صحو يعني ليس فيها سحاب ولا غيره، وبلجة يعني منيرة مع أنها ليست في الليالي القمرية، وتخرج الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع، وتكون هادئة لا حارة ولا باردة.

فهذه أوصاف وصفها رسول الله ﷺ لأهل السعادة حتى يعرفوا الظواهر الحسية المطابقة لهذه الليلة القرآنية؛ ليلة القدر؛ ليلة إنزال القرآن.

﴿ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾:

الليلة تظل من غروب الشمس إلى مطلع الفجر، أو إلى مطلع الفجر أي إلى أن يأذن الله ويفجر الحقائق في باطنك، ويجعل لك فجر أنوارك الأولى تظهر لك، وتكون في حالة يوم (ألستُ بربكم) تسمع وترى كما كنت تسمع وترى.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يكرمنا جميعاً بأنوار ليلة القدر، وأن يكرمنا أجمعين بأسرار ليلة القدر، وأن يهب لنا جميعاً خير أجر في ليلة القدر، وأن يجعل ليلة القدر رفعاً لكل بلاءات المسلمين، وشفاءًا لكل المرضى من المؤمنين، ورحمة لكل الأموات من الموحدين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٥٧٦ معجم الطبراني عن واثلة بن الأسقع ﷺ

نبي البيِّنة[٥٧٧]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (البينة)

النبي واليهود	وظيفة الرسول	القرآن كتاب حياة
الكتب القيِّمة	الإخلاص	تت

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أنعم علينا بهداه، وأنعم علينا بحبيب الله ومصطفاه، فأعلى قدرنا ورفع شأننا وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، والرسول المرتضى، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين في الدنيا والآخرة يا أكرم الأكرمين.

سيرة رسول الله ﷺ غذاء للقلوب، وهي التي تؤجج فيها نيران الغرام، وتجعل المرء منا يشتاق إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الدوام، ولا يلتذ بطعام أو منام إلا إذا كان يتابع فيه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

والكتب التي تتكلم عن سيدنا رسول الله كثيرة قديماً وحديثاً، منها المراجع الكاملة ومنها الكتب الصغيرة التي تتناول جانب من جوانب النبوة، والحمد لله أنا قرأت كل هذه الكتب، لكن وجدت في النهاية أنه لا يوجد وصف لرسول الله أهنأ ولا أمرأ ولا أطعم ولا ألذ من وصف الله لحبيب الله في كتاب الله.

عندما نقرأ سورة البيِّنة نعلم أن الله يحبنا، وأن لنا عناية سابقة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بغير عمل عملناه ولا شيء قدمناه، لأنه يتكلم عن أهل الكتاب.

---

٥٧٧ المنيا – مغاغة ١٨ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/١٩م

النبي واليهود

اليهود ذكر لهم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كل شيء عن سيدنا رسول الله ﷺ من البدء إلى الختام، حتى أنه أعلمهم متي سيبعث، والعلامات التي ستظهر في السماء وعندما يرونها يعلمون أنه وُلد، وأين سيولد، ومن الذي سيربيه بعد وفاة أبيه، وبعد وفاة أمه، ومتى سيذهب إلى بلاد الشام مع عمه، ومتي سيتاجر للسيدة خديجة، ومتى سيهاجر للمدينة، غير أوصافه الحسية، وأوصافه المعنوية، وأخلاقه الطيبة، وأوصافه الكريمة، كل ذلك ذكره لهم سيدنا موسى، حتى قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شأنهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (١٤٦البقرة) هل يتوه أحد عن ابنه؟! لا، فهم يعرفونه كما يعرف الواحد منهم ابنه تماماً.

ولذلك قبل بعثته عدد كبير منهم هاجر من فلسطين إلى الجزيرة العربية، وفلسطين كانت بها حدائق غناء، وجو لطيف، فتركوا ذلك وذهبوا للصحراء القاحلة، لماذا؟ طمعاً في مقابلة نبي الختام، منهم من سكن عند عرفات، ومنهم من سكن في مكة، والجمع الأكبر سكنوا في المدينة، لأنهم يعلمون أن هذه دار هجرته، ومنها تنبعث رسالته إلى كل بقاع الأرض.

حتى أنه ﷺ وهو صغير جاءه رمد في عينيه، وكان أحد رهبان اليهود يسكن بعرفات ويعالج الناس، فأخذه جده عبد المطلب وذهب به إليه، فعرفه الراهب، وقال لجده: هذا دواؤه معه، خذ من ريقه وضع في عينه يُشفى بإذن الله.

وعندما كان في الثانية عشرة من عمره طلب منه عمه أبو طالب أن يذهب معه إلى الشام وكان يحبه، وفي الطريق كان هناك راهب يسمى بحيرى، وكان يسكن في دير في الصحراء ويمرون عليه في تجارتهم ذهاباً وإياباً فلا يدعوهم إلى طعام ولا حتى يكلمهم، ولكن لما رآهم هذه المرة قال لهم: سأصنع لكم وليمة، وأريد أن تكرموني وتأتوا لتأكلوا من هذه الوليمة.

فذهبوا وتركوا رسول الله، فقال لهم الراهب: هل تركتم أحد؟ قالوا: طفل صغير، قال لهم: هذا ما أريده، فجاء رسول الله، وقال له الراهب: سأسألك عن أشياء ولكن أريد منك أن تقسم باللات والعزى أن لا تكذب، قال له:

لا أحلف باللات والعزى، فوالله ما حلفت بها قط ولا سجدت لها قط، وأخذ يسأله وينظر بجسده إلى علامات النبوة التي يعرفها، ثم ذهب إلى أبي طالب وقال له: ما صلتك به؟ قال: ابني، قال: لا، فعندنا يولد وأبوه ليس بحي، قال: أنا عمه، قال: ارجع بابن أخيك فإن طوائف اليهود وقفوا على كل طريق من مكة إلى بلاد الشام ليقتلوه، لأنهم يعلمون أنه سيسافر في هذه الفترة إلى بلاد الشام.

لماذا يريدون أن يتخلصوا منه؟ هذا غضب الله عليهم، عرفوا صفاته ونعوته، وسيدنا موسى بنفسه أمرهم أن يؤمنوا به وينصروه ويتابعوه، ونحن والحمد لله آمنا به ولم نره ﷺ بأعين الرأس، ولذلك هو نفسه اشتاق إلينا وقال:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[٥٧٨]

اشتاق لنا رسول الله ﷺ، وهذا فضل لا نستطيع عدَّه ولا شكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه لأن هذا يدخل في قول الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ لم يقل اليهود والنصارى، ولكن (أهل الكتاب) لأن الكتاب دلَّهم على علامات نبوة سيدنا رسول الله ﷺ، وأمرهم باتِّباعه ونصرته، فأقيمت عليهم الحجة من الله ومن أنبياء الله الذين اتبعوهم وآمنوا بهم.

﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ يعني تاركين ما هم فيه.

﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ ﴾ البينة هي رسول الله ﷺ، والبينة هي الحجة والبرهان الذي أنزله الله ﷻ ليقيم حجج الله على خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذه السورة لما نزل بها سيدنا جبريل قال لرسول الله: إن الله يأمرك أن تقرأ هذه السورة على أُبيّ بن كعب، وسيدنا أُبيّ بن كعب اختصه رسول الله صلى الله عليه وسم بإمامة تلاوة القرآن، فقال ﷺ لهم:

---

٥٧٨ مسند أحمد عن أنس ﷺ

{ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ }[٥٧٩]

لذلك عندما جمع سيدنا عمر المسلمين على صلاة التراويح في شهر رمضان اختار أبي بن كعب ليُصلي بهم، فقال له رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ (لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى }[٥٨٠]

أخذ يبكي بكاءاً حاراً لأن الله ذكره باسمه وأمر النبي أن يتلو عليه هذه السورة فرحاً بفضل الله ﷻ.

وظيفة الرسول

هذا الرسول ما وظيفته لنا ولهم ولكل الخلق؟

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾ الصحف المطهرة هي القرآن الكريم: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (١٥١)البقرة) وهذه لنا نحن، لكن هؤلاء يتلو عليهم القرآن فقط ليقيم عليهم الحجة.

والقرآن اشتمل على كل الكتب السماوية السابقة:

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٤٨المائدة) هيمن على كل ما جاء في الكتب السماوية السابقة، وزاد عليهم، لأن فيه زاد العباد إلى يوم التناد.

القرآن كتاب حياة

القرآن كتاب حياة، وليس كتاب نقرأه في المناسبات فقط، لكن أصحاب رسول الله الذين علَّمهم رسول الله، يقول فيهم سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: (جعلنا القرآن رسائل ربنا ﷻ إلينا فكنا نقرأها في الليل ونتدبرها ثم نعمل بها بالنهار) والله يريد ذلك.

لا يوجد مشكلة أو معضلة للأفراد أو للجماعات أو للمجتمعات أو للأمم في أي زمان إلى يوم الدين إلا وجاء ذكرها وأفضل حل لها في كتاب رب العالمين ﷻ، المهم أن

٥٧٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ
٥٨٠ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

نقرأه بتدبر وتمعن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٣٢القمر) لم يقل للتلاوة ولكن (للذكر) يعني التذكر والتدبر، ولم يقل: هل من تال؟ ولكن (من مدكر) فالأمر ليس بِعَد تلاوات كما يحدث من الكثير في شهر رمضان.

أصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل الذي يحفظ سورة البقرة منهم يعطوه لقب (عظيم)، كيف يحفظها؟ كان الرجل منهم إذا تلا الآيات لا ينتقل إلى التي بعدها حتى يعمل بها أولاً، لذلك الذي يحفظ سورة البقرة ويعمل بها يحصل على لقب (عظيم) عند أصحاب النبي الرؤوف الرحيم ﷺ.

كثير الآن جعلوا القرآن كتاب بركة، وهذا صحيح:

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ (٩٢الأنعام)

لكنه مبارك لمن يعمل به، وليس مبارك أن أتركه على مكتب، أو في السيارة، لكن القرآن كتاب حياة، ويريد من الإنسان أن يحيا به، ويمشي به، وينام به، ويأكل به، ويشرب به، ويفعل كل شيء به، لأنه لم يترك شيئاً للإنسان في حياته إلا ووصفه وصفاً تفصيلياً إلهياً يحبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك عندما سألوا السيدة عائشة عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت:

{ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) }[٥٨١]

يعني هو الصورة الحية للأخلاق الكريمة والأوصاف العظيمة الموجودة في القرآن، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال المسلمين في كل زمان ومكان.

لو أرسلنا الآن مليار مصحف إلى أُمَّة من الأمم الكافرة، هل سيهتدوا؟ لا!!

لكن لو أرسلنا لهم رجل واحد قرأ القرآن وعمل بالقرآن، وتخلَّق بأخلاق القرآن، وأنار الله قلبه وباطنه بنور القرآن سيحولهم من الكفر إلى الإيمان.

نحن في حاجة إلى أن نكون نحن ... قرآناً يمشي على الأرض[٥٨٢] ... بما يريده منا حضرة الرحمن ﷻ.

---

٥٨١ مسند أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

٥٨٢ اقرأ كتاب الشيخ فوزى محمد أبوزيد والذى طبع عدة مرت (كونوا قرآنا يمشى بين الناس).

الكتب القيِّمة

هذه الصحف المطهرة وهي القرآن ماذا فيها؟:

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ ﴾

فيها كل الكتب السابقة، وكل الكتب التي نحتاجها في حياتنا اللاحقة، الإمام عليّ ﷺ وكرَّم الله وجهه كان يقول: **(لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)** كيف؟ يقرأ القرآن فيُلهمه الله ﷻ بالزمان والمكان الذي فيه عقال هذا البعير، لأنه يعمل بكتاب الله ﷻ.

والزمن الذي نحن فيه زمن الفتن، والرسول ﷺ عندما تحدث عن هذا الزمان قال:

{ سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا)، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[٥٨٣]

فتن كقطع الليل المظلم في كل مكان، ودخلت البيوت، يكفي الهواتف المحمولة، فهذه أكبر فتن هذا العصر في جيب كل واحد منا، ومع أولادنا ومع بناتنا، هل تستطيع أن تتحكم في الهاتف الذي مع ابنك أو ابنتك؟! مستحيل، كل واحد منهم يدخل حجرته ويطفيء الأنوار ويفتح هاتفه، وأنت لا تدري بشيء، كل هذه فتن، والمخرج منها كتاب الله تعالى.

إذاً عدتنا في هذا الزمان التي نستطيع أن نتغلب بها على الفتن القرآن، وليس التلاوة فقط، ولكن العمل بالقرآن كما كان النبي العدنان ﷺ وأصحابه المباركين.

---

٥٨٣ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

القرآن فيه كل شيء، لكن لمن يقرأ بقلب استنار بنور الله، وبعقل يتدبر في معاني كلام الله، فيجد في القرآن الروح والريحان والرضا والرضوان وكل شيء يحبه الله ﷻ منه في هذه الدنيا، ويجعله يوم القيامة من أهل الله وخاصته، قال ﷺ:

{ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ }[٥٨٤]

إذاً القرآن الكريم فيه كتب قيمة، فالكتب السماوية السابقة كلها مندرجة فيه، والكتب التي نحتاج إليها في كل أمور حياتنا ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه.

من أين جاءنا؟ فضل الله علينا: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾ مع أن الأنبياء وصفوا لهم رسول الله، بل وصفوا لهم أصحابه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) فذكروا أوصافهم لأن الله قال: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (٢٩الفتح) فأصحاب رسول الله مذكورة أوصافهم في التوراة والإنجيل.

وظهر النبي الذي كانوا يترقبوه ويتوقعوه، لكنهم كانوا يطمعون أن يظهر من ذريتهم، وليس من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام !!!

فلما جاء من ذرية إسماعيل إذا بهم يتفرقون عن رسول الله وبارزوه بالعداوة، بل إنهم لدُّوا في العداوة حتى ذهبوا إلى أهل مكة يحذرونهم من رسول الله، فأهل مكة قالوا لهم: أنتم أهل كتاب، فهل نحن على الحق أم هو؟

فكذبوا أنفسهم وقالوا: أنتم على الحق، مع أنهم يعلمون أين الحق، وهذا غاية الضلال والإضلال والعياذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حتى نعلم أن الله غضب عليهم لأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم.

وحاولوا بكل السبل أن يقتلوه مع أنهم يعلمون أن الله يحرسه وينصره ويحفظه، لكن لأن نفوسهم خبيثة طلبوا منه مرة أن يأتي إليهم في أمر وأجلسوه تحت بيت، ووضعوا فوق البيت صخرة كبيرة ليلقوها عليه، فنزل الوحي وأخبره، فقام وتركهم.

ومرة وضعوا له سم في الطعام، ووضعوه في ذراع الشاة لأنهم علموا أنه يحب أن يأكل من الذراع، فأمسك رسول الله الذراع وقال لأصحابه:

---

٥٨٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

{ أَمْسِكُوا فَإِنَّهَا مَسْمُومَةٌ }[٥٨٥]

فهم يعلمون أنهم لا يستطيعون قتله لأن هذا ممنوع، لكنهم يفعلون الممنوع غضباً من الله عليهم، وسخطاً من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم، ولذلك أقيمت عليهم الحجة، لأنهم جاءتهم البينات الواضحات، والبراهين القاطعات، ولكنهم أخلدوا إلى العناد كدأبهم وعادتهم حتى مع سيدنا موسى وسيدنا هارون ومن خلفهم من النبيين الذين كانوا في بني إسرائيل.

لا يسمعون الكلام، فسيدنا موسى لما خرج بهم وتبعه فرعون وقومه وكان معه اثني عشر قبيلة وهم ذرية أبناء سيدنا يعقوب، وكل عائلة منهم بلغت خمسين ألف، خرجوا كلهم مع موسى، ووجدوا فرعون قريباً منهم فقالوا لموسى: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢ ﴾ (الشعراء) وعند البحر أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فجعل الله لهم اثني عشر طريقاً لكل عائلة طريق، وبين كل طريق وطريق جمَّد الله الماء، وقاع البحر يكون طيناً لكن الله سلَّط عليه الشمس فأصبح جافاً حتى يمشون عليه بسهوله: ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ (٧٧طه) فانظر إلى المعجزات التي رأوها.

ثم طلبوا من موسى أن يطمأنوا على بعضهم، فضرب موسى البحر بعصاه فانفرجت نوافذ وفتحات بين كل طريق والآخر، فأصبحوا يروا بعضهم ويتحدثون مع بعضهم.

وبمجرد أن خرجوا من البحر، وقيض الله لفرعون وهيأ له أن ينزل وقومه البحر، وآخر واحد خرج من بني إسرائيل كان مع آخر واحد نزل البحر من قوم فرعون، فضرب موسى البحر فغرقوا: ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٧٧الأنبياء) هل هناك معجزات أكبر من هذه؟! لا، رأوها بأعينهم، لكنهم بعد أن نجاهم الله وخرجوا، رأوا جماعة يعبدون أصناماً، فقالوا: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (١٣٨الأعراف) وهكذا يوضح لنا الله شكل هذه النوعية من البشر، بعد كل هذه المعجزات من الله، يطلبون أن تكون لهم آلهة.

وهم قبل خروجهم من مصر كان هذا يوم عيد عندهم، فكل واحدة من نسائهم ذهبت لجارتها المصرية وطلبت منها أن تأخذ منها ذهبها من أجل العيد ثم ترده لها، فأخذوا الذهب معهم، والمال الذي يأتي من حرام يُنفق في الذنوب والآثام، وهذه حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولاحظوا ذلك.

---

٥٨٥ سير أعلام النبلاء عن أبي هريرة ﷺ

هارون الرشيد الخليفة العباسي عيَّن أخوه بهلول محتسباً، يعني مفتش تموين، يمر في الأسواق يراجع الأسعار والكيل والميزان، وبعد فترة استدعاه، وقال له: ما عدد المخالفات التي رصدتها؟ قال: لا يوجد، قال: لماذا؟ قال: يا أمير المؤمنين رأيت الله يقتص من الظالمين أولاً بأول، فكل مال جمعوه من الحرام سلَّطهم على إنفاقه في الذنوب والآثام.

هل من يجمع قرشاً من تعب وعرق ومن حلال ينفقه في شرب المخدرات؟ مستحيل، لكن من الذي يشرب المخدرات؟ الذي يغش، والذي ينصب على الناس، فالسلعة التي تساوي خمسين جنيهاً مثلاً يبيعها بخمسمائة.

سيدنا موسى ذهب ليناجي الله على جبل طور سيناء، وكان مع القوم موسى السامري، وموسى السامري كان ابن خالة سيدنا موسى، وسيدنا موسى لما ولد كان هناك قرار من فرعون أن كل طفل يولد في بني إسرائيل يُقتل، فأم موسى أتت بصندوق خشبي ووضعته فيه، ووضعت الصندوق في النيل، وربطته بحبل، وربطت الحبل في وتد بالبيت، فعندما يأتي المفتشين تترك الحبل يمشي بالصندوق في النيل، وإذا أرادت أن ترضعه سحبت الحبل وترضع موسى، إلى أن جاء موج شديد فقطع الحبل، ومشى الصندوق إلى أن وصل إلى بيت فرعون ليتربى في بيت فرعون، ومن الذي يرضعه؟ بحثوا له عن مرضعة، وكانت أخته تعمل في قصر فرعون فدلتهم على أمه، فأرضعته أمه، وطلبوا منها أن تسكن في القصر، قالت لهم: لا أستطيع لأن معي زوجي وأولادي، وطلبت أن تأخذه معها: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (القصص ١٣)

أما موسى السامري عندما ولد أخذته أمه وذهبت به إلى الغابة وتركته، فقيَّض الله له سيدنا جبريل ينزل ويُحضر له غزالة ليرضع منها، من الذي رباه؟ جبريل، وسيدنا موسى من الذي رباه؟ فرعون:

فموسى الذي رباه جبريل كافر وموسى الذي رباه فرعون مرسل

حتى نعرف أن أهم شيء هو عناية الله ورعاية الله ﷻ، فموسى السامري يعرف جبريل، ورأى جبريل لما حضر ليُنزل فرعون وقومه البحر، فأخذ حفنة من التراب الذي مشى عليه جبريل: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (طه ٩٦) والملائكة لا تمس شيئاً إلا وصارت فيه حياة.

بنو إسـرائيل لما طلبوا أن يكون لهم إله قال لهم موسـى السـامري هاتوا الذهب الذي معكم كله، فاحضـروا له الذهب الذي سـرقوه، وصـهره وصـنعه على هيئة عجل وجعله مجوفاً من الوسط حتى يدخل الهواء فيخرج منه صوت وكأنه يتكلم، كل ذلك بعد المعجزات التي رأوها من موسـى في البحر، غير المعجزات التي رأوها قبل ذلك في مصـر أمام فرعون وقومه، حتى نعرف أننا والحمد لله لنا عناية خاصة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

وإذا العنـايـة لاحظتـك عيونهـا نـم فـالـمـخـاوف كـلـهـن أمـان

ولذلك هم لم يتفرقوا عن حضرة النبي ولم يبارزوه بالعداوة إلا من بعد أن جاءتهم البينات: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾ رأوا أوصافه، ورأوا أخلاقه، وكثير منهم هداه الله عندما اختبروه وأسلموا وآمنوا.

الإخلاص

الذي جاء به رسول الله هو الذي جاء به لهم أنبياء الله:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾

كل الأنبياء يأمروا الخلق بعبادة الحق ..

وكلهم يوصون أن أهم شيء في العبادة الإخلاص ... والإخلاص يعني لا يقصد الإنسان بعمله إلا رضاء الله، لا يقصد الرياء ولا السمعة ولا الشهرة، ولا يقصد أن يمتدحه الخلق، أو أن يثنوا عليه ....

لكن الذي يريده أن يعمل العمل لله.

ولذلك كما جاء الأنبياء أمر الله أن يقول لنا سيد الأنبياء:

﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (١٤غافر) لماذا؟

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ (٣الزمر)

لو عملت حتى يراك الناس ... ويمدحونك ... أو يُثنوا عليك ... فيكون كما قال الله في الحديث القدسي:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[٥٨٦]

لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف) إياك أن تكون نيتك فيها شيء غير رضاء الواحد الأحد تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

حتى الذي يعمل العمل ليدخل الجنة فهذا ليس الأكمل ولا الأتم، لأن الجنة ليست أكبر من الله – حاشا لله – لكن أعبد الله لذاته، كما ورد في بعض الأثر عن الله:

(لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أكن أهلاً لأن أُعبد؟!)

الخالق الرازق المحي المميت ﷻ نعبده لذاته.

ولذلك أكبر نعمة يمن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها على عبد أن يرزقه الإخلاص، قال الله تعالى:

{ الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي }[٥٨٧]

الذي يحبه الله يرزقه الإخلاص في النية عند أي عمل يعمله لله تبارك تعالى.

﴿ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾

يعني يميلوا للحق، والحق هو دين الإسلام، فأنبياؤهم أمروهم أن يبقوا مع الحنيفية السمحاء، وصاحب الملة الحنيفية السمحة ﷺ.

نسأل الله سبحانه تعالى أن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا، والصدق في أعمالنا، وطلب رضاء الحق في كل توجهاتنا، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لحضرته، وأن يشملنا دائماً وأبداً بكنفه ورعايته، وأن لا يجعل للشيطان ولا للنفس ولا للهوى علينا سلطان، وأن يجعلنا دائماً وأبداً نُلهم بما يحبه منا حضرة الرحمن، وأن يجعلنا وأهلونا وأولادنا وبناتنا وأهل مصرنا جميعاً في أمان واطمئنان ورغد عيش وسعادة وهناء مدى الزمان.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٥٨٦ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٥٨٧ أحاديث مسلسلات، والرسالة القشيرية عن حذيفة بن اليمان ﷺ

(٤٠)

صاحب الكوثر المورود[٥٨٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ (الكوثر)

قدر النبي بين رسل الله	نزول سورة الكوثر	عطاء الله لنبيه
معاني الكوثر	حوض الكوثر	الشرب من الكوثر في الدنيا
صلِّ لربك	حكمة وفاة أبناء النبي الذكور	الأبتر كل مُبغض للنبي

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الحقيقة التي أقرها ولا أنكرها أني بحمد الله وبتوفيق الله قرأت معظم ما كتبه السابقون والمعاصرون عن سيدنا رسول الله ﷺ، وقرأت كل ما كتبه العارفون السابقون عن رسول الله ﷺ، وكان نتيجة ذلك أني بحمد الله وضعتُ حوالي عشر كتب كلها عن الحضرة المحمدية، لكن لم أجد أحداً من الأولين ولا المعاصرين يستطيع أن يصف سيدنا رسول ﷺ كما وصفه ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قدر النبي بين رسل الله

الأمر كما قال الإمام ابن الفارض ﷺ عندما انتقل إلى الرفيق الأعلى ورآه أحد أصحابه في المنام وقال له: ياسيدي ناجيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قصائدك كثيراً، فلِمَ لم نرك تتحدث عن الحضرة المحمدية؟ فأجابه ﷺ مناماً:

أرى كل مدح في النبي مقصـــــراً وإن بالغ المُـــثني عليه وأكثرا
إذا كان الله أثنى بما هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وأقول: حتى كلامي وكلام أمثالي عن كتاب الله في حديثه عن رســول الله يكون

٥٨٨ المقطم – مجمع الفائزين ٢٥ من شوال ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٥/٢٦م

على قدري وليس على قدر كتاب الله، ولا على قدر رسول الله، فإن رسول الله ﷺ لا يقدره إلا مولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنحن كلنا نردد كلام الإمام أبو العزائم ﷺ:

على قدري أصوغ لك المديحا ... ومدحك صاغه ربي صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوفِّي قدرك السامي شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي ... فأسعد بالوصال فتىً جريحا
فموسى رُدَّ بعد سؤال ربي ... وأنت رأيته كشفاً صحيحاً

موسى قال له: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (١٤٣الأعراف) لكن سيدنا رسول الله: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ (٢٣التكوير).

ألم نشرح وربِّ اشرح بيانٌ ... بقدرك سيدي أضحى مبيحا

موسى أخذ يسأل ربه ويقول له: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ (٢٥طه) والحبيب ﷺ بدون سؤال قال له الله: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ (١الشرح).

وهكذا، لو استطردنا في هذا الجانب مع أنبياء الله ورسل الله نجد الفارق الجم والذي يعبر عنه أحد الصالحين فيقول: (الأنبياء جميعهم يطلبون من الله، ونبينا ﷺ لا يطلب غير مولاه) لا يريد شيئاً غيره، فارق كبير في هذا السيد السراج المنير ﷺ، الذي نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أجمعين أن ينير بنوره صدورنا، وأن يتنزَّل بفتوحاته العلية في قلوبنا أجمعين.

نزول سورة الكوثر

أصحاب رسول الله ﷺ يحكي عنهم سيدنا أنس بن مالك ﷺ فيقول:

{ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ}[٥٨٩]

٥٨٩ صحيح مسلم والنسائي عن أنس ﷺ

وفي رواية أخرى:

{ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْه فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }[٥٩٠]

وإن شاء الله سنشرب منه كلنا، ولذلك قال له الله: ﴿ إِنَّآ ﴾ وإنَّا في اللغة العربية للتعظيم، يعني هي الجمع ولكن إذا قالها واحد يكون للتعظيم، فقديماً أيام الملك فاورق وغيره كان يقول: نحن الفاروق ملك مصر، وهل نحن تقال للمفرد؟ لا، ولكنها هنا للتعظيم، فالعظيم يستخدم أسلوب التعظيم.

عطاء الله لنبيه

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ إنَّا بكل أسمائنا وصفاتنا وجمالاتنا وكمالاتنا وجلالنا وعظمتنا أعطيناك الكوثر.

وهناك فارق كبير بين آتيناك وأعطيناك، لأن العطاء يكون هبة وتفضُّل من الله ﷻ بغير طلب ولا سؤال.

معاني الكوثر

وكلمة (الكوثر) ذكر الأئمة الكرام في معانيها ما يزيد عن الثلاثين معنى، مرة يقولون: الكوثر هو النبوة، ومرة يقولون: الكوثر هو الاصطفاء، ومرة يقولون: الكوثر هو القرآن الكريم، ومرة يقولون: الكوثر أمتك العظيمة، ومرة يقولون: الكوثر اليسر والتيسير على يديك في هذا الدين، ومرة يقولون: الكوثر هو الشـــفاعة العُظمى، ومرة يقولون: الكوثر هو المقام المحمود، وعد كما تشاء فالكوثر كل عطاءات الله لرسول الله ﷺ، سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانوا يسمونه ترجمان القرآن، لأن الرسول ﷺ دعا له وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ }[٥٩١]

والدعوة تعرفها من قول الله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ (٧آل عمران) وهنا وقف، وقد تقف عند قول الله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ ﴾

٥٩٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٥٩١ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

وتقول بعدها: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ (٧آل عمران) كيف يعلمون تأويله؟ بما علَّمهم الله، فليس معهم شيءولكن بتعليم الله لهم.

فقال ﷺ وأرضاه: الكوثر معناه اللغوي يعني الخير الكثير، فأحد الحاضرين قال له: سمعت أن رسول الله قال أن الكوثر نهرٌ في الجنة وعده الله، قال: هو من الخير الكثير، فنهر الجنة من الخير الكثير.

فالكوثر هو الخير الكثير الذي خصَّ الله به بألطافه الخفية صاحب الحضرة المحمدية ﷺ.

حوض الكوثر

ومن جملة هذه الألطاف نهر الكوثر، أو حوض الكوثر، باختلاف الروايات، فالناس ستخرج يوم القيامة، ويوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة، وكله أهوال عظيمة وأحوال جسيمة، والناس من شدة هذا الهول في هذا اليوم كما قيل: يتمنَّى الناس الخروج من الموقف ولو إلى جهنم لما يرونه من شدة هذا اليوم، منهم من يبلغ عرقه ركبتيه، ومنهم من يبلغ عرقه إلى حقويه، ومنهم من يغرق في عرقه، ومنهم من ينزل لسانه تحت قدميه من شدة اللهث من العطش، من الذي يحفظه الله من هذا العطش؟ نحن الذين سنشرب من حوض الكوثر، ولذلك حضرة النبي قال:

{ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ }[٥٩٢]

والكوز هو الكوب الذي له أذن، فكيزانه بعدد نجوم السماء، لماذا؟ لأن كل واحد منا له كوز مخصوص مكتوبٌ عليه اسمه، ومكتوب عليه من يناوله له من أئمة الصحابة الكرام، كسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي، لأن كل واحد منهم أخذ تفويضاً من الحضرة المحمدية بأن يكون شفيعاً في قوم ويسقيهم.

وهناك أناسٌ مخصوصين الذين يدعون الله ويقولون دائماً: واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً، فيسقيهم الحبيب المصطفى.

ومنهم من يسقيهم الملائكة، وكل واحد على حسب درجته ومقامه كما قال الله:

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ (١٦٤الصافات).

---

٥٩٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الشرب من الكوثر في الدنيا

ومن العجب أن هناك أناس يشـــربون من الكوثر وهم يعيشـــون في الدنيا الدنية، وليس في الآخرة فقط.

كالســـيدة أم أيمن حاضـــنة الرســـول ﷺ، لما هاجرت من مكة إلى المدينة كانت بمفردها وليس معها أحد، فوجدت جماعة من اليهود مسافرين، وكان الواحد في الصحراء يبحث عن أي رفيق يمشي معه، فسارت معهم ولم تكن تعلم أنهم يهود، فلما علم كبيرهم أنها مسلمة ومهاجرة إلى المدينة أوصى من معه أن لا يسقوها، وذهب إلى السقاء الذي معهم وربطه جيداً، فعطشـــت وطلبت منهم أن يســـقوها فأبوا، وتحكي الواقعة بنفســـها فتقول: حتى أصبحت على وشك أني لا أرى ولا أسمع من شدة الظمأ، وإذا بدلو معلقٌ بحبل يتدلَّى من الســماء، فأمســكت به وشــربتُ، وأردتُ أن أســتزيد فإذا بالحبل يرتفع، يعني جعلها تشـرب مرة واحدة ولكن لم تشـبع، لأن هذه الحالة التي حذرنا منها حضـرة النبي والتي قال فيها ﷺ:

{ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصَّ مَصًّا، وَلا يَعُبُّ عَبًّا فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ }[٥٩٣]

لأن الكبد مطبخ الجســـم، وهو الذي يجهز الطعام ويشـــترك فى صـــنع الدم، وله حرارة، فإذا كان يوماً شديد الحرارة يذهب الإنسان إلى الثلاجة ويشرب الماء من زجاجة ماء بارد جداً، فينزل الماء البارد على الكبد فيهتك الكبد.

لذلك بمجرد أن شربت ارتفع الدلو، قالت: ثم نزل مرة أخرى فشربتُ وأردتُ أن أستزيد وإذا بالدلو يصعد مرة ثانية، ثم نزل في المرة الثالثة فشربتُ حتى شبعتُ وارتويت ثم أخذتُ الباقي ووضعته على جسمي من شدة الحرارة.

وإذا باليهودي يراها وعليها أثر الماء، فذهب إلى قومه معنفاً فقالوا له: لم نســـقها وانظر إلى السقاء الذي ربطته، فوجد السقاء كما هو، فقال لها: من أين شربت؟ وكيف؟ فحكت لهم ما حدث، فآمن وآمن من معه.

الشـــاهد الذي نريده هو أنها شـــربت من حوض الكوثر وهي في الدنيا، وتقول في ذلك: كنت أتوخى اليوم شديد الحرارة وأصوم لعلي أجد العطش، فلا أجد العطش أبداً،

---

٥٩٣ سنن البيهقي

وكنت أذهب إلى صحن الكعبة في ساعة الظهيرة في شدة الحرارة، وأطوف لعلني أجد مس الظمأ، فلا أجد ظمأً أبداً، يعني وهي في الدنيا قبل الآخرة بعد أن شربت من ماء الكوثر لم تجد عطشاً أبداً وهي في الدنيا.

فالله ﷻ أعطى النبي ﷺ كل الخيرات الكثيرة في الدين والدنيا والآخرة صلوات ربي وتسليماته عليه.

صلِّ لربك

وبعد ذلك قال له:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾:

بعض العلماء أو كثيرٌ من العلماء يقصرها على صلاة عيد الأضحى لأن العرب كانت تذبح قبل الصلاة، فأمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النبي أن يصلي العيد أولاً ثم يضحي، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ، فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ }[٥٩٤]

فلا بد للإنسان الذي يريد أن يضحي أن يصلي العيد أولاً ثم يُضحي، ومن ذبح قبل الصلاة فهو لحمٌ قدَّمه لأهله ليس من النُسك في شيء، ولا يأخذ الثواب الذي قدَّره الله ﷻ لمن يضحي في هذا اليوم.

بعض العلماء الأجلاء قالوا:

لا نقصر المعنى على صلاة العيد وهي سنة، لكن نرى هذه الآيات التي في سورة الكوثر ترد على الآيات التي في سورة الماعون التي يقول فيها الله:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ ﴾ (الماعون)

الذين يراءون أي يصلون لغير الله..

---

٥٩٤ البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ﷺ

فهنا قال له الله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ يعني اجعل صلاتك خالصة لله ﷻ.

ولما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة الماعون:

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ (٧الماعون) يعني هم بخلاء، قال له الله في سورة الكوثر: ﴿ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ يعني اعط وتصدق وأنفق على الفقراء والمساكين من عطاء الله ﷻ.

فإذاً أي صلاة لا بد أن تجعلها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ }[٥٩٥]

وهذا الذي نسميه الشرك الخفي أو الأصغر، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٥٩٦]

والرياء يعني الإنسان يعمل العمل ظاهره لله، ولكن يقصد به خلق الله !!

يعني يريد أن يراه الناس:

حتى يمدحوه ويثنوا عليه ويثقوا فيه ويتعاملوا معه إذا كان صانعاً أو تاجراً، لأنه رجلٌ يحافظ على الصلاة وغيرها، فهذا ليس خالصاً لله:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١١٠الكهف).

بعض العلماء الآخرين قالوا:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾:

يعني صل لله .... واجعل نحرك – يعني صدرك – للقبلة الشريفة ....

فالنحر هو الصدر ويكون تجاه الكعبة الشريفة في أي زمان أو مكان لتصح الصلاة.

---

٥٩٥ الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس ﷺ
٥٩٦ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

حكمة وفاة أبناء النبي الذكور

ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ رزقه الله ﷻ أولاد وبنات، ثلاثة من الولد وهم القاسم وعبد الله – وفي رواية الطاهر – وإبراهيم، وأربع من البنات وهن: رقية وأم كلثوم وفاطمة وزينب، لكن الله ﷻ من عظيم حكمته لو عاش ولدٌ من أولاد النبي سيكون نبياً بعد النبي، لأن أولاد الأنبياء أنبياء، فأولاد سيدنا إبراهيم كلهم أنبياء، وأولاد سيدنا يعقوب كلهم أنبياء، وهذا خاتم الأنبياء، وما دام هو خاتم الأنبياء فمن يأتي من بعده؟ لا أحد، قال ﷺ:

{ أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي }[٥٩٧]

فكانت حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن لا يعيش له ذكر، لأنه خاتم الأنبياء، والأمَّة كلها نسله إلى يوم القيامة: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ (٦الأحزاب) وفي قراءة أخرى: (وهو أبوهم وأزواجه أمهاتهم).

كل مؤمن وكل مؤمنة إلى يوم القيامة يكونوا أبناء لرسول الله ﷺ، وهذا من جملة رفع ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ (٤الشرح) فأنت عائلتك عائلة كبيرة وستظل تُذكر بالرسالة والنبوة إلى يوم القيامة.

الأبتر كل مُبغض للنبي

الكافرين كانوا يريدون أي شيء يستطيعوا أن يعيبوا به رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ كان داخلاً الحرم الشريف فوقف واحد معه من زعماء الكفار اسمه العاص بن وائل، وهو أبو عمرو بن العاص، وصادف في هذه الأيام أن النبي توفى ابنه عبد الله، فبعد أن أنهى هذا الرجل الحديث مع حضرة النبي ذهب للكفار حول الكعبة – وكان ناديهم – فسألوه مع من كنت تتكلم؟ فقال لهم: كنت أتكلم مع الأبتر، وكلمة الأبتر تعني المقطوع النسل الذي ليس له أولاد ذكور، فردَّ الله ﷻ بذاته عليه وقال:

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ شانئك يعني مبغضك، فالذي يبغضك والذي يكرهك هو الأبتر.

---

٥٩٧ جامع الترمذي عن ثوبان ﷺ

لذلك زعماء الكفار كلهم جاء أبناؤهم بعد ذلك ودخلوا في الإســـلام، وتركوا آباؤهم وما كان عليه آباؤهم وأصبحوا ينتسبون إلى نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، ومن حكمة الله ﷻ أن الله عمَّم في هذه الآية، وهذا سبب.

ولكن هناك أسباب كثيرة، فكل واحد مُبغضٌ لرسول الله فهو أبتر، يعني ليس له عقبٌ صالحٌ يدعو له، فنحن كلنا بشَّرنا النبي ﷺ وقال:

{ إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ، صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }[٥٩٨]

فهل أحد من هؤلاء الكفار دعا له أحد من أولاده؟ لا، هل عمرو بن العاص دعا للعاص؟ لا، هل عبد الله بن عمرو بن العاص دعا للعاص؟ لا!!!

ولِمَ لم يدعو له؟ يعرفون أن الله نهى سيدنا إبراهيم عن الدعاء والإستغفار لعمه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ (١١٤التوبة) وأبيه هنا كان عمه، لأن سيدنا براهيم وُلد يتيماً، وآباء النبي من آدم إلى عبد الله يقول فيهم الله: .... ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (٢١٩الشعراء) كانوا ساجدين لله ﷻ، والرجل الذي كان يصنع الأصنام كان عمه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ (٧٤الأنعام) لو كان أبوه مباشرة لقال (أبيه) فقط، لكنه قال (أبيه آذر) وكونه جاء بكلمة (آذر) فهذا دليل على أنه عمه، وكنا ونحن صغار كان كلٌ منا ينادي على عمه: يا أبي فلان.

فكل من يبغض رسول الله ﷺ قديماً أو حديثاً يدخل في قول الله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ ليس له عقبٌ صالحٌ يدعو له بعد موته.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بسيدنا رسول الله صلى لله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، دنيا وآخرة، وأن يتعطف علينا برؤيته يقظة ومناماً، حلاً وترحالاً، دنيا وآخرة، وأن يرزقنا شفاعته، وأن يحشرنا تحت لواء حضرته، وأن يرزقنا أن نكون من أهل جواره في جنة النعيم أجمعين، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

تمَّ بحمد الله تعالى

---

٥٩٨ أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب، رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ

نبذة عن المؤلف

العارف بالله الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشيخ رضى الله عنه في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، محافظة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر مشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة العنكبوتية www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[٥٩٩]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية. ٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة لقاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرآن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية".١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر".١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".
١٣- المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي الكثير من المناسبات بالمؤسسات الإجتماعية والثقافية بالمحافظات و دعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار السنين الطوال، وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٥٩٩ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة

حتى تاريخ ٢٠٢٢/٦/٣٠م، وهى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٣٧ كتاباً

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٤ كتاباً

٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١		١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى ﷺ: (مجلد ٥)	٢		٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم ﷺ:(مجلد ٥)	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١		١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١		١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور"	١		١٣٧	الرسول فى القرآن	١	

السلسلة رقم ٢: الفقــه: ١١ كتاب

٢	زاد الحاج والمعتمر	٣		٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢		٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		٧٢	إكرام الله للأموات	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١		١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٠٤	سنن الهدى	١		١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١					

السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٣ كتاب

٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤		١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢		٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢		٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٦١	السراج المنير	١		٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		٨٧	تجليات المعراج	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١		١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	
١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١					
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية	١		١٣٧	الرسول فى القرآن	١	

السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٩كتب

١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		١٣٣	قطبا العراق عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى	١	
١٣٥	أولياء الله	١					

السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب

٣٤	كيف يحبُّك الله	٤		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢		٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١					

السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب

١٦	خطب المولد النبوى	١		١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١		١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١		٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢					

سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب

٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١					

السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٦ كتب

٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢		٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢		٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١		١٣٦	أمهات المؤمنين	١	

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت
السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢ كتاباً							
٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	٢		٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	
السلسلة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب							
٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥		٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					
السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٧ كتاباً							
١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢		٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١					
السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب							
٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢٧	القول السديد	١					
السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٥كتب							
٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الريانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	بينات الصدور	١	
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١					
السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب							
٨١	سؤالات غير المسلمين	١		٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١					
السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب							
٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١					
سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً							
٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	
كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد علي سلامه							
١١٥	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	
١٣٢	شرح الصلوات الربانية على خير البرية						

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

إسم المكتبة	رقم الهاتف	الأسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيـع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم .

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة.

ويمكن أيضا طلبها من داخل جمهورية مصر العربية ومن وخارجها بـــجميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات

مقدمة	٣

١- وظائف الرسالة	٧

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة).

النبوة والرسالة	٨	تجديد العهد	٩
سر الهداية	١٠	أولا: تلاوة الآيات	١٠
عبادة التفكر	١٢	ثانياً: تزكية النفس	١٣
ثالثاً: علوم الكتاب	١٥	رابعاً: علم الحكمة	١٥
خامساً: العلوم الوهبية	١٦		

٢- سبيل محبة الله	١٧

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران)

دعوى محبة الله وتصديقها	١٧	حسن المتابعة	١٩
المتابعة الباطنة	٢١	أوصاف النبي في التوراة والإنجيل	٢٢
من فضائل أهل بدر	٢٦	جزاء أهل محبة الله	٢٨

٣- رحمة النبي ﷺ	٣٠

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (آل عمران)

الطريقة السديدة لحل المشكلات	٣١	معاملة النبي لأصحابه	٣٦
رفقه بأصحابه في عمرة القضاء	٣٧	فضل التوكل على الله	٣٩

٤- البُشرى برسول الله ﷺ	٤١

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران).

هم درجات عند الله	٤٢	فضل الله علينا بالإيمان	٤٤
النعمة العظمى	٤٥	وظائف النبي في الدنيا	٤٩

٥- الطاعة والتسليم لرسول الله ﷺ			٥٣
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ (النساء).			
طاعة الكائنات للنبيين	٥٤	التوبة من الذنوب	٥٨
التسليم للنبي	٦٥	تحكيم شرع الله	٦٨
التسليم الباطن	٦٩		

٦- فضل الله على رسول الله ﷺ			٧٣
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ ﴾ (النساء)			
خصائصة في الحياة الأولية	٧٤	خصوصياته في حياته الدنيوية	٧٤
الحكم بما أراه الله	٧٧	عدالة الإسلام	٧٩
عناية الله برسوله	٨١		

٧- النور والكتاب المبين			٨٣
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (المائدة).			
أوصاف النبي عند أهل الكتاب	٨٤	وظائف الرسول لأهل الكتاب	٨٦
أوصاف النبي النورانية	٨٧	وظيفة الكتاب الرباني	٨٩

٨- استجابة المؤمنين لرسول الله ﷺ			٩٠
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ (الأنفال).			
القلوب النيِّرة	٩١	وصف الكافرين والنافرين	٩١
أهل الذكرى	٩٢	أهل الحرمان	٩٣
الحياة الإيمانية	٩٥	الاستجابة الإيمانية	٩٦
ثبات الإيمان	٩٨	التنبّه للفتن العصرية	١٠٠

٩- الحب الإيماني ١٠٢

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾ (التوبة).

قياس الإيمان	١٠٢	سبب النزول	١٠٣
موالاة الصادقين	١٠٤	الحب لله ورسوله	١٠٦
متابعة النبي	١٠٨	الفقه في الدين	١٠٨
براق الأحبة	١١٠		

١٠- أجر الناصرين للنبي ﷺ ١١٢

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١ ﴾ (التوبة)

صحبة الصادقين	١١٣	معية الله	١١٣
هجران مجالسة الظالمين	١١٤	وصف الصادقين	١١٤
رتبة الصديقية	١١٥	خُلُق الصدق	١١٦
غزوة تبوك	١١٨	نصر الله والفتح	١٢٠
عتاب المتخلفين	١٢١	أجر المجاهدين	١٢٢
حكم المتخلفون بعذر	١٢٢	دور المسلمين المعاصرين	١٢٣

١١- رؤوف رحيم ١٢٦

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ (التوبة).

القرآن وكفاية الهموم	١٢٧	رسول منكم	١٢٩
وصف الله لرسوله	١٣١	رحمته بأمته	١٣٢
حريص على أمته	١٣٥	يسر الإسلام	١٣٧

١٢- تثبيت الفؤاد لخير العباد			١٣٩
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (هود).			
ظهور الشيب في شعر النبي	١٤٠	سر ابيضاض شعر النبي	١٤٠
حكمة قصص الأنبياء في القرآن	١٤١	عصمة الأنبياء	١٤٣
ذكرى للمؤمنين	١٤٤	الصالحون في بدايتهم	١٤٤
منهج قراءة كتب الصالحين	١٤٦	خطاب المكذبين	١٤٦
عالم الغيب	١٤٧	حسن التوجيه الإلهي	١٤٨

١٣.كفاية الله للنبي ﷺ في كل زمان ومكان			١٤٩
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (﴿٨٧﴾-﴿٩٩﴾الحجر)			
خصوصية الإيتاء	١٥٠	السبع المثاني	١٥٠
سر التسمية بالمثاني	١٥٢	تعليقٌ بسيط	١٥٣
معنى إشاري في الآيات	١٥٣	متاع الدنيا	١٥٥
جناح رحمته	١٥٦	الجهر بالدعوة	١٥٨
كفاية المستهزئين	١٥٨	الكلم الطيب	١٦٤
الدواء العصري	١٦٥		

١٤.الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة			١٦٨
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل).			
الدعوة الحقة	١٦٩	بصيرة الدعاة	١٦٩

سبل الله	١٧١	أسلحة الداعي الحكيم	١٧١
أقسام الدعوة	١٧٤	توجيهات الله لنبيه	١٧٧
مدد الصبر	١٧٩	معية الله للأتقياء	١٧٩

١٥.أدب الداعي	١٨٠

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت).

سر الرضاع الطبيعي	١٨١	الأزهر والدعوة الإسلامية	١٨٢
الدعوة والعمل الصالح	١٨٣	أدب الأنبياء	١٨٥
الخُلُق الكريم	١٨٧		

١٦.أعمال الصالحات	١٩١

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف)

فريق الجنة وفريق المنة	١٩٢	أهل الصُفَّة	١٩٣
الإيمان والعمل الصالح	١٩٤	الفردوس الأعلى	١٩٥
كلمات الله	١٩٧	حجاب البشرية	١٩٨
بشرية النبي	١٩٩	الأُسوة الحسنة	٢٠١
خصوصية الوحى	٢٠٢	المقام الأعلى	٢٠٣
الشرك الأصغر	٢٠٤	الخلاص بالإخلاص	٢٠٦

١٧.تميز المؤمنين الصادقين من المنافقين	٢٠٧

﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النور).

الآيات الإلهية	٢٠٨	آيات الموقنين	٢٠٩

عبادة الفكر	٢١٠	الاستجابة لله والرسول	٢١١
كشف حقيقة المنافقين	٢١٢	أسباب النفاق	٢١٤
حال المنافقين في الآخرة	٢١٥	استجابة المؤمنين	٢١٥
أهل الفلاح	٢١٧		

١٨.طاعة المؤمنين لله ولرسول الله ﷺ ٢١٨

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ (النور).

موقف المنافقين في غزوة بدر	٢٢٠	موقف المنافقين في غزوة أحد	٢٢١		
علامة صدق الإيمان	٢٢٢	سر الهداية	٢٢٣		
وعد الله للمؤمنين	٢٢٥	الإستخلاف في الأرض	٢٢٦		
الأمن	٢٣١	العبادة الخالصة لله	٢٣١		
زينة الصلاة	٢٣٣	إخراج الزكاة	٢٣٤	مصير الكافرين	٢٣٦

١٩.أدب المؤمنين مع حضرة النبي ﷺ ٢٣٧

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النور).

أدب الحبيب مع ربه	٢٣٨	الأدب مع النبي	٢٣٩	إيمان أهل اليقين	٢٤٠
الإستئذان من النبي	٢٤١	غزوة الأحزاب	٢٤١	صفات أهل الأدب	٢٤٣
دعاء الرسول	٢٤٤	المنافقون و النبي	٢٤٧	عاقبة مخالفة الرسول	٢٤٨

٢٠.ميثاق النبيين			٢٤٩
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨ ﴾ (الأحزاب).			
أسلحة نصر المؤمنين	٢٥٠	مشورة النبي لصحبه	٢٥٢
مشاركة النبي لصحبه	٢٥٣	المؤمن كيِّس فطن	٢٥٤
نصر الله للمؤمنين	٢٥٥	ولاية النبي للمؤمنين	٢٥٦
فعل المعروف	٢٥٨	الأنبياء والمرسلون	٢٥٩
ميثاق النبيين	٢٦٠	سؤال الصادقين	٢٦٢

٢١.الأسوة الحسنة			٢٦٣
﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤ ﴾ (الأحزاب).			
الرسول المثل الأعلى	٢٦٤	بركة النبوة	٢٦٧
القدوة الحسنة	٢٧٠	أصناف المقتدين	٢٧١
الذكر الكثير	٢٧٣	التصوف الصحيح	٢٧٤
البلاء والاجتباء	٢٧٥	إشارة سلوكية	٢٧٧
جهاد السالكين	٢٧٩	سر البلاء	٢٨١
رجال الصدق	٢٨٣	حقيقة الصدق	٢٨٤
المشيئة الإلهية	٢٨٦		

٢٢.خاتم النبيين			٢٨٩
﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهُۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ (الأحزاب).			
أسباب نزول الآيات	٢٩٠	قصة زيد بن حارثة	٢٩٢

تغيير عادات الجاهلية	٢٩٣	إبطال التبني	٢٩٥
الذين يبلغون رسالات الله	٢٩٧	أبوة النبي لأمته	٢٩٨
خاتم الأنبياء	٢٩٩	بقاء رسالته	٣٠٢
صلاة النبي على المؤمنين	٣٠٣	إشارة في ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٣٠٦
خطاب الله في الآية للمؤمنين	٣٠٧	واجب المسلمين نحو الرسول	٣٠٨

٢٣.وظائف النبوة في القرآن الكريم	٣١٢

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

النبي الشاهد	٣١٥	التبشير والإنذار	٣١٩	الداعي إلى الله	٣١٩
السراج المنير	٣٢٢	بشائر المؤمنين	٣٢٣		

٢٤.مهام النبوة (حلقة تلفزيونية)	٣٢٦

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

٢٥.الصلاة على النبي ﷺ	٣٤٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾(الأحزاب).

صلاة الله على المؤمنين	٣٤١	كلام أهل الإشارة	٣٤٢
صلاة الله والملائكة على النبي	٣٤٢	رأي الإمام القرطبي	٣٤٣
حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة	٣٤٤	صلاة المؤمنين على النبي	٣٤٦
مراتب صلوات العارفين	٣٤٧	الصلوات العددية	٣٤٧
الصلوات الإلهامية	٣٤٨	الصلوات الشهودية	٣٤٩
حكم الصلاة على النبي	٣٥٠	مواضع الصلاة على النبي	٣٥١
هيئة المُصلي على النبي	٣٥٢	الصلاة على النبي ورد الصالحين	٣٥٢
السلام على النبي	٣٥٤	فوائد الصلاة على النبي	٣٥٥
صلاة المقربين على النبي	٣٥٦	إيذاء الله ورسوله	٣٥٦
إيذاء المؤمنين والمؤمنات	٣٥٨	لين الكلام	٣٥٩

٢٦.قدر حضرة النبي في سورة يس	٣٦١

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ ﴾ (يس)

فضل قراءة سورة يس	٣٦١	قلب القرآن	٣٦٦
الأدب مع العلماء والصالحين	٣٦٧	تفسير كلمة (يس)	٣٦٩
الدعوة بالرفق واللين	٣٧٣	التذكرة	٣٧٤

٢٧.هداية النبي	٣٧٦

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ۝٥١ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ (الشورى).

تنزل الوحي	٣٧٨	هيئات الوحي	٣٨٠
تصحيح نحو فصاحة موسى	٣٨٥	روح القرآن	٣٨٦
هداية النبي	٣٨٧	الطريق إلى الله	٣٨٧

٢٨.الفتح المبين	٣٨٨

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ۝٥ ﴾ (الفتح).

فضل سورة الفتح	٣٨٩	أسباب النزول	٣٩١
تأييد الله لنبيه	٣٩٤	بيان المغفرة	٣٩٦
تمام النعمة	٣٩٨	السكينة	٣٩٩
درجات المؤمنين	٣٩٩	جند الله	٤٠٠
العلاء الحضرمي	٤٠٢	لمحة في (إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)	٤٠٥

٢٩.بيعة النبي	٤٠٧

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ

فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ (الفتح).

جلالة الله	٤٠٨	وصف رسول الله في التوراة	٤٠٩
الرسول شاهد	٤١٠	أمة الفضل الإلهي	٤١٢
نبي البشائر	٤١٣	الواجب علينا نحو رسول الله	٤١٤
١- الإيمان به	٤١٤	٢- نصرته	٤١٦
٣- توقيره	٤١٧	٤- التسبيح لله	٤١٨
٥- مبايعته	٤١٨	تشريف الله لرسوله	٤٢٠
سر البيعة	٤٢١		

٣٠.النبي والذين معه ٤٢٣

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح).

بشائر نصر الله	٤٢٤	رسول الهدى	٤٢٧
الدين الحق	٤٢٨	إظهار الدين	٤٢٩
الإسلام دين القيم الفاضلة	٤٣٠	صفات المؤمنين الصادقين	٤٣١
معاشرة الزوجات بالمعروف	٤٣٢	الرحمة بالأولاد	٤٣٥
الحذر من التدليل	٤٣٧	القيام بحقوق الله	٤٣٨
مقام الرضوان	٤٣٩	وصف أصحاب النبي فيالإنجيل	٤٤١
حكم الإمام مالك في الروافض	٤٤١	وعد الله للمؤمنين	٤٤٣

٣١.الرسول الأمي ٤٤٤

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ (الجمعة)

فضل صلاة الجمعة	٤٤٤	إدراك الجمعة	٤٤٦
داء العُجب	٤٤٧	تسبيح الكائنات لله	٤٤٨
تسبيح الملائكة	٤٤٩	توفيق الله للعبد	٤٥٠

الملك جل جلاله	٤٥١	نعمة الستر	٤٥٢
القدوس سبحانه	٤٥٣	العزيز تبارك وتعالى	٤٥٣
الحكيم سبحانه	٤٥٤	النبي الأمي	٤٥٤
علوم النبوة	٤٥٥	تلاوة الآيات	٤٥٥
التزكية	٤٥٧	علم الكتاب والحكمة	٤٥٨
نور رسول الله ﷺ	٤٥٩	بشرى للاحقين	٤٥٩

٣٢.النبي القوَّام	٤٦٠

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ ﴾ (المزمل).

نزول الوحي	٤٦١	فضل قيام الليل	٤٦٣
ترتيل القرآن	٤٦٦	القول الثقيل	٤٦٨
مشقة قيام الليل	٤٧٠	طاعة القيام	٤٧١
فائدة النوم ليلاً	٤٧٢	الذكر والتبتل	٤٧٣
الصبر الجميل	٤٧٥		

٣٣.النبي المطهر	٤٧٦

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ (المدثر).

مشاهد النبوة	٤٧٧	ملاحظة الله لنبيه	٤٨٠
التكليف بالرسالة	٤٨٠	الطهارة الحسية والمعنوية	٤٨١
آفات المن	٤٨٥	النفخ في الصور	٤٨٧
العلماء ورثة الأنبياء	٤٨٨	التجهز للعطاء	٤٨٨
آداب العلماء الربانيين	٤٨٩	الله أكبر	٤٩٠
اللجوء إلى الله	٤٩١	دروس اليقين في الله	٤٩٣
إشارات عالية	٤٩٤	أمراض النفس	٤٩٤
عاقبة المنّ	٤٩٥	خُلُق الصبر	٤٩٦

٣٤.الرسول الكريم			٤٩٩
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ (التكوير).			
عالم النجوم	٥٠٠	المكانس الفضائية	٥٠١
الليل والنهار	٥٠٢	الرسول الكريم	٥٠٣
الأفق المبين	٥٠٧	تبرئة الله لتبيه	٥٠٩
الذكر الحكيم	٥١٠		

.النبي يرضيه ربه			٥١١
﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾ (الضحى).			
النهار والليل	٥١٣	حب الله لنبيه	٥١٤
بشريات الله لنبيه	٥١٥	حرصه على أمَّته	٥١٧
عطاء الرضا	٥٢٠	نِعم الله على نبيه	٥٢٢
حب النبي لربه	٤٢٣	غناه بالله	٥٢٣
شكر الله على نعمه	٥٢٤	الوصية باليتيم	٥٢٤
حسن معاملة السائل	٥٢٥	التحدث بنعم الله الحسية	٥٢٥

٣٦.رفعة ذكره ﷺ			٥٢٧
﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨ ﴾ (الشرح).			
شرح الصدر	٥٢٨	مرات شرح الصدر	٥٢٩
حكمة شرح الصدر	٥٣٠	رفع عنه همَّه	٥٣٣
رفعة ذكره	٥٣٦	الحكمة في الشدائد	٥٣٧
أمَّة اليسر	٥٣٨	حسن التوجه إلى الله	٥٤١

٥٤٢	.النبي القاريء

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ (العلق)

القرآن المنظور	٥٤٣	النبي الأمِّي	٥٤٥
عبادة التفكر	٥٤٧	الخالق جل جلاله	٥٥٢
خلق الإنسان	٥٥٤		

٥٥٥	٣٨.ليلة القدر

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ (القدر).

تسمية ليلة القدر	٥٥٥	منحة ليلة القدر	٥٥٦
نيل الثواب	٥٥٨	تخصيص ليلة القدر	٥٥٩
العارفون وليلة القدر	٥٦١	منح ليلة القدر	٥٦٣
تنزل الملائكة	٥٦٧		

٥٦٩	٣٩.نبي البيِّنة

﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (البينة)

النبي واليهود	٥٧٠	وظيفة الرسول	٥٧٢
القرآن كتاب حياة	٥٧٢	الكتب القيِّمة	٥٧٤
الإخلاص	٥٧٨		

٥٨٠	٤٠.صاحب الكوثر المورود

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾(الكوثر)

قدر النبي بين رسل الله	٥٨٠	نزول سورة الكوثر	٥٨١
عطاء الله لنبيه	٥٨٢	معاني الكوثر	٥٨٢
حوض الكوثر	٥٨٣	الشرب من الكوثر في الدنيا	٥٨٤
صلِّ لربك	٥٨٥	حكمة وفاة أبناء النبي الذكور	٥٨٧
الأبتر كل مُبغض للنبي	٥٨٧		

نبذة عن المؤلف الشيخ فوزى محمد أبوزيد	٥٨٩
قائمة مؤلفات الشيخ	٥٩١
قائمة المكتبات ودور النشر	٥٩٣
محتويات الكتاب	٥٩٥